الحزام والطريق

تحولات الدبلوماسية الصينية في القرن 21

تحرير: جانغ يون لينغ

ترجمة: آية محمد الغازي

مراجعة: د. حسانين فهمي حسين



صفصافة
SEFSAFA PUBLISHING HOUSE
WWW.SEFSAFA.NET

الحزام والطريق

تحولات الدبلوماسية الصينية في القرن 21



تحرير: جانغ يون لينغ

ترجمة: آية محمد الغازي

مراجعة: د. حسانين فهمي حسين





سلسلة "قراءات صينية" سلسلة كتب مترجمة عن الصينية مباشرة حول الاقتصاد والسياسة والمجتمع والثقافة الصينية، تصدر عن دار صفصافة للنشر بمصر تحت إشراف الدكتور حسانين فهمي حسين.

آية محمد الغازي/
• معيدة بقسم اللغة الصينية كلية الألسن- جامعة عين شمس.
• حاصلة على ليسانس اللغة الصينية- كلية الألسن جامعة عين شمس عام 2012.
• حاصلة على دبلوم الترجمة الفورية والتحريرية - كلية الألسن عام 2014.
• تقوم حاليًا بإعداد الماجستير في الترجمة بين اللغتين الصينية والعربية.

....

الحزام والطريق
الطبعة الأولى 2017
رقم الإيـــــداع: 2016/25008
الترقيم الدولي: 978-977-821-000-2

الناشر
محمد البعلي

إخراج فني
علاء النويهي

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي دار صفصافة.

B&R Book Program

This book originally published in Chinese under title: China's Foreign Relations: Changes in Situation and Strategic Transformation © Social Sciences Academic Press (China).

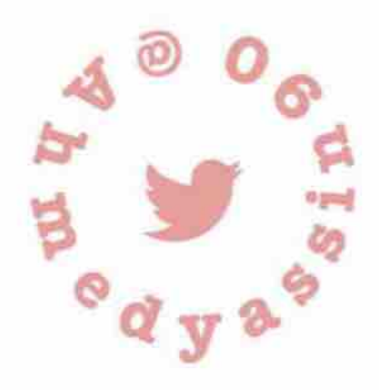


دار صفصافة للنشر والتوزيع والدراسات
5 ش المسجد الأقصى - من ش المنشية - الجيزة - ج م ع.

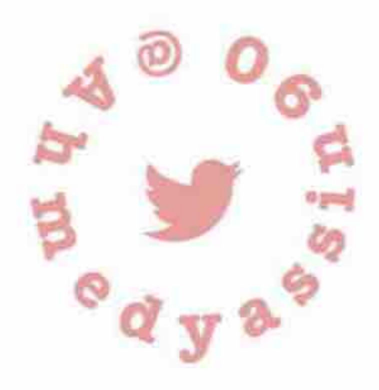




الحزام والطريق


@Ahmedyassin90

المحتويات

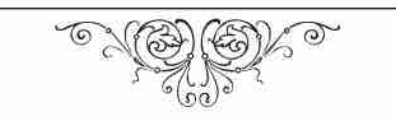


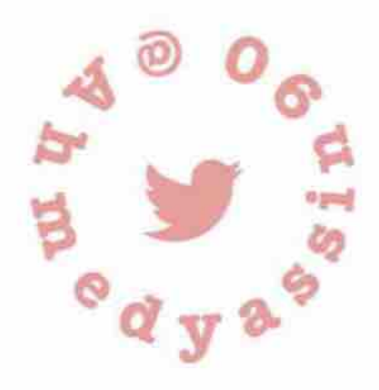
@Ahmedyassin90



حول إعداد نظرية دبلوماسية تهدف إلى تحول الصين إلى دولة عظمى

يانغ جيه ميان




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: تشهد الصين في الوقت الراهن تحولا تدريجيًّا من كونها دولة كبرى إلى دولة عظمى عالميًّا، ومن ثم فإن إعداد الصين لنظرية دبلوماسية تحقق ذلك يتطلب توضيح مهام المراحل المختلفة لتحقيق هذا التحول من ناحية، ومن ناحية أخرى ينبغي تحديد المحاور الأساسية وراء بناء النظرية في كل من هذه المراحل. وإذا نظرنا إلى مراحل تحقيق هذا التحول، سنجد أنها تنقسم إلى ثلاث مراحل مختلفة، تشمل على الترتيب: التعايش السلمي، والتكافل السلمي، والتكافل المتناغم. وفي الوقت الحالي، تنتقل النظرية الدبلوماسية الصينية من المرحلة الأولى وهي تحقيق التعايش السلمي، إلى المرحلة الثانية وهي التكافل السلمي، والصين الآن بصدد وضع نظرية للتكافل السلمي عن طريق تحقيق النمو الداخلي، ودفع التفاعل مع الخارج، وبناء مفهوم التكافل وغيرها من الوسائل. أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة طويلة المدى، تتمثل مهمتها في تعزيز نظرية التكافل المتناغم، ما يسهم في الارتقاء بالعلاقات العالمية إلى مستوى أعلى ماديًّا ومعنويًّا. أما إذا نظرنا إلى المحاور الرئيسية وراء بناء النظرية، فسنجد أنه ينبغي على هذه المحاور في كل مرحلة من المراحل التي ذكرناها سلفًا إرساء حجر الأساس للنظريات الأساسية أو التوجيهية، وكذلك تعزيز نظريات تنفيذية أو إجرائية، مما يضمن أن تحقق النظرية الدبلوماسية الصينية للتحول إلى دولة عظمى توافقًا بين النظرية والتطبيق. وعلى مدار العقود القادمة، ستكون الصين أثناء تطوير نظرياتها بحاجة إلى إفراد نظرية دبلوماسية خاصة تسعى إلى تحويل الصين إلى دولة عظمى، وذلك في ظل الإطار العام للمنظومة النظرية للاشتراكية ذات الخصائص الصينية. ومن أجل تجاوز المسار الفكري التقليدي، وتعزيز وعي الصين وثقتها بنظرياتها، ستحتاج الصين إلى روح ابتكارية رائدة غير مسبوقة، تكون قادرة على التفكير في أبعاد واتجاهات مختلفة، وتلعب دورًا في بناء ونشر وتوجيه النظريات الجديدة، وبالطبع سترتقب الصين في هذا السياق مزيد من الإسهامات من مفكريها ومنظريها.

الكلمات المفتاحية: النظرية الدبلوماسية؛ التكافل السلمي؛ التكافل المتناغم؛ الوعي بالممارسة.

الباحث: يانغ جيه ميان، مدير معهد دراسات القضايا الدولية بشنغهاي.

تشهد الصين في الوقت الحالي انتقالًا تدريجيًّا من صفوف الدول الكبرى إلى صفوف الدول العظمى، ولكن البيئة المحيطة بالصين مختلفة اختلافًا واضحًا عن تلك التي كانت تحيط بجميع الدول الكبرى التي نهضت على مدار التاريخ، وبالتالي هناك اختلافات كبيرة سواء على مستوى المتطلبات المادية أو النظرية. فعلى الصعيد المادي، مع تعمق مفهوم التكامل في الأنظمة العالمية أصبح من الصعب جدًّا تحقيق التنمية بشكل مستقل أو حصري، حيث أصبحت التيارات العالمية تتجه إلى التنمية المشتركة والمتبادلة. وبالتبعية أصبحت هناك حاجة إلى نظرية دبلوماسية صينية موازية تدعو إلى التنمية المشتركة والمتبادلة على الصعيد النظري. بمعنى أدق، فإن إعداد الصين لنظرية دبلوماسية تحقق تحولها إلى دولة عظمى يتطلب توضيح مهام المراحل المختلفة لتحقيق هذا التحول من ناحية، ومن ناحية أخرى ينبغي تحديد المحاور الأساسية الخاصة ببناء النظرية في كل من هذه المراحل. فإذا نظرنا إلى مراحل تحقيق هذا التحول، سنجد أنها تنقسم إلى ثلاث مراحل، تشمل على الترتيب: التعايش السلمي، والتكافل السلمي، والتكافل المتناغم[1]. فمنذ عام 1949، انتهت مهام المرحلة الأولى من إعداد النظرية الدبلوماسية الصينية، حيث وضعت الصين وطورت تدريجيًّا نظرية للتعايش السلمي[2]. وفي المرحلة الحالية، تقوم الصين بوضع نظرية للتكافل السلمي عن طريق تحقيق النمو الداخلي، ودفع التفاعل مع الخارج، وبناء مفهوم التكافل، وغيرها من الوسائل. وفي الوقت نفسه ينبغي على الصين أن تأخذ بعين الاعتبار مهام المرحلة المقبلة، وتتعاون مع غيرها من دول العالم أجمع والدول العظمى في تعزيز نظرية للتكافل المتناغم، مما يساعد على الارتقاء بالعلاقات العالمية إلى

1- طبقًا لمعجم "تسه خاي" المحيط في اللغة الصينية، يُقصد "بالتكافل" أو "التكافل المتبادل" نوع من العلاقات بين الكائنات الحية. ويشير التكافل بشكل عام إلى العلاقة المتبادلة بين نوعين أو أكثر من الكائنات الحية الذين يتشاركون مكانًا واحدًا للمعيشة. وعادةً ما يُستخدم هذا التعبير للإشارة إلى العلاقة القائمة على تبادل المنفعة بين نوع من الكائنات الحية وآخر إما يعيش داخله أو يتطفل عليه (انظر معجم "تسه خاي"، إعداد شيا تشنغ نونغ، تشن تشي لي، شنغهاي، دار نشر تسي شو بشنغهاي، طبعة عام 2009، ص731-730). في السنوات الأخيرة أصبحت كلمة "التكافل" من بين الكلمات المستخدمة في مجال العلاقات الدولية، وبدأت تظهر في وثائق الحكومة الصينية (مثل الكتاب الأبيض للتنمية السلمية في الصين) وأيضًا في أبحاث بعض الباحثين. وسوف تقوم هذه الدراسة بتحليل نظريات الدول العظمى من الجانب "الداخلي" (داخل الدولة)، و"الخارجي" (خارج الدولة) و"التكافلي" (أي الاعتماد المتبادل والمشترك في المجتمع الدولي).

2- هناك العديد من الأبحاث حول نظرية التعايش السلمي في الدبلوماسية الصينية، ولكن لم يتم تحليلها من قبل باعتبارها إحدى المهام المرحلية لإعداد النظرية الدبلوماسية الصينية لتحقيق تحول الصين إلى دولة عظمى عالميًّا.

مستوى أرفع على المستويين المادي والمعنوي. أما إذا نظرنا إلى المحاور الرئيسية وراء بناء النظرية، فسنجد أنه ينبغي على هذه المحاور في كل مرحلة من المراحل التي ذكرناها أعلاه إرساء حجر الأساس للنظريات الأساسية أو التوجيهية، وكذلك تعزيز نظريات تنفيذية أو إجرائية، ما يضمن أن تحقق النظرية الدبلوماسية الصينية للتحول إلى دولة عظمى توافقًا بين مفهومي النظرية والتطبيق.

أولًا: التفاعل والتكامل بين النظريات الداخلية والخارجية

بعد أن أنهت الصين مهمة المرحلة الأولى من إعداد النظرية الدبلوماسية الصينية للتحول إلى دولة عظمى، فإنها تسعى جاهدةً في الوقت الراهن إلى تحقيق مهمة المرحلة الثانية، ألا وهي تحقيق التكافل السلمي. وتحتاج الصين في هذا الصدد إلى وضع نظريات دبلوماسية ذات خصائص صينية، وهو ما نطلق عليه النظريات الدبلوماسية الداخلية. وعلى الجانب الآخر، يتوجب على الصين الاستفادة من منجزات الحضارات العالمية المتميزة للارتقاء بالنظريات الصينية وتحسينها، من خلال تحقيق التفاعل الإيجابي بين النظريات الداخلية والخارجية، بهدف تحقيق التكافل السلمي للنظريات الدبلوماسية الصينية، ووضع حجر أساس راسخ لمهمة المرحلة الثالثة، ألا وهي تحقيق التكافل المتناغم.

(1) بناء النظريات الداخلية

على الرغم من أن الصين تتمتع بحضارة يرجع تاريخها لأكثر من خمسة آلاف عام، إلا أنها لم تُدرَج في صفوف الدول العظمى حتى اليوم. فبعد أن دخل المجتمع الصيني العصر الحديث، ظل اقتصاد الصين وأوضاعها السياسية في ركود لفترة طويلة، بل قد شهدت تراجعًا في بعض الأوقات، وعندما أُجبرت الصين على الانفتاح على الخارج بعد حرب الأفيون[1]، تعرضت إلى اضطهاد وظلم عنيف من قِبَل الغرب. ولا تزال العلاقات الدولية والنظريات الدبلوماسية التي يقودها الغرب تنظر إلى الصين بغطرسة وتمارس

1- وقعت حرب الأفيون بين بريطانيا والصين ومرت بمرحلتين، حرب الأفيون الأولى (1840- 1842) وحرب الأفيون الثانية (1856 – 1860)، وانتهت أيضًا لصالح البريطانيين وتحالف معهم الفرنسيون فيها. وفي عام 1858، تم توقيع اتفاقية (تيانجين) بين الصين وكل من بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة وروسيا، وهي تعطيهم مزيدًا من الامتيازات، ولم تنتهِ حرب الأفيون إلا باتفاقية 8 مايو 1911 (المترجمة).

ضدهـا تمييـزًا، وتعمـل أحيانًـا عـلى إقصائهـا ومهاجمتهـا حتـى يومنـا هـذا[1]. ومـن ثـم تحتـاج الصين وبشـدة إلى وضع نظريـات دبلوماسـية خاصـة بها مبنيـة عـلى السياسـة الداخليـة والعلاقـات الدبلوماسـية للدولـة، وخاصـةً النظريـات والممارسـات الأساسـية لتحقيـق التنميـة السـلمية.

أ. توفـر الـشروط الأساسـية لبنـاء النظريـات الدبلوماسـية الداخليـة لتحقيـق تحـول الصـين إلى دولـة عظمـى عالميًـا:

تُعتـبر الصـين أولى دول العـالم مـن حيـث عـدد السـكان، والثانيـة مـن حيـث حجـم الاقتصـاد، والثالثـة مـن حيـث المسـاحة، كـما تُعـد مـن أقـوى الـدول في المجالـين الريـاضي والثقـافي. وحققـت سياسـتا الإصـلاح والانفتـاح والتنميـة السـلمية إنجـازات حـازت اعـتراف العـالم أجمـع، كـما تنمـو قـوة الدولـة الصينيـة بشـكل سريـع، وتلعـب دورًا في الشـئون الدوليـة يـزداد أهميـة يومًـا بعـد يـوم، وأصبحـت مـن الداعـين والدافعـين إلى الإصـلاح في الأنظمـة الدوليـة. وفي الوقـت نفسـه تـزداد النظريـة الاشـتراكية ذات الخصائـص الصينيـة نضجًـا مـع مـرور الوقـت، فعـلى الصعيـد الدبلومـاسي تُعـد النظريـة الاشـتراكية ذات الخصائـص الصينيـة ثـروة تضـم كنـوز الفكـر الدبلومـاسي لـكل مـن الزعيـم مـاو تـسي تونـغ، والقائـد دينـغ شـياو بينـغ، والرئيـس الأسـبق جيانـغ تسـه مـين، والرئيـس السـابق هـو جـين تـاو. كـما أن نظريـات الصـين المتميـزة وطريقهـا التنمـوي وتجربتهـا الناجحـة ليسـت فقـط تجعـل الصـين أكـثر ثقـة في طريقهـا ونظرياتهـا ونظامهـا، بـل أصبحـت نموذجًـا خـارج الإطـار الغـربي، تسـتفيد منـه العديـد مـن الـدول في تحقيـق تنميتهـا.

ب. النظريـات القديمـة والفكـر التقليـدي للأمـة الصينيـة نبـع مهـم للنظريـة الدبلوماسـية الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى:

عـلى مـدار سـنوات مـن البحـث والتحليـل للتطـورات التاريخيـة، كانـت الأمـة الصينيـة أولى

1- تشير العديد من الأبحاث إلى أنه لا تزال النظريات الدبلوماسية ونظريات العلاقات الدولية تُعتبر "علمًا أمريكيًا"، انظر الأعمال التالية:
Ole Waever, "The Sociology of a Not So International Discipline: American and European Development in International Relations", International Organization, Vol.52, No. 4, 1998, p. 687-727; Robert M. A. Crawford and Darryl S. L. Jarvis, eds., International Relations-Still an American Social Science? Toward Diversity in International Thought, Albany: SUNY Press, 2001; Stanley Hoffinann, "An American Social Science-International Relations", .Daedalus, Vol. 106, No. 3, 1977, p.68-820

الأمـم التـي شـكلت ثقافـة تقليديـة متميـزة حققـت التواصـل بـين الثقافـة والتاريـخ والفلسـفة. وفي الثقافـة الصينيـة التقليديـة، لا تُقـاس الـدول العظمـى بقوتهـا الاقتصاديـة والعسـكرية فحسـب، بـل تُقـاس كذلـك بثقافتهـا وقيمهـا الأخلاقيـة. فقـد عالـج الفلاسـفة الصينيـون مـا قبـل أسرة تشـين الملكيـة قضايـا نهضـة الدولـة وسـقوطها بالنظـر إلى مراحـل تطـور الأمـة الصينيـة كاملـةً، واقترحـوا طرقًـا عـدة لتحقيـق نهضـة الدولـة لا يـزال لهـا دور تنويـري حتـى يومنـا هـذا، وكانـوا يعتقـدون أن أنظمـة الـدول تعتمـد فيـما بينهـا عـلى طبيعـة القيـادة، مـا بـين قـادة يحكمـون بالفضيلـة أو قـادة يحكمـون حكـماً استبداديًا.

فـكان كونفوشـيوس ومنشـيوس والحكيـم الصينـي شـيون تـسي يعتقـدون أن السـلطة عـلى الأرض سـلطة أخلاقيـة؛ لذلـك كانـوا يعتـبرون تهذيـب الأخـلاق وحكـم الدولـة بالإحسـان مـن وسـائل الحكـم بالفضيلـة وأيضًـا مـن أسـس إدارة الدولـة، أي إدارة البـلاد بـ"النفـس النبيلـة والحكـم بالفضيلـة". فـكان شـيون تـسي يعتقـد أن أصحـاب النفـوس النبيلـة "أصحـاب خلـق"، والقادريـن عـلى الحكـم بالفضيلـة يسـتطيعون "فـرض النظـام"[1]. وكان لاو تـسي يعتقـد أن معاملـة الشـعب بالقيـم الحميـدة يُكسـب الحاكـم تأييـد الجماهـير، وأسـاس هـذه القيـم الحميـدة هـي تحمـل الصعـاب عوضًـا عـن الشـعب، كـما تلتقـي مئـات الجـداول وتصـب في النهايـة في البحـار الشاسـعة، "فلـولا أن البحـار الشاسـعة أكـثر عمقًـا لمـا احتـوت الأنهـار"[2]. أمـا خـان في تـسي فـكان يعتقـد أنـه يمكـن تحقيـق الحكـم بالفضيلـة بالاعتـماد عـلى القـوة العسـكرية وسـيادة القانـون، كـما يقـول خـان في تـسي: "عـلى الرغـم مـن أن حاكـم أي دولـة قـد يكـون لديـه المقـدرة عـلى الهجـوم عـلى الـدول الأخـرى، ولكـن ينبغـي أن يكـون القانـون أسـاس حكمـه"[3]. ولقـد قـارن منشـيوس وشـيون تـسي بـين الحكـم بالقـوة والحكـم بالفضيلـة بشـكل مفصّـل. فـكان منشـيوس يعتقـد أن الحكـم بالفضيلـة يعتمـد عـلى قـوة الأخـلاق الحميـدة، أمـا الحكـم بالقـوة فيعتمـد عـلى القـوة الماديـة. ويقـول منشـيوس: "بالقـوة تسـتطيع السـيطرة عـلى الآخريـن، ولكـن لا يعنـي هـذا أنهـم سـوف يطيعونـك بنفـس راضيـة، أمـا بالأخـلاق الحميـدة

1- مقال "خلع القناع" في كتاب "شيون تسي" (شيون تسي فيلسوف ومفكر تربوي صيني من مملكة تشاو أواخر عصر الممالك المتحاربة. له أعمال عديدة منها "شيون تسي"، الذي لخص فيه ما قبله من أفكار فلسفية لكل من مدارس كونفوشيوس، وموه تسي، ولاو تسي وغيرهم قبل عصر أسرة تشين الملكية- المترجمة).

2- الفصل السادس والستون من كتاب "لاو تسي". (يُعتبر لاو تسي أحد أهم الكتب الفلسفية في الصين القديمة التي طرحت مفهوم "الطاو". كتبه لاو تسي الذي كان فيلسوفًا ومؤسسًا للطاوية- المترجمة).

3- مقال "الجيوب الخمسة" في كتاب "خان في تسي".

فسيخضع لك الآخرون بنفس راضية"[1]. وكان شيون تسي يعتقد أن الحكم بالقوة أو الأخلاق الحميدة كليهما عنصران مهمان لا غنى عن أي منهما، وإن كانت القيم الحميدة أكثر أهمية في إدارة البلاد، كما قال شيون تسي: "على الحاكم أن يهذب من أخلاقه وأفعاله ليميز بين الصواب والخطأ"[2].

ت. توافق النظرية الدبلوماسية الصينية للانتقال إلى دولة عظمى مع التيارات التاريخية يضمن لها النجاح:

لا تسعى الصين من خلال بناء نظرية دبلوماسية للانتقال إلى دولة عظمى، للهيمنة على العالم، إنما تسعى إلى تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية عن طريق الوسائل السلمية، وقد أكد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني على هذه النقطة عندما ناقش أهداف الحزب لتحقيق الحياة الرغيدة للشعب الصيني. وعلى مدار فترات طويلة من الممارسة الدبلوماسية، تمسكت الصين بمبادئ تبعد عن السعي إلى الهيمنة أو القيادة. فبعد وقوع الأزمة المالية العالمية عام 2008، وفي الوقت الذي كانت تتوحد فيه الدول في ظل هذه الأزمة، رفضت الصين فكرة "مجموعة الاثنتين G2"[3] (أي السيادة الصينية الأمريكية المشتركة). وبعد أن انتقلت السلطة إلى القيادية المركزية الجماعية الجديدة بقادة الرئيس شي جين بينغ الأمين العام للحزب، أكد الرئيس أكثر من مرة على أن الصين لا تسعى إلى مكانة قيادية عالميًا. ويتضح من ذلك أن الصين تتمسك بنظريات وممارسات تضمن لها التقدم على طريق التنمية السلمية، والحصول على اعتراف وتأييد أكبر من المجتمع الدولي.

1- مقال "جونغ سون تشو الجزء الأول" في كتاب "منشيوس" (جونغ سون تشو هو أحد تلاميذ منشيوس وكتب كتاب "منشيوس"- المترجمة).

2- مقال "الحكم الملكي" في كتاب "شيون تسي".

3- مجموعة الاثنتين G2 هو تصور للشراكة بين الولايات المتحدة والصين يقوم على فكرة السيادة العالمية المشتركة بين البلدين، بحيث تجتمع الولايات المتحدة والصين بصفتهما قوتين كبريين وتسوّيان مشاكل العالم بينهما (المترجمة).

ث. النظرية الصينية الدبلوماسية للتحول إلى دولة عظمى تجمع بين النظرية والبرجماتية:

عندما تتعارض النظرية مع الواقع، لا تلوم الصين الواقع، بل تقوم بتعديل النظرية. ويمكن أن نصف التوجه الاستكشافي والبرجماتي لدى الدولة الصينية على النطاق النظري مجازًا بعبارة "تحسس الحجارة لعبور النهر"، وهذا التوجه من المتوقع استمراره طويلاً خلال بناء الصين لنظرياتها. وبما أن الصين سوف تتحول خلال الثلاثين عامًا أو الأكثر المقبلة من مجرد التخطيط لكيفية الانتقال إلى دولة عظمى، إلى التحول فعليًّا إلى دولة عظمى، فسيتطلب ذلك بالتبعية تعديلات نظرية تساهم في تحقيق هذا الهدف، على سبيل المثال توسيع قاعدة مفهوم القيم والمصالح، وتوسيع نطاق ومجالات تطبيق النظريات، وتحسين أنظمتها وتوسيع نطاقها، وغيرها من التعديلات الأخرى.

(2) تحقيق التعايش السلمي بين النظريات الخارجية والداخلية

يفرض العصر متطلبات جديدة على تحقيق التفاعل الإيجابي بين النظريات الداخلية والخارجية. ففي ظل العولمة، دخل العالم عصرًا من التكافل والاعتماد المتبادل، وبالتالي لن تحقق الصين التنمية السلمية إلا في ظل بيئة من التكافل مع المجتمع الدولي. لذلك دعا المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني إلى ضرورة نشر روح "المساواة والثقة المتبادلة، والتسامح، وتبادل المعرفة، والتعاون والفوز المشترك" في العلاقات الدولية، ويعكس هذا التوجه المتطلبات الجديدة التي يفرضها العصر على تحقيق الصين للتنمية السلمية. فمنذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، ظلت الصين تنهل من جميع دول العالم مستفيدةً من النظريات والممارسات القيمة، إلا أن الصين كانت تحرص على إضفاء طابعها الخاص على ما تأخذه من الغرب. والعلاقات الدولية بحد ذاتها تتجاوز نطاق الدولة الواحدة، وفي ظل العولمة هناك حاجة أكبر إلى الاستفادة من حكمة دول العالم أجمع لبناء نظريات على المستوى العالمي. وبناءً على ذلك، فإن الصين ليست في حاجة إلى بناء وتطوير نظريات داخلية فحسب، بل في حاجة كذلك إلى الاستفادة بكل ما

هـو مناسـب مـن النظريـات الخارجيـة، وتحقيـق التعايش السـلمي بين النظريـات الداخليـة والخارجية، وتحقيـق التنميـة المشـتركة وسـط بيئـة مـن التعـاون والتنافس في الوقت نفسـه.

فمـن ناحيـة، تحتـاج النظريـة الدبلوماسـية الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى، إلى الاسـتيعاب الكامـل للنظريـات الخارجيـة مـن خـلال التفاعـل معهـا. وهنـا علينـا أن نـورد بعـض الأمثلـة التاريخيـة. بعـد خمسـمائة عـام مـن الاكتشـافات الجغرافيـة الكـبرى[1] وظهـور الرأسـمالية في العـالم، أخـذت تتفاعـل الأوسـاط السياسـية والعلميـة في الـدول الرأسـمالية والاسـتعمارية والإمبرياليـة، وتشـكلت منظومـة نظريـة كاملـة تجمـع بـين النظريـات العالميـة العامـة والنظريـات الفرعيـة الأخـرى في مجـالات الاقتصـاد والسياسـية والعلاقـات الدبلوماسـية.

وتمكنـت بريطانيـا باعتمادهـا عـلى "نظريـة تـوازن القـوى" في عـصر الملكـة إليزابيـث الأولى والقائـد العسـكري أوليفـر كروموبـل عـلى تطويـر نفسـها لتصبـح إمبراطوريـة اسـتعمارية ضخمـة قـادرة عـلى الحفـاظ عـلى علاقاتهـا مـع القـارة الأوروبيـة. وفي فرنسـا، دعـا ونـادى كل مـن نابليـون بونابـرت الأول والثالـث إلى سياسـة التوسـع الخارجـي. ودعـا بسـمارك رئيـس وزراء مملكـة بروسـيا إلى توازن السـلطة، ذلـك الفكـر الـذي كان أكـثر حكمـةً مـن نظريـة الإمبراطـور الألمـاني فيلهلـم الثـاني نحـو السـيطرة عـلى العـالم واحتلالـه، حيـث اسـتطاع الأول أن يضمـن لدولتـه بيئـة دوليـة مواتيـة وإن كانـت لم تتعاظـم قـوة دولتـه بالقـدر الكبـير في ذلـك الوقـت. وفي روسـيا، اهتمـت الإمبراطـورة كاتريـن الثانيـة والقيـصر ألكسـندر الأول- خلفـاء الفكـر التوسـعي لـدى القيـصر بطـرس الأكـبر- بتعزيـز مكانـة روسـيا بـين صفـوف الـدول في أوروبـا والعـالم أجمـع بشـكل "منظومـي" و"ممنهـج". وفي بدايـة القـرن العشريـن، لاحظنـا تأثـير العـصر عـلى الرئيـس والسـياسي الأمريـكي وودرو ويلسـون، والرئيـس فرانكلـين روزفلت في نظرتهـما للعـالم بشـكل عـام والأنظمـة الدوليـة ومنظومـة القيـم. وفي ذلـك الوقـت، تحولـت العلاقـات الدوليـة إلى فـرع منفصـل مـن العلـوم في ظـل جهـود مـن الأوسـاط السياسـية والتجاريـة والعلميـة الأمريكيـة، ولا يـزال هـذا العلـم الأمريـكي حتـى يومنـا هـذا يؤثـر عـلى النخـب في جميـع أنحـاء العـالم. كـما يُعـد نجـاح ائتـلاف أوروبـا بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة مـن أهـم مصـادر النظريـات في العلاقـات الدوليـة.

1- الاكتشافات الجغرافية الكبرى هي رحلات بحرية قامت بها بعض دول أوروبا خلال القرنين 15 و16م، ومكّنتها من الوصول إلى مناطق جديدة بإفريقيا وأمريكا وآسيا (المترجمة).

وقـد سـاهم ذلـك التشـابه الملحـوظ بـين الصـين والـدول الناميـة الأخـرى فيـما تعرضـوا لـه مـن معانـاة تاريخيـة مشـتركة ومـا خططـوا لـه مـن مهـام تاريخيـة، في وضـع أسـس سياسـية واقتصاديـة واجتماعيـة فريـدة تحقـق التفاعـل بـين نظريـات الطرفـين. وفي الوقـت الـذي كانـت فيـه العديـد مـن الـدول الناميـة بـين دول مُسـتعمَرة أو شـبه مُسـتعمرة تبحـث عـن الخـلاص والاسـتقلال لشـعوبها وتسـعى للبنـاء، حاولـت أن تضـع نظريـات أكـثر فاعليـة ومواءمـة للعـصر تمـزج بـين النظريـات الخارجيـة والداخليـة. وبعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، وفي أوج مـد اسـتقلال وتحـرر الشـعوب في آسـيا وإفريقيـا وأمريـكا اللاتينيـة، صـاغ أحمـد سـوكارنو، أول رئيـس لإندونيسـيا، خمسـة مبـادئ لاسـتقلال الدولـة تُدعـى "بانكاسـيلا إندونيسـيا"، (تنـص هـذه المبـادئ عـلى القوميـة، والنزعـة الدوليـة، والديمقراطيـة، وتحقيـق الازدهـار للمجتمـع، والإيمـان بإلـه واحـد)؛ وفي غانـا، دعـا "الزعيـم الغـاني" كوامـي نكرومـا إلى الوحـدة الإفريقيـة. وفي الأرجنتـين، لخـص الرئيـس الأرجنتينـي السـابق خـوان دومينجـو بـيرون نظرياتـه في 3 شـعارات أساسـية تنـادي بـ"السـلطة السياسـة، والاسـتقلال الاقتصـادي، والعدالـة الاجتماعيـة"، والتـي عُرفـت تاريخيًـا بـ"الحركـة البيرونيـة". وبعـد أكـثر مـن مائـة عـام مـن النضـال لتحريـر الأمـة الصينيـة، تمخـض فكـر الزعيـم مـاو تـسي تونـغ، وتمخضـت كذلـك فلسـفة القائد الصينـي صـن يـات صـن المعروفـة بـ"مبـادئ الشـعب الثلاثـة" (القوميـة والديمقراطيـة والاشـتراكية)، والتـي أصبحـت بمثابـة سـلاح فكـري ونظـري جديـد للصـين والـدول الناميـة بشـكل عـام.

ومـن جانـب آخـر، تتطلـب النظريـة الدبلوماسـية الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى إلى وعـي يميّـز مـا هـو صالـح وينبـذ مـا هـو طالـح. ومـن ثـم رفعـت الصـين عـلى مـدار مـا يقـرب مـن مائـة عـام مـن البحـث والدراسـة النظريـة شـعارًا يدعـو إلى "الاعتـماد الأسـاسي عـلى العلـوم الصينيـة مـع الاقتبـاس مـن العلـوم الغربيـة". وحاولـت الصـين- بـدءًا مـن السـياسي لي خونـغ تشـانغ حتـى صـن يـات صـن- اسـتلهام النظريـات مـن خـلال البحـث في نظريـات القـوى العظمـى في الغـرب، أو صياغـة نسـخ مـن النظريـات الغربيـة تتناسـب مـع ظـروف الصـين. وخـلال الثلاثـين عامًـا الأولى مـن حكـم الحـزب الشـيوعي الصينـي حيـث كانـت الحـروب والثـورات، حقـق الحـزب إنجـازات ولكنـه واجـه أيضًـا الصعوبـات عـلى صعيـدي النظريـة والتطبيـق. ولم تسـلك الدبلوماسـية الصينيـة عـلى مسـتوييها النظـري والتطبيقـي طريقًـا أكـثر نضجًـا وفاعليـة إلا مـع بـدء تنفيـذ سياسـة الإصـلاح والانفتـاح عـام 1978.

ونقصد بالتفاعل بين النظريات ذلك الاحتكاك بين الأفكار والمفاهيم الصينية والغربية وعقد المقارنات بينهما، والذي يُعد تفاعلاً أكثر عمقًا وشمولية من التفاعل التقليدي، إذ يتجاوز مفهوم التفاعل بمعناه المادي الملموس إلى التفاعل المعنوي غير الملموس. ولن تتقدم النظريات الصينية الداخلية وتسد ثغراتها إلا بالتفاعل الوثيق مع النظريات الخارجية، فلكل النظريات جوانبها الموضوعية والعلمية، ولكن هذا لا ينفي قصورها في جوانب أخرى. ومن ثم تحمل الصين على عاتقها مسئولية مزدوجة لتحقيق التكامل بين النظريات. فمن ناحية، ينبغي عليها الاستفادة من جميع النظريات المتميزة والمتقدمة في العالم الخارجي؛ ومن جانب آخر، ينبغي عليها تعريف العالم الخارجي بما يمكن أن تلعبه نظرياتها من دور ملهم. فكما استطاعت الصين باعتمادها على قوتها الذاتية الحصول على مكانة مهمة في السوق العالمية خلال الثلاثين عامًا الماضية، يتطلب "خروج" النظريات الصينية إلى العالم الخارجي قدرًا أكبر من المبادرة الذاتية. ولكن لن تستطيع نظريات الصين الداعية إلى التنمية السلمية و"إعلاء الدولة دون الهيمنة" تقديم إسهامات في العالم الخارجي إلا إذا تعرّف عليها المجتمع الدولي بشكل أكبر واعترف بها.

ثانيًا: ابتكار نظرية التكافل

إن مهمـة المرحلـة الثالثـة مـن إعـداد النظريـة الدبلوماسـية الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى هـي الانتقـال مـن تحقيـق التكافـل السـلمي إلى تحقيـق التكافـل المتناغـم. وتحقيـق التكافـل الـدولي ليـس وليـد اليـوم فقـط، ولكـن في ظـل عـصر العولمـة الحـالي أصبـح تحقيـق التكافـل الـدولي أمـرًا ضروريًـا قابـلاً للتحقيـق. "إن وصـول أي دولـة إلى قـدر مـن 'تحقيـق ذاتهـا' لا يعتمـد فقـط عـلى ظروفهـا الداخليـة وجهودهـا الفرديـة، بـل لا ينفصـل عـن منجـزات الـدول الأخـرى في هـذا الشـأن، وبالأحـرى لـن تحقـق أي دولـة ذاتهـا إلا بتحقيـق الـدول الأخـرى ذاتهـا هـي أيضًـا"[1]. لذلـك كان يتوجـب عـلى الصـين أثنـاء مسـيرة نهضتهـا ونهضـة العديـد مـن الـدول الصاعـدة الأخـرى أن توحـد جهودهـا مـع هـذه الـدول وتعمـل معًـا لدفـع عمليـة ابتـكار نظريـة للتكافـل.

1. التمسك بالأسس النظرية وتوطيد أسس التكافل:

عـادةً مـا تنبـع النظريـات في الـدول العظمـى حتـى يومنـا هـذا مـن دولـة واحـدة وتُقـصي الـدول الأخـرى، كـما تتعامـل نظريـات الهيمنـة لـدى القـوى العظمـى في أوروبـا وأمريـكا وبريطانيا على سـبيل المثـال بقانـون الغـاب، الكبـير يـأكل الصغـير والقـوي يضطهـد الضعيـف. ولكـن في عـصر العولمـة ومـع تعـدد الأقطـاب، دفعـت الحاجـة إلى تحقيـق التنميـة المشـتركة والمتبادلـة العـالم ولأول مـرة إلى البحـث عـن طـرق عمليـة لتحقيـق التكافـل بـين الـدول العظمـى. وتعكـس بعـض المفاهيـم مثـل مفهـوم العالم المتناغـم، والتنميـة السـلمية، وبنـاء نمـط جديـد للعلاقات بـين الدول الكـبرى، الجهودَ التـي بذلتها الصين عـلى المسـتويين النظـري والتطبيقـي. كـما أن تعزيـز العولمـة الاقتصاديـة، وتعـدد الأقطـاب السياسـية، والتنـوع الثقـافي، والتبـادل المعلومـاتي يوطـد مـن أسـس تحقيـق الفـوز المشـترك والتكافـل في المجتمـع الـدولي. ونظـرًا إلى أن العـالم الـذي نعيـش فيـه اليـوم عـالم مادي قبـل أي شيء آخـر، فإن تعزيـز التعاون

1- جين ينغ تشونغ، "تكافل المجتمع الدولي والتنمية السلمية الصينية"، "تعليقات دولية Review International"، عدد رقم 4، 2012، ص44؛ جين ينغ تشونغ، "لماذا يجب دراسة تكافل المجتمع الدولي - نظريات العلاقات الدولية في عصر التنمية السلمية"، مجلة "تطلعات دولية Outlook World"، عدد رقم 5، 2011، ص 1- 17.

الاقتصادي والتجاري والمالي والأمني والاجتماعي دائمًا ما يأتي في المقام الأول. ولكن المجتمع الدولي يحتاج إلى زاوية رؤية تتجاوز المادة حتى يستطيع التعرف على العالم المحيط بشكل أعمق، ويحتاج كذلك إلى نظام مشترك يحقق الإدارة النموذجية للحقوق والمصالح المشتركة، ومُثل مشتركة لتحقيق قدر أكبر من الفوز المشترك القائم على التكافل. وبالإضافة إلى ذلك يتطلب منا - إلى جانب الاهتمام بالثروات المادية- الاهتمام كذلك ببناء ثروة معنوية تزيد من قدر المساهمة في بناء النظريات. ويُعتبر تحقيق المنفعة المشتركة للدولة والإنسانية بشكل عام هو حجر الزاوية للنظرية الدبلوماسية الصينية للتحول إلى دولة عظمى، وعلى الجانب الآخر، يُعد تعزيز بناء مجتمع إنساني مشترك بين الصين والمجتمع الدولي توجهًا تسعى له المجتمعات الدولية المتكافلة. ولن تتوطد أسس بناء مجتمع دولي متكافل إلا في ظل هذه الرؤية الاستراتيجية طويلة المدى.

2. المشاركة في بناء منظومة نظرية لتحقيق التكافل:

على الرغم من أن بناء نظرية للتكافل بين دول العالم العظمى عملية مقيدة بفترة زمنية وجيزة مقارنةً بعظم المهمة، فهذا لا يبرر التشرذم الموجود في نظريات المجتمع الدولي والميل إلى تحقيق المصالح الذاتية فحسب. ومن هنا نحن في حاجة إلى بناء منظومة نظرية متكاملة، الأمر الذي يتطلب التخطيط الشامل والتأمل الدقيق، الذي يمكن تلخيصه في النقاط الآتية:

أولًا: ينبغي فهم طبيعة العصر ومتطلباته فهمًا عميقًا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن عالمنا اليوم يقف في مفترق طريق بين الانتقال من العلاقات الدولية إلى العلاقات العالمية، وإذا استطاع المجتمع البشري استيعاب هذه الفرصة التاريخية، من الممكن بل والمحتمل أن يحقق مثالا عظيمًا لتحقيق الفوز المشترك والتكافل بين الدول العظمى للمرة الأولى في تاريخ الحضارة الإنسانية من خلال الطرق السلمية. وإذا حدث العكس، فسوف يفوّت المجتمع البشري الفرصة ويظل يتحسس طريقه لفترات طويلة.

ثانيًا: ينبغي تحديد المفاهيم والشروط الأساسية تحديدًا واضحًا. فعلى الرغم من أن المجالات التي تتطرق لها نظرية التكافل بين الدول العظمى يصعُب حصرها، إلا أنها ينبغي على الأقل أن تركز بشكل أساسي على "المساواة والثقة المتبادلة، والتسامح وتبادل

المعرفـة، والتعـاون وتحقيـق الفـوز المشـترك" وغيرهـا مـن المفاهيـم الجوهريـة. وعـلى صعيـد الـشروط، لا يجـب فقـط أن تتميـز صياغـة هـذه الـشروط بالوصـف التفاعـلي والتصويـر المبتكـر، بـل ينبغـي كذلـك ابتـكار شروط جديـدة لتلبيـة مـا يطـرأ مـن تغيـيرات.

ثالثـًا: ينبغـي البحـث في القواعـد والمفاهيـم الأساسـية. خـلال الخمسـمائة عـام الماضيـة التـي قادتها أوروبـا وأمريـكا، لاحظنـا أن انقـلاب القـوى يسـبب دائمـًا تغيـيرات في الموازيـن السياسـية والاقتصاديـة، الأمـر الـذي أدي إلى كشـف الـدول الناشـئة والكـبرى أوراقهـا في المجـال العسـكري واحتكامهـا إلى الحـرب[1]. وتتوقـف إمكانيـة تكـرار هـذه المفاهيـم في الفـترة الجديـدة بدرجـة كبـيرة عـلى ردود أفعـال المجتمـع الـدولي وقدراتـه عـلى تقييـم متطلبـات العـصر والأوضـاع الجديـدة.

رابعًـا: اختبـار الممارسـة والتعلـم منهـا. يُعـد التطبيـق هـو المعيـار الوحيـد للحكـم عـلى صحـة التجربـة، فـلا يمكـن الحكـم عـلى مـدى صحـة أو خطـأ النظريـة الصينيـة الدبلوماسـية للتحـول إلى دولـة عظمـى إلا بالتجربـة. ومـن ثـم ينبغـي أولًا تحويـل المفاهيـم الصينيـة إلى ممارسـات، ومـع تكـرار الممارسـات يمكـن الانتهـاء إلى النظريـة. وينبغـي عـلى الصـين كذلـك السـعي لدفـع غيرهـا مـن الفاعلـين لتطبيـق نظريـة التكافـل، وأن تقـوم بالتحسـينات والتعديـلات المناسـبة في النظريـة خـلال مراحـل التطبيـق، مـا يجعـل النظريـة أكـثر نضجًـا واكتـمالًا.

3. المواجهة الفعالة للتحديات على المستويين النظري والتطبيقي:

عـلى الرغـم مـن أننـا نناضـل اليـوم سـعيًا لتحقيـق التكافـل والفـوز المشـترك، إلا أن العـالم لا يخلـو في النهايـة مـن المنافسـات والألاعيـب والصراعـات، التـي ينبغـي علينـا أن نتعامـل معهـا بشـكل موضوعـي وأن نواجههـا بشـكل فعـال. كـما أننـا نواجـه حاليًـا التحديـات عـلى المسـتويين النظـري والتطبيقـي نتيجـة لزيـادة حـدة القضايـا العالميـة يومـا بعـد يـوم وغيـاب آليـات لـلإدارة العالميـة. فمـن التحديـات التـي نواجههـا حاليًـا نجـد ضرورة مواجهـة الصـين والمجتمـع

1- للمزيد من المعلومات عن تنافس القوى العظمى والحرب على الهيمنة، انظر "صعود وسقوط القوى العظمى: التغير الاقتصادي والنزاع العسكري من 1500 إلى2000"، تأليف بول كينيدي، ترجمة وانغ باو تسون، دار نشر تشيو شي، بكين، 1988؛ تشين يا تشينغ، "منظومة الهيمنة والنزاع الدولي"، دار نشر الشعب بشنغهاي، 1999؛ تشو بي تشي، "نظرية استقرار الهيمنة: النقد والتعديل"، "مجلة المحيط الهادئ العلمية"، العدد الأول 2005، ص 13- 23.

الـدولي لبعـض القضايـا الملحَّـة كقضايـا حمايـة البيئـة، وتغـير المنـاخ، وزيـادة عـدد السـكان، وأمـن الطاقـة والمـوارد الاسـتراتيجية، وأمـن الغـذاء والمـاء، وغيرهـا مـن القضايـا الأخـرى، كـما ينبغـي السـعي لتقديـم إسـهامات عـلى المسـتويين النظـري والمـادي في هـذا الشـأن. أمـا عـلى صعيـد التحديـات المسـتقبلية، فينبغـي عـلى الصـين والمجتمـع الـدولي العمـل عـلى زيـادة وعـي المجتمـع الـدولي حيـال النظريـة الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى، وينبغـي كذلـك التوجـه نحـو التخطيـط للمسـتقبل، والمسـاهمة في بنـاء الأنظمـة الدوليـة، ومعالجـة العلاقـات بـين الـدول الصاعـدة والكـبرى القويـة، وتحقيـق الإدارة الاجتماعيـة، والتنـوع الثقـافي وغيرهـا مـن القضايـا الأخـرى. ويشـكل الربـط بـين التحديـات الحاليـة والمسـتقبلية في حـد ذاتـه مسـتوى أعـلى مـن التحديـات أمـام تحقيـق التكافـل بـين دول العـالم العظمـى عـلى المسـتويين النظـري والتطبيقـي، وبالتـالي ينبغـي عـلى الصـين أن تبـدأ مـن الآن مواجهـة ذلـك بشـكل أكـثر فاعليـة.

4. تعزيز العنصر الصيني في نظرية التكافل:

شـهدت الصـين عـلى مـدار تاريخهـا الطويـل نهضـة غـير مسـبوقة، الأمـر الـذي يؤثـر بالتأكيـد عـلى القـوى والأنظمـة والتوجهـات الدوليـة، نظـرًا لمـا تتمتـع بـه الصـين مـن قـوة ماديـة ضخمـة وقـدرة تأثـير فكريـة وثقافيـة هائلـة، الأمـر الـذي يتطلـب الانتبـاه لبعـض الجوانـب. أولًا، تتطلـب نظريـة التكافـل بـين دول العـالم العظمـى إلى التنميـة عـلى الأسـاس المـادي والمعنـوي معًـا في نطـاق عالمـي، والصـين لا غنـى عنهـا في هـذه العمليـة لمـا تتميـز بـه مـن مكانـة مهمـة. ثانيًـا، تُعتـبر نظريـات الغـرب ولغـة الهيمنـة لديهـم مـن أبـرز ظواهـر الظلـم في التاريـخ، وقـد حـان الوقـت الآن لتصحيـح ذلـك. فتُعتـبر الصـين مـن الـدول الأساسـية في الـشرق، بـل نقـول إنهـا مكـون مهـم مواكـب للعـصر. فكـما تسـتطيع الـدول صاحبـة الأسـواق الناشـئة إضفـاء قـوة هائلـة عـلى الاقتصـاد العالمـي، تسـتطيع الصـين وغيرهـا مـن الـدول الصاعـدة إضفـاء مفاهيـم جديـدة عـلى النظريـات العالميـة. ثالثًـا، تُعتـبر الصـين أنجـح الـدول الناميـة حتـى يومنـا هـذا؛ لمـا تتميـز بـه نظرياتهـا مـن مغـزى عالمـي، ومـن ثـم يترقـب العـالم ظهـور مفاهيـم صينيـة جديـدة أخـرى إلى جانـب مفهـوم "توافـق بكـين"، و"طريـق الصـين"، و"نمـوذج الصـين"[1].

1- يتطلب من الصين إلى جانب تقديم إسهامات مادية، تقديم إسهامات في المجالات الاستراتيجية والفكرية والأمنية أيضًا. انظر: تشانغ تشون، "عن المهام الثلاثة الكبرى لبناء نظرية دبلوماسية ذات خصائص صينية"، مجلة "تطلعات دولية Outlook World"، العدد الثاني 2012، ص 10- 11.

ثالثًا: بناء نظريات توجيهية وإجرائية

تتمثل نقطة الالتقاء التي تجمع بين مهام المراحل الثلاثة لبناء النظرية الصينية للتحول إلى دولة عظمى في الاهتمام بضرورة العنصر النظري في الجانبين التوجيهي والإجرائي، فلا يمكن الاهتمام بجانب وتجاهل الآخر، وإلا سيتسبب ذلك في انفصال النظرية عن الواقع: فإما أن تحقق النظرية تقدمًا ولكن تظل غير قابلة للتفعيل، أو أن تتراجع النظرية وراء التطبيق وتقع في "مأزق نظري".

أولًا: النظريات التوجيهية:

تُعتبر النظريات التوجيهية من النظريات الأساسية المرتبطة بتحقيق التحول إلى دولة عظمى، ومثال على هذه النظريات نظرية توازن القوى التي طبقتها ألمانيا بدءًا من عصر مملكة بروسيا حتى الحرب الباردة، ونظرية التوسع الاستعماري التي طبقتها بريطانيا في ظل حمايتها لتوازن القوى في القارة الأوروبية، ونظرية "الاستقلالية" التي طبقتها الولايات المتحدة الأمريكية بعد تأسيس أمريكا بنحو مائة عام. أما الصين فمنذ انتهاج سياسية الإصلاح والانفتاح ظلت متمسكة بطريق التنمية السلمية، وتطبيق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية.

ويمكننا تناول مفهوم النظرية الإجرائية من جانبين: المغزى العام والمغزى الخاص.

1. المغزى العام:

تشمل النظرية التوجيهية لدى الدول العظمى ثلاثة جوانب:

أولًا: الهدف العام: وتجدر الإشارة هنا إلى أن فكرة "الهيمنة على العالم" ظلت هي هدف معظم الدول الساعية للتحول إلى دول عظمى منذ العصر الحديث؛ ولذلك اتخذت هذه الدول من الدول المجاورة لها سلّمًا لتحقيق مصالحها على حساب الآخرين، ومثال على ذلك هولندا وبريطانيا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا

واليابـان. ولكـن بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، طـرأت تغـيرات جديـدة، وأصبحـت هنـاك أفـكار واسـتراتيجيات متناميـة في المجتمـع الـدولي تدعـو إلى زيـادة المصالـح الخاصـة بتوسـيع المصالـح العامـة، وبذلـك كانـت هنـاك رغبـة مشـتركة في الوصـول إلى تحقيـق التكافـل السـلمي عـن طريـق بناء منظومـة مشـتركة. ولذلـك، بعـد انقضـاء الأزمـة الماليـة العالميـة التـي اجتاحـت العـالم عـام 2008، ظهـر التنسـيق المشـترك بـين دول المجتمـع الـدولي بشـكل أكـبر، في محاولـة لتجنـب انـدلاع أزمـة ماليـة أخـرى مثـل "الكسـاد الكبـير"[1] الـذي شـهده العـالم في ثلاثينيـات القـرن العشريـن.

ثانيًـا: المفاهيـم الأساسـية: بمـا أن هنـاك أهدافًـا مختلفـة، فهـذا يعنـي في المقابـل وجـود مفاهيـم مختلفـة. ففـي الولايـات المتحـدة الأمريكيـة ودول أوروبـا عـلى سـبيل المثـال ظلـت النظريـات ثابتـة رغـم الاختلافـات العديـدة، بمـا في ذلـك اختـلاف الجنـس المسـيطر (الـذي يدعـو نفسـه الجنـس المُختـار) واختـلاف المـكان والأيديولوجيـات الفكريـة (النظـام السـياسي)(2). أمـا الصـين فظلـت تتمحـور نظرياتهـا حـول التنميـة السـلمية وأكـدت عـلى التعـاون وتحقيـق الفـوز المشـترك.

ثالثًـا: نـشر النظريـة: عـلى الرغـم مـن اختـلاف الأهـداف والمفاهيـم، فتشـترك جميـع الـدول بشـكل كبـير في نفـس الوسـائل والطـرق المسـتخدمة لنـشر النظريـات. فاهتمـت أمريـكا ودول أوروبـا في أثنـاء مسـيرة تحولهـا إلى دول عظمـى بالترويـج لنظرياتهـا، حتـى أصبحـت تـروّج لهـا في الـرأي العـام، والتعليـم في المـدارس، وفي المؤتمـرات، وجميـع أشـكال التبـادلات الإنسـانية عـلى أنهـا نظريـات رائـدة لهـا دور توجيهـي في المجتمـع الـدولي.

2. المغزى الخاص:

طبقًـا لدسـتور جمهوريـة الصـين الشـعبية ودسـتور الحـزب الشـيوعي الصينـي، تُعتـبر كل

1- الكساد الكبير (Depression Great) اصطلاح يُطلق على الأزمة التي نتجت عن تدهور معدلات النمو الاقتصادي في معظم دول العالم عام 1929 مرورًا بالثلاثينيات وبداية الأربعينيات. ويُعد الكساد الكبير أكبر وأشهر الأزمات الاقتصادية في القرن العشرين ويُضرب بها المثل لما قد يحدث في القرن الواحد والعشرين وما مدى سوء الأزمة التي قد تحدث. وقد بدأت الأزمة بأمريكا، ويقول المؤرخون إنها بدأت مع انهيار سوق الأسهم الأمريكية في 29 أكتوبر 1929 المسمى بالثلاثاء الأسود. وكان تأثير الأزمة مدمرًا على كل الدول تقريبًا الفقيرة منها والغنية، وانخفضت التجارة العالمية ما بين النصف والثلثين، كما انخفض متوسط دخل الفرد وعائدات الضرائب (المترجمة).

مـن الماركسـية اللينينيـة، وفكـر الزعيـم مـاو تـسي تونـغ، ونظريـات دينـغ شـياو بينـغ، ومفهـوم "التمثيـلات الثلاثـة"[1]، ومفهـوم التنميـة العلميـة[2]، كلهـا في حـد ذاتهـا نظريـات توجيهيـة غايـة في الأهميـة في كافـة أعـمال الصـين، ولا نسـتثني مـن ذلـك النظريـة الدبلوماسـية الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى. ولكـن تُعتـبر مسـألة تحـول الصـين إلى دولـة عظمـى قضيـة جديـدة عـلى المسـتويين النظـري والتطبيقـي، ومـن ثـم يُعـد تصيـين الماركسـية في شـكل نظريـات اشـتراكية ذات خصائـص صينيـة مـن أهـم النظريـات التوجيهيـة وأكثرهـا تأثـيراً بشـكل مبـاشر عـلى مسـألة تحـول الصـين إلى دولـة عظمـى.

دعـا المؤتمـر الوطنـي الثامـن عـشر للحـزب الشـيوعي الصينـي إلى "إعـلاء رايـة السـلام والتنميـة والتعـاون والفـوز المشـترك"، والانتقـال مـن تحقيـق المصلحـة المتبادلـة والفـوز المشـترك اقتصاديًّـا كـما جـرى سـابقًا، إلى تحقيـق التعـاون والفـوز المشـترك بشـكل شـامل في القضايـا العالميـة التقليديـة وغـير التقليديـة. ويشـكل هـذا الهـدف السـامي تحديـاتٍ للصـين نفسـها، فتتطلـب النظريـة الدبلوماسـية الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى تجـاوز مصالـح الصـين الخاصـة، وأن تتعامـل مـع قضاياهـا والقضايـا العالميـة بصـدر أرحـب ورؤيـة بعيـدة المـدى، وأن تبحـث عـن طـرق ووسـائل لتحقيـق هـذا الهـدف عـلى المسـتويين النظـري والتطبيقـي للوصـول في النهايـة إلى هـدف تحقيـق الفـوز المشـترك لجميـع الأطـراف.

ثانيًا: النظريات الإجرائية:

كـما هـو واضـح مـن اسـمها، تشـير النظريـات الإجرائيـة إلى قابليتهـا للتطبيـق والتفعيـل، وتنقسـم هـذه النظريـات طبقًـا للفـترة الزمنيـة إلى ثلاثـة أنـواع: نظريـة طويلـة المـدى (أكـثر مـن عـشر سـنوات)، نظريـة متوسـطة المـدى (5-10 سـنوات)، ونظريـة قصـيرة المـدى (أقـل مـن 5

1- تُعتبر "التمثيلات الثلاثة" مكونًا مهمًا من مكونات المنظومة النظرية الاشتراكية ذات الخصائص الصينية، وتُعد من أسس حياة الحزب الشيوعي الصيني ومصدر قوته. ويؤكد هذا الفكر على ثلاث مهام يقوم بها الحزب الشيوعي. أولًا: أن يمثل الحزب دائمًا متطلبات التنمية للقوى الإنتاجية في الصين. ثانيًا: أن يمثل مسار تقدم الثقافة الصينية. ثالثًا: أن يمثل المصالح الأساسية للغالبية العظمى من الشعب الصيني (المترجمة).

2- مفهوم التنمية العلمية هو عبارة عن أفكار أسسها الرئيس الصيني السابق هو جين تاو. ويُعتبر مفهوم التنمية العلمية عنصرًا مهمًا أيضًا في المنظومة النظرية الاشتراكية ذات الخصائص الصينية، ويمثل أهمية استرشادية كبيرة بالنسبة للحزب الشيوعي الصيني. ويقوم مبدؤه الأساسي على التنمية، وأهم محاوره هو وضع الإنسان في المقام الأول، وتحقيق التنمية الشاملة والمستدامة، ويعتمد في أسلوبه على التخطيط والتنسيق (المترجمة).

سنوات).

1. النظرية الإجرائية طويلة المدى:

تجمـع النظريـة الإجرائيـة طويلـة المـدى بـين الخصائـص التوجيهيـة والإجرائيـة، ولكنهـا تركـز بشـكل أسـاسي عـلى التخطيـط الاسـتراتيجي والتطبيـق الشـامل. ولا يخلـو تاريـخ العلاقـات الدوليـة في العـصر الحديـث مـن أمثلـة لهـذه النظريـة. عـلى سـبيل المثـال نظريـة "نمـوذج أسراب الإوز الطائـر" اليابانيـة[1]، التـي يرجـع تاريخهـا إلى مـا قبـل الحـرب العالميـة الثانيـة. وكذلـك نظريـة "التكامـل الأوروبي"، التـي وضعهـا كل مـن السـياسي الفرنـسي روبـير شـومان والسـياسي والاقتصـادي الفرنـسي جـان مونيـه بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، ومثـال آخـر اسـتراتيجية "الخطـوات الثـلاث"[2] لتحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة. وكـما هـو معـروف، تتطلـب القضايـا العالميـة الراهنـة والسياسـات الداخليـة والأعـمال الدبلوماسـية في جميـع الـدول نظريـات طويلـة المـدى وتوجيهـات اسـتراتيجية، ولكـن نظـرًا إلى أن معظـم فـترات حكومـات دول العـالم تسـتمر لفترتـين فقـط، فعـدد قليـل جـدًّا مـن المنظّريـن والسياسـيين الذيـن يتمتعـون برؤيـة اسـتراتيجية هـم فقـط مـن يسـعون إلى نظريـات إجرائيـة ببرنامـج سـياسي يسـتمر لأكـثر مـن عـشر سـنوات، ولا يمكننـا أن ننكـر أن هـذا يُعـد عيبًـا كبـيرًا في النظريـات السياسـية الدوليـة ونظريـات العلاقـات الدوليـة في عالمنـا الحـالي.

-1 يقوم الإوز بالطيران في شكل أسراب متتالية قد يصل عددها إلى ثلاثة أو أربعة أسراب، ويقوم بقيادة السرب الأقوى منها، ويعرف السرب الأول بأنه السرب السابق، والأخير يعرف بالسرب اللاحق، والوسط يعرف بأنه السرب التالي. وقد وضع الاقتصادي الياباني المشهور "أكاماتسو كانامي" في عام 1937 نظرية اقتصادية اعتمدت على طريقة أسراب الإوز، وعرفت بنظرية "نموذج أسراب الإوز الطائر". وتقوم نظرية الإوز الطائر بتصوير عملية النمو الاقتصادي في دول شرق آسيا على أساس أن اليابان تأتي في مقدمة السرب باعتبار أنها قائد السرب، وتليها مجموعة السرب الأول الذي يضم كوريا الجنوبية وتايوان وهونج كونج وسنغافورة، ثم يأتي السرب الثاني الذي يشمل ماليزيا وتايلاند وإندونيسيا، أما السرب الثالث فيضم كمبوديا وفيتنام. وبالطبع تفصل بين كل سرب والذي يليه مسافة تحددها سرعة السرب ومقدار علو طيرانه، وهو ما يعكس مرحلة النمو والتطور الاقتصادي في كل دولة (المترجمة).

-2 تشير استراتيجية "الخطوات الثلاثة" إلى ثلاث خطوات أساسية طرحها المؤتمر الوطني الثالث عشر للحزب الشيوعي الصيني عام 1987 لتحقيق التحديث في الصين. الخطوة الأولى: مضاعفة إجمالي الناتج المحلي عما كان عليه في عام 1980 مع نهاية ثمانينات القرن العشرين، وحل أزمة المأكل والملبس لدى شعب الصيني؛ الخطوة الثانية، زيادة إجمالي الناتج المحلي مرة أخرى في نهاية القرن العشرين، وارتفاع مستوى معيشة الشعب إلى مستوى الحياة الرغيدة؛ الخطوة الثالثة، وصول متوسط نصيب الفرد من إجمالي الناتج المحلي مستوى الدول المتقدمة مع حلول أوساط القرن الحادي والعشرين (المترجمة).

2. النظرية الإجرائية متوسطة المدى:

كما ذكرنا سلفًا، معظم حكومات الدول تستمر لفترات محدودة، وعادة لا تستطيع سوى وضع خطط إجرائية تستمر بين 5-10 سنوات فقط، ومن ثم يصبح من الصعب جدًّا أن تتوصل إلى نظريات مُحكمة، وإن توصلت إلى نظريات لا تركز سوى على "المكسب السريع". ولكن بالتأكيد لكل قاعدة شواذ. على سبيل المثال نظرية "الاحتكاك والتحول" بين ألمانيا الفيدرالية وألمانيا الديمقراطية في سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، وكذلك المفاهيم المحافظة التي استمرت خلال فترة حكم الرئيس الأمريكي رونالد ريغان ورئيسة وزراء بريطانيا مارجريت هيلدا تاتشر في ثمانينيات القرن العشرين، ومفهوم "الطريق الثالث" الذي طرحه كل من الرئيس الأمريكي بيل كلينتون ورئيس الوزراء البريطاني توني بلير خلال تسعينيات القرن العشرين وحتى بداية القرن الحادي والعشرين.

3. النظرية الإجرائية قصيرة المدى:

تركز الدول الكبرى خلال سعيها للحصول على مكانة بين صفوف الدول العظمى على الوجه الاستراتيجي والتفاعلي للنظرية الإجرائية قصيرة المدى، على سبيل المثال حكومة بيل كلينتون و"نظرية الالتقاء" مع الصين، وسياسة "التوجه شرقًا" مع الحكومة الهندية. وعلى الرغم من أن النظرية الإجرائية قصيرة المدى تركز على الحصول على النتائج السريعة، إلا أنها تتميز بالتخطيط والتنظيم بشكل أكبر مقارنةً بما إذا كانت "تتمتع الدولة بالسياسات فقط دون النظريات"؛ وذلك لأنه عندما تتحول السياسات إلى نظريات تصبح أكثر استقرارًا وقابلية للتداول.

رابعًا: مهام المرحلة الحالية

كما يقولون "طريق الألف ميل يبدأ بخطوة". ونظرًا إلى أن بناء نظرية ما يُعد مهمة عظيمة يستوجب الوصول إليها سلوك طريق طويل، ومن ثم فإن الصين بحاجة إلى وضع أهداف واقعية قابلة للتحقيق في المرحلة الحالية (2013- 2022)، ويمكن تلخيص هذه الأهداف في النقاط التالية:

1. اعتراف جميع الدول بالنظريات:

تُعتبر النظرية الدبلوماسية للتحول إلى دولة عظمى مكونًا مهمًا من مكونات النظريات الدبلوماسية ذات الخصائص الصينية، الأمر الذي يتطلب الوصول إلى مفهوم متفق عليه للنظرية تتعرف عليه دول العالم وتعترف به. ولتحقيق هذا الهدف يجب الانتباه إلى جانبين. أولًا: وضع نظريات سليمة ومعتمدة، وتُعد هذه مهمة تاريخية مهمة تحملها الأوساط السياسية والعلمية الصينية على عاتقها، حيث يسعون إلى إكساب النظريات بُعد منظومي وعلمي. ثانيًا: لا يقتصر بناء النظرية بالضرورة على الدوائر العلمية فقط، وإنما يتطلب التوعية في جانبين آخرين: الأول، رفع وعي ومعرفة القادة في الحزب والحكومة والجيش بالنظريات. فينبغي أن نعترف بأنه خلال الثلاثين عامًا الماضية التي ركزت فيها الصين على البناء الاقتصادي، كان لدى جميع القادة توجهات عملية فردية فقط حيال العلاقات الدولية والدبلوماسية. حتى إنه كان وعي القادة في الكثير من الأحيان يصل إلى نفس مستوى وعي العامة تقريبًا، ما يجعل هناك صعوبة عليهم للعب دور قيادي وتوجيهي في هذا الشأن. الأمر الذي يتطلب منا حاليًا تعويض هذه الفجوة وتعزيز وعي الكوادر بالعلاقات الدولية والنظريات الدبلوماسية. أما الجانب الثاني فيكمن في المشاركة الشعبية الواسعة التي أصبحت سمة واضحة في العلاقات الدولية في الوقت الراهن، ولكن نظرًا للافتقار إلى التوجيه النظري، تظهر الديمقراطية والشعبوية[1] بمعناها الضيق، ومن ثم هناك ضرورة إلى التوعية بالعلاقات الدولية والنظريات الدبلوماسية بين جماهير الشعب.

1- الشعبوية يمكن تعريفها كإيديولوجية أو فلسفة سياسية، أو نوع من الخطاب السياسي الذي يعتمد على العاطفة فيكسب ثقة الجماهير. ويعتمد بعض المسئولين على الشعبوية لكسب تأييد الناس والمجتمعات لما ينفذونه أو يعلنونه من السياسات، وللحفاظ على نسبة جماهيرية معينة تعطيهم مصداقية وشرعية. وعكس الشعبوية هو تقديم المعلومات، الأرقام والبيانات بمخاطبة عقل الناخب لا عواطفه (المترجمة).

2. إعادة تعيين منظومة القيم والعناصر الأيديولوجية داخل النظريات:

مـع التحـول التاريخـي مـن بنـاء نظريـات للثـورة والحـرب إلى بنـاء نظريـات للتنميـة السـلمية، يتوجـب عـلى الصـين التعـرف مـن جديـد عـلى أهميـة الثقافـة ومنظومـة القيـم والأيديولوجيـات الفكريـة والـدور الـذي يلعبـه كل ذلـك في بنـاء النظريـات. وخـلال انتهـاج سياسـة الإصـلاح والانفتـاح، اتخـذت الصـين مواقـف تعـزز مـن البحـث عـلى مسـتوى الممارسـة وإن كانـت ابتعـدت عـن إثـارة الجـدال عـلى المسـتوى النظـري حيـال قضيـة اقتصـاد السـوق عـلى سـبيل المثـال وغيرهـا مـن القضايـا الأخـرى، وعـلى الرغـم مـن أن هـذه تُعتـبر طريقـة خاصـة تعكـس طبيعـة الدولـة الصينيـة، ولكـن ليـس بالـضرورة أن تصبـح ثابتـةً لفـترة طويلـة. فخـلال رحلـة تحـول الصـين مـن دولـة كـبرى إلى دولـة عظمـى، لـن يكـون هنـاك منـأى مـن نشـوب جـدال أو احتـدام المنافسـة حيـال القضايـا النظريـة. ولذلـك ينبغـي علينـا أن نبـدأ في تنفيـذ مهامنـا مـن الآن، ليتقبـل المجتمـع الـدولي الصـين كدولـة عظمـى عـلى المسـتوى النظـري. وينبغـي أن نعـترف بأننـا بدأنـا بدايـة موفقـة بالفعـل. وبالإضافـة إلى ذلـك عـادةً مـا تطـرح الصـين مبـادئ ومفاهيـم تتناسـب مـع تطـورات الوضـع خـلال مراحـل بنـاء النظريـات، عـلى سـبيل المثـال المبـادئ الخمسـة للتعايـش السـلمي، ومفهـوم "روح آسـيا"[1]، ومفهـوم العـالم المتناغـم. وتعكـس هـذه المبـادئ والمفاهيـم قيـم الصـين وأيديولوجياتهـا، ولكـن تكمـن القضيـة المهمـة هنـا في العثـور عـلى الرابـط المنطقـي الـذي يحـول هـذه القيـم والمفاهيـم تدريجيًّـا إلى مكـون مكمـل مهـم داخـل المنظومـة النظريـة.

3. إطلاق العنان لقوة الدولة ونقاط تميزها:

هنـاك "ثلاثـة اختـلالات" تؤثـر عـلى إعـداد النظريـة الصينيـة للتحـول إلى دولـة عظمـى: 1. عـدم التـوازن في التنسـيق المشـترك بـين الأجهـزة التنفيذيـة والأجهـزة النظريـة الصينيـة. 2. عـدم التـوازن في الوعـي بمـدى أهميـة العلـوم الطبيعيـة والاجتماعيـة. 3. عـدم تحقيـق التـوازن

1- يُقصد بـ"روح آسيا" المفاهيم الأربعة التي طرحها الرئيس الصيني السابق هو جين تاو خلال الكلمة الافتتاحية لمنتدى بو أو الآسيوي عام 1102، والتي تُعتبر إحدى وسائل بناء القوة الناعمة في آسيا باعتبار الصين أكبر الدول في القارة الآسيوية وثاني أكبر كيان اقتصادي في العالم. وتشمل "روح آسيا" المفاهيم الأربع الآتية: روح النضال العنيد، روح الابتكار الرائد، روح التعلم المتفتح والمتسامح، وروح الوحدة والتضامن في مواجهة الأزمات (المترجمة).

بـين النظريـات الداخليـة والخارجيـة، والنظريـات التطبيقيـة والأساسـية داخـل نطـاق العلـوم الاجتماعيـة. كـما أن هنـاك عـدم تـوازن في اسـتخدام وتقسـيم المصروفـات المحـدودة لتمويـل البحـث في نظريـة التحـول إلى دولـة عظمـى. ومـن هنـا يتضـح لنـا أن تطبيـق السـمات الخمـس الصينيـة[1] مهمـة صعبـة، فالطريـق أمامنـا لا يـزال طويـلاً.

1- أشار الرئيس شي جين بينغ خلال حفل تكريم عدد من أعضاء الحزب الذي عُقد في 28-6-2012 إلى أن الحزب الشيوعي الصيني قد استطاع بعد نضال لمدة تسعين عامًا أن يحقق نقاط تميز خمسًا شملت: التفوق النظري والسياسي والتنظيمي والمؤسسي، بالإضافة إلى القدرة المتميزة على الاتصال بالجماهير. انظر "احتفال تكريم أعضاء الحزب المتميزين"، صحيفة الشعب الصينية، الطبعة الأولى، 03-6-2012.

خامسًا: الخاتمة

تحتاج الصين لكي تصبح دولة عظمى حقيقة إلى قاعدة مادية قوية، وكذلك قاعدة نظرية راسخة، وعلى الرغم من أن هاتين المهمتين شاقتان، إلا أن مسألة بناء النظرية تعد أكثر صعوبةً. ويمكننا إيجاز مهام الصين المطلوبة لتحقيق التطوير النظري في السنوات العشر المقبلة في الجوانب الأربعة التالية:

أولًا: يتطلب بناء نظرية للتكافل بين الدول العظمى إلى العمل في ظل إطار نظري أكبر. وستتمخض نظرية التكافل هذه نتيجة للتفاعل بين التطبيق في داخل الصين وخارجها، وستنمو وتترعرع نتيجة للاحتكاك بين النظريات الخارجية والداخلية. ومن ثم تتطلب نظرية التكافل تجاوز المعنى الضيق للنظرية الدبلوماسية، حيث يتم بناؤها وتطويرها في ظل بحث وتطبيق أوسع للنظرية، الأمر الذي يتطلب بناء منظومة فرعية خاصة لنظرية التكافل تندرج داخل الإطار العام للمنظومة النظرية للاشتراكية ذات الخصائص الصينية.

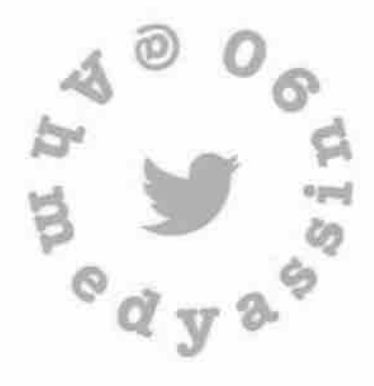
ثانيًا: ينبغي أن تتجاوز النظرية الدبلوماسية الصينية المسار الفكري التقليدي. وتعمل الصين حاليًّا على توضيح بعض النظريات والمفاهيم، مثل مفهوم التعايش السلمي والعالم المتناغم ونمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى، ولكن تفتقر هذه المفاهيم إلى فهم عكسي، مما قد يسبب صدامًا بين الرغبات الشخصية والواقع، أو انفصالًا بين النظريات التوجيهية والفكر الاستراتيجي، أو عدم تزامن بين النظريات الإجرائية والسياسات الواقعية، ومن ثم ينبغي على الصين البحث عن حلول لهذه القضايا خلال مراحل التطور المقبلة.

ثالثًا: ينبغي على الصين أن تعزز من وعيها وثقتها بنظرياتها لبناء نظرية التكافل بين الدول العظمى. وإن تم التعامل مع النظريات بنرجسية أو وضعها جانبًا وإهمالها، سوف يكون من الصعب أن تنتشر على النطاق العالمي أو يُعترف بها، ومن ثم لن يكون لها دورها التوجيهي. تسعى الصين حاليًّا إلى سلوك طريق بناء دولة عظمى مبني على التنمية السلمية، وهذا في حد ذاته له مغزى عصري جديد، ومن ثم يتطلب روح ابتكار

رائدة غير مسبوقة، تعمل على بناء نظريات جديدة ونشرها وتوجيهها.

رابعًا: يتطلب بناء نظرية التكافل فكرًا مميزًا ومنظرين متميزين. وقد أسهم الحكام الصينيون في هذا المجال وكان لهم دور مشهود، ولكننا لا نزال في حاجة إلى جهود مشتركة بين المفكرين والسياسيين والاستراتيجيين والدبلوماسيين والمتخصصين في الشئون الدولية وعلماء الاقتصاد والقانون والاجتماع، لتكوين طبقة مميزة من المتخصصين رفيعي المستوى يقومون بوضع الصين على طريق التحول إلى دولة عظمى.

تم نشر هذه الدراسة في العدد الخامس من مجلة "الاقتصاد والسياسة العالمية" لعام 2013.

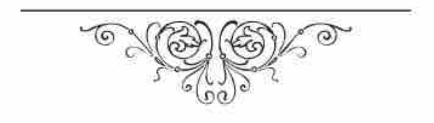

@Ahmedyassin90

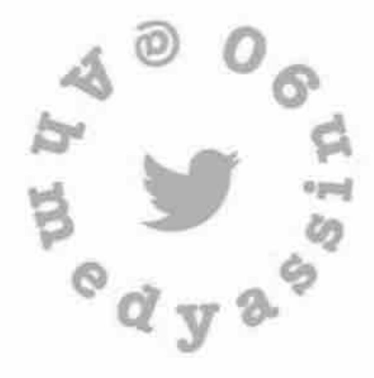


شي جين بينغ والمفهوم الصيني للأمن العام

يه تسي تشنغ

أستاذ بكلية العلاقات الدولية بجامعة بكين




@Ahmedyassin90

هنـاك العديـد مـن العوامـل الداخليـة والخارجيـة التـي تؤثـر عـلى الأمـن العـام الصينـي، وتتلخـص العوامـل الأبـرز والأكـثر تأثـيراً بشـكل مبـاشر في الجوانـب التاليـة:

عوامل داخلية:

أولًا: الفسـاد وتراخـي النظـام القانـوني اللـذان يُعتـبران أكـبر عاملـين يؤثـران عـلى الأمـن السـياسي الصينـي في الوقـت الحـالي. فعـلى مـدار أكـثر مـن ثلاثـين عامًـا مـن انتهـاج سياسـة الإصـلاح والانفتـاح، تراكمـت العديـد مـن المشـكلات التـي بـدأت تدخـل في مراحـل حساسـة، سـهّلت بدورهـا ظهـور هـذه المشـكلات بشـكل مفاجـئ وبكـثرة ودفعـة واحـدة. ويُعـد كل مـن الفسـاد السـياسي، وضبابيـة مفهـوم سـيادة القانـون، وحلـول السـلطة محـل القانـون، وعـدم المسـاواة في توزيـع الدخـل؛ مـن أبـرز هـذه المشـكلات التـي أثـارت اضطرابـات جماهيريـة في أنحـاء البـلاد. وفـوق هـذا، يسـتغل الانفصاليـون في تايـوان وإقليـم شـينجيانغ والتبـت، وكذلـك أتبـاع طائفـة فالـون جونـغ الشـيطانية[1] الفـرص لإشـعال الاضطرابـات وإثـارة الفـوضى، مـا يجعـل هنـاك ضغوطًـا كبـيرة تحـول دون الحفـاظ عـلى الأمـن السـياسي في البـلاد.

ثانيًـا: المشـكلات الأمنيـة التـي تقـف أمـام التحـول الاقتصـادي الصينـي. يشـمل التحـول الاقتصادي الصينـي سـتة جوانـب، وهـي كالآتي: التحـول مـن الاعتـماد عـلى التصديـر إلى الاعتـماد عـلى الاسـتهلاك المحلي؛ والتحـول مـن الاسـتهلاك العـالي للطاقـة وارتفـاع معـدلات التلـوث إلى الاهتـمام بحمايـة البيئة؛ والتحـول مـن قطـاع التصنيـع إلى قطـاع الخدمـات؛ والتحـول مـن الاعتماد على القـوة العاملـة منخفضة التكلفـة إلى رأسـمال بـشري يتميز بإنتاجية عاليـة؛ وتحول معدل النمو من السرعة العالية إلى المتوسـطة، ومـن نمـوذج يهتـم بالحجـم والكـم إلى نمـوذج يضع الجـودة في المقـام الأول ويهتـم بتحقيق التـوازن بين الكـم والجـودة؛ وأخـيرًا التحـول مـن عـدم التـوازن في توزيـع الأربـاح إلى توزيعهـا بشـكل أكـثر عدالـةً

1- الفالون جونغ: حركة روحية أسسها لي خونغ جي عام 1992، وتقوم هذه الحركة على مبادئ الكون الرئيسية الثلاثة، وهي: الحق، والرحمة، والصبر. لقيت هذه الحركة انتشارًا كبيرًا بعد ظهورها ليس في الصين فقط بل وصلت إلى الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا. ويقوم أتباع هذه الحركة بممارسة تمارين للتأمل بغرض توازن الجسم وفتح قنوات الطاقة بين الروح والجسد. وفي عام 1999 حظرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني نشاط جماعة فالون جونغ وتم إدراجها كحركة محظورة تمارس طقوسًا شيطانية بعد أن احتشد أعضاؤها أمام مقر الحكومة المركزية (المترجمة).

وإنصافًـا. إلا أن التحـول الاقتصـادي قـد يتسـبب بمـا يحملـه مـن عوامـل متقلبـة في تأثـيرات معقـدة عـلى الأمـن القومـي للبـلاد.

ثالثًـا: تلـوث الهـواء والمـاء والتربـة، الـذي أصبـح مـن أبـرز المشـكلات تأثـيرًا عـلى الأمـن القومـي. فقـد تسـبب التطـور الاقتصـادي في أضرار بيئيـة ضخمـة في السـنوات الأخـيرة، مـما أثـر بشـكل خـاص عـلى ظهـور الضبـاب الدخـاني عـلى مسـاحات واسـعة، وكذلـك تلـوث مـوارد الميـاه وتلـوث سـطح الأرض بشـكل خطـير. الأمـر الـذي لم يرفـع مـن تكاليـف حمايـة المـوارد الطبيعيـة والبيئـة بشـكل كبـير فحسـب، بـل يؤثـر بشـكل خطـير عـلى الصحـة البدنيـة والنفسـية للمواطنـين، ويشـكل ضغوطًـا كبـيرة عـلى التنميـة المسـتدامة للاقتصـاد الصينـي، بـل أصبـح مـن الموضوعـات التـي تُثـار في المفاوضـات الدبلوماسـية بـين الصـين ودول الجـوار.

يشـكل شي جـين بينـغ بفكـره الاسـتراتيجي مفهومًـا كامـلاً للأمـن العـام يظهـر فيـه الطابـع الصينـي جليًّـا، ويهـدف هـذا المفهـوم إلى ضـمان أمـن المواطنـين عـلى أسـاس الأمـن السـياسي والاقتصـادي والعسـكري والثقـافي والاجتماعـي، آخـذًا في الاعتبـار الاهتـمام بالأمـن الداخـلي والخارجـي، وكذلـك الأمـن في نطاقـه التقليـدي وغـير التقليـدي، ويهتـم بتحقيـق التكامـل بـين الأمـن الـذاتي والأمـن المشـترك، وكذلـك الأمـن القومـي وأمـن المواطنـين، حيـث يتشـابك الأمـن السـياسي والاقتصـادي والثقـافي في كيـان واحـد.

عوامل خارجية:

أولًا: عامـل الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، حيـث تُعتـبر الولايـات المتحـدة الأمريكيـة إحـدى الـدول العظمـى في عالمنـا الحـالي التـي لديهـا القـدرة بـل والنيـة لخلـق تحديـات أمـام الأمـن القومـي الصينـي. وعـلى الرغـم مـن أن المسـئولين الأمريـكان يرحبـون في تصريحاتهـم بتعاظـم الصـين، فهـذا لا ينفـي وجـود قـوى هائلـة معاديـة للصـين داخـل الولايـات المتحـدة، كـما أن الولايـات المتحـدة لطالمـا عملـت عـلى تطويـق الصـين، سـواء مـن خـلال تسـليح تايـوان، أو تعزيـز تحالفاتهـا العسـكرية مـع اليابـان وكوريـا الجنوبيـة تحـت مسـمى "العـودة إلى منطقـة آسـيا

والمحيط الهادئ"[1].

ثانيًا: حماية سيادة الدولة ونشوب النزاعات على بحر الصين الجنوبي. فبعد أن تمكنت الصين من حل تلك المشاكل التي خلّفها التاريخ حول حدودها البرية مع الدول المجاورة، أصبح ترسيم الحدود البحرية مسألة غاية في الأهمية لتحمي الصين سيادتها على أراضيها، لكن الصين تواجه تحديات خطيرة في هذه القضية. حيث تتعرض الصين إلى استفزازات من اليابان على جزر دياويو؛ وتحتل الدول المجاورة العديد من الجزر المرجانية في بحر الصين الجنوبي، ما يعني أن هناك اعتداءات خطيرة على حقوق الصين ومصالحها البحرية.

ثالثًا: بعض العوامل الخارجية المؤثرة على الأمن الاقتصادي الصيني. الاقتصاد الصيني اقتصاد منفتح؛ لذا فإنه يتأثر بشكل متزايد بالبيئات الخارجية، وينعكس ذلك بشكل أساسي في الجوانب التالية: 1) تتسبب الأنظمة الاقتصادية الدولية الجائرة وغير العقلانية في تحديات خطيرة للغاية في مواجهة الدول النامية. فتسيطر الدول الغربية على تسعير كميات هائلة من السلع، وتهيمن على حقوق براءات الاختراع للتكنولوجيا الأساسية، وتتمتع بحق السيطرة على أهم الأسواق، وحقوق إصدار أهم العملات، وحق اتخاذ القرار في أهم المنظمات الدولية. 2) تعتمد الصين على الخارج بشكل متزايد، ومن ثم تتأثر بتقلبات السوق الدولية بشكل كبير. فعلى سبيل المثال، استوردت الصين ستمائة وثلاثين مليون طن من الحديد الخام في عام 2009، وبذلك يعتمد 69% من استهلاكها للحديد على الواردات من الخارج، كما استوردت الصين مائتين وستة وخمسين مليون طن من النفط عام 2011، أي تبلغ وارداتها من النفط 56%. 3) يؤثر الاستثمار الأجنبي بشكل هائل على القطاعات الصينية، مما يجعل تنافسية المؤسسات القومية الصينية في تراجع. ففي كل قطاع من القطاعات الصينية، تهيمن الاستثمارات الأجنبية على حوالي أكبر خمس مؤسسات، كما يسيطر الاستثمار الأجنبي على أصول 21 قطاعًا صناعيًا من إجمالي أهم 28 قطاعًا صناعيًا صينيًا. 4) تأزم الأمن المالي، ففي ظل عصر العولمة وثورة المعلومات، أصبحت العناصر المالية تنتقل إلى جميع أنحاء العالم، ما يعني أنه قد تصل

1- هي استراتيجية وضعتها الولايات المتحدة عام 2009، تسعى بموجبها إلى توطيد علاقاتها السياسية مع اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا والفلبين، وذلك من أجل تعزيز وجودها في هذه المنطقة (المترجمة).

الأزمـات الماليـة الخاصـة بالـدول الأخـرى إلى الصـين سريعًـا، موجهـةً ضرباتهـا لاقتصـاد البـلاد وأنظمتـه الماليـة. فعـلى سـبيل المثـال، تسـببت الأزمـة الماليـة التـي اجتاحـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـام 2008 في انكـماش اقتصـادي عـلى مسـتوى العـالم، والـذي لا يـزال العـالم يعـاني مـن آثـاره السـلبية حتـى يومنـا هـذا.

الأمن القومي العام: مفهوم شامل بالغ التعقيد:

ففـي ظـل كل هـذه الظـروف السـابقة، لم تعـد مفاهيـم الأمـن القومـي التـي شـددت عليهـا الصين في المـاضي تتناسـب مـع الأوضـاع الأمنيـة المعقـدة في يومنـا هـذا، ومـن ثـم جـاء خطـاب الرئيـس شي جـين بينـغ الشـهير حـول مفهـوم الأمـن القومـي، الـذي اعتـبر فيـه الأمـن القومـي أولويـة عظمـى للبـلاد، وطـرح فيـه كذلـك مفهومًـا جديـدًا للأمـن القومـي العـام يأخـذ في الاعتبـار تغـيرات وتطـورات الأوضـاع الخارجيـة والداخليـة.

فـإذا أخذنـا قضيـة الغـذاء كمثـال، سـنجد أن توفـير الغـذاء يحقـق الأمـن والاسـتقرار، بينما يتسـبب غيابـه في انـدلاع الفـوضى والأزمـات. فـأولًا يؤثـر الغـذاء عـلى بقـاء الشـعوب؛ ومـن ثـم فهـو قضيـة تتعلـق بأمـن المواطنـين، ومـن جانـب آخـر فـإن عـدم توفـر الغـذاء أو نقصانـه قـد يسـبب اضطرابـات في المجتمـع؛ الأمـر الـذي يوّلـد مشـكلات تتعلـق بالأمـن السـياسي والاجتماعـي في البـلاد، ومـن ناحيـة أخـرى يُعتـبر إنتـاج الغـذاء ونقلـه وحفظـه كلهـا قضايـا تؤثـر عـلى الأمـن اقتصـادي، كـما أن الغـذاء باعتبـاره مـن أهـم المـوارد في الدولـة يتعلـق توفـره بقضيـة تأمـين مـوارد الدولـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، فـإن الغـذاء باعتبـاره أحـد أنـواع السـلع الآجلـة يسـبب مشـكلات في الأمـن المـالي، فإنتـاج الغـذاء أمـر يتأثـر بجـودة الأراضي والحقـول الزراعيـة؛ ومـن ثـم فهـو قضيـة تتعلـق بسـلامة أراضي الدولـة، وشراء الغـذاء مـن الخـارج قـد يسـبب مشـكلات في الأمـن الخارجـي؛ حيـث إن ضـمان سلاسـة قنـوات نقـل الغـذاء مـن قضايـا الأمـن العسـكري، وفـوق هـذا تتطـرق قضيـة الغـذاء إلى مجـالات أمنيـة أخـرى غـير تقليديـة، وبمـا أنـه قـد أصبحـت كل مرحلـة مـن مراحـل إنتـاج الغـذاء ونقلـه وحفظـه لا تنفصـل عـن شـبكات المعلومـات، ويمكـن للقـوى المعاديـة أن تدمـر هـذه الشـبكات مـن خـلال جيوشـها الإلكترونيـة؛ فمـن ثـم يتعلـق الغـذاء كذلـك بمجـالات الأمـن التقليديـة. كـما يُعتـبر حـب الغـذاء وتقديـره وعـدم الإسراف فيـه، والحديـث عـن الالتـزام بالأمانـة والأخـلاق الحميـدة والضمـير في

عمليـات معالجـة الغـذاء والسـلع الغذائيـة هـو في حـد ذاتـه مـن قضايـا الأمـن الثقـافي؛ ومـن هنـا يتضـح لنـا أن قضيـة الغـذاء تتعلـق بجميـع المجـالات الأمنيـة باسـتثناء الأمـن النـووي الـذي ليـس لـه علاقـة بالغـذاء. لذلـك فـإن أي جانـب مـن جوانـب الأمـن قضيـة معقـدة، فـلا يمكـن الاعتـماد عـلى جهـة واحـدة أو هيئـة معينـة لتضمـن تحقيـق الأمـن، وإلا فسـوف يتسـبب ذلـك في خلـل ومشـكلات هائلـة.

يشـير مفهـوم "الأمـن القومـي العـام" إلى منظومـة بالغـة التعقيـد. وكـما أشـار الرئيـس شي جـين بينـغ، فـإن مسـألة الأمـن القومـي التـي تواجههـا الصـين حاليًّـا تشـمل قـدرًا أوفـر مـن العوامـل الخارجيـة والداخليـة مقارنـةً بـأي فـترة تاريخيـة مضـت، وتمتـد عـلى نطـاق زمـاني ومـكاني أوسـع مقارنـةً بـأي مرحلـة أخـرى مـن تاريـخ البـلاد، كـما أصبحـت العوامـل الداخليـة والخارجيـة المؤثـرة فيهـا أكـثر تعقيـدًا مـن أي وقـت مـضى، وعليـه يجـب الاهتـمام بالأمـن الداخـلي وكذلـك الأمـن الخارجـي، والاهتـمام بأمـن أراضي البـلاد ومواطنيهـا، كـما يجـب الاهتـمام بالأمـن في نطاقـه التقليـدي وغـير التقليـدي، فالأمـن القومـي منظومـة متكاملـة تجمـع بـين أمـن أراضي البـلاد ومواردهـا والأمـن السـياسي والعسـكري والاقتصـادي والثقـافي والاجتماعـي والعلمـي والتكنولوجـي والمعلومـاتي والبيئـي والنـووي. وعـلى الرغـم مـن أن مسـألة الأمـن في كل مجـال محـدد داخـل منظومـة الأمـن العـام ككل تركـز عـلى نقـاط بعينهـا، فإنـه ينبغـي بـل ويتحتـم قبـل أي شيء الربـط بـين كل مجـال مـن مجـالات الأمـن والمجـالات الأخـرى بشـكل وثيـق، حيـث يعتمـد كل مجـال عـلى الآخـر ولا يمكـن الفصـل بينهـا؛ ولذلـك لا يمكـن في أي وقـت مـن الأوقـات التعامـل مـع قضايـا الأمـن القومـي بشـكل سـطحي أو منعـزل.

جـاء مفهـوم الأمـن العـام نتيجـة لتطـور مفهـوم الأمـن الشـامل الـذي طرحتـه الصـين في السـنوات الأخـيرة. ويشـتمل مفهـوم الأمـن العـام بداخلـه عـلى مفهـوم الأمـن الشـامل، ولذلـك فـإن مفهـوم الأمـن العـام أكـثر شـمولية وعمقًـا وتفصيـلاً مـن مفهـوم الأمـن الشـامل الـذي يجمـع بـين الأمـن السـياسي والاقتصـادي فقـط. أمـا مفهـوم الأمـن العـام، فإنـه عندمـا يتعامـل مـع قضايـا الأمن السـياسي والاقتصـادي يضـع في الاعتبـار كذلـك قضايـا الأمـن الأخـرى ذات الصلـة، كالأمـن العسـكري والثقـافي والشـعبي وأمـن المـوارد وغيرهـا مـن المجـالات. ولذلـك فـإن الأمـن العـام أكـثر شـمولية مـن مفهـوم الأمـن الشـامل.

الطابع الصيني للأمن العام:

يتميز مفهوم الأمن القومي العام في حد ذاته بطابع صيني خاص، فهو مفهوم صيني في المقام الأول، ويظهر فيه الطابع الصيني جليًّا سواء من حيث مفهومه أو هيكله التنظيمي، فكما أشار الرئيس شي جين بينغ، إن الأمن العام الصيني يهدف إلى ضمان أمن المواطنين على أساس الأمن السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي والاجتماعي ومن خلال تعزيز الأمن الدولي، فهو طريق خاص له طابع صيني تنتهجه البلاد لتحقيق أمنها القومي.

أولًا: يُعد مفهوم الأمن العام انعكاسًا للفكر والثقافة التقليدية الصينية الأصيلة، وينعكس ذلك في النقاط التالية: 1) في الثقافة الصينية يعني الوعي بالأمن أن تكون واعيًّا بالمخاطر، حيث أشار شي جين بينغ في كلمته أثناء الاجتماع الأول للجنة الأمن القومي الصينية، إلى ضرورة تعزيز الوعي بالمخاطر، والاستعداد دائمًا للخطر حتى في أوقات السلم، فهذه من أهم المبادئ التي ينبغي علينا التمسك بها سواء أثناء إدارة الحزب أو الدولة. 2) كما أن الوعي بالأمن يعني الوقاية من المخاطر، ففي الثقافة التقليدية الصينية لا ينفصل مفهومي الأمن والخطر، فيُقصد بالأمن السلم من المخاطر الخارجية والداخلية. وفي الثقافة الصينية أيضًا، نجد الوعي بالأمن وعيًّا شاملًا وجامعًا. ويظهر هذا الفكر الشامل جليًّا في "كتاب التغيرات"[1]، وكما يؤكد كتاب "قوان تسي"[2] وغيره من المؤلفات الكلاسيكية الصينية على تكامل مفهوم الأمن في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية.

ثانيًا: يركز مفهوم الأمن العام الصيني على الأمن السياسي باعتباره جوهر الأمن العام للبلاد. ونظرًا إلى أن الصين دولة مترامية الأطراف، وأوضاعها الداخلية معقدة للغاية،

1- هو أحد أبرز وأهم خمسة كتب في التراث الصيني، بعد كتاب الأغاني، وكتاب التاريخ، وكتاب الربيع والخريف، وكتاب الطقوس، وهي في مجملها الكتب الخمسة الأهم التي نقلها كونفوشيوس عن الأقدمين وأضاف إليها الحواشي والشروح. كتاب التغيرات هو كتاب للتنجيم والتنبؤ بتغيرات الطبيعة والمجتمع من خلال الحساب بالـ"باقوا" (الثلاثيات الثمانية)، والتي ترمز إلى السماء والأرض والصاعقة والرياح والماء والنار والجبل والنهر (المترجمة).

2- سُمي هذا الكتاب نسبة للسياسي والفيلسوف الصيني الشهير "قوان تشونغ"، رغم عدم تأليفه للكتاب وإنما يعكس أفكاره بشكل كبير. ويجمع الكتاب مقالات تعكس أفكار المدارس الفكرية المختلفة في عصر الدويلات المتحاربة، وتتحدث معظم فصوله عن فنون السلطة وإدارة البلاد. أُعد هذا الكتاب في فترة أسرة خان الغربية، وقام بتجميعه "ليو شيانغ" وهو عالم في الكونفوشية والببليوجرافيا وأديب في أسرة خان الغربية (المترجمة).

مـن ثـم تُعتبر المعالجـة الجيـدة للقضايـا السياسـية في البـلاد مـن أضخـم القضايـا الأمنية التـي تواجهها السـلطة الصينيـة. فـإن لم تسـتطع الصـين الحفـاظ عـلى عمـل أنظمتهـا السياسـية بشـكل طبيعـي أو عجـزت عـن الحفـاظ عـلى اسـتقرارها السـياسي، سـيتحول الحديـث عـن أي قضايـا أمنيـة أخـرى مجـرد تشـدق بـكلام فـارغ، والعكـس صحيـح، في ظـل أوضـاع جيـدة للأمـن السـياسي يمكـن حـل أي مـن القضايـا الأمنيـة الأخـرى بـكل سـهولة. وعـلى هـذا تُعـرّف الصـين الأمـن السـياسي بأنـه جوهـر الأمـن العـام، مـا يعكـس أن حفـاظ الصـين عـلى سـلامة الأوضـاع السياسـية واسـتقرارها ونظامهـا وانسـجامها عمليـة معقـدة وشـاقة وطويلـة الأمـد.

ثالثًـا: يهـدف مفهـوم الأمـن العـام إلى تحقيـق أمـن المواطنـين، فـكل القضايـا الأمنيـة تئـول في النهايـة إلى الشـعب الـذي هـو أول مـن يشـعر بهـا ويحكـم عليهـا ويقيمهـا؛ ولذلـك فـإن أي اختـلال أمنـي يؤثـر أولًا وبشـكل مبـاشر عـلى جماهـير الشـعب العريضـة. ومـن ثـم فـإن أمـن المواطنـين مـا هـو إلا امتـداد لذلـك الفكـر الـذي يضـع الشـعب في المقـام الأول في المجـال الأمنـي.

رابعًـا: يدعـو مفهـوم الأمـن العـام إلى بنـاء مجتمـع آمـن يهـدف إلى تحقيـق الأمـن المشـترك. وفي هـذا الصـدد، نـرى أن الرئيـس شي جـين بينـغ قـد تنـاول مفهـوم المجتمـع ذي المصـير المشـترك في الكثـير مـن خطاباتـه في السـنوات الأخـيرة. وفي أول اجتـماع للجنـة الأمـن القومـي الصينيـة، طـرح الرئيـس شي قضيـة بنـاء مجتمـع آمـن، وأشـار إلى ضرورة اهتـمام الصـين بالأمـن الـذاتي والأمـن المشـترك وبنـاء المجتمـع ذي المصـير المشـترك، مـما يدفـع جميـع الأطـراف نحـو هـدف أمنـي مشـترك لتحقيـق المنفعـة المشـتركة. ويُعتـبر مفهـوم المجتمـع الآمـن تطويـرًا لمفهـوم الأمـن المشـترك الـذي طُـرح في المـاضي، وهـو توجـه لتطبيـق مسـألة بنـاء مجتمـع يجمعـه مصـير مشـترك عـلى أرض الواقـع.

بناء الأمن العام يحتاج إلى طفرة في الأمن الثقافي:

لم تعـد أكـبر مخـاوف الصـين الأمنيـة اليـوم تكمـن في احتـلال المعتـدي الأجنبـي أو تهديـدات الحـرب، كـما أنـه ليـس هنـاك في الصـين اضطرابـات سياسـية خطـيرة أو مـؤشرات لعـدم الاسـتقرار. فالقضايـا الأمنيـة السياسـية والاقتصاديـة والعسـكرية في الصـين يمكـن توقعهـا ومـن ثـم يمكـن ضمانهـا بشـكل مـن الأشـكال، أمـا قضايـا الأمـن الثقـافي فهـي عـلى العكـس مـن ذلـك. ونظـرًا لتشـابك العوامـل الخارجيـة والداخليـة، تقـف الصـين اليـوم في حالـة اختـلال

خطيرة في الأمن الثقافي.

ما دامت الثقافة مزدهرة ازدهرت الدولة، أما إذا سقطت الثقافة فإن الدولة تسقط معها. إن ما ذكرناه سلفًا من الأمن السياسي والاقتصادي كلها مفاهيم ملموسة، ومعظمها يعرفها الجميع، ومن ثم أصبحت من أبرز الموضوعات التي تحتاج إليها الدولة لحماية أمنها القومي، أما الأمن الثقافي رغم أنه مفهوم غير ملموس، فإنه في الواقع أصبح قضية أمنية خطيرة في الصين؛ حيث إن أي دولة أو قومية دون منظومة من المعتقدات أو القيم هي وحدها الأقل أمنًا.

تُعتبر قضية الأمن الثقافي القضية الأبرز من بين القضايا الأمنية التي ظهرت خلال مجرى سياسة الإصلاح والانفتاح الصينية. فبخلاف أن الصين لا تجيد تسويق ثقافتها بشكل جيد يساعدها على بناء ثقافة متقدمة، هناك أسباب أخرى وراء اختلال الأمن الثقافي الصيني اليوم، نعرضها في النقاط الأربع التالية:

أولًا: اجتاحت الثقافة الغربية الصين بقوة، وعندما أخذت الصين تنهل من الغرب، عجز الكثيرون عن تمييز الإنجازات الحقيقية للحضارة الغربية، واعتبروا القيم الغربية قيمًا ومبادئ ينبغي الالتزام بها في شتى المجالات في اللاوعي الصيني. كما أن نخب التيارات الثقافية والفكرية الصينية الأساسية استخدمت المفاهيم والأفكار الغربية في التفكير والحكم على شتى الأمور، حتى إنه كان أعداء الأمريكان وأنصارهم يفكرون بفكر أمريكي. وعلى صعيد المجتمع الدولي، كانت الصين تلتمس طريق الغرب بشكل أعمى، وظلت في موقع الدفاع وسط حصار الثقافة الغربية الجبارة، لا تستطيع سوى تفادي الضربات دون أن تقوى على الرد عليها.

ثانيًا: إن الصين دولة ذات ثقافة وتاريخ عريقين، ولكن عندما تأثرت بمفاهيم الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان ومفهوم التحليل الطبقي حسب الماركسية التقليدية وغيرها من المفاهيم الغربية، أصبحت الأيديولوجية الأساسية الصينية بوعي أو دون وعي تنظر إلى الإنجازات التاريخية والثقافية الصينية على أنها أيديولوجيات إقطاعية ومتخلفة واستبدادية ومستغلة وديكتاتورية وبعيدة عن الديمقراطية والحرية، وحكمت عليها على هذا الأساس.

ثالثًا: خلال مراحل النهضة الصينية، ظهر شغف بدراسة علم يحيي التاريخ والثقافة الصينية من جديد يُدعى "علم الصينيات"، الأمر الذي أثّر بشكل أو بآخر في ثقة الصينيين بثقافتهم، ولكن لم يكن هناك وعي مشترك يحدد ما هي الإنجازات التاريخية والثقافة الصينية المتميزة، ومع الأسف خلط "علم الصينيات" بين المفاهيم الحقيقية المتقدمة والخرافات، فاختلط الحابل بالنابل ولم يعد الصينيون قادرون على تفريق الواقع من الخيال، ما سمح لقوى فالون جونغ وغيرهم من المضللين اجتياح الصين في ذلك الوقت.

رابعًا: كان تأثير الثقافة الصينية في المجتمع الدولي يقتصر على بعض المكونات الأساسية المميزة للثقافية الصينية، كرياضة الووشو، والفيلسوف كونفوشيوس، والاختراعات الصينية الأربعة القديمة، وسور الصين العظيم؛ ولذا لم تستطع الصين أن تقدم قيمًا ومفاهيم أفضل أو أكثر تطورًا من أفكار الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان الغربية، ومن ثم كان النموذج الصيني يفتقر إلى قدرة تأثير وجاذبية ثقافية.

منذ أن عيّن المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني شي جين بينغ أمينًا عامًا للحزب، عرض شي جين بينغ مفاهيم جديدة عديدة سواء على صعيد السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية. وقد نبعت هذه المفاهيم والأفكار من تلخيص الدروس المستفادة من تجربة تطبيق وتطوير سياسة الإصلاح والانفتاح التي استمرت أكثر من ثلاثين عامًا، وكانت نتاجًا أيضًا لتلخيص وصقل مكونات الثقافة الصينية التقليدية. فتُعد الثقافة الصينية التقليدية هي المنبع الأساسي لمفاهيم إدارة الدولة لدى شي جين بينغ، فيتضح لنا من المفاهيم التي نادى بها شي جين بينغ لإدارة الدولة كمفهوم الحلم الصيني، ووضع الإنسان في المقام الأول، وإدارة الدولة بالقانون، وتناغم الإنسان مع الطبيعة في كيان واحد، ومفهوم بناء نمط جديد للمصالح القومية، يتضح لنا الأثر التاريخي الجليل لمكونات الثقافة التقليدية الصينية على هذه المفاهيم.

لقد طرح المؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني فكرة "بناء منظومة لحفظ التراث الثقافي التقليدي الصيني، وإظهار الثقافة الصينية التقليدية وقيمها الأخلاقية، وإظهار الاتجاهات العصرية الجديدة أيضًا؛ ولعل خير مثال على ذلك هو طرح شي جين بينغ الأمين العام للحزب الشيوعي الصيني إعادة إحياء الفكر والثقافة الصينية التقليدية المتميزة حينما دعا إلى ضرورة الاهتمام بالتعليم بداية من مراحل الطفولة، ثم الاهتمام

بجودة التعليم في المدارس بتطوير المناهج وتحقيق الاستفادة في قاعات الدرس بما ينمّي القدرات العقلية وينير العقل. وقد أكد شي جين بينغ في حديثه مع طلاب جامعة بكين على المفاهيم الأمنية التي طرحها كتاب "قوان تسي" منذ أكثر من ألفي عام. فكما جاء في هذا الكتاب، دون اللباقة والاستقامة والنزاهة والحياء تسقط الدولة، ومن ثم تُعتبر هذه القيم الجوهرية في الثقافة الصينية التقليدية أساسًا للأمن القومي في الدولة. ولذلك فإن الدعوة إلى إعادة إحياء الثقافة الصينية التقليدية ليس فقط له تأثير عميق على رفع المستوى الأخلاقي والحضاري للقومية الصينية، ومقاومة الاضطرابات الجماهيرية، وتعزيز الاستقرار الاجتماعي، بل يساهم أيضًا في بناء مجتمع ينعم بالأمن، ويصد الثقافات الخارجية التي تحاول هدم وحدة القومية الصينية، وله أيضًا تأثير استراتيجي مهم للغاية في تحقيق الأمن والاستقرار الدائم للصين، والرفع من تأثير الصين الثقافي في المجتمع الدولي، ومن ثم فهو منهج إجرائي يهدف إلى إعادة بناء الحضارة الصينية. لن تنجح الصين في بناء حصن أمني ثقافي وفكري قوي يضمن الأمن العام بشكل جذري إلا ببناء منظومة من القيم الأساسية تدعو إلى الاشتراكية ذات الطابع الصيني على أساس الثقافة الصينية التقليدية المتميزة.

بناء منظومة الأمن العام يحتاج إلى تخطيط هرمي:

يُعد تأسيس لجنة الأمن القومي الصينية الخطوة الأولى نحو بناء منظومة للأمن العام، ويحتاج إتمام بنائها إلى جهود هائلة.

أولًا: يجب أن تكون هناك استراتيجيات واضحة تعكس خصائص الوضع الأمني القومي الصيني ومهامه وأهدافه وأغراضه. وعلى الرغم من أن الجهات المعنية تقوم دائمًا بدراسات حول استراتيجيات الأمن القومي، إلا أنه حتى وقتنا هذا لم تصدر الدولة تقريرًا واحدًا حول هذه الاستراتيجيات، ومن ثم فهناك حاجة ملحّة إلى الإسراع في إعداد هذه التقارير.

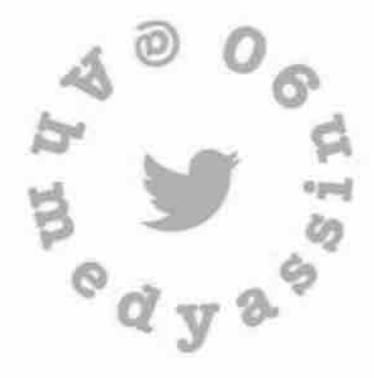
ثانيًا: يجب أن يكون هناك قانون للأمن القومي يعكس جوانب الأمن العام في البلاد. فالقوانين واللوائح التي تتناول مفاهيم الأمن العام سابقًا كان يقوم بوضعها كل قطاع، وهي عبارة عن تشريعات أمنية في مجالات معينة، مثل تشريعات لأمن الغذاء وأمن الإنتاج

والنقل والدفاع والسياسة، لا يحكمها قانون عام يلخص قضايا الأمن العام للدولة. كما أن التشريعات الأمنية في بعض المجالات غير مكتملة، على سبيل المثال قضايا كالأمن الاقتصادي والمالي والثقافي وأمن الإنترنت تفتقر إلى تشريعات تحكمها.

ثالثًا: الإسراع في البناء المؤسسي للجنة الأمن القومي ووضع قواعد تحكم عملها. فعلى سبيل المثال، انتقلت مئات المليارات من أصول الدولة إلى الخارج، مما يكشف أن هناك اختراقات ضخمة في جهاز الرقابة الصيني؛ ولذلك ينبغي تأسيس مصلحة للأمن المالي تكون مختصة بالرقابة. ومثال آخر هناك العديد من الصناعات الصينية المهمة سيطرت عليها الاستثمارات الأجنبية؛ لذا ينبغي أن تكون هناك جهة مختصة لفحص وتقييم آثار الاستثمار الأجنبي على الأمن القومي الصيني.

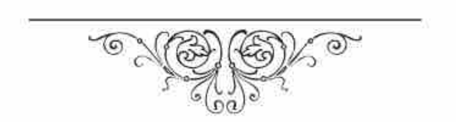
رابعًا: الوعي الثقافي كمفتاح لتعزيز الوعي بأمن الدولة والمجتمع والمواطنين. لا تمس قضايا أمن الدولة فحسب، بل تمس مصير كل مواطن. والمواطن ليس فقط هو المستفيد الأخير من الأمن القومي، بل هو أيضًا قوة محركة قوية تحمي الأمن القومي. فينبغي أن نعزز من مفهوم الوعي بالأمن لدى المواطنين، بحيث يعي المواطن كل ما يعرض الأمن القومي للبلاد للخطر فيرفضه، ويعي ما يصب في مصلحة الأمن القومي فيحميه، ويبتعد عن أي أمر قد يشكل خطرًا على أمن البلاد. وأن يدرك أنه إن بدأ بأبسط الأشياء، وإن بدأ بنفسه، وإن بدأ بعمله سوف يتحقق الأمن القومي المنشود.

تم نشر هذه الدراسة في "مجلة منتدى الشعب" عدد يونيو 2014.



دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية

لي يونغ تشي ويوان تشنغ تشينغ



ملخـص الدراسـة: في الوقـت الـذي تشـهد فيـه الـدول الغربيـة تراجعًـا تدريجيًـا، تقـف الصـين موقـف قـوة "في المرتبـة الثانيـة وعينهـا عـلى المرتبـة الأولى". وفي مواجهـة التغـيرات في الأوضـاع الدوليـة والتقلبـات الجديـدة في العلاقـات بـين الصـين ودول العـالم الأخـرى، مـن الطبيعـي أن تواجـه الدبلوماسـية الصينيـة اليـوم تحديـات كـبرى وفـرص هائلـة للتحـول. فبعـد أن مـرت الصـين بمرحلـة الدبلوماسـية الثوريـة التـي سـعت مـن خلالهـا إلى بقـاء الدولـة، ثـم مرحلـة الدبلوماسـية التنمويـة التـي انكبَّـت فيهـا عـلى التنميـة المحليـة، تقـف الصـين اليـوم في اسـتقبال مرحلـة جديـدة، وهـي دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة، التـي تصـب اهتمامهـا عـلى تحقيـق النهضـة العظيمـة للأمـة الصينيـة، والتـي يجـب أن تتوافـق ممارسـتها مـع الأوضـاع العالميـة والمحليـة والمتطلبـات الحقيقيـة عـلى أرض الواقـع. وتكمـن "الخصائـص الصينيـة" في دبلوماسـية الـدول الكـبرى في ذلـك الطريـق الدبلومـاسي الجديـد الـذي سـوف تسـلكه الصـين بعيـدًا عـن النزعـة الشـوفينية[1] وسياسـة القـوة التقليديـة، سـعيًا إلى تحقيـق التنميـة السـلمية الذاتيـة، وعمـلاً في الوقـت نفسـه عـلى دفـع نمـط جديـد مـن دبلوماسـية الـدول الكـبرى يقـوم عـلى الحيـاة في عـالم متناغـم.

الكلمات المفتاحية: دبلوماسية الدول الكبرى؛ الهيمنة؛ صعود الصين؛ عالم متناغم.

الباحثـان: لي تـشي يونـغ (1980 -): أسـتاذ مسـاعد بكليـة العلاقـات الدوليـة بجامعـة الاقتصـاد والتجـارة الخارجيـة، قائـم بأبحـاث مـا بعـد الدكتـوراه في مركـز أبحـاث الاقتصـاد والسياسـة العالميـة بالأكاديميـة الصينيـة للعلـوم الاجتماعيـة. التوجهـات البحثيـة الأساسـية: نظريـات العلاقـات الدوليـة، الدبلوماسـية الصينيـة، الدبلوماسـية العامـة، حمايـة المصالـح الخارجيـة.

يـوان تشـنغ تشـينغ (1966 -): باحـث في مركـز أبحـاث الاقتصـاد والسياسـة العالميـة بالأكاديميـة الصينيـة للعلـوم الاجتماعيـة. التوجهـات البحثيـة الأساسـية: نظريـات العلاقـات الدوليـة، الدبلوماسـية الصينيـة، المنظـمات الدوليـة.

1- مصطلح الشوفينية مصطلح سياسي من أصل فرنسي يرمز إلى المغالاة في التعصب القومي والعداء للأجانب، وبالتالي فإن الشخص الشوفيني يعتبر وطنه أفضل الأوطان وأمته فوق كل الأمم وخصوصًا عندما تكون هذه المغالاة مصحوبة بكره للأمم الأخرى. ويُنسب مصطلح الشوفينية إلى جندي فرنسي كان اسمه نيقولا شوفان، حارب تحت قيادة نابليون بونابرت، وكان يُضرب به المثل لتعصبه الشديد لوطنه وكراهيته للأجانب. ويستخدم السياسيون هذا المصطلح لنقد الأفكار النازية والفاشية في أوروبا (المترجمة).

يشـهد العـالم اليـوم تغـيرات لم يشـهدها في تاريخـه مـن قبـل، حيـث اقتحمـت العولمـة والثـورة المعلوماتيـة جميـع مناحـي الحيـاة السياسـية والاقتصاديـة والثقافيـة والاجتماعيـة، وأصبـح أبـرز مـا يميـز عالمنـا اليـوم هـو ذلـك القـدر الكبـير مـن الاعتـماد المتبـادل والارتبـاط بـين مختلـف الـدول، كـما امتزجـت مصالـح جميـع الـدول في كيـان يجمعـه مصـير مشـترك، يواجـه تحديـات عالميـة مشـتركة متشـعبة ومعقـدة. وإلى جانـب مـا تواجهـه أمريـكا وغيرهـا مـن الـدول المتقدمـة في أوروبـا مـن عراقيـل تعـوق تطورهـا، تمـر العديـد مـن الـدول الناميـة عـلى رأسـها تلـك في غـرب آسـيا وشـمال إفريقيـا بتقلبـات عنيفـة هـي الأخـرى. وعـلى العكـس مـن ذلـك تمامًـا، نجـد بعـض الـدول الناشـئة، عـلى رأسـها الصـين، في نهـوض مسـتمر رغـم الأزمـات، فبلـغ إجـمالي الناتـج المحـلي للصـين إلى "المركـز الثـاني عالميًّـا، ويطمـح إلى الصـدارة"، ويحافـظ عـلى معـدلات نمـو ثابتـة. وفي مواجهـة التغـيرات في الأوضـاع الدوليـة والتقلبـات الجديـدة في العلاقـات بـين الصـين ودول العـالم الأخـرى، مـن الطبيعـي أن تواجـه الدبلوماسـية الصينيـة اليـوم تحديـات كـبرى وفـرص هائلـة للتحـول. في السـابع والعشريـن مـن يونيـو عـام 2013، أشـار وزيـر الخارجيـة الصينـي وانـغ يـي في كلمتـه خـلال الـدورة الثانيـة مـن منتـدى السـلام العالمـي إلى أن الصـين المعـاصرة تبحـث سـلوك طريـق دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة[1]. ولكـن بالنسـبة للصـين التـي ظلـت تتبـع اسـتراتيجية "المتابعـة والحـذر" لفـترات طويلـة، تُـرى مـا هـو الجديـد الـذي سـوف يضيفـه طريـق دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة مقارنـةً بذلـك الطريـق الدبلومـاسي الـذي سـلكته الصـين منـذ تأسـيس الصـين الجديـدة؟ ومـا هـي أهميتـه التاريخيـة؟ وتُـرى مـا الـذي جعـل الصـين، تلـك الدولـة التـي رفضـت فكـرة "الدولـة الكـبرى" لفـترات طويلـة، تسـلك اليـوم طريـق دبلوماسـية الـدول الكـبرى؟ ومـا هـي الخصائـص الصينيـة المشـار إليهـا في طريـق دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة؟ ومـا هـو المنهـج الصينـي أو المفاهيـم الصينيـة التـي يمكـن أن يقدمهـا هـذا الطريـق للحوكمـة العالميـة؟ سـتحاول هـذه الدراسـة الإجابـة عـن هـذه التسـاؤلات.

1- "البحث في طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية- كلمة وزير الخارجية الصيني وانغ يي خلال مأدبة غذاء في الدورة الثانية من منتدى السلام العالمي"، موقع وزارة الخارجية لجمهورية الصين الشعبية: http://www.fm-pre.gov.en/mfa_ehn/wjb_602314/wjbz_602318/zyjhs/1053901.shtml

أولًا: التطور التاريخي للدبلوماسية الصينية والمغزى التاريخي لدبلوماسية الدول الكبرى

قال تشارلز فريزر هيرمان، المحلل الشهير في السياسات الدبلوماسية: "التحول سمة عامة في السياسات الدبلوماسية لدى الحكومات"[1]. ومنذ أن احتكت الصين بنظام وستفاليا[2]، ظلت تعدّل في سياستها الدبلوماسية بشكل مستمر بما يساعدها على تحقيق "الحلم الصيني".

1.1 التطور التاريخي للدبلوماسية الصينية ومقارنة بين المراحل التاريخية المختلفة:

إن الصين التي كانت تعتبر نفسها "إمبراطورية السماء" ودولة عظيمة شاسعة تحتوي العديد من الدول، اضطرت إلى التنازل عن كرامتها بوصفها "إمبراطورية السماء"، واضطرت أن تتقبل موجة الحداثة الغربية التي اجتاحتها، بعد أن وجدت نفسها في مواجهة وابل من الاعتداءات من الغرب[3]. ولعل هذه هي نقطة الانطلاق الأساسية التي يجب الوقوف عندها قبل الشروع في دراسة العديد من قضايا الصين الراهنة. وبالتالي فإنه من الطبيعي أن يصبح البحث في "كيفية معالجة العلاقة بين الصين والأنظمة الدولية الحديثة (الرأسمالية)، والسعي لاسترداد الصين مكانتها كدولة كبرى" من القضايا الجوهرية

1- Charles F. Hermann, "Changing Course: When Government Choose to Redirect Policy", International Studies Quarterly, Vol.34, No. 1, 1990, P.3.

2- يشير نظام وستفاليا، أو مبدأ وستفاليا، الذي ولد في القرن السابع عشر، إلى مجموعة من المعاهدات بدأ العمل عليها في الفترة بين عامي 1644 و1648، التي أنهت بمجموعها الحروب الدينية في أوروبا بين 1648-1618 أو ما عُرف بحروب الثلاثين عامًا. ومن أهم نتائج تلك المعاهدات أنها أنهت سلطة البابا السياسية، كما عملت على تغيير طبيعة العلاقات بين الدول، من علاقات كان فيها الدور الأكبر للدين والمذهب إلى علاقات تقوم على المصالح الاقتصادية والسياسية بشكل أساسي. إضافة إلى ذلك، وضعت تلك المعاهدات بذور مبدأ حرمة حدود الدول وسيادتها، والذي يمنع تغيير حدود دولة بالقوة، كما يوجب احترام سيادة كل دولة على أراضيها الوطنية، ويقف أمام محاولات أي دولة لممارسة نشاطات داخل حدود دولة أخرى بغير رضا الأخيرة، كما يمنع التدخل في الشئون الداخلية للدول بأي شكل من الأشكال. يمكننا أن نقول إن نظام وستفاليا يُعتبر الإطار الذي كانت تتحرك ضمنه العلاقات الدولية في العصور الحديثة وقد أرسى نظامًا جديدًا في أوروبا الوسطى مبنيًا على مبدأ سيادة الدول (المترجمة).

3- لي تشاو شيانغ، "دراسة عن التحول الدبلوماسي الصيني في العصر الحديث"، دار النشر الصينية للعلوم الاجتماعية، 2008، ص1.

التي تعالجها الدبلوماسية الصينية. إذا انطلقنا من هذا المفهوم، فسنجد أن الدبلوماسية الصينية قد مرت بمرحلتين: مرحلة التحديات الثورية، ثم مرحلة الاندماج العقلاني، أما الآن فتقف الصين في المرحلة الثالثة، وهي مرحلة التشكيل الابتكاري. وإذا نظرنا إلى الأهداف الأساسية للدبلوماسية الصينية في المراحل المختلفة، والوسائل المستخدمة لتحقيق هذه الأهداف، فسنجد أن الدبلوماسية الصينية تنقسم إلى ثلاث مراحل مختلفة تشمل على الترتيب: الدبلوماسية الثورية، والدبلوماسية التنموية، ودبلوماسية النهضة أو دبلوماسية الدول الكبرى. (انظر جدول رقم 1).

جدول (1) مقارنة بين المراحل التاريخية للدبلوماسية الصينية

الفترة الزمنية	المراحل الدبلوماسية	الهدف الأساسي	المفهوم الدبلوماسي	الغاية الأساسية	الهدف المثالي	الدعامة الدبلوماسية	الوسيلة الدبلوماسية
1978-1949	الدبلوماسية الثورية	بقاء الدولة	تحديات ثورية	الحصول على الاعترافات الدبلوماسية	الثورية	الأيديولوجية الفكرية	تحالفات استراتيجية
2009-1979	الدبلوماسية التنموية	التنمية الاقتصادية	اندماج عقلاني	جذب الاستثمارات	الحداثة	التنمية المحلية	المتابعة والحذر
-2010.....	دبلوماسية الدول الكبرى	صعود الصين	تشكيل إيجابي	تحمل مسئوليات الدول الكبرى	الانسجام	بناء واجهة الدولة	التطبيق الشامل

بدأت المرحلة الأولى من الدبلوماسية الصينية عام 1949 وانتهت عام 1978 مع بداية تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، وتُعرف هذه المرحلة بالدبلوماسية الثورية. ركزت الدبلوماسية الثورية في أهدافها والوسائل التي استخدمتها على الجانب السياسي، وعالجت الشئون الدولية انطلاقًا من معالجة تحديات المرحلة، وبالتالي كانت القضايا الاقتصادية

وغيرها من الأهداف الأخرى خاضعة للمتطلبات السياسية في المقام الأول.

عندما قاد الحزب الشيوعي الأمة الصينية نحو التحرير، كانت الصين تواجه ظروفًا داخلية خاصة، يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

1. أسست الصين النظام الاشتراكي، ولكنه لم يتخذ شكله النهائي وكان لا يزال قيد البحث؛

2. كانت الصين تعيش في بيئة دولية من المقاومة بين أنظمة اجتماعية مختلفة في ظل الحرب الباردة؛

3. لم تنتهِ الحرب الأهلية داخل الصين بشكل نهائي، حيث كان يتنازع حزب الكومنتانغ والحزب الشيوعي على سلطة البلاد، وكانت تدور المنافسة بين نظامين مختلفين لكل منهما مميزاته وعيوبه. وبالتالي، اتخذت الصين موقفًا "متمردًا وثوريًّا" في مواجهة الأنظمة الدولية، وتحولت الصين من "الانحياز إلى طرف واحد" إلى "المواجهة في جانبين" ثم إلى "التحالف مع الولايات المتحدة ضد الاتحاد السوفيتي"، ما أظهر تأثير الأيديولوجية الثورية والطابع السياسي القوي في تلك المرحلة.

وهناك ستة خصائص اتسمت بها المرحلة الدبلوماسية الثورية الصينية:

1. الهدف الأساسي من الدبلوماسية الصينية في هذه المرحلة هو حماية السلطة وتحقيق الاستقلال السياسي؛

2. لم تعترف الصين بالأنظمة الدولية القائمة في دول الغرب، وواجهتها بمواقف ثورية متحدية؛

3. الغاية الأساسية من الدبلوماسية الصينية في هذه المرحلة هي الحصول على اعترافات دبلوماسية أكبر وأوسع؛

4. الهدف الأسمى في هذه المرحلة هو نشر النزعة الثورية في العالم؛

5. كانت الأيديولوجية الفكرية هي الدعامة الأساسية للحكم على الدبلوماسية الصينية؛

6. كانت الوسيلة الدبلوماسية الأساسية المستخدمة في هذه المرحلة هي القيام بتحالفات استراتيجية.

بـدأت مرحلـة الدبلوماسـية التنمويـة الصينيـة مـع بدايـة تطبيـق سياسـة الإصـلاح والانفتـاح، وانتهـت مـع انعقـاد أولمبيـاد 2008 والاحتفـال بالذكـرى السـتين عـلى تأسـيس جمهوريـة الصـين الشـعبية. ومـن أهـم خصائـص هـذه المرحلـة "التركيـز عـلى بنـاء اقتصـاد الدولـة"، بحيـث تخـدم الدبلوماسـية التنميـة الاقتصاديـة وتحقيـق الحداثـة في البـلاد.

وبعـد مـرور ثلاثـين عامًـا مـن البنـاء والبحـث والتطبيـق في المرحلـة الأولى مـن الدبلوماسـية الصينيـة، اسـتطاعت الصـين ضـمان بقـاء السـلطة، الأمـر الـذي وفـر بيئـة مواتيـة لتتخلـص الصـين سريعًـا مـن تأثـيرات الحـرب البـاردة. ورغـم مـا حققتـه الصـين مـن إنجـازات كبـيرة في بنـاء الاقتصـاد الموجـه خـلال الثلاثـين عامًـا الأخـيرة، كانـت الفجـوة بـين الصـين والاقتصـاد العالمـي لا تـزال كبـيرة، ولم يتحسـن مسـتوى معيشـة الشـعب الصينـي بشـكل ملحـوظ. بالتـالي كانـت هـذه المرحلـة هـي الوقـت المناسـب ليطـرح دينـغ شـياو بينـغ طريقًـا تنمويًـا يقـوم عـلى "البنـاء الاقتصـادي". دخلـت الدبلوماسـية الصينيـة في هـذه اللحظـة مرحلـة جديـدة تهـدف إلى خدمـة البنـاء الاقتصـادي وتحقيـق الحداثـة في البـلاد. وبالتـالي، اتخـذت الصـين موقفًـا يدعـو إلى "الاندمـاج العقـلاني" في مواجهـة الأنظمـة الدوليـة، مـا قـد أضفـى طابعًـا "براجماتيًـا" قويًـا عـلى الدبلوماسـية الصينيـة منـذ انتهـاج الإصـلاح والانفتـاح.

وتميزت مرحلة الدبلوماسية التنموية الصينية بست خصائص أساسية:

1. تحقيق التنمية الاقتصادية كهدف أساسي من الدبلوماسية الصينية في هذه المرحلة؛

2. مشـاركة الصـين واعترافهـا تدريجيًـا بالأنظمـة الدوليـة القائمـة في دول الغـرب، والاندمـاج العقـلاني معهـا؛

3. جذب الاستثمارات كغاية أساسية من الدبلوماسية الصينية في هذه المرحلة؛

4. بناء الصين دولة قوية عن طريق تحقيق الحداثة؛

5. المصالح الاقتصادية كدعامة أساسية للحكم على الدبلوماسية الصينية؛

6. الالتزام بعدم الانحياز وتطبيق استراتيجية المتابعة والحذر.

وفي عـام 2010، تجـاوز إجـمالي الناتـج المحـلي الصينـي اليابـان، وأصبحـت الصـين ثـاني أكـبر كيـان اقتصـادي عـلى مسـتوى العـالم. وبعـد أن تأسسـت القيـادة الجماعيـة المركزيـة

الجديدة بقيادة شي جين بينغ سكرتير عام الحزب، أصبحت هناك جهود كبيرة تسعى إلى توحيد الشعب الصيني وقيادته لتحقيق أهداف "المئويتين"[1]، وتحقيق الحلم الصيني المتمثل في تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية، كما اتخذت الصين إجراءات جديدة على المستوى الدبلوماسي، وروّجت لمفاهيم جديدة، جعلت الدبلوماسية الصينية تتمتع برؤية عالمية وتتميز بروح جديدة تدعو إلى التقدم والمبادرة والإبداع. ويمكن القول إن الصين المعاصرة تبحث سلوك طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية، متأثرةً بالسياسات العامة والعادات الطيبة التي ظلت تتوارثها الصين على مدار ستين عامًا. واليوم أصبحت الصين دولة عظمى، وهذا أمر مسلَّم به، وبدأت تطرح مفاهيمها الخاصة حول بناء الأنظمة الدولية.

تتميز مرحلة دبلوماسية الدول الكبرى بست خصائص أساسية تشمل:

1. تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية كهدف أساسي من الدبلوماسية الصينية في هذه المرحلة؛

2. أصبحت الصين عضوًا مهمًّا في النظام الدولي، له حق المبادرة والابتكار؛

3. تشكيل الدولة بشكل مبتكر وبداية تحمل مسئوليات الدول الكبرى، واحدة من أهم خصائص الدبلوماسية الصينية في هذه المرحلة؛

4. الهدف الأسمى في هذه المرحلة هو بناء عالم متناغم؛

5. يُعتبر الاهتمام ببناء واجهة الدولة هو الدعامة الأساسية للحكم على الدبلوماسية الصينية؛

6. توظيف جميع الوسائل الدبلوماسية بمرونة بما يتناسب مع الأوضاع الدولية، ما يثري الفنون الدبلوماسية الصينية.

1- يُقصد بأهداف المئويتين تلك الأهداف التي وضعها الحزب الشيوعي الصيني عملًا على تحقيق الحلم الصيني على أرض الواقع. وتتمثل هذه الأهداف في بناء مجتمع رغيد الحياة على نحو شامل، ومضاعفة إجمالي الناتج المحلي ومعدل دخل الفرد للسكان في المدن والأرياف بحلول عام 2021، الذي يصادف الذكرى المئوية لتأسيس الحزب الشيوعي الصيني؛ وبناء الصين دولة اشتراكية حديثة وغنية وقوية وديمقراطية ومتحضرة ومتناغمة، وأن يصل معدل النمو إلى مستوى الدول المتوسطة بحلول عام 2049، الذي يصادف الذكرى المئوية لتأسيس جمهورية الصين الشعبية (المترجمة).

1.2 المغزى التاريخي لدبلوماسية الدول الكبرى الصينية:

بعد اندلاع حرب الأفيون، فرضت الظروف الزمانية والمكانية الخاصة التي واجهتها الصين ماهية القضية المحورية التي تقف في مواجهة الدبلوماسية الصينية، وتتمثل هذه القضية في تحقيق التوازن بين القدرة على الاندماج في النظام الدولي والحفاظ على استقلالية الدولة حتى تستعيد الصين مكانتها كدولة عظمى[1]. إذا نظرنا إلى التطور التاريخي للدبلوماسية الصينية، سنجد أن مسألة التوازن هذه تنعكس في المراحل التاريخية المختلفة. على سبيل المثال، قدمت مرحلة الدبلوماسية الثورية الحلول لقضية استقلال الدولة وبقائها، وقدمت مرحلة الدبلوماسية التنموية التالية الحلول لقضية اندماج الصين في النظام الدولي القائم، ولكن في جميع الأحوال يُعتبر هذا النوع من الدبلوماسية، سواء في مرحلة الدبلوماسية الثورية أو التنموية، نوعًا تتخذه الدول الضعيفة أو الصغيرة، حيث ظلت الدبلوماسية الصينية في هاتين المرحلتين محتجزة في "حالة الضحية"[2]، وتعيش في حالة بائسة باعتبارها "دولة ضعيفة تفتقر إلى الدبلوماسية". وبالتالي يُعد سعي الصين إلى دبلوماسية الدول الكبرى أو دبلوماسية الدول العظمى هو بداية التخلص من "حالة الضحية"، ومحاولة لاستعادة ثقتها ووعيها واحترامها للدبلوماسية. وبالتالي فإن صعود دبلوماسية الدول الكبرى سوف يثري مفهوم الدبلوماسية الصينية، ويحقق التحول من مرحلتي الدبلوماسية الثورية والدبلوماسية التنموية المعروفتين بدبلوماسية الدول الضعيفة إلى الدبلوماسية الطبيعية للدول الكبرى، ويدفع الصين أيضًا إلى تحقيق التوازن بين مفهومي الاستقلالية والاندماج، مما يسهم في نهاية الأمر في تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية.

ومن هنا يتضح لنا أن الصين "ظلت تسعى لتحقيق التحول إلى'دولة طبيعية' على مدار أكثر من 150 عامًا، ولكن لم يتحقق هذا الهدف حتى الآن بشكل كامل، ولعل اليوم

1- حول القضية المحورية التي تواجهها الدبلوماسية الصينية، لي تشي يونغ: "القضية المحورية للدبلوماسية الصينية: تحقيق التوازن بين الاندماج والاستقلالية"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2010، عدد 2، ص69-54.

2- حول الصين في "حالة الضحية" وتأثير ذلك على الدبلوماسية، تشيان خاو: "ثقافة التنين والمزاج الوطني في الدول الكبرى والعلاقات الصينية الأمريكية- بحث نظري وتاريخي عن 'حالة الضحية'"، مراجعة دولية International Review،2004 ، عدد 2، ص30-25؛ يوان نان شنغ: الدبلوماسية الصينية منذ آلاف السنوات والمزاج الوطني"، " الوحدة في الشدائد"، 2011، عدد 11، ص68-65.

هـو الفرصـة السـانحة لتحقيـق هـذا الهـدف"[1]. فبالنسـبة للصـين، يعنـي التحـول إلى "دولـة طبيعيـة"، أن تغـير الصـين مـا عُـرف عنهـا بأنهـا "دولـة غـير قـادرة عـلى تقديـم إسـهامات في المجتمـع الـدولي بمـا يليـق بحجـم قـوة الدولـة الصينيـة"، وأن تتحـول إلى "دولـة كـبرى مهيبـة"، بـدلًا مـن أن تظـل "دولـة صغـيرة مغلوبـة عـلى أمرهـا"[2] وبالتـالي، فـإن التحـول الـذي سـوف تحققـه الدبلوماسـية الصينيـة في القـرن الحـادي والعشريـن يختلـف كثـيرًا عـن التحـولات السـابقة؛ وذلـك لأن هـذا التحـول لـن يتحقـق إلا إذا حققـت الصـين الاندمـاج، وواجهـت الظـروف الخارجيـة والداخليـة الجديـدة، واسـتطاعت أن تحمـي مصالحهـا، وتتحمـل المسـئوليات التـي تتناسـب مـع حجمهـا، أي أن تتحـول مـن دبلوماسـية الـدول الصغـرى أو الضعيفـة إلى دبلوماسـية الـدول الكـبرى أو القويـة. وهـذا هـو الجوهـر الحقيقـي والمغـزى التاريخـي مـن تحـول الدبلوماسـية الصينيـة في الوقـت الراهـن، فهـو ذلـك التحـول الـذي يسـمح للصـين بالعـودة إلى دبلوماسـية الـدول الكـبرى الطبيعيـة. ونظـرًا إلى أن هـذا التحـول يـأتي متزامنًـا مـع تحقيـق النهضـة الصينيـة بصفـة عامـة والنهضـة العظيمـة للأمـة الصينيـة بصفـة خاصـة، بالتـالي فـإن نجـاح هـذا التحـول مـن عدمـه سـوف يحـدد مسـتقبل الصـين بـل والعـالم برمتـه؛ ولذلـك يُعـرف بـ"التحـول الأكـبر". ولكـن كيـف لهـذه الدولـة الاشـتراكية التـي كانـت ترفـض فكـرة "الدولـة الكـبرى" أن تطبّـق دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة؟ بمعنـى آخـر، لمـاذا لا تسـتكمل الصـين طريـق الدبلوماسـية التنمويـة الـذي حقـق نجاحًـا كبـيرًا منـذ بدايـة انتهـاج سياسـة الإصـلاح والانفتـاح؟

1- بانغ تشونغ ينغ، ""دول العالم الكبرى" و"الدول الطبيعية"- نموذج للدولة الطبيعية وإعادة صياغة المفهوم العالمي حول الدول"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2002، عدد 11، ص 14.

2- ناقش بانغ تشونغ ينغ مفهوم "الدولة الطبيعية" ومعاييرها بشكل مفصل. وطبقًا لما ناقشه، يرى الباحث أنه ليس هناك معايير موحدة للدولة الطبيعية في المجتمع الدولي. ولكن طبقًا لما هو معروف، عندما تكون هناك فجوة كبيرة بين الدولة والتيار السائد في المجتمع الدولي، تكون هذه الدولة في حاجة إلى "التطبيع". منذ أن تأسست الصين الجديدة، ركزت الدبلوماسية الصينية على توطيد السلطة والحصول على الاعتراف الدبلوماسي، وبعد انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، طبقت الصين "البراجماتية الاقتصادية" وسياسة المتابعة والحذر الدبلوماسية، وظلت الدبلوماسية الصينية تخدم شئون الدولة الداخلية، وقليلًا ما كانت تبادر بالتدخل في الشئون الخارجية، وبالتالي عُرفت الصين بأنها "غير قادرة على تقديم إسهامات في المجتمع الدولي بما يتلاءم مع حجم قوة الدولة، سواء على مستوى المجتمع الدولي أو الصين نفسها، وبالتالي "تطبيع" الدولة بالنسبة للصين هو الحل الأمثل لتتحول إلى "دولة كبرى مهيبة". هذا هو المغزى الدبلوماسي الذي يقصده البحث بعودة الصين إلى حالة "الدولة الطبيعية". بانغ تشونغ ينغ: عن ""دول العالم الكبرى" و"الدول الطبيعية"- نموذج للدولة الطبيعية وإعادة صياغة المفهوم العالمي للدول"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2002، عدد 11، ص16-12.

ثانيًا: دفع دبلوماسية الدول الكبرى وطرح الدبلوماسية ذات الخصائص الصينية

تسعى الدول الكبرى بطبيعة الحال دائمًا إلى السلطة. أما في الثقافة والفكر التقليدي الصيني، فيُعد السعي وراء السلطة أمرًا غير أخلاقي. ولا تخلو الذاكرة التاريخية الصينية من اعتداءات دول الغرب الكبرى على الصين، وبالتالي تعتبر الصين بعض المصطلحات، مثل القوى العظمى والإمبريالية، ما هي إلا مرادفات لمصطلح الدول الكبرى. ولذلك دائمًا ما كانت الدبلوماسية الصينية تتجنب تناول مسألة الدولة الكبرى قدر المستطاع. ولكن الصين دولة كبرى بطبيعة الحال؛ لما تتميز به من ثقافة عريقة، وتاريخ طويل، وعدد سكان هائل، وأراض شاسعة، وبالتالي لا مفر من أن تواجه الدبلوماسية الصينية عاجلاً أم آجلاً طبيعة الصين كدولة كبرى.

على الرغم من أن العديد من العلماء الصينيين عقدوا نقاشات حارة منذ تسعينيات القرن العشرين حول ما إذا كان على الصين تطبيق دبلوماسية الدول الكبرى[1]، إلا أنه سُرعان ما سكنت هذه النقاشات. ومع دخول القرن الحادي والعشرين، وخاصةً مع اندلاع الأزمة المالية العالمية، بدأت هذه النقاشات تتجاوز مجرد السؤال عن مدى حاجة الصين إلى دبلوماسية الدول الكبرى، بل بدأت تتناول مفاهيم دبلوماسية الدول الكبرى ووسائلها واستراتيجيات تحقيقها[2]. وبعد أن صرح وزير الخارجية الصيني وانغ يي قائلاً: "إن الصين تبحث الآن عن طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية"، بدأت تتوالى النقاشات حول هذه القضية من جديد.

تحدث يه تسي تشنغ عن ضرورة تطبيق استراتيجية دبلوماسية الدول الكبرى

1- يه تسي تشنغ: "ضرورة تطبيق الصين لاستراتيجية دبلوماسية الدول الكبرى - تأملات في الاستراتيجيات الدبلوماسية الصينية"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2000، عدد 1، ص10-5؛ ليو شنغ شيانغ: "تطبيق الصين لاستراتيجية دبلوماسية الدول الكبرى سابق لأوانه - مناقشة مع يه تسي تشنغ"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2000، عدد 7، ص80-76.

2- جين تسان رونغ: "الدول الكبرى الناضجة متعقلة - معركة بالعقل والقوة وليس اختصامًا"، "مجلة منتدى الشعب"، 2012،عدد S1، ص 22- 25؛ تشو فانغ ين: "دبلوماسية الدول الكبرى 'تجمع بين الشدة واللين'"، "مجلة منتدى الشعب"، 2012، عدد S1، ص 21؛ شو جين: "الكاريزما: عنصر جديد في دبلوماسية الدول الكبرى"، "الدورية الأكاديمية الشهرية"، 2012، عدد 9، ص 42- 43؛ وو شين بو: "دبلوماسية الدول الكبرى: التحديات والمواجهات"، "صحيفة الشرق الصباحية"، 2013-3-18.

الصينيـة في نهايـة القـرن المـاضي ومطلـع هـذا القـرن، اسـتنادًا إلى مـا رآه مـن خطـورة متزايـدة في الأوضـاع الصينيـة والدوليـة بعـد انتهـاء الحـرب البـاردة، والجديـر بالذكـر أن اسـتراتيجية دبلوماسـية الـدول الكـبرى تهـدف في المقـام الأول إلى الارتقـاء بقـوة الدولـة، الأمـر الـذي يُعتـبر ضرورة ملحّـة في هـذه المرحلـة. كـما شـهدت الأوضـاع الدوليـة تغـيرات هائلـة خـلال السـنوات العـشر الأولى مـن القـرن الحـادي والعشريـن، حيـث بـدأ العـالم يتغنـى بالعولمـة، واجتاحـت الثـورة المعلوماتيـة جميـع مناحـي الحيـاة، واندلعـت أحـداث 11 سـبتمبر الإرهابيـة، وتصاعـدت الأزمـة الماليـة العالميـة، وانقسـمت بعـض الـدول غـير الغربيـة، ونهضـت الـدول الناشـئة بصـورة جماعيـة. وعـلى الرغـم مـن أن الصـين لا تـزال تواجـه أوضاعًـا دوليـة خطـيرة، ولكـن عـلى الجانـب الآخـر أمامهـا فـرص كثـيرة سـانحة. "كيـف يمكـن أن تواجـه الصـين الضغـوط الاسـتراتيجية المتزايـدة حيالهـا مـن قبـل بقايـا السـلطة الغربيـة التـي انتـصرت في الحـرب البـاردة؟". هـذا السـؤال ظـل ينتظـر إجابـة مـن المتخصصـين الصينيـين منـذ تسـعينيات القـرن العشريـن. ثـم تحـول هـذا السـؤال اليـوم إلى سـؤال آخـر: "كيـف يجـب أن تـردّ الصـين في ظـل تراجـع الـدول الغربيـة وتواصـل النهضـة الصينيـة؟". قـال وزيـر الخارجيـة الصينـي وانـغ يـي في هـذا الصـدد: "بالنسـبة لدولـة كـبرى تتطـور بشـكل سريـع، وتتمتـع بتعـداد سـكان يبلـغ 1.3 مليـار نسـمة، تُـرى مـا هـو الـدور الـذي سـوف تلعبـه الصـين في الشـئون الدوليـة، ومـا هـي السياسـة الخارجيـة التـي سـوت تتبعهـا، ومـا التأثـير الـذي تشـكله عـلى العـالم؟" يمكننـا أن نسـأل هنـا سـؤالًا آخـر: مـا هــي العنـاصر أو الظـروف الخارجيـة والداخليـة التـي تفـرض ضرورة تطبيـق دبلوماسـية الـدول الكـبرى الصينيـة في القـرن الحـادي والعشريـن؟

أولًا: إن الصـين دولـة كـبرى، وهـذه حقيقة موضوعيـة غير قابلة للجدال؛ وبالتـالي لا يمكنها أن تتنصل مـن مسـئولياتها كدولـة كـبرى. فقـد بلـغ إجمالي الناتـج المحلي اليابـاني في عـام 2010 خمسـة تريليونات وأربعمائـة وأربعـة وسـبعين مليـار ومائتـي مليـون دولار أمريـكي (5.474.200.000.000) أي أقـل مـن الصـين بحـوالي أربعمائـة وأربعـة مليـارات وأربعمائـة مليـون دولار أمريـكي (404.400.000.000)، وبالتـالي تجـاوز إجـمالي الناتـج المحـلي الصينـي اليابـان، وأصبحـت الصـين رسـميًا ثـاني أكـبر كيـان اقتصـادي عـلى مسـتوى العـالم. وفـوق هـذا تتمتـع الصـين بقـوة تأثـير قويـة عـلى المسـتوى السـياسي والدبلومـاسي، وتتطلـع قـوة الدولـة الصينيـة إلى "الريـادة بعـد اسـتقرارها في المركـز الثـاني عالميًـا"، وتقـف الصـين بالفعـل في مركـز السـاحة الدوليـة، فأصبـح لا غنـى عـن المشـاركة الصينيـة في العديـد

مـن القضايـا الدوليـة. وتحولـت الصـين مـن نطـاق "دولـة عاديـة" إلى "دولـة عالميـة"، وبالتـالي تتحمـل المزيـد مـن المسـئوليات والواجبـات في السـاحة الدوليـة الشاسـعة، ولديهـا القـدرة عـلى المشـاركة الإيجابيـة في تشـكيل العلاقـات الدوليـة وحـل القضايـا العالميـة، كـما يمكنهـا المسـاهمة في معالجـة العلاقـات الدوليـة المعـاصرة وتحسـين آليـات الحوكمـة العالميـة بمـا تتميـز بـه مـن حكمـة ومناهـج صينيـة تسـاعدها عـلى تحمـل مسـئولياتها كدولـة كـبرى.

ثانيًـا: أصبحـت الصـين دولـةً محوريـةً تحـدد مصـير العـالم، ولـولا هـذا لمـا كانـت بعـض القضايـا، مثـل تحقيـق التعايـش السـلمي بـين الصـين والولايـات المتحـدة والخـروج مـن "فـخ ثوسـيدايدس"[1] مـن أكـثر القضايـا إلحاحًـا أمـام الدبلوماسـية الصينيـة. عـلى الرغـم مـن أن هنـاك مفاهيـم مختلفـة حـول الأناركيـة، لكـن ليـس هنـاك مجـال للشـك في أن الأناركيـة قـد أصبحـت مـن أهـم خصائـص المجتمـع الـدولي في العـصر الحديـث، ويتوقـف اسـتمرار حالـة الأناركيـة وتأثيرهـا عـلى السـلام العالمـي بدرجـة كبـيرة عـلى إمكانيـة الحفـاظ عـلى السـلام بـين الـدول الكـبرى، ولكـن مـع الأسـف تحولـت المنافسـة بـين الـدول الكـبرى، وخاصـة المنافسـة بـين الـدول الصاعـدة والـدول الكـبرى، إلى مواجهـات وحتـى إلى اشـتباكات في بعـض الأحيـان، والتـي سـوف تنتهـي في النهايـة إلى الوقـوع في "فـخ ثوسـيدايدس"، ذلـك الأمـر الـذي تحـول إلى مصـير تاريخـي لا مفـر منـه، وإشـكالية أزليـة سـتظل تقـف أمـام نظريـات العلاقـات الدوليـة والممارسـات الدبلوماسـية. لكـن ينبغـي عـلى الصـين، باعتبارهـا دولـة ناهضـة "في المرتبـة الثانيـة وعينهـا عـلى المرتبـة الأولى"، أن تجابـه هـذا "المصـير التاريخـي" بـدلًا مـن أن تتغـاضى عنـه، ولا ينبغـي عليهـا أن تؤمـن إيمانًـا أعمـى بالتاريـخ، أو أن تتفـاءل وتسـلّم تسـليمًا أعمـى بالوعـود الذاتيـة بالتنميـة السـلمية، فعليهـا أن تتوخـى الحـذر مـن هـذا التفـاؤل المفـرط، وأن تواجـه الواقـع القـاسي والمعقـد بإيجابيـة، وأن توظـف الحكمـة الصينيـة لتسـير بخطـوات ثابتـة

-1 فخ ثوسيدايدس (Thuedydides's Trap) يشير إلى أن خوف دولة كبرى قائمة من صعود دولة فتية ووجود اختلافات هيكلية بينهما سوف يؤدي إلى اندلاع حرب لا مفر منها بين الطرفين. وهذا ما يُعرف بـ"القانون الفولاذي" و"المصير التاريخي" في العلاقات الدولية. انظر:

Graham Allison "Cuban Missle Crisis at 50: Lessons for the US Foreign Policy today", vol.91, No.4, Foreign Affairs, 2012; Graham Allison "Avoiding Thueydides's Trap", Financial Times, August 22, 2012.

تشن ون شين: "هل ستستطيع العلاقات الصينية الأمريكية تجنب الوقوع في'فخ ثوسيدايدس'؟"، "جريدة الدفاع الوطني الصينية"، 8-5-2012، طبعة رقم 4. سون ينغ ده، دنغ لي تشي: "تعزيز نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى بعيدًا عن'فخ ثوسيدايدس'"، "جريدة الدفاع الوطني الصينية"، 2013-6-11، طبعة رقم 10. سون تشه: "الصين وأمريكا وتجنب الوقوع في فخ 'ثوسيدايدس'"، "صحيفة الشعب اليومية"، 2013-7-5، طبعة رقم 5.

على طريق التنمية السلمية. ولذلك يُعد طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية هو الوسيلة الفعالة لمواجهة " فخ ثوسيدايدس"، ذلك المصير التاريخي، ووسيلة عملية تسعى إلى تحقيق الوعود الذاتية بالتنمية السلمية على أرض الواقع.

ثالثًا: يوفر الاعتماد المتبادل ما بين الدول أفقًا أرحب أمام الأنظمة الدولية، وقد أصبحت الإدارة الفعالة للأنظمة الدولية في عصر الحوكمة العالمية الجديد تتطلب المشاركة والدعم من الصين. وقد أدخل هذا الاعتماد المتبادل البشرية في مرحلة من التهديدات العابرة للحدود. "في ظل عالمنا اليوم، هناك اعتماد متبادل بين الأمن القومي والأمن العالمي، فلا تستطيع الدول حماية شعوبها بإجراءاتها الفردية فحسب"[1]، وبالطبع لن تستطيع مواجهة شتى القضايا العالمية بفاعلية. وفي ظل حالة الأناركية التي يعيشها العالم، أصبحت الأنظمة الدولية هي المنبر الفعال الوحيد، وإن لم يكن مرضيًا تمامًا لحل القضايا الدولية. فمع تراجع الولايات المتحدة الأمريكية، ونهضة الصين السريعة، أصبح دور الأنظمة الدولية يعتمد بشكل أكبر على مشاركة الصين وتأييدها وإسهاماتها. فبدون المشاركة الصينية الإيجابية، سيصعب على الأمم المتحدة، والبنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، وغيرها من المنظمات الدولية المهمة في وقتنا الحالي، لعب الأدوار المنوطة بها بشكل فعال، وبالتالي سيصعب معالجة العديد من القضايا العالمية الملحّة، مثل تغير المناخ، والتدهور البيئي، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، والإرهاب.

رابعًا: تحتاج الحوكمة العالمية إلى المشاركة الصينية وأيضًا إلى الاستفادة من المفاهيم والمناهج الصينية؛ حيث تستند العديد من المنهجيات في الحوكمة العالمية إلى التجارب الغربية، ولكن عندما يتم تطبيق هذه المنهجيات خارج الدول الغربية، يظهر الخلل وتأتي النتائج مخيبة للآمال، وبالتالي تعجز هذه المنهجيات عن حل المشكلات، بل تصبح هي في معظم الأحيان أصل المشكلات. أما الصين، التي تمثل حضارة شرق آسيا، والتي ظلت في تواصل مع الغرب لأكثر من مائتي عام، فقد سعت في النهاية إلى سلوك طريق يستند إلى طبيعة الدولة الصينية. منذ بداية القرن الحادي والعشرين، أخذ المجتمع الدولي يتناول بعض القضايا الصينية مثل "تفاهم بكين" و"النموذج الصيني" بالمناقشات الحارة، كما

1- بروس جونز، كارلوس باسكوال، ستيفين جون ستيدمان، ترجمة تشين يا تشينغ: "السلطة والمسئولية: المسئولية الدولية في ظل عصر من التهديدات العابرة للحدود"، "دار نشر المعارف العالمية"، 9002، ص3.

اهتمت إفريقيا ودول أمريكا اللاتينية بتجربة الصين في الحكم وإدارة الدولة، ما يعكس أن الدول النامية التي مرت بتجارب مشابهة للصين تعتبر التجربة الصينية أكثر قيمة بالنسبة لها مقارنةً بتجارب الغرب. وبالتالي فإن الحوكمة العالمية، في ظل ذلك العصر الجديد من التهديدات العابرة للحدود، لا تحتاج إلى المشاركة الفعلية من الصين فحسب، بل تتطلب من الصين أن تقدم للعالم بأكمله تجربتها في الحكم وإدارة البلاد، لتحسين المنهجيات القائمة في الحوكمة العالمية، الأمر الذي يتطلب من الصين سرعة البحث عن طريق دبلوماسية الدول الكبرى.

خامسًا: تمثل دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية إجابة واضحة من الصين حيال العديد من التساؤلات التي ينتظر العالم تقديم إجابات لها. كما يعكس الكم الكبير من النظريات التي تتنبأ بمستقبل الصين، على سبيل المثال "نظرية التهديد الصينية" و"نظرية الانهيار الصيني" و"نظرية الفرص الصينية" و"نظرية القوة الصينية"، أن الصين تقف اليوم تحت الأضواء، وينظر إليها العالم بعيون مختلفة، تتفاوت بين التقدير والشك، والثناء والنقد، ولكن لعل أكثر ما نلاحظه هي نظرة الترقب. ماذا تعني الصين القوية بالنسبة للعالم؟ أصبح هذا السؤال من أهم الأسئلة التي ينبغي على الصين الإجابة عنها. إذا قلنا إن تحقيق التنمية السلمية وبناء عالم متناغم، مجرد وعود وإجابات ذاتية، إذن ينبغي أن ننتظر مدى تحقق هذه الوعود في المستقبل حتى نحكم على مصداقيتها، ولكن العالم الذي تسوده الأناركية لا يبني ثقته على مجرد وعود مستقبلية، إنما يبني ثقته على الحقائق فحسب. وبالتالي أصبح البحث عن إجابة موثوقة حقيقية يقبلها العالم، من أهم القضايا التي تشغل الصين اليوم. كما أن طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية هي الإجابة الحقيقية والموثوق بها لجميع أسئلة الرأي العام العالمي.

سادسًا: إن دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية هي امتداد طبيعي وتجسيد فعلي لطريق التنمية الصينية. فعلى مدار أكثر من ثلاثين عامًا من تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، مزجت الصين بين الأحوال العالمية والأحوال الداخلية، وتعلمت من الدروس المستفادة التي اكتسبتها من تجربتها على الجانبين الإيجابي والسلبي، وطبقت هذا كله في بحثها عن طريق تنموي يتميز بخصائص صينية يختلف عن الطريق التنموي الذي تسلكه الدول المتقدمة في الغرب، وإن كانت الصين قد استفادت من تجارب الغرب

في رسمها لهذا الطريق. وبالنسبة للصين التي تثق في طريقها ونظرياتها وأنظمتها، يمثل كل من طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية، وطريق التنمية السياسية ذات الخصائص الصينية، وطريق التنمية الثقافية ذات الخصائص الصينية، التوجه الدبلوماسي الصيني، وتعد جميعها تجسيدًا للتوجه الخارجي والملامح الرئيسية لطريق التنمية السلمية ذات الخصائص الصينية.

سابعًا: دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية هي امتداد وتجاوز للدبلوماسية التنموية. فمنذ بداية الإصلاح والانفتاح، تمسكت الصين بطريق أساسي يعتمد على "البناء الاقتصادي"، وكانت جميع الأعمال الدبلوماسية تصب في مصلحة هذا الطريق. ولكن مع صعود مكانة الصين الدولية، أصبح مجرد التركيز على بناء الاقتصاد المحلي غير كاف لخدمة التوجه البراجماتي للدبلوماسية الصينية، حيث لم يستطع هذا التوجه تلبية متطلبات بناء واجهة الصين كدولة مسئولة كبرى. ولكن نظرًا إلى أن التنمية لا تزال تُعتبر من أهم القضايا التي تواجهها الصين؛ لذا ينبغي على الدبلوماسية الصينية أن تستمر في خوض طريق الدبلوماسية التنموية من جانب، وعلى الجانب الآخر ينبغي عليها أن تعزز من قدرتها على التأثير السياسي والمبادرة والاستقلالية، ما يساهم في خدمة التنمية السلمية، وبناء واجهة الصين كدولة كبرى مسئولة، وفي الوقت نفسه يعمل على خدمة التنمية الاقتصادية بشكل أفضل. إن دعوات القيادة الجماعية الجديدة حول مفهوم الأمن في آسيا وأوروبا، وإسهاماتهم في العديد من القضايا الدولية الساخنة، يعكس أن الدبلوماسية الصينية قد تحولت من دبلوماسية الدول الصغرى، التي كان شغلها الشاغل هو المصلحة الاقتصادية فقط، إلى دبلوماسية الدول الكبرى، التي تكمن أولويتها في المصلحة الأمنية والمصلحة السياسية، ما يدفع التنمية السلمية الصينية بشكل أفضل. وبالإضافة إلى ذلك، طرحت الصين سلسلة من المبادرات الضخمة للتعاون، مثل تأسيس منطقة التجارة الحرة للصين والآسيان، ومبادرة الحزام والطريق، وبنك الاستثمار للبنية التحتية في آسيا، والممر الاقتصادي بين بنجلاديش والصين والهند وميانمار، والممر الاقتصادي بين الصين وباكستان، وغيرها من المشاريع الضخمة. وفي أثناء اللقاء السادس لقادة دول البريكس الذي حضره الرئيس شي جين بينغ في 2014/7/14، صرح شي جين بينغ في تغطية صحفية مشتركة بين أربع دول في أمريكا اللاتينية قائلًا: "سوف نشارك بقوة وإيجابية في الشئون الدولية، وسوف نبذل الجهود المضنية لتحسين أنظمة الحوكمة

الدولية، وسوف نوسع من تأثير الدول النامية وحقها في إبداء الرأي حيال الشئون الدولية. كما سنعرض الحكمة الصينية والمناهج الصينية أمام العالم، ونقدم مزيدًا من الإسهامات في المجتمع الدولي[1]. فنجد أن هذه المبادرات الكبرى والوعود الدبلوماسية تعكس ثقة الصين وحماستها تجاه الوضع الجديد لدبلوماسية الدول الكبرى.

ولكي تستطيع الصين مواجهة ما تقدم من الأوضاع والتوجهات الداخلية والخارجية الجديدة، يجب عليها أن تتمتع برؤية أوسع، وقدرة أكبر على التقدم، وأن تتحمل مسئوليات الدول الكبرى، وتسعى لبناء واجهة جيدة لها كدولة كبرى. كما ينبغي على الصين تلبية متطلبات الدولة ومتطلبات تطور العصر، وأن تلبي المهمة التاريخية التي تتمثل في البحث عن طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية، بما يتناسب مع المتطلبات العالمية والداخلية. فنجاح تحول الدبلوماسية الصينية من دبلوماسية الدول الصغرى إلى دبلوماسية الدول الكبرى، سوف يوسع نطاق مصالح الدولة الصينية، ويسهم في الوقت نفسه في إقرار السلام العالمي بما تقدمه الصين من حكمة ورؤية خاصة.

1- "شي جين بينغ في تغطية صحفية مشتركة بين أربعة دول في أمريكا اللاتينية"، شبكة الشعب، 15- 7-2014، http//:politics.people.com.cn/n/2014/0715/c1024-25280466.html

ثالثًا: النموذج الدبلوماسي الصيني وأهدافه

بالنسبة للدول النامية التي عانت من الاستعمار والهيمنة، يحمل مصطلح الدولة الكبرى في فحواه مفهومي القوة والهيمنة، وبالتالي لا تنفصل دبلوماسية الدول الكبرى عن النزعة الشوفينية ونزعة الهيمنة. أما الصين التي تسعى إلى طريق دبلوماسية الدول الكبرى، فقد عانت هي نفسها من مساوئ هذا الطريق، وبالتالي سوف تتجنب تكرار هذه التجربة، وستسعى إلى طريق لدبلوماسية الدول الكبرى ولكن بطابع صيني. يقودنا هذا إلى سؤال مهم: أين يكمن هذا "الطابع الصيني"؟

من الواضح أن الصين التي تكرس نفسها من أجل تحقيق النهضة والتنمية السلمية، لا تنوي استخدام القوة أو الهيمنة، وبالتالي لا تسعى إلى النزعة الشوفينية أو نزعة الهيمنة بأي حال من الأحوال. بل على العكس، سوف تدعو دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية إلى تحقيق المصالح المتبادلة والفوز المشترك، ودفع التنمية المشتركة، وحماية السلام العالمي. يمكننا أن نقول إن هذا هو جوهر دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية وأهم خصائصها. وبالتالي، إذا نظرنا إلى الخصائص التاريخية لدبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية، فسنجد أنها لا تدعو فقط إلى العودة إلى دبلوماسية الدول الكبرى الطبيعية من جانب، بل تدعو على الجانب الآخر - وهو الأهم- إلى توجه يختلف عن المفهوم التقليدي لدبلوماسية الدول الكبرى الذي يدعو إلى القوة والهيمنة، حيث تسعى الصين إلى تعزيز التنمية السلمية الذاتية، وفي الوقت نفسه تدعو إلى بناء نمط سلمي جديد لطريق دبلوماسية الدول الكبرى يسعي إلى تحقيق الحلم العالمي، ألا وهو بناء "العالم المتناغم".

إذا تناولنا دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية بشكل أدق، فسنجد أنها تتألّف من العناصر التالية: مفاهيم دبلوماسية لها طابع صيني، هدف دبلوماسي يتمثل في تحقيق النهضة للأمة الصينية، هدف مثالي يسعى إلى تحقيق الحلم العالمي الذي يتمثل في تحقيق السلام الدائم والازدهار، سلوك دبلوماسي يسعى إلى معالجة العلاقات

بـين الـدول الكـبرى والـدول الصغـرى معًـا، وبنـاء واجهـة تليـق بالصـين كدولـة كـبرى، وتكويـن المـزاج الوطني.

3.1 مفاهيم الدولة الكبرى: السلام، التنمية، التعاون، الفوز المشترك:

تمثـل هـذه المفاهيـم رؤيـة الـدول الكـبرى حيـال قضايـا العـصر والأوضـاع الدوليـة، التـي تحـدد بدورهـا التوجهـات الرئيسـية لدبلوماسـية الـدول الكـبرى. فعـلى سـبيل المثـال، اعتمدت هـذه المفاهيم في مرحلـة الدبلوماسـية الثوريـة عـلى رؤيـة الصـين المتفائلـة حيـال الأوضـاع الثوريـة العالميـة. ويكمـن جوهـر نظريـة دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة في بعـض المفاهيـم الجديـدة التـي تشـمل الآتي: السـلام، والتنميـة، والتعـاون، والفـوز المشـترك. يُعـد السـلام والتنميـة مـن أهـم قضايـا العـصر في وقتنـا الحـالي، وإن كان قـد دعـا إليهـما دينـغ شـياو بينـغ وتـم بالفعـل التمسـك بهـما لفـترة طويلـة كمفهومـين أساسـيين في الدبلوماسـية الصينيـة. كـما أكـد المؤتمـر الوطنـي السـادس عـشر للحـزب الشـيوعي الصينـي عـلى أهميـة "التعـاون" كمفهـوم جديـد في الدبلوماسـية الصينيـة، وطُـرح مفهـوم "الفـوز المشـترك" في المؤتمـر الوطنـي الثامـن عـشر للحـزب الشـيوعي الصينـي. وبالتـالي يمكـن القـول بـأن الدبلوماسـية الصينيـة سـوف تركـز في الفـترة الحاليـة عـلى تعزيـز المصالـح المتبادلـة والفـوز المشـترك والتشـاور والتعـاون، مـع الاسـتمرار في الوقـت نفسـه في حمـل لـواء إرسـاء السـلام وتحقيـق التنميـة، باعتبارهـما أهـم قضايـا العـصر. وبالإضافـة إلى ذلـك، تسـاهم هـذه المفاهيـم الدبلوماسـية، المتمثلـة في السـلام والتنميـة والتعـاون والفـوز المشـترك، في تحديـد البيئـة الدوليـة المحيطة بدبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة، وتهيئـة المنـاخ الفكـري المناسـب لـكي تسـلك الصـين طريـق التنميـة السـلمية.

3.2 هدف الدولة الكبرى: تحقيق الحلم الصيني المتمثل في تحقيق النهضة للأمة الصينية:

يشـير هـدف الـدول الكـبرى إلى المصلحـة الوطنيـة التـي تسـعى إليهـا الـدول الكـبرى. وتُعـد المصلحـة الوطنيـة أهـم دافـع وراء أي سـلوك تتخـذه أي دولـة حيـال الخـارج، وتُعـد

أكبر عنصر يلعب دورًا مؤثـرًا ودائمًـا في السياسـة الدوليـة؛ وبالتـالي يعـد محـركًا للسياسـة الدوليـة ومعيـارًا أساسـيًّا للدبلوماسـية. وعـلى هـذا الأسـاس، تُعـد قـدرة الـدول عـلى تحديـد مصالحهـا الوطنيـة وتحقيقهـا (أو عـدم تحقيقهـا) أهـم مـا يؤثـر عـلى سـلمية الأنظمـة الدوليـة واسـتقرارها. وبحسـب المفاهيـم التقليديـة، تكمـن مصلحـة الـدول الكـبرى دائمًـا في سـلب أراضي الـدول الأخـرى ومواردهـا، واحتلالهـا أو اسـتعمارها كأهـداف دبلوماسـية، وهـو مـا يقـود الـدول إلى النهـب والصـدام والحـرب. أمـا في الصـين، فقـد سـبق أن أشـار الرئيـس شي جـين بينـغ قائـلًا: "إن تحقيـق النهضـة العظيمـة للأمـة الصينيـة هـو أعظـم الأحـلام التـي تتطلـع إليهـا الأمـة الصينيـة في العـصر الحديـث". فتحقيـق النهضـة العظيمـة للأمـة الصينيـة هـو هـدف دبلوماسـية الدولـة الكـبرى الصينيـة، ولا يقـوم هـذا الهـدف عـلى مصالـح الآخريـن، بـل يسـتند إلى الحضـارة الصينيـة العريقـة التـي يمتـد تاريخهـا لخمسـة آلاف عـام. ومـن ثـم لا يسـعى هـدف الدبلوماسـية الصينيـة إلى النهـب أو الاحتـلال أو الهيمنـة، بـل يسـعى إلى تحقيـق الحلـم الصينـي والنهضـة الحضاريـة، اللذيـن يعتمـد تحقيقهـما عـلى الجهـد والسـعي الـذاتي، دون التسـبب في خسـائر أو تهديـدات للـدول الأخـرى.

3.3 الهـدف المثـالي: تحقيـق الحلـم العالمـي المتمثـل في إرسـاء السـلام الدائـم وتحقيـق الازدهـار المشـترك:

يُقصـد بالهـدف المثـالي: تصـور الـدول الكـبرى لمصيرهـا ومصـير العـالم والأنظمـة العالميـة الأساسـية. وبالتأكيـد يحـدد حجـم الهـدف عظـم المهمـة، فهنـاك دائمًـا ارتبـاط وثيـق بين صعـود أو سـقوط الدولة ونظرتهـا للأوضـاع العالميـة مـن حولهـا. وفي ظل عـصر العولمة، أصبـح مصير الـدول مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بمصـير العـالم ككل، ومـن ثـم يعتمـد الهـدف المثـالي لـدى الـدول الكـبرى عـلى تأملهـا الصحيـح للأوضاع العالميـة. ولكـن بحسـب المفاهيـم التقليديـة، دائمًـا ما تعتـبر الدول الكـبرى نفسـها مركزًا للعـالم بأكمله، وبالتـالي تصبـح الأنظمـة العالميـة امتـدادًا أو انعكاسًـا لنفوذهـا. وعـلى مـدار الخمسـمائة عـام الماضيـة، كانـت غايـة الـدول الكـبرى هـي احتـلال العـالم والسـيطرة عليـه وإخضاعـه لهـا بـ"الهيمنـة"، وتسـتهين هـذه الغايـة الأنانيـة بحـق الآخريـن في الحيـاة والمسـاواة والتنمية والاسـتقلال، وتسـتهين كذلـك بكرامة الآخـر، فـلا تـرى إلا نفسـها، وتتعامـل بقانـون الغـاب بحيـث يـأكل القـوي الضعيـف، والنتيجـة أنهـا

عـادةً مـا تُقابـل بالمقاومـة مـن الآخريـن، فتضعـف في النهايـة ولا تسـتمر طويـلًا. وعـلى العكـس مـن باقـي الـدول الكـبرى التقليديـة، لا تقسـم الصـينُ الـدولَ إلى دول كبـيرة وصغـيرة، قويـة وضعيفـة، غنيـة وفقـيرة، بـل تؤمـن بالمسـاواة وتحـترم التنـوع في الحضـارات العالميـة وتعـدد سـبل التنميـة، وتدعـو إلى بنـاء كيـان يشـترك فيـه مصـير البشريـة بأكملهـا، بحيـث تسـعى الـدول إلى مصالحهـا الخاصـة مـع احـترام الـدول الأخـرى، والتركيـز عـلى أهميـة التعـاون وتحقيـق المصالـح المتبادلـة والفـوز المشـترك. وعـلى العكـس مـن الـدول الكـبرى التقليديـة التـي تسـعى إلى الهيمنـة وتدعـو إلى ترسـيخها، تكـرس الصـين نفسـها مـن أجـل دفـع التواصـل بـين دول العـالم أجمـع، وتعزيـز الديمقراطيـة في العلاقـات الدوليـة، وتحقيـق التنميـة العادلـة للأنظمـة الدوليـة. وبالتـالي فـإن "الحلـم الصينـي" المتمثـل في تحقيـق النهضـة العظيمـة للأمـة الصينيـة، يسـعى بحـد ذاتـه إلى تحقيـق "الحلـم العالمـي"، وهـو بنـاء عـالم منسـجم يسـعى إلى إرسـاء السـلام الدائـم، وتحقيـق الازدهـار المشـترك. وبالتـالي لا يتكامـل الحلـم العالمـي مـع الحلـم الصينـي فحسـب، بـل يتكامـل مـع أحـلام جميـع دول العـالم الأخـرى.

3.4 طبيعة العلاقة بين الدول الكبرى: نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى:

إذا حللنـا تاريـخ تحـول السـلطة في الخمسـمائة عـام الأخـيرة، فسنكتشـف أنـه لم تكـن هنـاك بالـضرورة حاجـة إلى انـدلاع عنـف مبـاشر بـين الـدول الكـبرى والـدول الصاعـدة، بـل لاحظنـا أنـه دائمًـا مـا كان تراجـع الـدول الكـبرى يتصاحـب ونهضـة الـدول الصاعـدة مـع قـدر متفـاوت مـن الاشـتباك أو حتـى الحـرب في بعـض الأحيـان، وهـذه حقيقـة تاريخية موضوعيـة. ومع ذلـك، يجب أن نعـي جيدًا أن التاريـخ لـن يقـدم لنـا سـوى بعـض الـدروس المسـتفادة التـي يمكـن أن تسـاعدنا في اسـتلهام المسـتقبل، ولكنـه لـن يضـع لنـا طريقًـا أو مسـارًا ثابتًا نسـير عليه. فقد تغيرت العديد مـن الظـروف التاريخية على مـدار الخمسـمائة عـام الماضيـة. وفي ظـل عـصر العولمـة، تغـيرت مصـادر السـلطات في البـلاد، وأسـاليب التنافـس بـين الـدول، وبالتـالي تغـيرت طبيعـة العلاقـات الدوليـة، وأصبـح هنـاك اتصـال وثيـق بـين مصالـح الـدول، بحيـث يـؤدي ربـح أحـد الأطـراف إلى ربـح للجميع، وخسـارة أحـد الأطراف إلى خسـارة

للجميع، وهو ما نُطلق عليه مفهوم "المجموع الصفري"[1] في العلاقات بين الدول الكبرى. قال السيد شون بريسلين الباحث الشهير في العلاقات الدولية بجامعة وُرِك الإنجليزية: عند تحليل الدور الدولي الذي ستلعبه الصين في المستقبل، من المحتمل جدًّا على المدى البعيد أن تغير الصين في أنظمتها ومعاييرها، ولكنها في الوقت نفسه سوف تستخدم طرقًا لا تؤثر على الاستقرار أو تؤدي إلى أزمات عالمية، فأي أزمة سوف تؤثر على قدرة الصين على دفع تنميتها الاقتصادية واستقرارها السياسي. فإن اكتشاف الصين لوسائل تعزز تحولها السلمي لن يؤثر فقط على ما تتحمله من مسئوليات دولية، بل يؤثر أيضًا على مصالحها الخاصة[2]. وبالتالي إن تبنّت الصين هي أيضًا طريق "الهيمنة لتقوية الدولة"، سوف تصبح غير حكيمة وغير واقعية وسوف تفشل. وعلى هذا الأساس، أخذت الصين تؤكد منذ انتهاء الحرب الباردة على ضرورة تجاوز الانحياز التقليدي واستراتيجية توازن القوى، وأخذت تدعو إلى تأسيس علاقات شراكة استراتيجية تدعو إلى عدم الانحياز أو المواجهة أو التدخل في شئون الآخر؛ حيث أسست الصين نحو 72 نوعًا من علاقات الشراكة الاستراتيجية مع العديد من الدول الكبرى عالميًّا والدول العظمى إقليميًّا، بالإضافة إلى العديد من المنظمات الدولية، لتسلك بنجاح الطريق السلمي لدبلوماسية الدول الكبرى، الذي يختلف عن علاقات الانحياز التقليدية. ويُعد "بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى يسعى إلى الاستقرار والتنمية السليمة طويلة المدى" مفهومًا جديدًا طرحه المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، الذي يلتقي مفهومه مع مفهوم تأسيس علاقات الشراكة الاستراتيجية، ويتمتع في الوقت ذاته بطابع عصري وتطلعات كبرى. لقد حقق النمط الصيني الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى تطورًا جديدًا في ظل قيادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بقيادة الأمين العام الجديد الرئيس شي جين بينغ بعد انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني. وأصبح النمط الجديد للعلاقات بين الصين وروسيا، المبني على المساواة والمنفعة والمصالح المشتركة والفوز المشترك والاحترام المتبادل وعدم التدخل في السياسة الداخلية، "نموذجًا" للأنماط الجديدة للعلاقات بين الدول الكبرى. وتقوم الصين والولايات المتحدة في الوقت الراهن

1- المجموع الصفري: هو الحالة التي يكون فيها ربح أو خسارة مشارك ما مساويًا بالضبط لمجموع الخسائر أو المكاسب للمشاركين الآخرين (المترجمة).

2- Shaun Breslin" ,China's Emerging Global Role :Dissatisfied Responsible Great Power ,"Politics ,Vol,30 . No.S1 ,2010 ,p.60.

بإجـراء حـوار إيجـابي حـول بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الصـين والولايـات المتحـدة، يقـوم عـلى عـدم الـصراع أو المواجهـة، وتبـادل الاحـترام والتعـاون والفـوز المشـترك. إن هـذا السـعي لبحـث نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى يقـوم عـلى التنميـة السـلمية، قـد مهـد طريقًـا جديـدًا للقضـاء عـلى "فـخ ثوسـيدايدس".

3.5 السلوك: المساواة والمشاركة في مصير واحد:

يُقصـد بسـلوك الـدول الكـبرى: المواقـف والوسـائل التـي تتخذهـا هـذه الـدول لمعالجـة علاقاتهـا مـع الـدول الأخـرى، وخاصـةً الـدول الصغـرى. إن دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة لا تتنـاول العلاقـات الدبلوماسـية مـع "الـدول الكـبرى" فحسـب، بـل يكمـن جوهرهـا الحقيقـي في بحـث المفاهيـم والوسـائل والأنمـاط الدبلوماسـية التـي يمكـن أن تسـتخدمها الصـين، "باعتبارهـا دولـة كـبرى"، عنـد تعاملهـا مـع الـدول الصغـرى في المجتمـع الـدولي. وعـلى العكـس مـن ذلـك، إذا نظرنـا إلى السـلوك التقليـدي الـذي تتخـذه الـدول الكـبرى، فسـنجده يشـمل جميـع أشـكال وأنمـاط النزعـة الشـوفينية، عـلى سـبيل المثـال: الاسـتبداد في الـرأي، الديكتاتوريـة، إجـراء الصفقـات السريـة، اضطهـاد القـوي للضعيـف، سـيطرة الفائـز عـلى كل شيء. أمـا الدبلوماسـية الصينيـة فتسـعى إلى سلسـة أخـرى مـن المبـادئ، تشـمل: المسـاواة بـين الـدول الكـبرى والصغـرى، محاربـة جميـع أشـكال الهيمنـة، دفـع الديمقراطيـة في العلاقـات الدوليـة، رفـض اضطهـاد الـدول الكـبرى للـدول الصغـرى، واضطهـاد الـدول القويـة للـدول الضعيفـة، واضطهـاد الـدول الغنيـة للـدول الفقـيرة، والدعـوة إلى حـل المشـكلات عـن طريـق الحـوار، ومقاومـة سـيطرة القـوة، وتشـجيع الثقافـات المختلفـة عـلى التسـامح وتبـادل المعرفـة، ودعـوة البشريـة للمشـاركة في كيـان واحـد يجمعـه مصـير مشـترك، والسـعي إلى التنميـة المحليـة مـع دفـع التنميـة المشـتركة بـين جميـع الـدول.

3.6 صورة الدولة الكبرى: دولة كبرى مسئولة:

بالرغـم مـن اختـلاف صـورة الدولـة الكـبرى عـن الصـورة العامـة للدولـة، إلا أن هنـاك علاقـة وثيقـة بينهـما، حيـث تُعتـبر صـورة الدولـة الكـبرى مكونًـا مهـمًّا مـن مكونـات الصـورة

العامـة للدولـة، بينـما يكمـن الاختـلاف بينهـما في تلـك الصـورة الدوليـة التـي تتمتـع بهـا الـدول الكـبرى لمـا تتميـز بـه مـن قـدرة عـلى التأثـير في الأوضـاع الدوليـة. لقـد اهتـم الكثـير مـن المنظريـن في السياسـة الدوليـة بالمفاهيـم النظريـة والتطبيقيـة وراء صعـود أو سـقوط الـدول الكـبرى، في حـين لم يتنـاول إلا القليـل المسـئوليات الدوليـة التـي تـأتي مصاحبـةً لسـلطة الـدول الكـبرى. لقـد قـال هيـدلي بـول: "تدّعـي الـدول الكـبرى أنهـا تتمتـع ببعـض الحقـوق أو تنعـم بهـا، وهـي أن تلعـب دورًا قاطعًـا في قضايـا الأمـن والسـلام في الأنظمـة الدوليـة برمتهـا، وتتمتـع أيضًـا بواجبـات، حيـث ينبغـي عليهـا تعديـل سياسـتها بمـا يخـدم مـا تتحملـه مـن مسـئوليات."[1]، وبالتـالي لا تتمتـع الـدول الكـبرى بالسـلطات والحقـوق فحسـب، بـل عليهـا تحمـل المسـئوليات والواجبـات أيضًـا. وفي حالـة فشـل الدولـة الكـبرى في تحقيـق هـذه المعادلـة بـين السـلطات والحقـوق والواجبـات والمسـئوليات، سـتفقد صورتهـا كدولـة كـبرى.

إذا نظرنـا إلى الدبلوماسـية الصينيـة مـن منظـور تاريخـي، فسـنجد أن مسـألة بنـاء صـورة الدولـة لم تشـغل مكانـةً مهمـةً في الدبلوماسـية الصينيـة منـذ تأسـيس جمهوريـة الصـين؛ نظـرًا للظـروف التاريخيـة حينئـذ، ومـع ذلـك لاحظنـا أنـه دائمًـا مـا كان هنـاك سـعي مـن الدبلوماسـية الصينيـة إلى تحمـل المسـئوليات. ففـي مرحلـة الدبلوماسـية الثوريـة، تحولـت الدعـوة للثـورات العالميـة إلى مسـئولية مـن مسـئوليات الدبلوماسـية الصينيـة نظـرًا للاهتـمام الشـديد بالأيديولوجيـة الفكريـة في ذلـك الوقـت. وفي مرحلـة الدبلوماسـية التنمويـة، كان تحقيـق التنميـة الاقتصاديـة والحداثـة يُعتـبر أهـم مسـئوليات المرحلـة، ومـع ذلـك ظهـرت مسـئولية جديـدة مهمـة أيضًـا في ذلـك الوقـت تدعـو إلى بنـاء أنظمـة سياسـية واقتصاديـة دوليـة جديـدة. أمـا في مرحلـة دبلوماسـية الـدول الكـبرى، فتقـوم مسـئولية الدبلوماسـية الصينيـة عـلى العلاقـة بينهـا والأنظمـة الدوليـة، بحيـث تحقـق مسـئولياتها بمـا يتناسـب معهـا "كدولـة كـبرى جديـرة مسـئولة"، وولـدت هـذه المسـئوليات تدريجيًّـا بعـد أن ضمنـت الصـين بقـاء السـلطة في البـلاد، وحققـت التنميـة الاقتصاديـة. وعندمـا واجهـت الصـين الأزمـة الماليـة الآسـيوية عـام 1997، أعلنـت عـدم تخفيضهـا لقيمـة اليـوان، وقامـت بتقديـم الدعـم الاقتصـادي للـدول المجـاورة، وكانـت هـذه بدايـة الصـين لتنفيـذ مسـئولياتها كدولـة كـبرى. كـما سـعت الصـين مـن خـلال بنـاء المفهـوم الجديـد للأمـن القائـم عـلى الثقـة والمنفعـة المتبادلـة والمسـاواة والتعـاون،

1- هيدلي بول، ترجمة تشانغ شياو مينغ، "المجتمع الأناركي: دراسة في الأنظمة السياسية العالمية"، "دار نشر المعارف العالمية"، 2003، ص162.

ومـن خـلال بنـاء مفهـوم التنميـة الجديـد الـذي يضـع الإنسـان في المقـام الأول، ومـن خـلال بنـاء مفهـوم النهضـة الجديـد القائـم عـلى التنميـة السـلمية، سـعت إلى بنـاء مفهـوم جديـد للنظـام العالمـي يحقـق العيـش في عـالم متناغـم، وركـزت عـلى مفاهيـم العلاقـة الحميمـة، والصـدق، وتحقيـق المنفعـة، والتسـامح مـع الـدول المحيطـة، كـما دعـت إلى مفهـوم جديـد للحضـارة يقـوم عـلى الاحـترام المتبـادل والتسـامح وتبـادل المعرفـة، ودعـت إلى مفهـوم جديـد للمصالـح ينـادي بتقديـم الحقـوق عـلى المصالح، وقـد سـاهم كل هـذا في تشـكيل الصـورة الجديـدة للصـين كدولـة كـبرى مسـئولة. فسـاهمت الصـين في حمايـة الملاحـة في الصومـال، وشـاركت في أعـمال حفـظ السـلام التابعـة للأمـم المتحـدة، وتخفيـف عـبء الديـون، وزيـادة الدعـم للخـارج، ولعبـت دور الوسـاطة الإيجابيـة في القضيـة النوويـة في كوريـا الشـمالية وإيـران، وغيرهـا مـن الأعـمال الدبلوماسـية الخارجيـة؛ وهـو مـا عمـل عـلى توطيـد الصـورة الجديـدة للصـين كدولـة كـبرى مسـئولة. مجمـل القـول أن الصـين الآن لديهـا الحماسـة والقـوة لتتحمـل المزيـد مـن المسـئوليات والواجبـات الدوليـة، وتبنـي الآن واجهـة جديـدة تليـق بمكانتهـا كدولـة "في المرتبـة الثانيـة وتتطلـع إلى المرتبـة الأولى".

3.7 المزاج الوطني: الثقة، والاعتدال، والمسئولية:

يُعتـبر المـزاج الوطنـي مـن الاعتبـارات المهمـة التـي تترتـب عليهـا الاسـتراتيجيات والسياسـات الدبلوماسـية، وهـي التـي تؤثـر في الأوضـاع الدبلوماسـية وتقيدهـا بشـكل كبـير[1]. ويُقصـد بالمـزاج الوطنـي للـدول الكـبرى: معرفـة هـذه الـدول وشـعوبها بالسـلطات والمسـئوليات التـي تـأتي مصاحبـةً للمكانـة التـي تتمتـع بهـا، واسـتعدادها النفـسي لتحمـل هـذه المسـئوليات. ولا ينبغـي أن يعلـق المـزاج الوطنـي آمالـه عاليًـا، فيتحـول إلى حالـة مـن الغضـب إذا فشـل في تحقيـق آمالـه، ولا ينبغـي في الوقـت نفسـه أن يتمسـك بتطلعـات متدنيـة للغايـة، فيفـوّت عـلى نفسـه فرصًـا قـد تصـب في مصلحتـه. وإذا نظرنـا إلى تاريـخ الصـين نظـرةً شـاملةً، فسـنجد أن الصـين قـد مـرت بحـالات مختلفـة، أولًا "مـزاج الإمبراطوريـة السـماوية" التـي عُرفـت بالغـرور والتكّـبر؛ نظـرًا لمـا كانـت تتمتـع بـه الصـين مـن مكانـة وتجـارب دوليـة متفـردة، وحضـارة زراعيـة عريقـة. ولكـن في العـصر الحديـث، عانـت الأمـة الصينيـة مـن المهانـة وتحولـت إلى "حالـة الضحيـة".

1- يوان نان شنغ: الدبلوماسية الصينية منذ آلاف السنوات والمزاج الوطني"، "الوحدة في الشدائد"، 2011، عدد 11، ص65.

ثـم تحـول المـزاج الوطنـي بعـد تأسـيس جمهوريـة الصـين الشـعبية إلى "المـزاج الثـوري"، تأثـرًا بالأيديولوجيـة الفكريـة التـي دعـت إلى الحفـاظ عـلى الاسـتقلال السـياسي. وقـد أدى مـرور الشـعب الصينـي بهـذه الأمزجـة الثلاثـة المختلفـة إلى شـعوره بالنقـص والإعجـاب في الوقـت نفسـه حيـال تقـدم الغـرب، ومشـاعر مختلطـة مـن الفخـر والريبـة حيـال الثقافـة الغربيـة ونوايـا الغـرب السياسـية. ويـرى تشـيان خـاو أن عـدم التـوازن النفـسي يـؤدي دائمًـا إلى تـلاشي الفكـر المنطقـي تدريجيًـا، والانفصـال بـين الذاتيـة والموضوعيـة. وفي هـذه الحالـة، قـد تبالـغ الـذات في تقديرهـا لذاتهـا حتـى لا يكتشـف الآخـر "فـراغ الـذات الداخـلي وشـعورها بالنقـص"، الأمـر الـذي قـد يـؤدي إلى ردود أفعـال غـير واقعيـة تضيـع في النهايـة "هبـاءً منثـورًا"[1]. وفي ظـل هـذه الحالـة المزاجيـة غـير المتعقّلـة، تتحـول الصـين إلى "سـجين تاريخـي" [2]، فـإذا نظرنـا إلى تاريـخ الدبلوماسـية الصينيـة بصـورة عامـة، سـنجد أن الدبلوماسـية الصينيـة عـادةً مـا تتأرجـح بـين حـالات مختلفـة، وهـي الغـرور، والاسـتهانة، والاحـترام المبالـغ فيـه بالـذات، وبالتـالي تحيـد بشـكل مسـتمر عـن الخـط الأسـاسي للدبلوماسـية التـي تسـعى إلى المصلحـة الوطنيـة، الأمـر الـذي يسـبب خسـائر فادحـة في الدبلوماسـية الصينيـة. وعـلى هـذا الأسـاس، فـإن التأثـير النفـسي الـذي سـببه خـروج الصـين مـن "المـاضي الباهـر" إلى "العـصر الحديـث المهـين" ثـم إلى "الحـاضر الثـوري" قـد هيـأ الصـين نفسـيًا للنهضـة الحقيقيـة. يذكّرنـا هـذا بمـا قالـه يـه تـسي تشـنغ في عـام 2001: يجـب عـلى الصـين الاسـتعداد النفـسي مـن اليـوم لتصبـح دولـة عظمـى عالميًـا ولا تنتظـر حتـى يتعاظـم شـأنها، فهـذه قاعـدة أساسـية لا غنـى عنهـا في دبلوماسـية الـدول الكـبرى[3]. وبمـا أننـا في القـرن الحـادي والعشريـن، حيـث تعاظمـت قـوة الدولـة الصينيـة بالفعـل، ينبغـي عـلى الصـين أن تهيـئ المـزاج الوطنـي بمـا يتناسـب مـع انضـمام الصـين إلى صفـوف الـدول الكـبرى.

هنـا يطـرح هـذا السـؤال المهـم نفسـه: تُـرى مـا هـو المـزاج الوطنـي الـذي يجـب أن تتمتـع

1- تشيان خاو: "ثقافة التنين والمزاج الوطني في الدول الكبرى والعلاقات الصينية الأمريكية - بحث نظري وتاريخي عن 'حالة الضحية'"، مراجعة دولية Review International، 2004، عدد 2، ص 25- 30.

2- Orville Schell" ,Prisoner of Its Past ,"Salon Magazine ,June1999 8

اقتباس من "حوار طويل المدى بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية"، تأليف تاو مي شين، تشاو مي، دار النشر الصينية للعلوم الاجتماعية، 2001، ص16.

3- يه تسي تشنغ، لي ينغ، "روح دبلوماسية الدول الكبرى - الطبيعية، الثقة، والتفاؤل"، "تعليقات على الاقتصاد الدولي"، 2001، عدد 6-5، ص22.

بـه الصـين كدولـة كـبرى؟ إذا نظرنـا نظـرةً شـاملة إلى التجـارب التاريخيـة الصينيـة المتفـردة وأحـوال الدولـة الحاليـة، سـنجد أنـه يجـب أن يجمـع هـذا المـزاج الوطنـي بـين ثلاثـة جوانـب أساسـية عـلى الأقـل، وهـي الثقـة والاعتـدال والمسـئولية.

أولًا، الثقـة: أدت "حالـة الضحيـة" التـي سـيطرت عـلى الصـين إلى افتقـار الدولـة إلى ثقتهـا واعتزازها بذاتهـا عنـد تعاملهـا مـع الغـرب، حتـى أصبـح يسـيطر عـلى العقـل الباطـن لـدى الكثيريـن توجـه يقـدس كل مـا هـو أجنبـي. وإذا نظرنـا إلى المعاملـة الخاصـة التـي كان يتعامـل بهـا الصينيـون مـع الأجانـب في المواقـف المختلفـة، سـنجد أنهـا تختلـف عـن المعاملـة العاديـة للشـعب، وهكـذا انتـشر ذلـك التوجـه الـذي يقـدس كل مـا هـو أجنبـي، الـذي جـاء نتيجـة للتأثـير الـذي سـببه مائـة عـام مـن بقـاء الصـين في "حالـة الضحيـة". ولكـن هـذه الاسـتهانة بالـذات لا تتوافـق مـع المكانـة الدوليـة الصينيـة الحاليـة، ولا تتوافـق مـع القواعـد الأساسـية للتبـادل الـدولي، الأمـر يؤثـر بالتأكيـد سـلبًا عـلى حمايـة المصلحـة الوطنيـة. ومـع النهضـة الصينيـة، أصبـح هنـاك ضرورة لأن تكـون الصـين أكـثر ثقـةً في مكانتهـا كدولـة كـبرى، وفي نظامهـا الاجتماعـي، وأوضاعهـا السياسـية وثقافتهـا. ومـن هـذا المنطلـق، أشـار تقريـر المؤتمـر الوطنـي الثامـن عـشر للحـزب الشـيوعي الصينـي، إلى ضرورة أن يتمتـع الحـزب، عـلى جميـع مسـتوياته، بالثقـة في طريقـه ونظرياتـه وسياسـاته. ويمكننـا أن نقـول إن الصـين قـد بـدأت تنمـي ثقتهـا في نفسـها كدولـة كـبرى منـذ ذلـك الحـين.

ثانيًـا، الاعتـدال: لقـد أدى "مـزاج الإمبراطوريـة السـماوية" إلى شـعور الشـعب الصينـي بالتعـالي والفوقيـة حيـال الآخـر، وينعكـس هـذا بشـكل واضـح في المسـميات الدونيـة التـي أطلقتهـا الصـين عـلى اليابانيـين، فلقبوهـم مثـلاً بـ"بربـر الـشرق" و"قراصنـة اليابـان" و"الشـياطين اليابانيـين". ومـع ذلـك فـإن "مـزاج الإمبراطوريـة السـماوية" الـذي تأثـر بعـد ذلـك بـ"حالـة الضحيـة" ثـم بـ"المـزاج الثـوري"، لم يشـمل مشـاعر الفوقيـة والتعـالي فحسـب، بـل اشـتمل أيضًـا عـلى حالـة المجـون كـما في شـخصية آكيـو[1]، والحالـة العدوانيـة عنـد شـخصية دون

1- آكيو: شخصية البطل في "قصة آكيو الحقيقية" للأديب الصيني لوشون (1881- 1936) "عميد الأدب الصيني الحديث"؛ نظرًا لدوره الرائد في تاريخ الأدب الصيني الحديث. تُعتبر "قصة آكيو الحقيقية" إحدى أشهر قصص لو شون، تدور أحداثها حول البطل آكيو، وهو عامل زراعي جاهل، يتعرض لسوء المعاملة ولكثير من الإهانات التي يقابلها بروح الانتصار المعنوي إلى أن يُعدم في أثناء فوضى أحداث ثورة عام 1911. ويمثّل هذا العامل البسيط الشخصية الصينية ضعيفة الإرادة التي تميل إلى تسمية الهزيمة "نصرًا معنويًّا" (المترجمة).

كيخوتي[1]. إن الجمع بين "الفوقية" و"المجون" في نموذج آكيو، و"الحالة العدوانية" في نموذج دون كيخوتي، قد قادت الدبلوماسية الصينية إلى حالة من التكبر والاعتزاز المبالغ فيه بالذات، وبالتالي لم تستطع الصين أن تتعامل مع عدوانية الدول الأخرى بسلوك هادئ ومعتدل، وبالتالي كان من الطبيعي نشوب الاختلافات والاحتكاكات عند التعامل مع هذه الدول، لدرجة أنه قد تتطور هذه الخلافات إلى مؤامرات واعتداءات. وبالتالي ينبغي على الصين أن تعيد النظر في تاريخها، سواء تاريخ حضارتها القديمة التي ترجع إلى 5000 عام، أو التاريخ القريب الذي مرت فيه بتجارب مهينة على مدار المائة عام الماضية. إذا استطاعت الصين أن تواجه التاريخ بحالة من الاعتدال، فستتمكن من مواجهة الواقع أيضًا بهذا القدر من الاعتدال.

ثالثًا، الشعور بالمسئولية: تُعتبر استراتيجية "المتابعة والحذر" إنذارًا أطلقه دنغ شياو بيغ للدبلوماسية الصينية استنادًا إلى الأوضاع العالمية والمحلية، ولا يزال هذا الإنذار فعالًا حتى يومنا هذا. لكن الصين دولة كبرى، بالتالي يجب أن تقدم إسهامات للعالم، وهذا ما كان يترقبه الجيل القديم من القادة وعلى رأسهم الزعيم ماو تسي تونغ والقائد دينغ شياو بينغ. ينبغي على الصين أن تتمتع بروح المسئولية باعتبارها دولة كبرى، وأن تتحمل المسئولية التي تتحملها الدول الكبرى. ولا تشمل هذه المسئولية حماية السلم الدولي ودفع التنمية العالمية فحسب، بل على الصين أن تسعى كذلك إلى تعزيز الحرية والتنمية الشاملة للبشرية، والإدارة الإيجابية للعديد من القضايا العالمية.

1- دون كيخوتي: شخصية البطل في رواية للأديب الإسباني "ميجيل دي سيرفانتس" (1547- 1616م)، وتُعتبر من أهم الأعمال الروائية. يسخر الكاتب فيها من ظاهرة كانت شائعة آنذاك، وهي البطولة الزائفة، والعدالة المموهة، والنفاق الذي رفع الدساسين والغشاشين والمتملقين، ويرثي للنبلاء (أمثال البطل دون كيخوتي) الذين يسعون لخير الإنسانية بوسائل عاجزة (المترجمة).

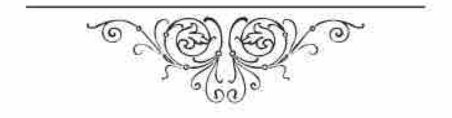
رابعًا: الخاتمة

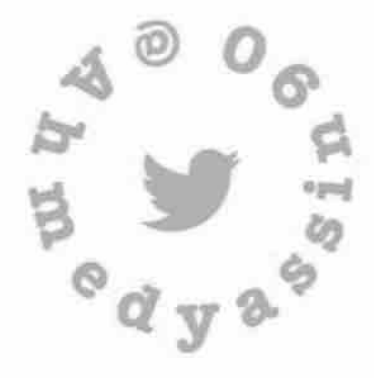
تمثل دبلوماسية الدول الكبرى بداية تخلص الصين من "حالة الضحية"، واستعادتها لثقتها ووعيها وتقديرها للدبلوماسية، كما تُعد أيضًا بداية تحمل الصين مسئوليات الدول الكبرى بما يتناسب مع مكانتها ضمن مصافّ الدول الكبرى. وإذا نظرنا إلى الأوضاع الداخلية والخارجية للصين، سنجد أن تطبيق دبلوماسية الدول الكبرى الصينية أصبح أمرًا ضروريًا؛ لأن الصين دولة كبرى، وإذا لم تطبق دبلوماسية الدول الكبرى فلن تستطيع حماية مصالحها المتنامية في كل بقاع الأرض بشكل فعّال، ولن تستطيع تحمل مسئولياتها العالمية المتزايدة. وفي ضوء ما مرت به الدبلوماسية الصينية من تجارب تاريخية فريدة، تحولت دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية من دبلوماسية للدول الصغرى إلى دبلوماسية للدول الكبرى، وهذا التحول لم ولن يسلك طريق دبلوماسية الدول الكبرى التقليدي القائم على النزعة الشوفينية أو سياسة القوة، بل سلكت الصين في ظل الظروف التاريخية الجديدة طريقًا آخر يسعى إلى تحقيق التنمية السلمية الذاتية، وفي الوقت نفسه يعمل على تعزيز مفاهيم المصالح المتبادلة والفوز المشترك والتنمية المشتركة. وفي ظل ما تفرضه العولمة من تحديات وما تقدمه من فرص، ينبغي على الصين أن تتحمل مسئولياتها وواجباتها كدولة كبرى؛ لما تتمتع به من قوة وحكمة، وعليها أن تسعى إلى تحقيق الحلم الصيني المتمثل في تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية، والإسهام في الوقت نفسه في تحقيق الحلم العالمي، ألا وهو بناء عالم متناغم. وبالتالي يمكن القول بأن طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية، يتميز بسماته الخاصة، فهو طريق دبلوماسي تسلكه الصين بعيدًا عن النزعة الشوفينية وسياسة القوة التقليدية، سعيًا إلى التنمية السلمية الذاتية، وعملاً في الوقت نفسه على تعزيز نمط سلمي جديد من دبلوماسية الدول الكبرى يدعو إلى بناء عالم متناغم.

تم نشر هذه الدراسة في العدد الثاني بالمجلد الثالث والعشرين من مجلة "المحيط الهادئ العلمية" في فبراير عام 2015.

من استراتيجية المتابعة والحذر إلى استراتيجية العمل بجد وحماسة

يان شويه تونغ




@Ahmedyassin90

ملخـص الدراسـة: منـذ عـام 2012، ذكـر باحثـون مـن الصـين ومـن خارجهـا أن السياسـات الدبلوماسـية الجديـدة التـي تُقـدم عليهـا الصـين مصيرهـا الفشـل. ولكـن بعد دراسـة متأنيـة للإنجازات التـي حققتهـا الدبلوماسـية الصينيـة خـلال العامـين الماضيـين، تـرى الدراسـة أن العلاقـات بـين الصـين والـدول الأخـرى لم تتدهـور، بـل عـلى العكـس، حققـت تحسـنًا واضحًـا. فقـد أحـرزت اسـتراتيجية "العمـل بجـد وحماسـة" الجديـدة نتائـج أفضـل مقارنـةً باسـتراتيجية "المتابعـة والحـذر" مـن حيـث خلـق بيئـة خارجيـة مواتيـة تسـاعد عـلى تحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة. تسـتند هـذه الدراسـة إلى نظريـة الواقعيـة الأخلاقيـة في تفسـير الـدور الـذي تلعبـه الاسـتراتيجية الدبلوماسـية الصينيـة الجديـدة، إيمانًـا بـأن القيـم الأخلاقيـة يمكنهـا أن ترتقـي بالقـوة السياسـية والشرعيـة السياسـية للـدول الناهضـة. ويكمـن الفـارق الجوهـري بـين اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر واسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة الجديـدة، في أن الأولى تصـب اهتمامهـا عـلى المصلحـة الاقتصاديـة، بينـما تؤكـد الثانيـة عـلى الدعـم السـياسي. ويفـسر هـذا السـببَ وراء اهتـمام الاسـتراتيجية الجديـدة بالقيـم الأخلاقيـة، بينـما تتجاهلهـا اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر. ونظـرًا لأن كل اسـتراتيجية لهـا هدفهـا الخـاص، بالتـالي تختلـف كل اسـتراتيجية عـن الأخـرى مـن حيـث السياسـة العامـة والخطـة التنفيذيـة والرؤيـة العمليـة التـي تتبناهـا. والجديـر بالذكـر أنـه حتـى وقتنـا الراهـن، تجـاوزت الإنجـازات التـي حققتهـا اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة الجديـدة تطلعـات الشـعب مـن الرئيـس شي جـين بينـغ منـذ عـام 2012. وبالتـالي يمكننـا القـول بـأن القيـادة السياسـية القويـة للرئيـس شي جـين بينـغ ربمـا تكـون أفضـل مثـال عـلى شرح نظريـة الواقعيـة الأخلاقيـة.

الكلـمات المفتاحيـة: اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر؛ اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة؛ الواقعيـة الأخلاقيـة.

الباحـث: يـان شـويه تونـغ، مديـر معهـد العلاقـات الدوليـة المعـاصرة بجامعـة تشـينغ خـوا الصينيـة.

يُعـد عـام 2010 نقطـة تحـول في الدبلوماسـية الصينيـة، سـواء مـن حيـث المكانـة الدوليـة التـي وصلـت إليهـا الصـين، أو علاقـات الصـين مـع بعـض دول شرق آسـيا. ففـي نفـس العـام، تجـاوز إجـمالي الناتـج المحـلي الصينـي نظـيره في اليابـان، لتُصبـح الصـين ثـاني أكـبر اقتصـاد في العـالم بعـد الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، بينـما توتـرت العلاقـات بـين الصـين والولايـات

المتحدة واليابان والفلبين وفيتنام، الأمر الذي أدى إلى جدال عنيف داخل الصين حول مدى جدوى استمرار استراتيجية المتابعة والحذر التي طرحها دينغ شياو بينغ بين عام 1990 و1991[1]. وفي الحقيقة، قد استمر هذا الجدال لسنوات عديدة، وفي 2013/10/24، ألقى الرئيس شي جين بينغ كلمةً مهمةً خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بشأن العلاقات الدبلوماسية مع الدول المجاورة، أعلن فيها رسميًا عن استراتيجية العمل بجد وحماسة[2]. وبالتالي تمثل هذه الكلمة نقطة تحول للدبلوماسية الصينية من استراتيجية المتابعة والحذر إلى استراتيجية العمل بجد وحماسة الجديدة. ولكن بعد نشر هذه الكلمة في وسائل الإعلام، تساءل العديد من الباحثين من الصين وخارجها: هل ستوفر استراتيجية العمل بجد وحماسة بيئة دولية أفضل للصين مقارنةً بسياسة المتابعة والحذر؟ ردًّا على هذا التساؤل، سوف تنطلق هذه الدراسة من نظرية الواقعية الأخلاقية لمناقشة الدور الذي يمكن أن تلعبه هذه الاستراتيجية الجديدة في توفير بيئة دولية مواتية تساعد على تحقيق نهضة الأمة الصينية.

1- داي بينغ قوه: "التمسك بطريق التنمية السلمية"، شبكة أنباء الصين، 2010-12-7

http/ / :www.chinanews. com/gn /2010 /12 -07 /2704985. shtml

2- تشيان تونغ: "كلمة الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة"، "صحيفة الشعب اليومية"، 2013-10-26، الطبعة الأولى. في الرابع والعشرين وحتى الخامس والعشرين من أكتوبر عام 2013، شارك الأعضاء الدائمون في المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي في هذه الندوة، والتي تُعد من أكبر المؤتمرات رفيعة المستوى في مجال السياسات الدبلوماسية منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية عام 1949. قبل عام 2006، كانت تعقد الحكومة الصينية مؤتمرات على مستوى السفراء فقط، حيث كان الرئيس الصيني أو رئيس مجلس الدولة الصيني من يتحدث في هذه المؤتمرات التي يحضرها السفراء والمسئولون الدبلوماسيون. وفي عام 2006، عُقد مؤتمر حول الأعمال الدبلوماسية، وكان أول مؤتمر دبلوماسي يحضره مسئولون وموظفون حكوميون على مستوى المقاطعات، وتحدث الرئيس هو جين تاو فيه، بينما لم يحضر باقي الأعضاء الدائمين في المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني.

أولًا: أسباب التمسك باستراتيجية المتابعة والحذر

في تسعينيات القرن العشرين، لم يشكك أحد داخل الصين في استراتيجية المتابعة والحذر التي طرحها دينغ شياو بينغ، أما دوليًّا فكان هؤلاء الذين يتبنون "نظرية التهديد الصينية" ينظرون إليها على أنها استراتيجية تسعى الصين من خلالها إلى إخفاء قوتها الحقيقية وتنتظر الوقت المناسب للانتقام. وفي عام 2002، بدأ الشك يساور بعض الباحثين الصينيين في مدى فاعلية استراتيجية المتابعة والحذر، خاصةً وأن دينغ شياو بينغ قد طرح هذه الاستراتيجية لمواجهة الأوضاع الدولية في بداية تسعينيات القرن الماضي، وبالتالي لا تتناسب مع وضع الصين الحالي في القرن الحادي والعشرين[1]. ومع ذلك، كان التيار السائد في الصين حينئذ يتمسك بهذه الاستراتيجية، ويؤكد على أهمية وضرورة التمسك بها. وبعد أن تولى رئيس الوزراء الياباني جونيتشيرو كويزومي السلطة في عام 2001، تكررت زياراته كل عام إلى ضريح ياسوكوني[2] الذي يضم رفات عدد من مجرمي الحرب اليابانيين، الأمر الذي زاد من حدة النزاع الصيني الياباني، وهكذا تصاعد التوجه الذي ينتقد نظرية المتابعة والحذر[3]. ولكن كان هناك أمر مثير للريبة، رغم تزايد الانتقادات في الصين حول هذه الاستراتيجية، على الجانب الآخر، كانت هناك أصوات متزايدة في الخارج تدعم هذه الاستراتيجية، كان من بينها هؤلاء الذين كانوا يعتبرون استراتيجية المتابعة

1- يه تسي تشنغ، "حول استراتيجية المتابعة والحذر وآفاقها المستقبلية: مناقشة دبلوماسية الدول الكبرى الصينية"، مجلة المحيط الهادئ العلمية، عدد 1، 2002، ص66-62.

2- ضريح ياسوكوني (Yasukuni Shrine) هو ضريح يقع في طوكيو اليابان، وقد أنشأه الإمبراطور ميِجي لتكريم مَن توفوا من أجل خدمة إمبراطورية اليابان ابتداءً من حرب بوشين عام 1867 حتى الحرب العالمية الثانية. ويُذكر أن الضريح يضم رفات بعض من هؤلاء الذين توفوا خلال الحرب العالمية الثانية، بما فيهم 14 من كبار الضباط اليابانيين الذين أُدينوا كمجرمي حرب بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ويزور الضريح القادة والسياسيون اليابانيون، كجزء من طقوس ديانة منتشرة في اليابان تسمى شينتو، الأمر الذي يثير جدلًا واسعًا. وتستنكر الصين تكرار زيارات المسئولين والسياسيين اليابانيين لهذا الضريح، باعتبار هذا الضريح رمزًا للعدوان والحرب التي شنتها اليابان ضد جيرانها، وبالتالي فإن تكرار هذه الزيارات يعد محاولة لطمس الحقائق بشأن الغزو الياباني، وتجسيدًا للموقف الخاطئ الذي تصر اليابان على تبنيه إزاء التاريخ (المترجمة).

3- خه تسونغ تشيانغ، "الفلسفة الدبلوماسية الجديدة: العالم يدعم استراتيجية المتابعة والحذر الصينية"، جريدة "تقارير عالمية في القرن الحادي والعشرين"، 2013-1-2، http: / /news. sohu. com/73 /53 /news205415373. Shtml؛ شينغ يويه، تشانغ جي بينغ، "تأملات في استراتيجية المتابعة والحذر وبناء واجهة دولية للصين"، مراجعة دولية International review، يونيو 2006، ص 19-13.

والحذر "مؤامرة" صينية. ولكن بصفة عامة، يمكن القول بأن معظم الشعب الصيني كان يدعم استراتيجية المتابعة والحذر على مدار العشرين عامًا الماضية، وحتى بعد أن طرح الرئيس الصيني شي جين بينغ استراتيجية العمل بجد وحماسة، ظلت هناك أصوات قوية تتمسك بشدة باستراتيجية المتابعة والحذر.

1. تفسيرات الدوائر السياسية:

يؤمن العديد من الشخصيات في الدوائر السياسية الصينية بضرورة استمرار الصين في التمسك باستراتيجية المتابعة والحذر، حتى إن بعض الدبلوماسيين المخضرمين يعتبرون هذه الاستراتيجية بمثابة حجز الزاوية في السياسات الدبلوماسية الصينية. وقد صرح أحد الدبلوماسيين قائلاً: ينبغي على الصين تطبيق استراتيجية المتابعة والحذر لمدة مائة عام على الأقل؛ لأن الصين لا تزال دولة ضعيفة، ولا يزال أمامها طريق طويل لتحقيق حلم النهضة الصينية[1].

وتعد مقالة السيد داي بينغ قوه عضو مجلس الدولة الصيني المنشورة عام 2010 آخر التفسيرات المقدمة من المسئولين رفيعي المستوى في الحكومة الصينية حول استراتيجية المتابعة والحذر. وتشير الفكرة الأساسية في المقالة إلى أنه إذا تخلت الصين عن استراتيجية المتابعة والحذر، فلن تستطيع الحفاظ على بيئة سياسية سلمية تساعدها على تحقيق التنمية الاقتصادية. كما ذكرنا سلفًا، طُرحت استراتيجية المتابعة والحذر للمرة الأولى على يد الزعيم دينغ شياو بينغ في بداية تسعينيات القرن العشرين[2]. ووفقا للمقالة، يتلخّص مفهوم استراتيجية المتابعة والحذر في "التواضع والحذر، عدم السعي إلى الريادة، أو إعلاء الراية، أو التوسع، أو الهيمنة، وهو ما يتوافق فكريًا مع مفهوم طريق التنمية السلمية"[3]. المقصود من "عدم السعي إلى الريادة" و"عدم إعلاء الراية" أن

-1 وو تشينغ تساي، لي جينغ، "وو جيان مين يتحدث عن التغيرات في الدبلوماسية الصينية على مدار ستين عامًا: تطبيق استراتيجية المتابعة والحذر سيستمر 100 عام"، شبكة أنباء الصين،
http/ / :www .chinanews .com/gn/ news .1713676/ 01 06/ 2009/ shtml1-6-2009،

-2 "مختارات دنغ شياو بينغ المجلد الثالث (1992-1982)"، بكين، دار النشر للغات الأجنبية، 1994، ص 350. مجلة العلوم السياسية الدولية (عدد 4 - 2014)

-3 داي بينغ قوه، "التمسك بطريق التنمية السلمية"، شبكة أنباء الصين،
http/ / :www.chinanews .com/gn .2704985/ 07 12/ 2010/ shtml7-12-2010،

الصين لن تتحدى الولايات المتحدة في قيادة العالم، وستتجنب ذلك التنافس الصفري[1] بين الصين سعيًا لتحقيق نهضة الأمة الصينية، والولايات المتحدة عازمةً على تبوء مكانة قيادية عالمية قد حظيت بها بالفعل بعد انتهاء الحرب الباردة دون أن يتجرأ أحد على منازعتها فيها، ما يمنع الولايات المتحدة عن تركيز قواها في كبح نهضة الصين لتصبح قوة عظمى عالميًا. ومعنى أن الصين لا تسعى إلى "التوسع" أو "الهيمنة"، أنه لا داعي لقلق دول العالم من النمو السريع لقوة الدولة الصينية. وكان الرئيس هو جين تاو هو من طرح مفهومي "التواضع والحذر" و"التنمية السلمية". والجدير بالذكر هنا أنه تم تقديم مفهوم "التواضع والحذر" على باقي المفاهيم الأخرى تجنبًا لأي سوء فهم لهذه الاستراتيجية.

ولكن يمكن تفنيد هذه التفسيرات السابقة من ثلاثة جوانب. أولًا: لقد تزايدت الضغوط الدولية على الصين بعد انعقاد أولمبياد بكين عام 2008، وطالب المجتمع الدولي الصين بتحمل مسئوليات أكبر في القضايا الأمنية. واتهمت الدول المتقدمة وكذلك الدول النامية الصين بأنها "سلبية" و"غير مسئولة". كما فسّروا فكرة "عدم التطلع إلى الريادة" بأنها عذر تطلقه الصين رفضًا لمساهمتها في قضايا الأمن الدولية التي لا تمسها بصفة خاصة، ويعتقدون أيضًا أن الصين تضع نفسها وسط صفوف الدول النامية حتى لا يتوجب عليها تقديم الدعم الاقتصادي لهذه الدول. ثانيًا: في عام 2010، بدأت حكومة أوباما تطبيق استراتيجية "إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ"، محاولةً معادلة التوازن الذي حققته الصين في منطقة شرق آسيا. وبالتالي يرى البعض أن استراتيجية المتابعة والحذر لن تستطيع منع الولايات المتحدة من اعتبار الصين منافسًا استراتيجيًا أساسيًا لها. ثالثًا: في عام 2009، اندلعت من جديد النزاعات بين الصين واليابان والفلبين وفيتنام على الحقوق والمصالح البحرية، مما يعكس عجز هذه الاستراتيجية عن إرضاء دول الجوار. ويتضح لنا من الحقائق السابقة عجز استراتيجية المتابعة والحذر عن توفير البيئة الدولية المواتية للصين. كما أن تفسير استراتيجية المتابعة والحذر بأنها استراتيجية مبنية على "التواضع والحذر" يعكس في حد ذاته مأزقين وقع فيهما واضعو السياسات الصينيين، فمن ناحية انخفضت فاعلية استراتيجية المتابعة الحذر بشكل واضح؛ ومن

1- التنافس الصفري: عندما ترى دولة أو منظمة، دولة أو منظمة أخرى تمنعها من تحقيق أهدافها، ينشب بينها التنافس أو الصراع الصفري الذي يؤدي إلى التصادم والعدوانية، لأنه ينتهي بفوز طرف واحد فقط وخسارة الطرف الآخر كل شيء(المترجمة).

ناحية أخرى سوف تكون هناك صعوبات هائلة أمام تخلي الصين عن هذه الاستراتيجية .

2. دفاع الأوساط العلمية المحلية:

حظيت استراتيجية المتابعة والحذر خلال السنوات الماضية بالتأييد من قِبَل عدد كبير من الباحثين الصينيين، في حين أنها تواجه اليوم تحديات كثيرة. فكما ذكرنا سلفًا، إن الولايات المتحدة طبقت في عام 2010 استراتيجية "إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ"، في محاولة لكبح النهضة الصينية. وفي نفس العام، اشتعلت النزاعات بين الصين واليابان على سيادة جزر دياويو، واحتجزت الحكومة اليابانية سفن صيد صينية كانت بالقرب من هذه المنطقة. الأمر الذي أثار جدلًا واسعًا بين الباحثين الصينيين حول مدى جدوى استمرار تطبيق استراتيجية المتابعة والحذر. وفي أواخر عام 2011، نشرت صحيفة "جلوبال تايمز الصينية" مناظرات علنية حول تلك الاستراتيجية[1]. ورغم التوتر المتزايد في العلاقات بين الصين والولايات المتحدة واليابان، كان لا يزال هناك العديد ممن يدعمون موقف الصين الرسمي ويدافعون عن استراتيجية المتابعة والحذر. على سبيل المثال السيد تشين يا تشينغ عميد المعهد الدبلوماسي وزعيم المدرسة البنائية في نظريات العلاقات الدبلوماسية الدولية الصينية، الذي ظل يؤكد على مدار سنوات عديدة ضرورة التمسك باستراتيجية المتابعة والحذر. وتنتمي وجهة نظره هذه إلى المدرسة البنائية التقليدية، التي تهتم بدور الثقافة الصينية في مقابل دور القوة المادية[2].

إلى جانب تشين يا تشينغ، كان هناك في الفترة بين عامي 2011 و2012 عدد من الباحثين البارزين في الشؤون الدولية من جامعات بكين وفودان وجامعة الشعب الصينية، يدعمون أيضًا ضرورة استمرار الصين في استراتيجية المتابعة والحذر، منهم وانغ جي

1- مناظرات بين المتخصصين حول "استراتيجية المتابعة والحذر": لا تستبعد النهضة السلمية استخدام القوة في مقاومة الاحتلال، الشبكة العالمية، 2011-11-17،

http/ / :china .huanqiu .com/roll .2273974/ 12 2011/ html

2- تشو تشاو جيون، "لقاء خاص مع تشين يا تشينغ: اهتمام الدبلوماسية الصينية بتوجهات الساحة المختلفة بعد المؤتمر الوطني السابع عشر للحزب الشيوعي الصيني"، شبكة صحيفة الشعب،

http/ / :cpc .people .com .cn/ GB .6369987/ 64099/ 64093/html.21-10-2007؛

وانغ تشاو: "الجمود هو أكثر ما يضر الذات"، شبكة سو هو، 2013-1-1، http/ / :roll .sohu .com/ 20130101/n362170348. shtml.

سي، عميد كلية العلاقات الدولية بجامعة بكين، الذي يعتقد أن تعاظم قوة الدولة الصينية أمر ظاهري فحسب، ففي الحقيقة لا تزال الصين دولة صغيرة وضعيفة، وبالتالي عليها أن تتمسك باستراتيجية المتابعة والحذر[1]. ويرى شن دينغ لي، نائب مدير مركز الدراسات الدولية بجامعة فودان بشنغهاي، أنه من الخطأ التخلي عن استراتيجية المتابعة والحذر، فالنهضة الصينية عملية تستوجب وقتًا طويلاً؛ وبالتالي ينبغي أن تستمر استراتيجية المتابعة والحذر وقتًا طويلا أيضًا[2]. ويعتقد جين تسان رونغ، نائب عميد كلية العلاقات الدولية بجامعة الشعب الصينية، أنه يجب على الصين أن تتمسك باستراتيجية المتابعة والحذر؛ لأن هذه الاستراتيجية سوف تساهم في تحسين الظروف الخارجية، وهو ما يساعد الصين على تركيز جهودها على بناء الدولة[3]. وتعد جامعات بكين وفودان وجامعة الشعب الصينية أولى الجامعات الصينية التي أسست تخصص السياسة الدولية بتوجيه من السيد شو إن لاي رئيس الوزراء الصيني عام 1964. وبحسب تصنيف وزارة التعليم الصينية في عام 2012، تُعتبر هذه الجامعات أفضل ثلاث جامعات في مجال السياسة الدولية على مستوى الصين[4].

وبالرغم من أن المختصين السالف ذكرهم ينتمون إلى مدارس مختلفة، إلا أن وجهات نظرهم متقاربة للغاية. فاتفقوا جميعًا على أن الصين أضعف من الولايات المتحدة، وبالتالي عليها أن تتمسك باستراتيجية المتابعة والحذر، لتتجنب الصدام المباشر مع الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن لا يخلو هذا الرأي من القصور. فمنذ عام 1990، ظلت استراتيجية المتابعة والحذر سياسة ثابتة في الدبلوماسية الصينية، ولكن عجز هذا الثبات عن تفسير التغير المستمر في العلاقات الصينية الأمريكية. بعد انتهاء الحرب الباردة، تعرضت العلاقات الصينية الأمريكية لأزمات كثيرة، على سبيل المثال: حادث سفينة نهر المجرة

1- وانغ جي سي: "الصين من القضايا الدولية والفكر الاستراتيجي وراء استراتيجية المتابعة والحذر"، مجلة "دراسات حول القضايا الدولية"، عدد 2، 2011، ص 4.

2- شن دينغ لي: "كلمتي في مؤتمر جلوبال تايمز السنوي"، المكتبة الشخصية على شبكة
http/ / :www360 .doc .com/content .179318980 _3163972/ 11/ 0114/ 12/ shtml360doc ،14-1-2012 ،

3- جين تسان رونغ: "الدول الكبرى الناضجة متعقلة - معركة بالعقل والقوة وليس اختصامًا"، "شبكة الشعب"
http/ / :theory .people .com .cn/ n/ 0917/ 2012/ c40531 .1 19025384 html،17-9-2012 ،.

4- مركز الدرجات العلمية بوزارة التعليم الصينية: التصنيف العلمي لمؤسسات التعليم العالي: 0302 العلوم السياسية (2012)"، شبكة سينا الصينية،
http/ / :edu .sina .com .cn/ kaoyan .1112370365/ 29 01 2013/ ،29-1-2013

عـام 1993[1]، وحـادث انفجـار السـفارة الصينيـة في جمهوريـة يوغوسـلافيا الاتحاديـة في 1999، وحادث تصـادم الطائـرات الصينيـة والأمريكيـة فـوق جزيـرة هاينـان عـام 2001[2]، بالإضافـة إلى المواجهـة بـين الصـين والولايـات المتحـدة في مؤتمـر كوبنهاجـن لتغـير المنـاخ عـام 2009. وتعكـس هـذه الوقائـع أنـه عـلى الرغـم مـن تمسـك الصـين باسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، فالولايـات المتحـدة مـع ذلـك لا تنـوي التخـلي عـن سياسـة المواجهـة ضـد الصـين، وتُعـد اسـتراتيجية "إعـادة التـوازن" التـي طبقهـا الرئيـس أوبامـا عـام 2010 خـير شـاهد عـلى ذلـك.

3. الدعم الدولي:

منـذ عـام 2010، بـدأ العديـد مـن الباحثـين الأجانـب، وخاصـةً الأمريـكان، ينظـرون بقلـق حيـال احتماليـة تخـلي الصـين عـن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر. وفي تسـعينيات القـرن العشريـن، كان العديـد مـن الباحثـين الأجانـب يـرون أن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر مـا هـي إلا "مؤامـرة" صينيـة، حيـث كانـت قـوة الدولـة الصينيـة آنـذاك أضعـف كثـيراً مـما كانـت عليـه في أعقـاب عـام 2010. وبعـد المواجهـة الحـادة التـي حدثـت بـين وزيـر الخارجيـة الصينـي يانـغ جيـه تـشي ووزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة هيـلاري كلينتـون خـلال منتـدى اتحـاد دول جنـوب شرق آسـيا في يوليـو عـام 2010، بـدأ المتخصصـون الأجانـب يتهمـون الصـين بـأن سياسـتها "صارمـة" (assertive)، ووجهـوا لهـا النصـح بـألا تتخـلى عـن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر. وحتـى جـون ميرشـايمر، الباحـث الشـهير في الواقعيـة الهجوميـة، كان يعتقـد أيضًـا أن عـلى الصـين أن تسـتمر في اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر. قـال ميرشـايمر: "إن الـدول المجـاورة تخـشى النهضـة الصينيـة؛ لـذا تريـد عرقلتها. إن كان مـن صلاحياتي أن أنصـح القادة

1- سفينة نهر المجرة: هي سفينة تحمل حاويات شحن صينية تنطلق عادةً من ميناء شينجانغ بمدينة تيانجين الصينية إلى عدة موانئ مثل ميناء شنغهاي وهونغ كونغ وسنغافورة وجاكارتا ودبي والكويت. في عام 1993، اتهمت الحكومة الأمريكية هذه السفينة بحمل أسلحة كيميائية تنوي تصديرها إلى إيران. ورغم نفي الصين لهذه الأنباء، فإن الولايات المتحدة أصرّت على تفتيش السفينة، وتم تفتيشها بالفعل في السعودية على يد فريق سعودي- أمريكي مشترك، وتبين بعد التفتيش أن السفينة لا تحمل أسلحة كيميائية، ومع ذلك رفضت الحكومة الأمريكية الاعتذار (المترجمة).

2- في 1 إبريل عام 2001، حلقت طائرة استطلاع تابعة للبحرية الأمريكية، وبينما كانت هذه الطائرة تمارس عملها، قام قائدها بالدخول إلى الحدود الإقليمية الصينية، فحاصرتها طائرتان صينيتان من الجانبين الأيمن والأيسر. وعندما اقتربت إحدى الطائرات الصينية من الطائرة الأمريكية لإجبارها على الهبوط، اصطدمت الطائرة المقاتلة الصينية، ما أدى إلى تحطمها وغرقها وفقدان طيارها وهبوط الطائرة الأمريكية اضطراريًا في مطار جزيرة هاينان الصينية وسلامة طاقمها المكون من 24 فردًا (المترجمة).

الصينيين لقلت لهم أن يتوخوا الحذر، وأن يستمروا في التمسك باستراتيجية المتابعة والحذر. فلا يزال أمام الصين المزيد من الوقت، ولا داعي الآن لإثارة الجلبة"[1]. وأضاف أنه: "كلما تعاظمت قوة الصين، صار من الصعب أن توطد علاقاتها مع الدول الأخرى مهما فعلت"[2].

وقد عكست آراء جون ميرشايمر ذلك التناقض الموجود في وجهات نظر العديد من الباحثين الأجانب. فمن ناحية، اتهموا استراتيجية المتابعة والحذر بأنها "مؤامرة" قد خطتها الحكومة الصينية لإخفاء قواها الحقيقية، ومن ناحية أخرى انتقدوا الصين لاتخاذها سياسات أخرى إيجابية بدلًا من استراتيجية المتابعة والحذر[3]. ولكن في الحقيقة تمثل النهضة الصينية في أعقاب الحرب الباردة تهديدًا بالنسبة لمعظم المحللين الاستراتيجيين، سواء تمسكت الصين باستراتيجية المتابعة والحذر أو تخلت عنها. ولكن من الواضح أن هذه الآراء كلها لا تزال تعجز عن تفسير السبب وراء تحسن علاقات الصين مع العديد من الدول بعد أن طبّقت سياسات استراتيجية أكثر إيجابية في أعقاب عام 2010. ففي عام 2013، عززت الصين من علاقاتها مع معظم الدول المجاورة باستثناء اليابان والفلبين، وهي ظاهرة تعجز الآراء السابقة عن تفسيرها. وفي ديسمبر عام 2013، اتخذت الصين سياسة صارمة غير مسبوقة حيال زيارة رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي لضريح ياسوكوني؛ حيث قال المتحدث الرسمي باسم وزير الخارجية حينئذ: "لقد أغلق شينزو آبي أي باب للحوار مع القيادة الصينية"[4]. مما يعني أنه لن تكون هناك أية لقاءات رسمية تجمع بين القادة الصينيين والقادة اليابانيين ما دام شينزو آبي في السلطة. ولقد صعّدت هذه السياسات الصينية الصارمة من النزاعات الدبلوماسية بين الصين واليابان، ومع ذلك كان هناك نتائج إيجابية، فقد وجّه المجتمع الدولي انتقادات لاذعة للحكومة اليابانية. ولم تكن وسائل الإعلام الغربية فقط من وجهت النقد لليابان،

1- يان شويه تونغ، جون ميرشايمر: "هل ستستطيع الصين تحقيق النهضة؟"، شبكة جونغ شي، http: / /www. 21ccom. net /articles /qqsw/zlwj /article_ 2013110594793. html ،5-11-2013

2- يان شويه تونغ، جون ميرشايمر: "هل ستستطيع الصين تحقيق النهضة؟".

3- David Pelling, "No One is Immune from Beijing's 'Gravity Machine'", Financial Times, December 11, 2013, http://www.Ft.com/intl/comment/columnists /davidpilling.

4- "FM: Abe Shut Door on Dialogue with China,"January 7,2014,http: / /news. xinhuanet. com/english /video /2014 01 /07 /c_ 133024577. htm.

بـل حتـى الحكومـة الأمريكيـة، التـي تُعتـبر أهـم حلفـاء اليابـان، أمـرت سـفيرها لـدى طوكيـو بـأن يصـدر بيانًـا رسـميًّا يعـرب فيـه عـن "خيبـة أمـل" الولايـات المتحـدة حيـال الحكومـة اليابانيـة[1]. ولقـد كان هـذا الموقـف الأمريـكي الأول مـن نوعـه.

طبقًـا لمنطـق داعمـي اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، كان ينبغـي أن تمنـع هـذه الاسـتراتيجية شـينزو آبي مـن زيـارة ضريـح ياسـوكوني، ولـو كانـت السياسـة الصينيـة حيـال اليابـان عـلى تلـك الدرجـة مـن الصرامـة، لتسـبب ذلـك في توطـد العلاقـة بـين الولايـات المتحـدة واليابـان، ولدعمـت الولايـات المتحـدة اليابـان في هـذه القضيـة. ولكـن حـدث عكـس ذلـك. ومـن ثـم يجـب أن نفهـم أنـه أحيانًـا لا تتفـق التوقعـات النظريـة مـع الممارسـة الفعليـة. فيجـب علينـا أن نتمتـع برؤيـة نظريـة جديـدة، تسـاعدنا عـلى فهـم الـدور الحقيقـي الـذي يمكـن أن تلعبـه اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر في العـصر الجديـد، وعلاقتهـا باسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة.

1- Takashi Oshima,"U. S. Expresses Disappointment at Abe Visit to Yasukuni Shrine,"The AsashiShimbun, December 27, 2013, http: / /ajw. asahi. com/article /behind_ news /politics /AJ201312270048.

ثانيًا: الإطار النظري

بعد أن تحولت الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية من استراتيجية المتابعة والحذر إلى استراتيجية العمل بجد وحماسة على يد الرئيس شي جين بينغ، أخذ العديد من المتخصصين في العلاقات الدولية من الخارج يتنبئون بنتائج هذا التحول. ومع ذلك لم تأخذ هذه التنبؤات، مع اختلافها، في عين الاعتبار البيئة الدولية التي تخلقها كل استراتيجية، ولم تحلل تأثيرات هاتين الاستراتيجيتين المختلفة على السياسة العالمية. وحتى نستطيع استيضاح أي من هاتين الاستراتيجيتين يمكنها أن تقدم بيئة دولية مواتية لتحقيق النهضة الصينية في ظل الثنائية القطبية التي يشهدها العالم، ينبغي أولًا أن نستوضح الدور الذي تلعبه كل استراتيجية. سوف تتخذ الدراسة من الواقعية الأخلاقية إطارًا نظريًّا، وتركز على تحليل تأثير استراتيجية العمل بجد وحماسة على العلاقات بين الصين والولايات المتحدة ودول أوروبا والدول النامية واليابان.

1. الواقعية الأخلاقية: زاوية رؤية تحليلية جديدة:

يعتمد التحليل في هذه الدراسة على ثلاث فرضيات أساسية في النظرية الواقعية: أولًا: تُعد الأناركية سمة طبيعية في الأنظمة الدولية، وبالتالي لا يمكن تجنب الأزمات الأمنية. ونظرًا إلى أن الفجوة بين قوة إحدى الدول وقوة الدولة المقابلة لها شديدة الحساسية، بالتالي يصعب على ثاني أكبر دولة عالميًّا إخفاء قوتها الحقيقية في ظل الأنظمة الدولية ثنائية القطبية. ثانيًا: هدف السياسات الدبلوماسية يتمثل في تحقيق المصالح الوطنية، وتُعد السلطة الدولية إحدى أهم المصالح الوطنية التي تسعى لها الدول الكبرى. كما أن المكانة الدولية للدولة هي التي تحدد ترتيب أولوية المصالح الوطنية لديها. فبالنسبة لثاني أكبر دولة في العالم، يُعد تحقيق التعادل مع القوة العظمى الأولى عالميًّا، وزيادة حلفائها الاستراتيجيين، أكثر أهمية من تحقيق المصلحة الاقتصادية. ثالثًا: يُعد التنافس على السلطة الدولية صراعًا صفريًّا، وبالتالي لا يمكن تجنب التناقضات الهيكلية بين دولة صاعدة وأخرى مهيمنة. وعندما لا تفلح استراتيجية الاندماج بين هاتين الدولتين، يتحول

التنافس الاستراتيجي بينهما إلى تنافس على كسب عدد أكبر من الحلفاء.

وتفـترض الدراسـة أن اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة بإمكانهـا جـذب حلفـاء أكـثر، مقارنـةً باسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، مـما يخـدم هـدف تحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة بشـكل أفضـل. كـما أن أحـد أهـم الـشروط التـي تضمـن نجـاح نهضـة الـدول الكـبرى هـو بنـاء قـدرة قياديـة دوليـة تقـوم عـلى الثقـة الاسـتراتيجية التـي يمكـن الاعتـماد عليهـا. وعـلى هـذا، إذا لم تسـتطع دولـة كـبرى ناهضـة تقديـم ضمانـات أمنيـة ومكاسـب اقتصاديـة لغيرهـا مـن الـدول، خاصـةً الـدول المجـاورة، فستعجز عـن بنـاء مصداقيتهـا الاسـتراتيجية الدوليـة. وتركـز اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر عـلى التنمية الاقتصاديـة التـي تتحقـق مـن خـلال التعـاون الاقتصـادي مـع الـدول الأخـرى، بينـما تهدف اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة إلى تعزيـز العلاقـات مـع عـدد أكـبر مـن الـشركاء الاسـتراتيجيين عـن طريـق السـماح للـدول الأخـرى بالاسـتفادة مـن تجـارب التنميـة الصينيـة. وبالتـالي فـإن اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة سـوف تسـاعد بشـكل أفضـل عـلى تحقيـق الهـدف الاسـتراتيجي الصينـي، ألا وهـو تحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة.

وتهتـم الدراسـة أولًا بتحليـل مواضـع الاختـلاف بـين اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر واسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة، وبعـد ذلـك سـوف تتنـاول تقييـم تأثـير هاتـين الاسـتراتيجيتين عـلى السياسـيات الدبلوماسـية الصينيـة، وإن كان يصعـب عـلى هـذه الدراسـة تحديـد اللحظـة الزمنيـة المحـددة التـي شـهدت تحـول الاسـتراتيجية الدبلوماسـية الصينيـة مـن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر إلى اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة الجديـدة. ففـي نوفمـبر عـام 2012، انتُخـب شي جـين بينـغ سـكرتيراً عامًّـا للجنـة المركزيـة للحـزب الشـيوعي الصينـي، إلا أنـه كان قـد شـارك في وقـت سـابق في وضـع السياسـات الدبلوماسـية الصينيـة. ففـي فبرايـر عـام 2012، طـرح شي جـين بينغ خـلال زيارتـه إلى الولايـات المتحدة كنائـب رئيـس الدولـة فكـرة بنـاء "نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى"، أي بـين الصـين والولايات المتحـدة[1]. وفي السـابع مـن يوليـو، ألقـى الرئيـس شي جـين بينـغ كلمـةً حـول السياسـات الأمنيـة الصينيـة خـلال الـدورة الأولى مـن منتـدى السـلام العالمـي المنعقـد في جامعـة تشـينغ هـوا الصينيـة.

1- شي جين بينغ: "نحو غد أفضل لعلاقات التعاون والشراكة بين الصين والولايات المتحدة"، شبكة الشعب، 2012-2-17،
http/ / :theory .people.com.cn/ GB.17137277/html

حيث قال شي جين بينغ: "إذا أرادت أي دولة تحقيق التنمية الذاتية، فعليها أن تضمن التنمية للآخرين؛ وإذا أرادت أن تحقق أمنها الذاتي، فيجب أن تضمن الأمن للآخرين؛ وإذا أرادت أن تعيش حياة كريمة، فيجب أن تضمن حياة كريمة للآخرين"[1]. وهكذا أصبحت مبادرة بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى وتحقيق الفوز المشترك من أهم مكونات استراتيجية العمل بجد وحماسة الدبلوماسية التي طرحها شي جين بينغ.

وبعد أن تولى شي جين بينغ مهام الرئيس في مارس عام 2013، نُشرت ثلاث وثائق مهمة ساهمت في تفسير استراتيجية العمل بجد وحماسة بشكل واضح. كانت الوثيقة الأولى هي كلمة وزير الخارجية الصيني وانغ يي في شهر يوليو خلال الدورة الثانية من منتدى السلام العالمي، والوثيقة الثانية هي مقال نشره عضو مجلس الدولة الصيني يانغ جيه تشي في دورية "تشيو شه (البحث عن الحقيقة)" الصينية في أغسطس، والوثيقة الثالثة هي تقرير "صحيفة الشعب اليومية" في السادس والعشرين من أكتوبر عن كلمة الرئيس شي جين بينغ حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة. تختلف استراتيجية العمل بجد وحماسة التي أطلقها الرئيس شي جين بينغ في كلمته مفهوميًا وأيضًا لغويًا عن استراتيجية المتابعة والحذر. ومع ذلك، لا تعتبر هذه الدراسة كلمة الرئيس شي جين بينغ بمثابة نقطة تحول للسياسات الدبلوماسية الصينية من استراتيجية المتابعة والحذر إلى استراتيجية العمل بجد وحماسة، بل نعتقد في هذه الدراسة أن هذه الكلمة قد وضعت أساسًا شرعيًا لهذا التحول. وحتى نتمكن من فهم استراتيجية العمل بجد وحماسة، يجب علينا أولًا أن نحلل الوثائق الثلاثة سالفة الذكر تحليلًا جادًا.

ستقوم الدراسة أولًا بتمييز الفروق بين هاتين الاستراتيجيتين، وسوف تستخدم أربعة نماذج لاختبار فرضيات الدراسة. وهذه النماذج الأربعة كالآتي: العلاقات الصينية الأمريكية، العلاقات بين الصين وأهم الدول الكبرى في أوروبا، العلاقات بين الصين والدول النامية، العلاقات بين الصين واليابان في الفترة بين 2012 و2013. كما ذكرنا سلفًا، في فبراير عام 2012، طرح الرئيس شي جين بينغ مفهوم بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى، أي بين الصين والولايات المتحدة. وبالتالي سوف تستند الدراسة إلى العلاقات بين

1- Xi Jinping, “Work Together to Maintain World Peace and Security”, Foreign Affairs Journal, No. 5, 2013, p. 3.

الصين وبعض الدول المهمة في الفترة بين عام 2012 و2013 في اختبار تأثير استراتيجية العمل بجد وحماسة، وسوف يستند إلى العلاقات الثنائية بين الصين وغيرها من الدول في الفترة بين عام 2000 و2011 لاختبار تأثير استراتيجية المتابعة والحذر على الدبلوماسية الصينية. سوف يختبر نموذج العلاقات الصينية الأمريكية مدى فاعلية استراتيجية المتابعة والحذر واستراتيجية العمل بجد وحماسة في الحفاظ على استقرار العلاقات الثنائية في ظل التناقضات الهيكلية القائمة بين دولة صاعدة (الصين) ودولة أخرى تتمتع بالهيمنة (الولايات المتحدة). وسوف يختبر نموذج العلاقات الصينية الأوروبية الدور الذي تلعبه استراتيجية العمل بجد وحماسة في توطيد التعاون الاستراتيجي بين الصين وأهم الدول الكبرى. وسوف يختبر نموذج العلاقات بين الصين والدول النامية فاعلية استراتيجية العمل بجد وحماسة في تقليل خوف الدول الأقل قوة من دولة أخرى صاعدة. وسوف يختبر نموذج العلاقات الصينية اليابانية صحة وجود علاقة سبب ونتيجة بين تطبيق استراتيجية العمل بجد وحماسة وتدهور العلاقات الصينية اليابانية.

واستنادًا إلى نمط التحليل النوعي، سوف تقوم الدراسة أيضًا بتحليل كمي للعلاقات الصينية الأمريكية، والصينية الأوروبية، والصينية اليابانية. وترجع البيانات المستخدمة في هذه الدراسة إلى قاعدة بيانات مركز أبحاث العلاقات الدولية المعاصرة بجامعة تشينغ هوا. ولكن نظرًا لعدم توفر بيانات عن العلاقات بين الصين والدول النامية في قاعدة البيانات المذكورة، اعتمدت الدراسة على نمط التحليل النوعي في معالجة هذا النوع من العلاقات.

2. المصداقية الاستراتيجية والأخلاقيات الدولية:

ترى الدراسة أن سعي الصين لبناء مصداقية استراتيجية دولية عنصر جوهري في بناء بيئة دولية أفضل تساهم في تحقيق نهضة الأمة الصينية. ففي خلال العشرين عامًا الماضية، نجحت استراتيجية المتابعة والحذر في توفير بيئة دولية مواتية لتحقيق التنمية الاقتصادية الصينية، وليس لتحقيق نهضة الأمة الصينية. وفي الفترة بين عام 1992 و2011، ارتفع إجمالي حجم التجارة الخارجية الصينية من نسبة 0.02% إلى 10%

من إجمالي حجم التجارة العالمية[1]. ولكن عجزت تلك البيئة الدولية، التي ساعدت على تحقيق التنمية الاقتصادية، عن جذب مزيد من الحلفاء الاستراتيجيين للصين، ولم تسهم في تحقيق تحسن جوهري في العلاقات بين الصين وغيرها من الدول، كما لم تساعد الصين على تكوين صورة دولية جيدة، وبالتالي ظلت "نظرية التهديد الصينية" قائمة لفترة طويلة. ومن ثم، إن لم تستطع الصين بناء صورة دولية إيجابية استنادًا إلى مصداقية استراتيجية دولية، فستعجز عن تحقيق هدفها، وهو تحقيق نهضة الأمة الصينية. ومن هنا اكتسبت استراتيجية العمل بجد وحماسة، التي تؤكد على المصداقية الاستراتيجية، أهميةً كبيرةً في بناء بيئة دولية مواتية تساعد على تحقيق نهضة الأمة الصينية.

تُعد المصداقية الاستراتيجية أقل مستويات الأخلاقيات الدولية. يقول الحكيم الصيني شيون تسي: "بالأخلاق الحميدة يستقيم الحكم، وبالمصداقية تأتي القوة"[2]. وطبقًا لوجهة نظر شيون تسي، إذا أرادت الدولة التمتع بقدرة قيادية دولية معترف بها من الدول الأخرى، فيجب على أقل التقدير أن تحظى على مصداقية استراتيجية. يعتقد بعض المتخصصين أن الباحث ينتمي إلى مدرسة الواقعة الأخلاقية، لأنه يؤمن بأن الصين لن تستطيع الانتصار على الولايات المتحدة في ظل ذلك التنافس الاستراتيجي الدائر بين الدولتين على تبوء مكانة قيادية دولية، إلا إذا طبقت الصين استراتيجية الحكم بالفضيلة[3]. في حين يرى الكثيرون أنه لا ينبغي على النظريات الواقعية الاهتمام بدور الأخلاق في السياسة الدولية. قد تتفق هذه الرؤية مع مدرسة الواقعية البنائية والواقعية الهجومية، لكنها تتعارض بالتأكيد مع رأي المنتمين إلى المدرسة النظرية الكلاسيكية، فعلى سبيل المثال نجد مبدأين من المبادئ الستة للواقعية السياسية التي طرحها هانز مورغنثاو، مؤسس الواقعية في العلاقات الدولية، يتناولان المفهوم الأخلاقي. كما نجد أبوابًا وفصولًا مخصصة لمناقشة الأخلاقيات الدولية في كتاب "السياسة بين الأمم: النزاع على السلطة والسلام"، الذي يُعد أكثر الكتب شهرة لهانز مورغنثاو. وقد نبه هانز في هذا الكتاب القراء إلى أهمية الدور الذي تلعبه الأخلاقيات الدولية في السياسة الدولية،

1- انظر:

http/ / :unctadstat .unctad .org

2- تفسير سون آن بانغ وما ين خوا لـ"شيون تسي"، تاي يوان، دار شانشي للكلاسيكيات، 2003، ص115.

3- Zhang Feng, "Tsinghua Approach and the Inception of Chinese Theories of International relations", Chinese Journal of International Politics, Vol. 5, No. 1, 2012, p. 96.

ولكـن مـن المحتمـل أن يتـم اسـتغلالها بشـكل سـيئ لدوافـع أخـرى[1]. كـما نبّـه القـراء أيضًـا إلى ضرورة أن تتجنـب النقاشـات حـول الأخلاقيـات الدوليـة التطـرق إلى رؤيتـين متطرفتـين: الأولى، التقديـر الزائـد لتأثـير المبـادئ والقيـم الأخلاقيـة عـلى السياسـة الدوليـة. ثانيًـا، الاسـتهانة بتأثـير المبـادئ والقيـم الأخلاقيـة عـلى السياسـة الدوليـة، ونكـران وجـود دوافـع أخـرى قـد تؤثـر عـلى الساسـة أو الدبلوماسـيين خـارج نطـاق السـلطة الماديـة[2].

وطبقًـا لجـون ميرشـايمر، تُعـد الأخلاقيـات الدوليـة إمـا مجـرد مبـادئ تدّعيهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أو كـما عرّفهـا هانـز مورغنثـاو هـي عبـارة عـن مبـادئ أخلاقيـة "يتـم ادعـاء الالتـزام بهـا" أو "يُدَّعـى ضرورة الالتـزام بهـا"[3]، وبالتـالي يعتقـد جـون ميرشـايمر أنـه إذا اهتمـت الصـين بالعنـصر الأخلاقـي في سياسـاتها الدبلوماسـية، فسـوف يشـكل هـذا تهديـدًا للـدول الأخـرى. وبعكـس مصطلـح "الأخلاقيـات المزيفـة" الـذي طرحـه كل مـن جـون ميرشـايمر وهانـز مورغنثـاو، يشـير مصطلحـي "المصداقيـة الاسـتراتيجية" و"الحكـم بالفضيلـة" المطروحـان في هـذه الدراسـة إلى المعايـير الأخلاقيـة المطبقـة بالفعـل في المجتمـع الـدولي، وليـس تلـك الأخلاقيـات المزيفـة التـي يتـم اسـتغلالها لتغطيـة الاعتـداءات العسـكرية. وعـلى العكـس مـن نزعـة الحريـة التـي تسـتغل القـوة العسـكرية في تصديـر الديمقراطيـة والتجـارة الحـرة وغيرهـا مـن الأيديولوجيـة الفكريـة، تحـترم الواقعـة الأخلاقيـة مبـدأ "قبـول الآخـر وعـدم فـرض شيء عليـه بالقـوة"[4]. وممـا لا يـدع أي مجـال للشـك، أن فـرض أيديولوجيـة فكريـة أو أخلاقيـات معينـة عـلى الآخـر، سـوف يـؤدي بالتأكيـد إلى صراعـات دوليـة وحتـى الحـرب. ولكـن عندمـا تصبـح الأخلاقيـات مبـادئ تهذيبيـة للـذات، لـن تنشـب النزاعـات، بـل سـوف يـؤدي ذلـك إلى ظهـور مبـادئ أكـثر تحـضرًا. وطبقًـا للواقعـة الأخلاقيـة، فـإن الهـدف مـن تطبيـق سياسـات دبلوماسـية لتهذيـب الـذات لا يكمـن في بنـاء صـورة أخلاقيـة طيبـة للدولـة، بـل السـعي للحصـول عـلى دعـم دولي أكـبر. وفي هـذا الشـأن، نبـه الرئيـس شي جـين بينـغ

1- Hans J. Morgenthau, Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace, 7th edition. Revised by Kenneth W. Thompson and W. David Clinton (Beijing: Peking University Press, 2005), p. 12.

2- Hans J. Morgenthau, Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace, p.240

3- Hans J. Morgenthau, Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace, p.240

4- المصدر: "مقال نشيد الطقوس في كتاب الطقوس".

العاملين في المجال الدبلوماسي قائلًا: "ينبغي علينا أولًا أن نطبق هذه المفاهيم بأنفسنا"[1].

طبقًا لكل من الواقعية الكلاسيكية والواقعة الأخلاقية، تؤثر المبادئ الأخلاقية على عملية بناء السياسات الدبلوماسية، إلا أن هاتين المدرستين تختلفان في ثلاث نقاط. أولًا: طبقًا للواقعية الكلاسيكية، تلعب الأخلاقيات الدولية دورًا في حماية حياة البشرية؛ أما طبقًا للواقعية الأخلاقية، فتساهم الأخلاقيات الدولية في تعزيز شرعية سياسات الدولة وقوتها[2]. وسوف نناقش هذين الدورين المختلفين تفصيلًا فيما بعد. ثانيًا: طبقًا للواقعية الكلاسيكية، إذا التزمت السياسات الدبلوماسية بالأخلاقيات الدولية، فسوف تضحّي على أرض الواقع بالمصالح الوطنية. أما طبقًا للواقعة الأخلاقية، فتساعد السياسات الدبلوماسية الملتزمة بالأخلاق الدول الكبرى الناهضة على تحقيق مكاسب استراتيجية[3]، يُعد أسماها هو بناء نظام عالمي جديد. ومن ثم، إن خالفت السياسات الدبلوماسية في الدول الناهضة الأخلاقيات الدولية، فستعجز عن تحقيق النهضة. ثالثًا، طبقًا للواقعية الكلاسيكية، تفتقر النزعة القومية إلى النزعة الإنسانية؛ أما طبقًا للواقعية الأخلاقية، فإن سياسة الحكم بالفضيلة بطابعها القومي تنادي في حد ذاتها بالإنسانية[4]. في الصين القديمة، يُعد مفهوم الحكم بالفضيلة مفهومًا سياسيًا يتناول أعلى مستويات القيادة العالمية، ويعتمد الحكم بالفضيلة على القوة المادية والمبادئ الأخلاقية معًا[5]. أما اليوم، فتستخدم الواقعة الأخلاقية مصطلحات حديثة للتعبير عن مفهوم الحكم بالفضيلة، يمكن تلخيصها في ثلاثة مبادئ: المساواة والعدل والتحضر[6].

1- تشيان تونغ، "كلمة الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

2- Hans Morgenthau, Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace,pp. 241 -247

3- Hans Morgenthau, Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace,p. 244

4- Hans Morgenthau, Politics among Nations: The Struggle for Power and Peace,p. 259

5- Yan Xuetong, Ancient Chinese Thought Modern Chinese Power (Princeton: Princeton University Press,2011) ,pp. 86 -88

6- Yan Xuetong, "New Values for New International Norms,"China International Studies,Vol. 38,No. 1,2013,pp. 15-28

3. النفوذ والقوة:

حتى نستطيع استيعاب الدور المهم الذي تلعبه المبادئ الأخلاقية في استراتيجية العمل بجد وحماسة، ينبغي أن نفرق أولاً بين النفوذ السياسي والقوة المادية. نقصد بكلمة "النفوذ" قدرة تأثير الدولة على تصرفات الدول الأخرى، وهذا المفهوم قريب من تعريف هانز مورغنثاو[1]. أما "القوة" فيُقصد بها أحد مكونات قدرة الدولة، ويقترب هذا المفهوم من تعريف كتاب هانز مورغنثاو للقوة عندما قال إنها "عنصر مهم من عناصر نفوذ الدولة"[2]. أما في علم اللغة، فتشير كلمة "power" الإنجليزية إلى معانٍ مختلفة، فتشمل "السيطرة والسلطة والقدرة على التأثير"، و"القدرة الفعلية والقوة المادية والفاعلية المعنوية أو الأخلاقية"[3]. ولقد استخدم هانز مورغنثاو كلمة "power" مرات بمعنى "قوة التأثير" ومرات أخرى بمعنى "القدرة"، مما سبب لبسًا عند القارئ. أما في اللغة الصينية فإن مفهومي "النفوذ أو السلطة" و"القوة" يتم التعبير عنهما بلفظين مختلفين، وبالتالي لا يحدث خلط بينهما كما يحدث مع كلمة "power" الإنجليزية التي تشير دلاليًا إلى "قوة التأثير" و"القدرة" في الوقت نفسه. ونظرًا لما تشغله الولايات المتحدة الأمريكية من مكانة ريادية في مجال أبحاث العلاقات الدولية، دائمًا ما نلاحظ ذلك الخلط بين مفهومي "النفوذ" و"القوة".

سوف تستخدم الدراسة كلمة "النفوذ" باعتبارها الهدف من تطبيق السياسات الدبلوماسية، بينما ستستخدم كلمة "القوة" باعتبارها الأداة التي تُستخدم في تحقيق الأهداف الدبلوماسية؛ وذلك لتجنب الخلط بين هذين المفهومين عند تحليل استراتيجية المتابعة والحذر واستراتيجية العمل بجد وحماسة. وتُعتبر القيادة السياسية عنصرًا جوهريًا من عناصر قوة الدولة، التي تتأثر بشكل كبير بالأخلاقيات السياسية. ويعتقد الحكيم الصيني شيون تسي أن حكم الدولة بالفضيلة هو أعلى مستويات القيادة العالمية، التي تستند إلى أخلاق الحاكم في الدول العظمى.

إن الالتزام بالأخلاقيات الدولية يُكسب الدولة شرعية لتصرفاتها، ما يعزز من قدرة

1- Yan Xuetong, "New Values for New International Norms,"pp. 30,113

2- Yan Xuetong,"New Values for New International Norms,"pp. 122 -162

3- Webster's New Collegiate Dictionary (Massachusetts: G & C Merriam Company,1977), p. 902

هـذه الدولـة عـلى التعبئـة الدوليـة. عندمـا تتسـاوى القـوة بـين دولتـين، نجـد الدولـة التـي تلتـزم بالمبـادئ الأخلاقيـة أكـثر قـدرةً عـلى جـذب عـدد أكـبر مـن الحلفـاء والحصـول عـلى دعـم دولي أكـبر مقارنـةً بالـدول التـي تفتقـر إلى المبـادئ الأخلاقيـة. وبشـكل عـام، يمكننـا أن نقـول إن السياسـات الدبلوماسـية التـي تـولي اهتمامًـا أكـبر بكسـب الدعـم الـدولي وليـس المصلحـة الاقتصاديـة، نجدهـا أكـثر اهتمامًـا بالعنـصر الأخلاقـي. وهـذا هـو السـبب وراء دعـوة اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة إلى "مفهـوم جديـد للأخـلاق والمصالـح" و"بنـاء كيـان يجمعـه مصـير مشـترك"، وكان الظهـور الأول لهذيـن المفهومـين في كلمـة وزيـر الخارجيـة الصينـي وانـغ يـي في يونيـو عـام 2013 حيـث قـال: "سـوف تعمـل الصـين بقـوة عـلى نـشر المفهـوم الجديـد للأخـلاق والمصالـح، وسـوف تبنـي كيانًـا يجمعـه مصـير مشـترك مـع باقـي الـدول الناميـة"[1]. ومنـذ تلـك اللحظـة، بـدأ هـذان المفهومـان يظهـران بشـكل كبـير في الخطابـات والمسـتندات الرسـمية.

4. نهضة الأمة الصينية وبناء التحالفات:

تـرى هـذه الدراسـة أن السـعي لتحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة هـو مـا أدى إلى طـرح اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة. أو كـما قـال الرئيـس شي جـين بينـغ: يُعـد السـعي لتحقيـق النهضـة للأمـة الصينيـة هـو جوهـر الحلـم الصينـي، ويُعـد أسـمى الأهـداف الاسـتراتيجية الصينيـة[2]. ونقصـد حرفيًّـا بتحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة: اسـتعادة الصـين لمكانتهـا التاريخيـة باعتبارهـا أكـثر الـدول تقدمًـا عالميًّـا خـلال فـترة جـين جـوان (627-649م) في عـصر أسرة تانـغ الملكيـة (618- 907م)، ولكـن أصبـح هـذا المصطلـح يشـير اليـوم إلى سـعي الصـين إلى التفـوق عـلى الولايـات المتحـدة الأمريكيـة سـواء مـن حيـث قـوة الدولـة أو وتأثيرهـا الدفاعـي. وبالتأكيـد لـن يكـون هنـاك مفـر مـن التنافـس بـين الصـين والولايـات المتحـدة الأمريكيـة عـلى قيـادة العـالم، مـا دامـت الحكومـة الصينيـة تعتـبر تحقيـق النهضـة هدفًـا اسـتراتيجيًّا، ومـا دامـت الولايـات المتحـدة، وهـي القـوة العظمـى الوحيـدة في العـالم، تعتـبر ريـادة العـالم أهـم المصالـح الوطنيـة التـي تخدمها سياسـاتها الدبلوماسـية. وفي عـام 2010، قـال الرئيس

1- Wang Yi, "Exploring the Path of Major Country Diplomacy with Chinese Characteristics,"ForeignAffairs Journal,No. 5,2013,p. 19

2- Kristie Lu Stout, "Is Xi Jinping's'Chinese Dream'a Fantasy?" July 17, 2013, http: / /edition. cnn. com/2013 /05 /26 /world /asia /chinese -dream -xi -jinping /index. html.

أوباما في خطابه أمام الكونجرس الأمريكي: "لن أقبل أن تكون الولايات المتحدة الأمريكية في المركز الثاني عالميًّا"[1]. وبالتالي سوف يؤدي ذلك التنافس بين الصين والولايات المتحدة على قيادة العالم إلى التنافس فيما بينهما على كسب عدد أكبر من الحلفاء الاستراتيجيين.

لطالما كان التحالف إحدى الاستراتيجيات التقليدية التي تسعى بها الدول الكبرى إلى قيادة العالم. وعلى مدار التاريخ، كان التحالف والاندماج هما الاستراتيجيتين الأساسيتين اللتين تسعى بهما الدول الكبرى إلى قيادة العالم، ولكن بعد أن منع "ميثاق الأمم المتحدة" في عام 1945 الاندماج بين الدول، أصبحت التحالفات هي الاستراتيجية الوحيدة المتاحة. ولعل فشل النازية الألمانية والنزعة العسكرية اليابانية في الحرب العالمية الثانية، يعكس عدم مواءمة استراتيجية الاندماج مع عالمنا الحالي. أما على الصعيد الآخر، فقد أسست الولايات المتحدة حلف الناتو، وأسس الاتحاد السوفيتي حلف وارسو خلال فترة الحرب الباردة. وحفاظًا على قيادتها العالمية، طبّقت الولايات المتحدة استراتيجية "إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ"، محاولةً توطيد التعاون مع حلفائها التقليديين، وتأسيس تحالفات مع أصدقاء جدد خارج نطاق حلف الناتو، وبالتالي فتح مجالات للتعاون مع دول أخرى لم تكن حليفة. أما الصين، فكان لا بد لها أن تغير مبدأ عدم الانحياز الذي ظلت تلتزم به منذ عام 1982، وإلا فلن تستطيع تحقيق نهضة الأمة الصينية[2]. وسوف تناقش هذه الدراسة فيما يلي الفروق بين استراتيجية العمل بجد وحماسة التي تهدف إلى "تأسيس الصداقات"، واستراتيجية المتابعة والحذر التي تهدف إلى "كسب المال".

1- "Obama's State of the Union Transcript 2010: Full Text," January 27, 2010, http: / /www. politico. com/news /stories /0110 /32111_ Page2. html.

2- خو ياو بانغ، "نحو وضع جديد لبناء الحداثة الاشتراكية"، "مختارات من أهم المستندات بعد المؤتمر الوطني الثاني عشر للحزب الشيوعي الصيني" (الجزء الأول)، بكين، دار نشر الشعب، 1986، ص39- 40.

ثالثًا: الفرق بين استراتيجية المتابعة والحذر واستراتيجية العمل بجد وحماسة

نلاحظ أن معظم المتخصصين في القضايا الصينية على دراية كبيرة بتفاصيل مفهوم استراتيجية المتابعة والحذر، إلا أنهم ليسوا على نفس القدر من المعرفة حول الفرق بين هذه الاستراتيجية واستراتيجية العمل بجد وحماسة، ويرجع ذلك إلى أن الحكومة الصينية لم تقدم تفسيرات رسمية واضحة في هذا الشأن. وحتى نستطيع عقد مقارنة وافية بين هاتين الاستراتيجيتين، ينبغي علينا قراءة الوثائق الثلاثة التي ذكرناها سلفًا قراءةً دقيقةً، والتي تشمل خطاب الرئيس شي جين بينغ، وكلمة وزير الخارجية الصيني وانغ يي، بالإضافة إلى المقالة التي نشرها السيد يانغ جيه تشي. وسوف نركز بصفة خاصة على خطاب الرئيس شي جين بينغ، الذي سوف يساعدنا بشكل كبير على فهم أهداف استراتيجية العمل بجد وحماسة، وفهم السياسة العامة والرؤية العميلة والخطة التنفيذية التي تتبناها.

1. التوجه السياسي في مقابل التوجه الاقتصادي:

تسعى استراتيجية المتابعة والحذر إلى توفير بيئة سلمية تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية. ومن هذا المنطلق، كانت أولوية الصين حيال القضية النووية في كوريا الشمالية هي تجنب حدوث الحرب، وليس السعي لنزع السلاح النووي من شبه الجزيرة الكورية. وتؤكد استراتيجية العمل بجد وحماسة على أهمية السلم والاستقرار في الدول المجاورة أيضًا، ولكن تشدد في الوقت نفسه على ضرورة أن تلبي السياسات الدبلوماسية متطلبات تحقيق نهضة الأمة الصينية وليس متطلبات التنمية الاقتصادية فحسب. ويتزامن الجدول الزمني لتحقيق نهضة الأمة الصينية مع أهداف "المئويتين": وهي بناء مجتمع رغيد بحلول عام 2021، الذي يصادف ذكرى مرور 100 عام على تأسيس الحزب الشيوعي الصيني؛ وكذلك تحقيق بناء دولة حديثة اشتراكية تتمتع بالرخاء والديمقراطية والانسجام الحضاري بحلول عام 2049 الذي يصادف ذكرى مرور 100

عـام أيضًـا عـلى تأسـيس جمهوريـة الصـين الشـعبية[1]. قـال الرئيـس شي جـين بينـغ: "يجـب أن تسـاهم الأعـمال الدبلوماسـية الصينيـة مـع دول الجـوار في تحقيـق النهضـة العظيمـة للأمـة الصينيـة، وتوطيـد علاقـات حسـن الجـوار مـع الـدول المجـاورة، وحمايـة سـيادة الدولـة وأمنهـا ومصالحهـا التنمويـة، وأن تسـعى أيضًـا إلى توطيـد علاقـات الصداقـة بـين الصـين والـدول المجـاورة في مجـال العلاقـات السياسـية، بالإضافـة إلى توطيـد التبـادلات الاقتصاديـة، وتعميـق التعـاون في المجـال الأمنـي، وتوطيـد التبـادلات الإنسـانية"[2]. ومـن هنـا يتضـح أن أهـداف اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة لهـا طابـع سـياسي، وتختلـف عـن الأهـداف الاقتصاديـة البحتـة التـي تسـعى إليهـا اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر. ورغـم أن اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة تدعـو إلى توطيـد التبـادلات الاقتصاديـة مـع الـدول الأخـرى، فـإن ذلـك مـن منطلـق سـياسي لا يضـع في الاعتبـار المصلحـة الاقتصاديـة في المقـام الأول. وبالتـالي، يمكننـا أن نلخـص أهـداف اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر واسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة بـأن الأولى تهـدف إلى "كسـب المـال"، والثانيـة إلى "تأسـيس الصداقـات".

ولقــد أضفــى ذلــك التحــول مــن تلبيــة متطلبــات التنميــة الاقتصاديــة بشــكل أســاسي إلى تلبيـة متطلبـات تحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة، قـوةً محركـةً جديـدةً عـلى السياسـة الدبلوماسـية الصينيـة. لقـد جعلـت اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر الصـين في موقـع سـلبي يتكيـف مـع البيئـة الدوليـة المحيطـة فحسـب، في حـين سـعت اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة إلى جعـل الصـين أكـثر ايجابيـة ومبـادرة في اتخـاذ بعـض الإجـراءات التـي تطـور البيئـة الخارجيـة نحـو خدمـة النهضـة الصينيـة. ودعـا الرئيـس شي جـين بينـغ العاملـين في المجـال الدبلومـاسي إلى التمتـع بأفـق واسـع، ويُقصـد باتسـاع الأفـق "السـعي إلى التنميـة والإصـلاح في البـلاد، والعمـل عـلى بنـاء بيئـة خارجيـة طيبـة ومسـتقرة، وحمايـة سـيادة الدولـة وأمنهـا ومصالحهـا التنمويـة"[3]. وبالنسـبة للصـين، يُعـد خلـق بيئـة دوليـة مواتيـة تسـاهم في تحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة، أمـرًا

1- "النص الكامل لتقرير الرئيس هوجين تاو خلال المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني"، شبكة أنباء شينخوا، 11-17-2012،

htm.113711665 _c/ 17/ 11- 2012/ 18cpcnc/com.xinhuanet.news//:http

2- تشيان تونغ: "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة"، "صحيفة الشعب اليومية"، 2013-10-26، الطبعة الأولى.

3- تشان تونغ "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

أكثر صعوبةً من السعي إلى بيئة خارجية سلمية تساهم في تحقيق التنمية الاقتصادية. فحقًا تُعد التسوية طريقة فعالة لتجنب الصراعات، ولكنها ليست بالضرورة الطريقة المثلى التي توفر بيئة مواتية. وبالتالي، حتى تستطيع الصين الحصول على بيئة دولية تساهم في تحقيق نهضة الأمة الصينية، عليها المبادرة بنفسها لخلق هذه البيئة، وليس مجرد الوقوف في موقف سلبي يتكيف مع تغيرات الأوضاع الخارجية. وفي هذا السياق، شجع الرئيس شي العاملين في المجال الدبلوماسي إلى "الجرأة في تحمل المسئولية، والابتكار والإيجابية في القيام بالأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة"[1].

2. الجرأة على تحمل المسئولية في مقابل عدم السعي إلى القيادة:

بما أن أهداف استراتيجية العمل بجد وحماسة تختلف عن أهداف استراتيجية المتابعة والحذر، فبالتالي تختلف السياسات العامة التي تتبعها كل منهما. يمكننا تفسير السياسة العامة لاستراتيجية العمل بجد وحماسة في أربعة مفاهيم: "العلاقة الحميمة، والصدق، وتحقيق المنفعة، والتسامح"، في حين يمكننا اختصار السياسة العامة لاستراتيجية المتابعة والحذر في "عدم التطلع إلى القيادة، وعدم الانحياز، وإيلاء الأهمية القصوى للعلاقات الصينية الأمريكية". وفقًا لكلمة الرئيس شي تشير مفاهيم "العلاقة الحميمة، والصدق، وتحقيق المنفعة، والتسامح" إلى ضرورة أن تصبح علاقات الصين مع الدول المجاورة أكثر حميمية، وأن تتبنى الصين مصداقية استراتيجية وسط الدول المجاورة، بما يسمح لهذه الدول الاستفادة من التنمية الاقتصادية الصينية، والسعي إلى تطوير التعاون في المنطقة بصدر رحب[2]. وبحسب مقالة السيد يانغ جيه تشي، أكد الرئيس شي على ضرورة أن تلتزم السياسات الصينية مع الدول المجاورة بـ"التمسك بالعدل والإنصاف في المجال السياسي، ومراعاة الأولوية للمبادئ الأخلاقية"[3]. ويعكس ذلك اهتمام السياسات الصينية مع دول الجوار ببناء علاقات استراتيجية، وليس توسيع التعاون الاقتصادي مع هذه الدول.

1- المرجع السابق.

2- تشيان تونغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

3- يانغ جيه تشي، "الابتكار في نظريات وممارسات الدبلوماسية الصينية في ظل الأوضاع الجديدة"، مجلة "تشيو شي"، 2013، عدد 16، ص9.

لا يقتصر مفهوم "العلاقة الحميمة" مع دول الجوار على تحسين العلاقات مع هذه الدول فحسب، بل يعني ذلك أن الصين لن تقف موقفًا محايدًا من الولايات المتحدة، في حال نشوب النزاعات بين أمريكا والدول المجاورة للصين. ولكن بعد انقضاء الحرب الباردة، كانت الصين تولي اهتمامًا كبيرًا بالعلاقات الصينية الأمريكية. وفي الفترة بين عام 2010 و2011، دخل المتخصصون الصينيون في جدال حول إذا ما كانت استراتيجية "العودة إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ" (المعروفة أيضًا باستراتيجية إعادة التوازن) التي طرحها الرئيس أوباما، مجرد سياسية تكتيكية وضعها للفوز في المعركة الانتخابية، أو أنها سياسة استراتيجية تهدف في المقام الأول إلى كبح النهضة الصينية. وفي نوفمبر عام 2012، اختار الرئيس أوباما السفر إلى دول اتحاد جنوب شرق آسيا في أول جولة خارجية له بعد فوزه في الانتخابات الرئاسية للمرة الثانية، وبالتأكيد "لم يكن ذلك محض مصادفة"[1]. ونستطيع حسم هذا الجدال من خطابات الرئيس أوباما نفسه. ومن هنا أيقن واضعو السياسات الصينيون أنه لا يجب أن تقف الصين موقف المتفرج من الولايات المتحدة وهي تتخذ من الشرق الأوسط منطقة جوهرية لاستراتيجياتها، فقد وصلت فاعلية استراتيجية المتابعة والحذر إلى الدرك الأسفل. ومنذ ذلك الحين بدأ المسئولون الصينيون يستخدمون مصطلح "التناقضات الهيكلية" في وصف ذلك التنافس الاستراتيجي بين الصين والولايات المتحدة. وقال الرئيس شي: "إن دول الجوار تمثل أهمية استراتيجية كبرى للصين سواء من حيث الموقع الجغرافي أو البيئة الطبيعية أو العلاقات المتبادلة"[2]. وقد اختار الرئيس شي تعبير أهمية "كبرى"، الأمر الذي يعكس أنه على الرغم من أن الصين لا تعتبر العلاقات مع الدول المجاورة أكثر أهمية من علاقاتها مع الولايات المتحدة، ولكن بدأت الحكومة الصينية تعترف من جديد بأهمية الدول المجاورة، حتى بدأت تعتبرها بنفس القدر من الأهمية للعلاقات مع الولايات المتحدة. ويمكننا أن نستشفّ هذا التغير من حديث الرئيس شي خلال كلمته في مؤتمر دبلوماسية دول الجوار في أكتوبر عام 2013. ولقد شارك في هذا المؤتمر العديد من الشخصيات، من بينهم جميع الأعضاء الدائمين في المكتب السياسي

1- لي يو شين، "زيارات أوباما المكوكية إلى جنوب شرق آسيا والبيت الأبيض يعتبر آسيا محور السياسة الخارجية الأمريكية"، شبكة أنباء الصين، 2012-11-19،

http//:www.chinanews .com/gj4338670/ 11-19/ 2012/ . shtml

2- تشان تونغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

باللجنـة المركزيـة للحـزب، وجميـع الأعضـاء في المكتـب السـياسي ببكـين، وجميـع العاملـين في الأمانـة العامـة للحـزب، وأعضـاء مجلـس الدولـة، وأعضـاء المجموعـة القياديـة للشـئون الخارجيـة باللجنـة المركزيـة، والمسـئولون في الحـزب والحكومـة عـلى مسـتوى المقاطعـات، والمسـئولون في القطاعـات الحزبيـة والسياسـية والعسـكرية والمدنيـة التابعـة للجنـة المركزيـة، والمسـئولون أيضًـا في الأجهـزة الماليـة وأهـم المؤسسـات الحكوميـة[1]. ويُعـد هـذا المؤتمـر أهـم المؤتمـرات رفيعـة المسـتوى في مجـال الأعـمال الدبلوماسـية منـذ تأسـيس جمهوريـة الصـين الشـعبية عـام 1949.

وفي الفكـر السـياسي الصينـي التقليـدي، يُعتـبر "الصـدق" مـن أهـم سـمات القائـد المتميـز، وبالتـالي تُعتـبر المصداقيـة الاسـتراتيجية محـددًا مهـماً يفصـل بـين السـلطة أو الهيمنـة في الدولـة. ويعتـبر الرئيس شي "الصـدق" أحـد السياسـات العامـة الأربـع في السياسـة الدبلوماسـية الصينيـة، مـما يعكـس تحـول السياسـات الدبلوماسـية الصينيـة مـن دبلوماسـية الدولـة الضعيفـة إلى دبلوماسـية الدولـة القويـة. وبحسـب الوثائـق الرسـمية الصينيـة عقـب الحـرب البـاردة، كان مفهـوم "دبلوماسـية الـدول الكـبرى" يُسـتخدم إشـارةً إلى الدبلوماسـية التـي تتخذهـا الصـين حيـال الـدول العظمـى، مثـل الولايـات المتحـدة وروسـيا واليابـان وألمانيـا وفرنسـا وإنجلـترا. ولكـن بعـد أن نُـشرت كلمـة وزيـر الخارجيـة الصينـي وانـغ يـي بعنـوان "البحـث عـن طريـق دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة" في يونيـو عـام 2013، شـهد مفهـوم "دبلوماسـية الـدول الكـبرى" تغـيراً هائـلاً، فلـم يعـد هـذا المفهـوم يشـير إلى الـدول التـي تسـتهدفها الدبلوماسـية الصينيـة فحسـب، بـل أصبـح يشـير إلى الصـين نفسـها[2]. وبالإضافـة إلى ذلـك، أصبـح مفهـوم "الصـدق" يعكـس ضرورة تحمـل الصـين مسـئوليات أكـبر في القضايا الدوليـة، وخاصـة في المجـال الأمنـي. وعـلى العكـس مـن ذلـك تمامًـا، بموجـب اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، تتجنـب الصـين تحمـل المسـئوليات الدوليـة، وترفـض لعـب دور قيـادي، وبالتـالي تفتقـر هـذه الاسـتراتيجية إلى مفهـوم "الصـدق"؛ لأن مبـدأ "عـدم السـعي إلى القيـادة" ومبـدأ "الصـدق" مبـدآن متضـادان.

1- تشان تونغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

2- Wang Yi, “Exploring the Path of Major Country Diplomacy with Chinese Characteristics,” pp. 10 -23

مـما لا شـك فيـه أن مفهـوم "المنفعـة" يشـير إلى تقديـم الدعـم الاقتصـادي للـدول الناميـة. وقـد ذكـر الرئيـس شي أنـه "يجـب أن نسـمح لـدول الجـوار أن تسـتفيد مـن التنميـة الصينيـة"، وأنـه "يجـب علينـا تقديـم المسـاعدات للـدول الناميـة قـدر المسـتطاع"[1]. كـما اتضـح لنـا مـن مقـال يانـغ جيـه تـشي أن الرئيـس شي يؤكـد عـلى ضرورة الاهتـمام بالمصالـح الاقتصاديـة للـدول التـي تدعـم الصـين، وليـس الاهتـمام بالمصالـح الاقتصاديـة الصينيـة فحسـب. ويُعـد هـذا المفهـوم مفهومًـا غريبًـا وجديـدًا بالنسـبة لعـدد كبـير مـن المسـئولين الحكوميـين الذيـن ترعرعـوا عـلى مفهـوم "الفخـر بتحقيـق الـثراء"، فقـد لا يسـتوعبون المغـزى مـن تقديـم المبـادئ الأخلاقيـة عـلى المصلحـة الاقتصاديـة في المجـال الدبلومـاسي، وخاصـةً أن المصلحـة الاقتصاديـة ظلـت هـي الهـدف الأول مـن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر التـي اسـتمرت لأكـثر مـن عشريـن عامًـا عقـب انتهـاء الحـرب البـاردة.

ويجسـد مفهـوم "التسـامح" مبـدأ الانفتـاح. وقـد ذكـر الرئيـس شي أن: "منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ شـديدة الاتسـاع، ويمكـن أن تحتـوى التنميـة المشـتركة للجميـع"، وأنـه ينبغـي عـلى الصـين أن "تعـزز مـن التعـاون في المنطقـة بصـدر رحـب ومواقـف أكـثر إيجابيـة"[2]. وتشـجع كل مـن اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة واسـتراتيجية المتابعـة والحـذر عـلى تعزيـز التعـاون في المنطقـة، ولكـنّ هنـاك اختلافـين بـين هاتـين الاسـتراتيجيتين. أولًا: تؤكـد اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة عـلى المبـادرة بشـكل أكـبر مـن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر. وطبقًـا لمبـادئ هـذه الاسـتراتيجية الجديـدة، وضعـت الحكومـة الصينيـة خطـة شـاملة لبنـاء ثلاثـة كيانـات اقتصاديـة إقليميـة مشـتركة، وهـي كالآتي: "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" في وسـط آسـيا، و"الممـر الاقتصـادي بـين الصـين والهنـد وبنجلاديـش وميانمـار" في جنـوب آسـيا، و"طريـق الحريـر البحـري" في جنـوب شرق آسـيا. ثانيًـا: يقتـصر التعـاون الإقليمـي بحسـب اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر عـلى المسـتوى الاقتصـادي فحسـب، في حـين يشـتمل التعـاون الإقليمـي بحسـب اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة عـلى المجـال السـياسي والأمنـي والثقـافي والاقتصـادي. كـما طرحـت الحكومـة الصينيـة ضرورة بنـاء كيـان يجمعـه مصـير مشـترك مـع

1- تشيان تونغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

2- تشيان تونغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

الـدول المجـاورة وتعميـق التعـاون في المجـال الأمنـي مـع هـذه الـدول. وبحسـب كلمـة الرئيـس شي جـين بينـغ بعنـوان "يـدًا بيـد نحـو بنـاء كيـان يجمعـه مصـير مشـترك بـين الصـين واتحـاد دول جنـوب شرق آسـيا"، فـسر الرئيـس مصطلـح (كيـان يجمعـه مصـير مشـترك) بأنـه مفهـوم جديـد يدعـو إلى توطيـد الثقـة السياسـية والاسـتراتيجية بـين الـدول، والارتقـاء بمسـتوى مناطـق التجـارة الحـرة، والدعوة إلى الأمـن الشـامل والمشـترك، مـما يحمـي الاسـتقرار والسـلم في المنطقـة، ويعـزز مـن التبـادلات الاجتماعيـة والثقافيـة، واحـترام التعـدد الحضـاري. وبالتـالي فإنـه مـن الواضـح أن مفهـوم بنـاء المجتمـع ذي المصـير المشـترك يختلـف عـن بنـاء التحالفـات العسـكرية. وإذا قارنّـا مفهـوم المجتمـع ذي المصـير المشـترك بمفهـوم التحالفـات العسـكرية، سنتسـاءل هـل الأول أكـثر ارتباطًـا أم انفصـالًا عـن الفاعلـين الدوليـين. وبـصرف النظـر عـن ذلـك، فـإن التعـاون العسـكري الـذي يتضمنـه مفهـوم بنـاء المجتمـع ذي المصـير المشـترك يُعتـبر مـن قضايـا التعـاون التـي تجنبتهـا اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر.

3. الأخلاقيات السياسية في مقابل المكاسب الاقتصادية:

ذكـر الرئيـس شي فيـما يتعلـق بالرؤيـة العمليـة لاسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة: "حتـى نسـتطيع العثـور عـلى مواطـن مشـتركة ونقـاط التقـاء مـع مصالـح الـدول المجـاورة، يجـب أن نتمسـك بالمفهـوم الصحيـح للأخلاقيـات والمصالـح، الـذي يحـترم المبـادئ العامـة ومشـاعر الصداقـة والمبـادئ الأخلاقيـة"[1]. وتختلـف هـذه الرؤيـة عـن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر في جوانـب عـدة، نذكرهـا فيـما يـلي:

أولًا: تؤكـد اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة عـلى ضرورة بنـاء التعـاون الاسـتراتيجي عـلى أسـاس المصالـح المشـتركة، بينـما تدعـو اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر إلى بنـاء التعـاون الاسـتراتيجي عـلى أسـاس تعزيـز الثقـة المتبادلـة. ويشـير مفهـوم "البحـث عـن مواطـن مشـتركة ونقـاط التقـاء مـع مصالـح الـدول المجـاورة" إلى أن الصـين سـوف تبـادر فعليًـا إلى تنميـة التعـاون الاسـتراتيجي مـع دول الجـوار حتـى قبـل أن يكـون هنـاك ثقـة متبادلـة بينهـا. في الحقيقـة، عـادة مـا تلتمـس الـدول افتقارهـا إلى الثقـة المتبادلـة مـع الـدول الأخـرى عـذرًا لتخفـي

1- تشيان تونغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

عـدم رغبتهـا الصادقـة في التعـاون مـع هـذه الـدول. وبالتـالي يمثـل هـذا المفهـوم الـذي يقـوم عـلى التعـاون بالبحـث عـن المصالـح المشـتركة أهميـةً كبـيرةً جـدًّا بالنسـبة للصـين، حتـى تسـتطيع فتـح مجـالات للتعـاون الأمنـي مـع الـدول المجـاورة التـي يجمعهـا مـع الصـين مسـتوى متـدنٍّ مـن الثقـة المتبادلـة.

ثانيًـا: يُعـد "المفهـوم الجديـد للأخـلاق والمصالـح" الـذي طرحـه الرئيـس شي بعـد توليـه الحكـم أحـد المفهومـين الجديديـن اللذيـن دعـا إليهـما الرئيـس في العلاقـات الدوليـة، ويتمتـع أيضًـا بمغـزى نظـري مهـم مثـل مفهـوم "الحلـم الصينـي" الـذي طرحـه الرئيـس خـلال ختـام المؤتمـر الوطنـي الثـاني عـشر لنـواب الشـعب في مـارس عـام 2013[1]. ويدعـو "المفهـوم الجديـد للأخـلاق والمصالـح" إلى تقديـم المبـادئ الأخلاقيـة عـلى المصالـح الاقتصاديـة، بينـما كانـت اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر تعطـي الأولويـة القصـوى للمصالـح الاقتصاديـة.

ثالثًـا: يعنـي "الالتـزام بالمبـادئ، والاهتـمام بمشـاعر الصداقـة والمبـادئ الأخلاقية" اعتماد السياسـات الصينيـة عـلى طبيعـة العلاقـات مـع غيرهـا مـن الـدول في تحديـد اسـتراتيجياتها معهـا. أمـا خـلال فـترة تطبيـق اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، فـكان العديـد مـن المتخصصـين الصينيـين يعتـبرون تقسـيم الـدول إلى دول صديقـة وأخـرى معاديـة في المجـال الدبلومـاسي فكـرة مـن أفـكار الحـرب البـاردة[2]. ولذلـك حاولـت الصـين، في ظـل اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، تطويـر علاقاتهـا مـع جميـع الـدول دون التفريـق بـين دول معاديـة أو صديقـة. ثـم مـع تطبيـق اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة، قسـمت الصـين علاقاتهـا مـع باقـي الـدول إلى أربعـة أنـواع: دول داعمـة اسـتراتيجيًّا مثـل روسـيا وباكسـتان، ودول عاديـة مثـل ألمانيـا والهنـد، ودول منافسـة عالميًّـا وهـي الولايـات المتحـدة فقـط، ودول معاديـة مثـل اليابـان والفلبـين. وتسـعى اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة إلى بنـاء مصداقيـة اسـتراتيجية وسـمعة أخلاقيـة طيبـة، مـن خـلال السـماح للـدول المجـاورة بالاسـتفادة مـن التنميـة الصينيـة في المجـال الاقتصـادي. وبالطبـع يختلـف هـذا التوجـه الفكـري كثـيرًا عـن مبـدأ المسـاواة وتبـادل المصالـح في العلاقـات الاقتصاديـة الـذي دعـت إليـه اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر.

1- "شي جين بينغ يتحدث عن الحلم الصيني في ختام المؤتمر الوطني لنواب الشعب"، "شبكة الشعب"، http/ / :bj.people.com .cn/ n/ 0317/ 2013/ c34976018308059- . htm2013،17-3-2013 .

2- تشانغ شنغ جيون، "لن تتخلى الدبلوماسية الصينية عن مفهوم المجموع الصفري"، الشبكة العالمية، http/ / :opinion .huanqiu .com/opinion _world4608457/ 11- 2013/ . html،28-11-2013 .

ونظرًا إلى أن استراتيجية العمل بجد وحماسة تسعى إلى جذب مزيد من الحلفاء والأصدقاء وليس التركيز على تحقيق المصلحة الاقتصادية، فسوف تركز الدبلوماسية الصينية بشكل أكبر على التوجه السياسي والمبادئ السياسية. ويعني هذا التحول وجود هدف أعلى تسعى إليه الأعمال الدبلوماسية الصينية، مما يتطلب من العاملين في المجال الدبلوماسي الصيني بذل جهود أكبر. وبحسب ما قاله الرئيس شي "علينا أن نسعى بإيجابية أكبر في قيامنا بالأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة"[1]. واكتشف بعض المحللين في السياسية الدولية، أن السياسات الدبلوماسية التي يعلنها الرئيس شي قد تدعو إلى التعاون من حيث الجوهر، ولكن عند التطبيق يتم الدعوة لها بالقوة[2]. ويتناسب هذا التقييم كثيرًا مع استراتيجية العمل بجد وحماسة، التي تتبنى مفهوم الحكم بالفضيلة الذي تدعو إليه الواقعية الأخلاقية[3]. ويعتقد كيفين رود رئيس الوزراء الاسترالي السابق أن "المظهر الخارجي لمفهوم الواقعية الأخلاقية يشير إلى النزعة القومية الحادة"[4].

-1 تشان تونغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة".

2- He Kai and Feng Huiyun, "Xi Jinping's Operational Code Beliefs and China's Foreign Policy," Chinese Journal of International Politics, Vol. 6, No. 3, 2013, p. 211

-3 يان شويه تونغ، "القصور التاريخي: الصين والعالم في العشر سنوات المقبلة"، بكين، دار نشر الصين الدولية للائتمان والاستثمار، 2013، ص 215-180. Yan Xuetong, Ancient Chinese Thought Modern Chinese Power, pp. 99—142,106—144, 216—221

-4 تعليق كيفين رود على "القصور التاريخي".

رابعًا: دور استراتيجية العمل بجد وحماسة

واجهت دبلوماسية القوة التي تدعو إليها استراتيجية العمل بجد وحماسة النقد اللاذع من الغرب في السنوات الأخيرة، كما علت أصوات مشككة كثيرة في الصين ترى أنه سوف تدمر استراتيجية العمل بجد وحماسة علاقات الصين الخارجية. حتى إن الجيل القديم من الدبلوماسيين انتقد ذلك التحول من استراتيجية المتابعة والحذر إلى الاستراتيجية الجديدة بأنه عمل لا يتمتع ببعد النظر[1]. وفي عام 2012، كانت الدبلوماسية الصينية لا تزال في مرحلة التحول، وبالتالي كان تأثير استراتيجية العمل بجد وحماسة لا يزال ضئيلاً. ومع حلول عام 2013، بدأنا نلحظ الدور الإيجابي الذي تلعبه هذه الاستراتيجية بعدما حققت الدبلوماسية الصينية إنجازات على خلفيتها. وفي نفس العام، قام الرئيس الصيني شي ورئيس مجلس الدولة لي كه تشيانغ بزيارات إلى آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية وأوروبا، كما التقوا بأكثر من 300 شخصية سياسية أجنبية، واستقبلوا أكثر من 60 رئيسًا ورؤساء حكومات في زيارات متتالية إلى الصين. وكما وقعت الصين نحو 800 اتفاقية تعاون مع مختلف الدول[2]. وسوف تهتم هذه الدراسة بتقييم تأثير استراتيجية العمل بجد وحماسة على السياسات الدبلوماسية الصينية، من خلال دراسة التغيرات التي طرأت على العلاقات بين الصين والدول الكبرى والدول المجاورة بدءًا من عام 2012 (بما في ذلك فترة تعديل السياسات في 2012).

1. استقرار العلاقات الصينية الأمريكية:

بعدما زار الرئيس الصيني شي جين بينغ الولايات المتحدة في فبراير عام 2012، كانت حكومة أوباما يساورها الشك من أن يكون مقترح الرئيس شي جين بينغ لبناء "نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى"، أي بين الولايات المتحدة والصين، مجرد شعار

1- "وو جيان مين يتحدث عن تمسك الصين باستراتيجية المتابعة والحذر الدبلوماسية، ورفض البقاء في حالة الدول الصغرى"، شبكة سينا الصينية،

http/ /:news .sina .com .cn/ c .052829139004/ 02- 01- 2014/ shtml ?ADUIN.31995387 =،2-1-2014

2- "وانغ يي يلخص إنجازات الدبلوماسية الصينية هذا العام ويتطلع إلى الأعمال الدبلوماسية في العام المقبل"، الشبكة الصينية،
http//:news.china.com.cn/19/ 2013-12/content .30937823 _htm19-12-2013،

أجـوف هدفـه تغطيـة علاقـة "الصداقـة الزائفـة" بـين الدولتـين. وظلـت واشـنطن تشـكك في نيـة الصـين، حتـى شـدد الجانـب الصينـي عـلى مفهوم هـذا المقـترح خـلال الحـوار الاسـتراتيجي والاقتصادي بـين الصـين والولايـات المتحـدة في مايـو عـام 2012. وأمـرت وزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة هيـلاري كلينتـون الدبلوماسـيين الأمريـكان في بكـين بالتحقـق مـن المقـترح الصينـي. ولذلـك أخـذ الدبلوماسـيون الأمريـكان في المناسـبات المختلفـة يتسـاءلون عـن جوهـر ومفهـوم "النمـط الجديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى" أي بـين الصـين والولايـات المتحـدة. لم تسـتوعب حكومـة أوبامـا في البدايـة أن هـذا النمـط الجديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى ليـس علاقـة شراكـة حميمـة، مـا هـو إلا علاقـة تنافـس صحيـة أو سـلمية. ويُقصـد بـ"النمـط الجديـد" نـوع جديـد مـن العلاقـات مختلـف عـن العلاقـات الأمريكيـة السـوفيتية عقـب الحـرب البـاردة، ويُقصـد بـ"العلاقـات بـين الـدول الكـبرى" تلـك العلاقـة بـين دولـة ناهضـة وأخـرى مهيمنـة. وطبقًـا لمـا قالـه يانـغ جيـه تـشي، فـإن الهـدف الأسـاسي مـن بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى هـو "البحـث عـن طريقـة جديـدة للسـيطرة عـلى الخلافـات (الصينيـة الأمريكيـة)"[(1)].

ثـم بـدأت واشـنطن تعـترف تدريجيًّـا بنيـة الصـين الصادقـة حيـال سـعيها لتحقيـق الاسـتقرار للعلاقـات الصينيـة الأمريكيـة. وخـلال اللقـاء بـين الرئيـس أوبامـا والرئيـس شي في منتجـع أنينـبرج في صنـي لانـدز بولايـة كاليفورنيـا في يونيـو عـام 2013، توصّـل الرئيـس الأمريـكي إلى تفاهـم مشـترك حـول بنـاء نمـط جديـد مـن التعـاون الاسـتراتيجي مـع الصـين، وإن كان الرئيـس أوبامـا لم يتقبـل فكـرة النمـط الجديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى بشـكل كبـير. ويرجـع أحـد الأسـباب وراء تشـكك الولايـات المتحـدة مـن مصطلـح "النمـط الجديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى" هـو أن الصـين لم تفـسر بوضـوح مـا إذا كان هـذا المصطلـح يُسـتخدم في وصـف العلاقـات بـين الصـين وجميـع الـدول الكـبرى، أم يقتـصر عـلى العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة فقـط. وفي هـذا السـياق، فصـل يانـغ جيـه تـشي في المقالـة التـي نشرهـا في أغسـطس عـام 2013 بـين طبيعـة العلاقـات بـين الصـين والولايـات المتحـدة وعلاقاتهـا مـع باقـي الـدول الكـبرى، حيـث قـال: "يُعـد طـرح مفهـوم بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى بـين الصـين والولايـات المتحـدة، وتحقيـق التفاعـل الطيـب بـين الصـين وجميـع الـدول الكـبرى، وتعزيـز التعـاون والفـوز المشـترك، مـن أهـم مفاهيـم إدارة العلاقـات مـع الـدول الكـبرى

1- يانغ جيه تشي، "الابتكار في نظريات وممارسات الدبلوماسية الصينية في ظل الأوضاع الجديدة".

التـي طرحتهـا اللجنـة المركزيـة للحـزب الشـيوعي الصينـي بقيـادة السـكرتير العـام شي جـين بينـغ"[1]. وهـو مـا يشـير إلى أن المقصـود مـن النمـط الجديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى هـو العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة فحسـب.

وفي نوفمـبر 2013، ألقـت مستشـارة الأمـن القومـي الأمريكيـة سـوزان إليزابيـث رايـس كلمـة حـول السياسـات الأمريكيـة في آسـيا، واسـتخدمت في كلمتهـا مفهـوم نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى، مـا يعنـي أن حكومـة أوبامـا قـد قبلـت رسـميًا هـذا المقـترح الصينـي. قالـت رايـس: "سـوف نسـعى لتطبيـق نمـوذج تحـول علاقـات الـدول الكـبرى مـع الصـين. ويعكـس ذلـك رغبتنـا في إدارة التنافـس الحتمـي بـين الصـين والولايـات المتحـدة، مـع السـعي لتعميـق التعـاون وتعزيـز المصالـح المشـتركة بـين البلديـن في آسـيا والعـالم بأكملـه"[2].

وفي نوفمـبر وديسـمبر 2013، وقعـت حادثتـان كانتـا بمثابـة اختبار للنمـط الجديد مـن العلاقات بين الصـين والولايـات المتحـدة الأمريكيـة. كانـت الأولى هـي إعـلان الصـين في الثالـث والعشرين مـن نوفمبر عـن بنـاء منطقـة دفـاع جـوي فـوق بحـر الصـين الشرقـي، وقـد صمـدت العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة أمـام هـذا الاختبـار. أمـا رد اليابـان فـكان اندفاعيًـا للغايـة، حيـث طالبـت اليابـان الصـين بالرجـوع عن منطقـة الدفـاع الجـوي، وطالبـت شركات الطـيران اليابانيـة برفـض تقديـم خطـط الطـيران للحكومـة الصينيـة[3]. وفـوق هـذا، اقترحـت الحكومـة اليابانيـة عـلى نائـب الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن إصـدار بيـان أمريـكي يابـاني مشـترك خـلال زيارتـه إلى اليابـان المزمـع انعقادهـا في ديسـمبر عـام 2013، يدعـو فيـه الصـين إلى الرجـوع عـن منطقـة الدفـاع الجـوي. ولكـن جـو بايـدن رفـض هـذا الاقـتراح، ووصـف العلاقـات الأمريكيـة الصينيـة بأنهـا "عميقـة التأثـير"، وأبـدى رغبتـه في اسـتغلال فـرص اتصالـه مـع

1- يانغ جيه تشي، "الابتكار في نظريات وممارسات الدبلوماسية الصينية في ظل الأوضاع الجديدة".

2- "American Future in Asia," Remarks as Prepared for Delivery By National Security Advisor SusanE. Rice at Georgetown University, Gaston Hall, Washington, D. C., November 20, 2013, http: / /www. whitehouse.gov /the -press -office /2013 /11 /21. 7.

3- Mu Xuequan, "China's Top Legislature Rejects Japanese Resolution on ADIZ," December 12, 2013, http: / /news. xinhuanet. com/english /china /2013 -12 /08 /c_ 125823879. htm.

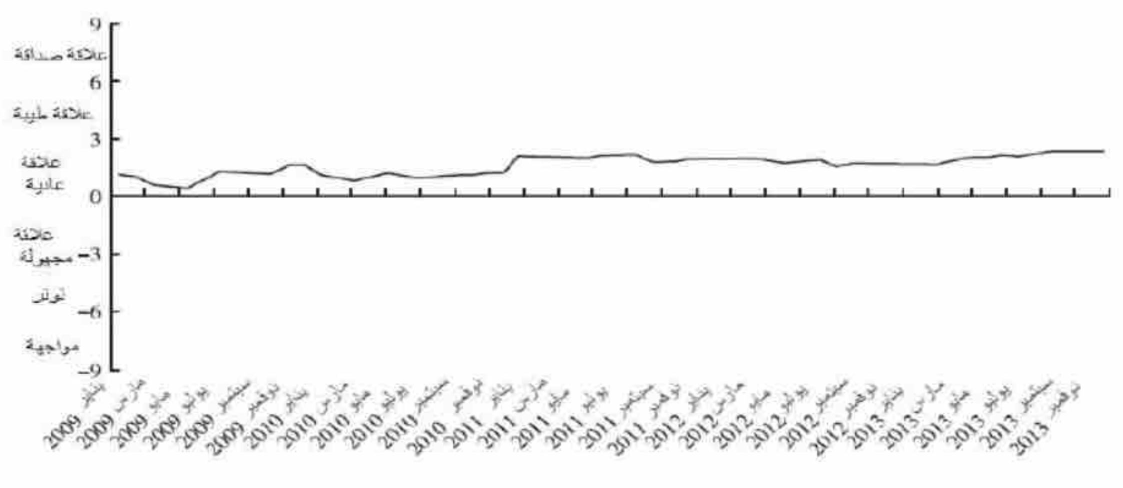
القـادة الصينيـين للسـعي إلى تخفيـف حـدة الأزمـة الصينيـة اليابانيـة[1]. أمـا الواقعـة الثانيـة فحدثـت في بحـر الصـين الجنـوبي في السـادس مـن ديسـمبر 2013، عندمـا حدثـت مواجهـات بـين سـفينة "كوبنز" الحربيـة الأمريكيـة المسـلحة بصواريـخ موجهـة وحاملـة الطائـرات الصينيـة "لياونينـغ" التـي كانـت ضمـن مجموعـة سـفن حربيـة صينيـة، وكانـت المسـافة بـين السـفن الحربيـة للطرفـين لا تتجـاوز خمسـمائة يـاردة تقريبًـا[2]. وبعـد هـذه الواقعـة، فتـح الطرفـان عـلى الفـور حـوارًا عـلى مسـتوى القـادة، لتجنـب قطـع العلاقـات بـين جيـشي البلديـن. وعـلى مـدار العشريـن عامًـا الماضيـة، انقطعـت العلاقـات بـين جيـشي البلديـن بالفعـل عـدة مـرات بسـبب أحـداث مشـابهة. وفي فبرايـر 2014، التقـى الرئيـس الأمريـكي بالـدالاي لامـا في البيـت الأبيـض، واختـار عقـد هـذا اللقـاء في مـكان غـير رسـمي، حيـث عُقـد بغرفـة الخرائـط بـدلًا مـن المكتـب البيضـاوي الشـهير الـذي دائمًـا مـا يسـتقبل الضيـوف وسـط أعـداد هائلـة مـن مصـوري الوسـائل الإعلاميـة[3]. واقتـصر رد فعـل الصـين حيـال تلـك الزيـارة عـلى الاحتجاجـات الشـفهية فقـط دون اتخـاذ أي رد فعـل انتقامـي، مـما يعكـس أن كلا الطرفـين يتخـذ سياسـة الحيطـة في التنافـس مـع الآخـر.

فيـما عـدا الحادثتـين السـابقتين، وهـي بنـاء الصـين منطقـة الدفـاع الجـوي فـوق بحـر الصـين الشرقـي، والمواجهـات بـين السـفن الحربيـة الصينيـة والأمريكيـة في بحـر الصـين الجنـوبي، أوضحـت بيانـات جامعـة تشـينغخوا بشـأن العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة أن اسـتقرار العلاقـات الثنائيـة بـين الصـين والولايـات المتحـدة قـد ارتفـع بعـد تطبيـق اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة. كـما هـو موضـح في الرسـم البيـاني رقـم 1، نلاحـظ أن العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة أكـثر اسـتقرارًا في الفـترة بـين 2012 و2013 مقارنـةً بالفـترة بـين 2009 و2011.

1- David Nakamura, “Biden Opens Visit to China Aimed at Easing Tensions in Northeast Asia,” TheWashington Post, December 5, 2013, http: / /www.washingtonpost.com/world /asia_ pacific /biden -opens -visit – to-china-aimed -at -easing –tensions -in -northeast -asia /2013 /12 /04 /b9466ec2 -5cbf -11e3 -bc56 -c6ca94801fac_ story. html?wprss= rss_ homepage.

2- Barbara Starr, “U. S. , Chinese Warships Come Dangerously Close,” December 13,2013,http: / /edition.cnn. com/2013 /12 /13 /politics /us -china -confrontation. http://nypost.com/2014 /02 /22 /obama -meets -dalai -lama -at -white -house -china -protests.

3- “Obama Meets Dalai Lama at White House, China Protests,” New York Post, February 22, 2014.



الرسم البياني رقم 1: العلاقات الصينية الأمريكية 2009-2013

مصدر المعلومات: معهد العلاقات الدولية المعاصرة بجامعة تشينغخوا، نتائج الأبحاث العلمية، قاعدة بيانات العلاقات الخارجية الصينية، العلاقات الصينية الأمريكية

2013-1950 http//:www .imir.tsinghua .edu.cn/ publish/ iisen/ 7523/ index.html،

يتضح لنا من الرسم البياني رقم 1 أن العلاقات الصينية الأمريكية قد حققت في الفترة بين 2009 و2011 نموًّا قدره 1.7 (من 0.4 إلى 2.1). وفي الفترة بين عام 2010 و2011، مع الاستمرار في تطبيق استراتيجية المتابعة والحذر، وصل هذا المعدل إلى 1.3 (من 0.8 إلى 2.1). ولكن بعد التحول إلى استراتيجية العمل بجد وحماسة في الفترة بين عام 2012 و2013، انخفض هذا المعدل ليصل إلى 0.7 (من 1.6 إلى 2.3). وكانت قيمة الانحراف المعياري في الفترات الثلاثة السابقة من العلاقات الصينية الأمريكية 0.499 و0.471 و0.227 على الترتيب[1]. وتشير زيادة قيمة الانحراف المعياري إلى تراجع استقرار العلاقات. أهم الإشارات في هذا الرسم البياني هو تحسن العلاقات الصينية الأمريكية بدءًا من أغسطس عام 2012. ويتضح لنا من هذه البيانات أن سياسة بناء النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى ربما تكون قد ساهمت في تخفيف علاقات "الصداقة الزائفة" بين الصين والولايات المتحدة؛ وذلك لأن الدولتين قد اعترفتا بأن جوهر

1- معادلة الانحراف المعياري للعلاقات الصينية الأمريكية؛

حيث إن σ: الانحراف المعياري؛ n: إجمالي عدد القيم؛ xi: القيمة؛ μ: المتوسط الحسابي.

$$\sigma = \sqrt{\frac{1}{n}\sum_{i=1}^{n}(x_i-\mu)^2}$$

العلاقـات بينهـما قائـم عـلى المنافسـة وليـس التعـاون. وبالتـالي، عندمـا تنظـر دولـة إلى الأخـرى عـلى أنهـا منافـس لهـا، لا تترقـب منهـا سياسـات ودودة، ولا يصبـح رد فعلهـا اندفاعيًّـا حيـال سـلوكها العـدائي[1].

2. توطيد العلاقات الصينية الأوروبية:

بعـد قيـام الصـين بتطبيـق اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة، لاحظنـا أن اسـتقرار العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة قـد شـهد تحسـنًا، وتحسـنت أيضًـا العلاقـات بـين الصـين والـدول الكـبرى في أوروبـا، بمـا فيهـا روسـيا. ويوضـح الرسـم البيـاني رقـم 2 هـذا التحسـن.

كانـت العلاقـات الصينيـة الروسـية عقـب الحـرب البـاردة أفضـل بكثـير مـن العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة. في الحقيقـة، تُعتـبر العلاقـات بـين الصـين وروسـيا هـي الأفضـل مـن بـين علاقـات الصـين مع باقـي الـدول الكـبرى. فقـد كانـت روسـيا هـي الدولـة الوحيـدة التـي أسسـت تعاونًـا عسـكريًّا عـلى نطـاق واسـع مـع الصـين منـذ منتصـف تسـعينيات القـرن العشريـن. وعـلى الرغـم مـن أن العلاقـات الصينيـة الروسـية حافظـت عـلى أعـلى معـدلات، إلا أننـا اكتشـفنا أن توطـد التعـاون الاسـتراتيجي بـين البلديـن كان بشـكل أكـبر بعـد التحـول مـن اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر إلى اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة. وكـما هـو موضـح في الرسـم البيـاني رقـم 2، ارتفـع الانحـراف المعيـاري للعلاقـات الصينيـة الروسـية خـلال عـام 2013 بقيمـة 0.1.

وبالإضافـة إلى ذلـك، عكسـت بعـض الوقائـع توطـد التعـاون الاسـتراتيجي بـين الصـين وروسـيا في الفـترة بـين عامـي 2012 و2013. عـلى سـبيل المثـال، ذلـك التنسـيق بـين الصـين وروسـيا في الأمـم المتحـدة والتصويـت بالرفـض عـلى مـشروع القـرار الـذي طرحـه الغـرب (قـرار فـرض العقوبـات عـلى سـوريا وإيـران). وفي يونيـو عـام 2012، أصـدرت الصـين وروسـيا بيانًـا مشـتركًا في منظمـة شـنغهاي للتعـاون، رفضتـا فيـه التدخـل العسـكري في سـوريا[2]. وبعـد

1- Yan Xuetong, "The Instability of China-U.S. Relations," Chinese Journal of International Politics, Vol. 3, No. 3, 2010, pp. 280 -285

2- "بيان منظمة شنغهاي للتعاون رفضًا للتدخل العسكري في سوريا"، "أخبار مرجعية"،
http/ / :china .cankaoxiaoxi.com .46311/ 0608/ 2012/shtml،8-6-2012

انتخاب شي جين بينغ رئيسًا للصين في مارس 2013، كانت موسكو أول محطة في جولات الرئيس شي خارج الصين. وخلال زيارة شي جين بينغ إلى روسيا، أصدرت الدولتان بيانًا مشتركًا، تدعم فيه كل دولة موقف الأخرى من حماية سيادتها على أراضيها[1]، ويعكس هذا البيان موافقة البلدين على التعاون فيما بينهما حيال النزاعات على الأرض مع اليابان. على الرغم من أنه كانت قد نشأت النزاعات بين الصين واليابان، وبين روسيا واليابان منذ سنوات بعيدة، إلا أنه لم يكن هناك دعم متبادل صريح بين الطرفين في هذه القضية. في يوليو عام 2013، قامت الصين وروسيا بمناورات عسكرية مشتركة، وكانت المناورات العسكرية البحرية بين الطرفين هي الأوسع مقارنةً بالمناورات العسكرية بين الصين وباقي الدول[2]. وبالتالي يُعد توطيد التعاون الاستراتيجي بين الصين وروسيا من أهم الإنجازات الدبلوماسية بالنسبة للصين في 2013. وفي أواخر 2013، وضع وزير الخارجية الصيني وانغ يي التطور الذي حققه التعاون الاستراتيجي بين الصين وروسيا على رأس قائمة الإنجازات الدبلوماسية التي حققتها الصين في التقرير السنوي للأعمال الدبلوماسية الصينية[3]. وفي فبراير 2014، تغيب العديد من قادة الدول الغربية عن حضور الألعاب الأوليمبية الشتوية المقامة في مدينة سوتشي الروسية، بينما حرص الرئيس شي على الذهاب إلى روسيا لتهنئة الرئيس بوتين على نجاح الألعاب الأوليمبية. وردًا على ذلك، قرر الرئيس بوتين عقد احتفال مشترك مع الصين في العام 2015 للاحتفال بذكرى مرور سبعين عامًا على الانتصار في الحرب العالمية الثانية، معربًا عن دعم روسيا لموقف الصين من عزل اليابان من دول شرق آسيا[4]. وبعد اندلاع الأزمة الأوكرانية عام 2014، فرضت الدول الغربية عقوبات اقتصادية على روسيا، بينما توصلت الصين إلى اتفاقيات تعاون مع روسيا في مجال الطاقة، وأعرب الرئيس بوتين عن شكره للحكومة الصينية[5].

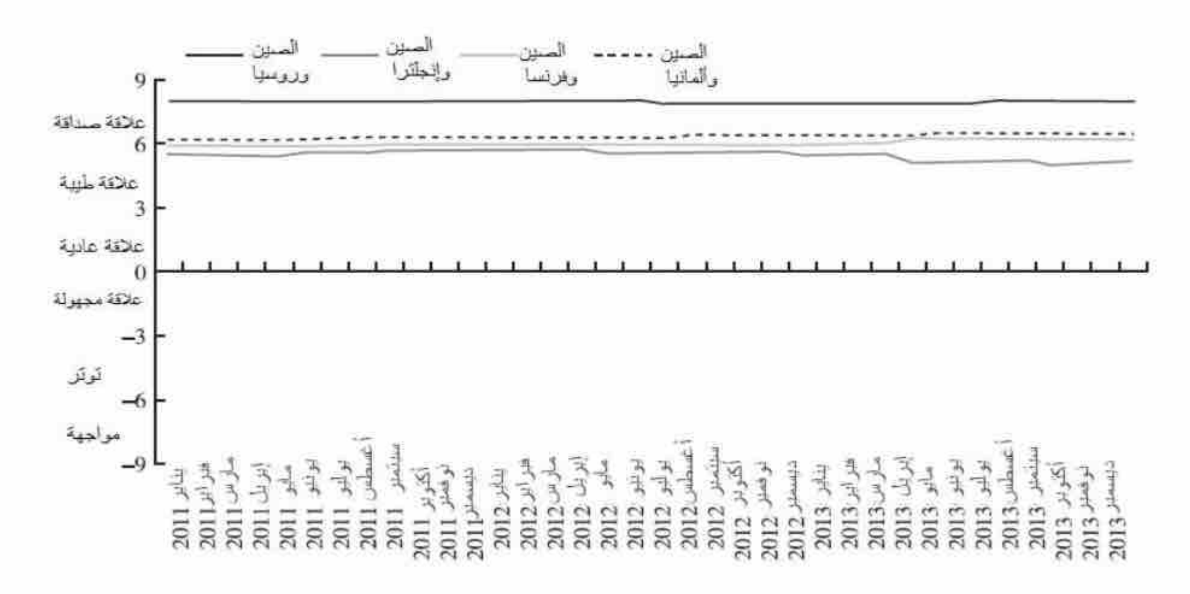
1- "توقيع الرئيس الصيني والروسي على البيان المشترك"، شبكة أنباء شينخوا،
http/ / :news .xinhuanet .com/ 23/ 03- 2013/c .124494025 _htm،23-3-2013.

2- Simon Shuster, “The World According to Putin,”Time,September 16,2013,pp. 22-23.

3- "وانغ يي يلخص إنجازات الدبلوماسية الصينية هذا العام ويتطلع إلى الأعمال الدبلوماسية في العام المقبل"، الشبكة الصينية،
http: / /news.china.com. cn /2013 -12 /19 /content_ 30937823. htm ،19-12-2013

4- ”Meeting Putin ,China‘s Xi Praises Sochi Games ,Cooperation Between 2 Nations “,February,2014 ,7 http//:www.foxnews.com/world/07/ 2014/02/meeting- putin- china- xi- praises- sochigames- cooperation -between- 2- nations.

5- "روسيا والصين توقعان اتفاقيات للغاز الطبيعي، وقلق أوروبا من التعاون الصيني الروسي في مجال الطاقة"، "المراقب"، 2014-5-22،
.http: / /www.guancha.cn /Project /2014_ 05_ 22_ 231545.shtml



الرسم البياني رقم 2: العلاقات بين الصين وأهم الدول الكبرى في أوروبا 2011-2013

مصدر المعلومات: معهد دراسات العلاقات الدولية المعاصرة بجامعة تشينغهوا، نتائج الأبحاث العلمية، بيانات العلاقات الخارجية الصينية، العلاقات الصينية الروسية (السوفيتية) 1950-2013، العلاقات الصينية الألمانية، العلاقات الصينية الفرنسية، العلاقات الصينية الإنجليزية:

http/ / :www .imir .tsinghua .edu .cn/ publish/ iisen/ 7523/ index .html

كما توطدت العلاقات الصينية الألمانية بشكل أكبر بعد تطبيق الصين لاستراتيجية العمل بجد وحماسة. فعلى مدار سنوات طويلة، كانت ألمانيا أكبر شريك اقتصادي للصين في دول الاتحاد الأوروبي، حيث وصل إجمالي حجم التجارة بين البلدين إلى 161 مليار و130 مليون دولار أمريكي في عام 2012، أي ثلث إجمالي حجم التجارة الصينية الأوروبية[1]. وفي عام 2012، وصل حجم الاستثمارات الصينية في ألمانيا مليار و450 مليون دولار أمريكي، محققة زيادة بنسبة 28.5%، وإن كان عدد المشاريع الاستثمارية

1- "Li's Visit to Elevate China's Ties with Germany, Europe," May 24, 2013, http://www. chinadaily.com.cn /china /2013livisit /2013 -05 /24 /content_ 16529145. htm.

الصينيـة في ألمانيـا يـأتي في المركـز الثالـث بعـد الولايـات المتحـدة وسـويسرا[1]. عـلى الرغـم مـن أن العلاقـات الصينيـة الألمانيـة كانـت هـي الأفضـل مـن بـين علاقـات الصـين مـع باقـي الـدول الكـبرى الغربيـة في عـام 2011، إلا أن العلاقـات بـين الدولتـين كانـت قـد تحسـنت بشـكل أفضـل في الفـترة بـين عـام 2012 و2013؛ حيـث زارت رئيسـة الـوزراء الألمانيـة أنجيـلا مـيركل الصـين في أغسـطس عـام 2012، وزار رئيـس مجلـس الدولـة الصينـي لي كـه تشـيانغ ألمانيـا في مايـو عـام 2013. وصرحـت مـيركل أكـثر مـن مـرة بـأن ألمانيـا تـولي أهميـة كبـيرة لعلاقاتهـا مـع الصـين، وتأمـل أن تسـعى مـع الصـين للحفـاظ عـلى التبـادلات رفيعـة المسـتوى بـين البلديـن، وتعزيـز التعـاون وتحقيـق التنميـة المشـتركة[2].

وكـما هـو موضـح في الرسـم البيـاني رقـم 2، فقـد شـهد عـام 2013 تحسـنًا ملحوظًـا أيضًـا في العلاقـات الصينيـة الفرنسـية. ففـي إبريـل عـام 2013، زار الرئيـس الفرنـسي فرنسـوا أولانـد الصـين، وكان الرئيـس فرانسـوا أولانـد أول رئيـس مـن بـين رؤسـاء الـدول الكـبرى الغربيـة يـزور الصـين بعـد تـولي الرئيـس الصينـي شي السـلطة. وقـد صاحـب الرئيـس أولانـد وفـد تجـاري رفيـع المسـتوى، زار الصـين أمـلًا في الاسـتفادة مـن التنميـة الاقتصاديـة الصينيـة. وفي أثنـاء هـذه الزيـارة، وقَّعـت شركـة إيربـاص الفرنسـية وشركات الطـيران الصينيـة عقـود شراء 60 طائـرة بقيمـة 7 مليـارات و770 مليـون دولار أمريـكي، كـما تباحثـت كل مـن مؤسسـة آريفـا النوويـة الفرنسـية وشركـة الصـين الوطنيـة للصناعـة النوويـة حـول بنـاء منشـأة لمعالجـة المخلفـات النوويـة، وشـاركت شركـة رينـو للسـيارات أيضًـا في المباحثـات، واقترحـت بنـاء مصنـع في ووخـان بقـدرة إنتاجيـة تصـل إلى 150 ألـف سـيارة سـنويًّا[3]. وبعـد مـرور ثمانيـة أشـهر، زار رئيـس الـوزراء الفرنـسي جـان مـارك أيـرو الصـين في أغسـطس عـام 2013 لـلإشراف عـلى تطبيـق المشـاريع سـالفة الذكـر. وفي خـلال الزيـارة، شـهد جـان مـارك أيـرو توقيـع خطـة بنـاء

1- "Li Keqiang's Visit to Germany for Managing, Focusing Economic and Trade Issues," May 25, 2013, http://www. best -news. us /news -4540366 -Li -Keqiang -39s- visit -to -Germany -for -managing -focusing -economic -and -trade - issues. html.

2- "Li Keqiang's Visit to Germany for Managing,Focusing Economic and Trade Issues",May,25,2013 http/ / :www. best- news .us/ news- 4540366- Li- Keqiang39- s- visit- to- Germany- for- managing- focusing – economic-and -trade -issues. html.

3- Small Ball, "France Hopes Billion -Dollar China Airbus Deal Is First of Many," April 26, 2013, http://www. france24.com/en /20130425 -china -france -airbus -francois -hollande -businesseconomy.

مصنع زركونيوم برأسمال مشترك بين "مؤسسة آريفا" الفرنسية وشركة الصين الوطنية للصناعة النووية، كما تم توقيع عقد مع شركة سيمنس لتقديم عدادات ونظام للتحكم للوحدة الخامسة والسادسة من محطة توليد الكهرباء بالطاقة النووية في فوتشينغ، وتم توقيع اتفاقيات تعاون في مجال الطاقة المتجددة مع شركة قوانغجوو النووية الصينية. واحتفالًا بمرور 50 عامًا على تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين الصين وفرنسا، أعلن وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس أنه بدءًا من 27 يناير عام 2014، سوف تصدر تأشيرات سفر السياح الصينيين إلى فرنسا في خلال يومين فقط[1].

كما يُعد تحسن العلاقات الصينية الإنجليزية نموذجًا آخر يعكس كيف استطاعت استراتيجية العمل بجد وحماسة تحسين العلاقات الثنائية التي تدهورت بين الصين والدول الكبرى. ففي مايو عام 2012، تجاهل رئيس الوزراء الإنجليزي ديفيد كاميرون التحذيرات الصينية وأصرّ على مقابلة الدالاي لاما في لندن، وأدى هذا التصرف إلى انقطاع اللقاءات رفيعة المستوى بين الدولتين لنحو عام ونصف. ودفعت هذه الحالة إنجلترا إلى السعي لتحسين العلاقات الثنائية بين الدولتين حتى تم دعوة ديفيد كاميرون أخيرًا لزيارة الصين في ديسمبر عام 2013، وخلال زيارته إلى بكين، أصدر ديفيد كاميرون بيانًا صرح فيه: "يؤكد الجانب الإنجليزي احترامه لسيادة الصين وسلامة أراضيها، ويدعم مبدأ الصين الواحدة، ويحترم المصالح الصينية الجوهرية وقضاياها المهمة"[2]. وقد لقي هذا التصريح استجابةً إيجابيةً من رئيس مجلس الدولة الصيني لي كه تشيانغ، فقال: "يقدر الجانب الصيني احترام الجانب الإنجليزي لسيادة الصين وسلامة أراضيها"[3]. ولقد أدى تحسن العلاقات السياسية إلى تعاون اقتصادي واسع النطاق. فقد اصطحب ديفيد كاميرون في زيارته إلى الصين وفدًا تجاريًا يُعد "الأكبر على الإطلاق"، وقال مؤكدًا على كلمة رئيس مجلس الدولة الصيني لي كه تشيانغ: "يعكس حجم هذا الوفد تطلعاتنا

1- Laura Zhou, "France to Fast -track Visa Approval for Tourists from China," South China MorningPost, January 15, 2014, http://www.scmp.com/news/china/article/1405763 /francefast -track -visa -approval -tourists -china.

2- "UK's Cameron Emphasises Business in China Visit," December 2, 2013, http:/ /news.yahoo.com/uks -cameron -emphasises -business -china -visit -065906352.html.

3- "British PM Emphasises Business in China Visit," December 3, 2013, http: / /au.news. yahoo.com/world/a/20118269 /british-pm -emphasises -business -in -china -visit.

العالية حيال علاقة الشراكة الإنجليزية الصينية. ونأمل أن نبحث جميع الفرص المتاحة للتعاون بيننا خاصةً في المجال الاقتصادي، كما تفتح إنجلترا أبوابها على مصراعيها أمام الاستثمارات الصينية"[1]. وخلال هذه الزيارة أيضًا، شهد ديفيد كاميرون ونظيره الصيني لي كه تشيانغ توقيع عشرة وثائق للتعاون بين الطرفين، غطت مجالات تعاون مختلفة منها الفضاء والإعلام وحماية براءات الاختراع وغيرها. كما صرح لي كه تشيانغ بأن الدولتين قد بدأتا مجالات تعاون "كبيرة" في مجالي القطارات السريعة والاستخدام المدني للطاقة النووية[2].

3. تحسين العلاقات مع الدول النامية:

كما شهد عام 2013 تحسنًا في العلاقات بين الصين والدول النامية. وفي مارس من ذلك العام، زار الرئيس شي القارة الإفريقية، حيث زار تنزانيا والكونغو وجنوب إفريقيا، وحضر أيضًا قمة دول البريكس، والتقى كذلك بالقادة من مصر وإثيوبيا ودول الاتحاد الإفريقي[3]. وخلال قمة دول البريكس التي عُقدت في ديربان بجنوب إفريقيا، توصل كل من الرئيس شي والرئيس الروسي (بوتين) ورئيس الوزراء الهندي (سينج) والرئيسة البرازيلية (ديلما روسيف) ورئيس جنوب إفريقيا (جاكوب زوما) إلى اتفاقية لتأسيس بنك للتنمية، سوف يوفر الموارد لمشاريع البنية التحتية والتنمية المستدامة لدول البريكس وغيرها من الدول النامية. كما وافقوا أيضًا على بحث تأسيس شبكة للأمن المالي من خلال إنشاء احتياطي للطوارئ[4]. وفي خلال الحوار الأول بين قادة دول البريكس وقادة القارة الإفريقية، أكد الرئيس شي على أن الصين سوف تعفي الدول غير المتقدمة التي أسست علاقات دبلوماسية مع الصين من الضريبة الجمركية على 97% من المشروعات

1- "UK's Cameron Emphasises Business in China Visit".

2- "British PM Emphasises Business in China Visit".

3- وزارة الخارجية الصينية: "تغطية إعلامية صينية أجنبية لزيارة الرئيس شي جين بينغ لروسيا وتنزانيا وجنوب إفريقيا وجمهورية الكونغو وحضوره الدورة الخامسة من حوار قادة دول البريكس"، موقع وزارة الخارجية الصينية، 2013-3-21،

http/ / :www .fmprc.gov.cn/eng/ wjb/ zzjg/ dozys/ xwlb/ t1023948 .shtml

4- "BRICS Summit Delivers Tangible Results,"March 28, 2013, http://www.china.org.cn /world /2013 -03 /28 / content_ 28381372. htm.

المصـدرة إلى الصـين[1]. ويمثـل هـذا نموذجًـا للسياسـة الصينيـة القائمـة عـلى مبـدأ "القـوي يدعـم الأضعـف منـه"[2].

وفي الفـترة بـين 31 مايـو حتـى 2 يونيـو عـام 2013، زار الرئيـس شي أمريـكا اللاتينيـة، حيـث عقـد محادثـات ثنائيـة في ترينيـداد وتوباغـو مـع عـدد مـن قـادة الـدول المختلفـة، منهـا أنتيغـوا وباربـودا، وبربـادوس، والباهامـا، وجمهوريـة الدومينيـكان، وغرينـادا، وغيانـا، وسـورينام، وجامايـكا، وذهـب بعـد ذلـك لزيـارة كوسـتاريكا والمكسـيك[3]. وفي سـبتمبر مـن نفـس العـام، زار الرئيـس شي جـين بينـغ بعـض دول آسـيا الوسـطى، منهـا تركمانسـتان، وكازاخسـتان، وأوزبكسـتان، وقرغيزسـتان، وحـضر أيضًـا قمـة مجموعـة الـ20 التـي عُقـدت في سـان بطرسـبرج الروسـية، وقمـة منظمـة شـنغهاي للتعـاون التي عُقـدت في بيشـكيك بقيرغيزسـتان[4]. وفي أكتوبـر، حـضر الرئيـس شي جـين بينـغ المؤتمـر غـير الرسـمي الحـادي والعشريـن لقـادة منتـدى التعـاون الاقتصـادي لـدول آسـيا والمحيـط الهـادئ (الأبيـك)، وقـام بزيـارة أهـم دولتـين في جنـوب شرق آسـيا وهـما إندونيسـيا وماليزيـا. ولقـد تغيـب الرئيـس أوبامـا عـن هـذا المؤتمـر بسـبب إغـلاق مكاتـب الحكومـة الاتحاديـة الأمريكيـة، مـما أدى إلى إنجـازات كبـيرة للرئيـس شي جـين بينـغ في هـذا المؤتمـر[5]، حيـث اسـتطاع شي جـين بينـغ مـن خـلال طرحـه اقـتراح بنـاء "كيـان يجمعـه مصـير مشـترك" تجنـب دعـم إندونيسـيا وماليزيـا للولايـات المتحـدة أو الفلبـين في مواجهـة الصـين.

وفي عـام 2013، زار رئيـس مجلـس الدولـة الصينـي لي كـه تشـيانغ بعـض الـدول الناميـة، والتقـى بعـدد كبـير مـن قـادة هـذه الـدول. وفي مايـو 2013، زار لي كـه تشـيانغ كلًّا مـن الهنـد

1- "BRICS Summit Delivers Tangible Results,"March 28, 2013.

2- المصدر "مقال الملك ليانغ خوي في كتاب مينغ تسي".

3- Xi's Latin American Tour to Promote Cooperation,"May 3, 2013, http://news.xinhuanet. com/english /china /2013 -05 /30 /c_ 132417733.htm.

4- Mu Xuequan, "Xi's Central Asia Trip Aimed at Common Development, All-win Cooperation,"September 15, 2013, http: / /news.xinhuanet.com/english/china /2013 -09 /15 /c_ 125389057.htm.

5- Geoff Hiscock, "Obama Withdrawal Puts China's Xi Jinping in APEC Box Seat,"October 7, 2013, http: / /edition. cnn.com/2013/10/06/world/asia/apec-obama -xi -putin /index.html.

وباكستان[1]، وعززت الزيارة إلى الهند من الثقة المتبادلة بين البلدين. وعلى الرغم من محاولات الإعلام الهندي لتصعيد النزاعات الحدودية بين البلدين، أصرت الحكومة الهندية على تحسين العلاقات مع الحكومة الصينية. وفي يناير 2014، اقترحت الهند عقد لقاء عسكري بين البلدين، للبحث عن وسيلة فعالة لتجنب أو حل مشكلة تجاوز خط السيطرة الفعلية بين البلدين[2]. وفي سبتمبر عام 2014، زار الرئيس شي الهند، وتوصل إلى اتفاق مع رئيس الوزراء الهندي، حيث اتفق الطرفان على حل النزاعات الحدودية "بطريقة مقبولة"، وبعد الزيارة سحبت كل دولة قواتها من المناطق الحدودية بين البلدين[3].

وفي أكتوبر، حضر رئيس مجلس الدولة الصيني لي كه تشيانغ الدورة الثامنة من قمة دول شرق آسيا المنعقدة في بروناي، حيث زار كلًّا من بروناي وتايلاند وفيتنام. كما حضر أيضًا الدورة الثالثة والعشرين من قمة اتحاد دول جنوب شرق آسيا، حيث أعلن عن خطة لرفع مستوى منطقة التجارة الحرة بين الصين والآسيان، وغيرها من المقترحات، التي شملت تأسيس البنك الآسيوي الاستثماري في البنية التحتية (AIIB)، عملاً على تعزيز بناء البنية التحتية التي تربط بين الصين واتحاد الآسيان[4]. ولقد خففت زيارة لي كه تشيانغ إلى فيتنام من حدة السياسية الفيتنامية بشأن النزاعات في بحر الصين الجنوبي، مما دفع باقي دول اتحاد الآسيان إلى الوقوف في مواقف بعيدة عن سياسة الفلبين حيال هذه النزاعات. وفي نوفمبر، زار لي كه تشيانغ رومانيا، وتُعد أول زيارة لقيادي صيني إلى رومانيا منذ 20 عامًا[5]. كما حضر المنتدى الاقتصادي والتجاري بين الصين ودول وسط

1- Ananth Krishnan, "China Announces Premier Li Keqiang's Visits to India, Pakistan," TheHindu, May 14, 2013, http: / /www.thehindu.com/todays -paper /tp -national /china -announcespremier -li -keqiangs - visits -to -india -pakistan /article4713049.ece.

2- "India Invites China for DGMO -level Talks,"Deccan Herald, January 16, 2014, http: / /www.deccanherald.com/content/380384/india -invites -china -dgmo -level.html.

3- "Ladakh stand -off: India, China agree to withdraw troops by September 30,"The Times ofIndia, September 26, 2014, http://timesofindia.indiatimes.com/india/Ladakh -stand -off -Chinese-troops -start -withdrawing -from -Chumar /articleshow/43543478. cms.

4- Hou Qiang, "News Analysis: Li's Visit to Further Strengthen Bilateral Ties between Hanoi andBeijing," October18, 2013, http: / /news.xinhuanet.com/english/china/2013 -10/18/c_ 132808810.htm.

5- Kit Gillet, "China Cosying up to Eastern Europe," Aljazeera, November 26, 2013, http:/ /www.aljazeera.com/indepth/features/2013/11/china -cozing -up -eastern -europe -2013112513118391613.html.

وشرق أوروبا المنعقد في بوخارست، والتقى بقادة نحو ست عشرة دولة من دول المنطقة. ثم اتجه إلى أوزبكستان لحضور المؤتمر الثاني عشر لرؤساء وزارات الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون[1]. وإلى جانب حضور هذين المؤتمرين، عقد لي كه تشيانغ محادثات ثنائية مع جميع قادة الدول المشاركة في هذه المؤتمرات.

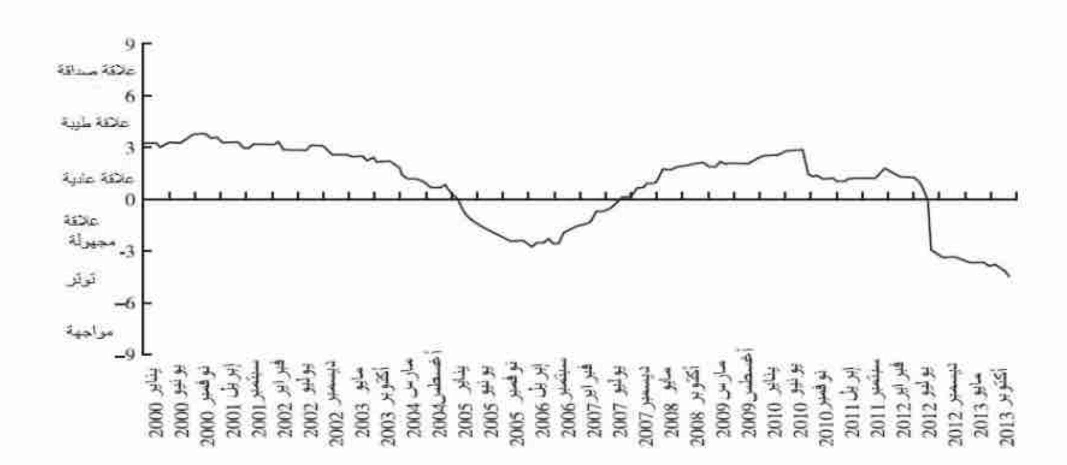
4. توتر العلاقات الصينية اليابانية:

شهدت الفترة بين عام 2012 و2013 تطورًا في العلاقات الثنائية بين الصين وأهم الدول الكبرى، وذلك باستثناء العلاقات الصينية اليابانية. ويرى البعض أن نموذج العلاقات الصينية اليابانية يعكس عجز استراتيجية العمل بجد وحماسة الجديدة عن لعب دور في تعزيز علاقات الصداقة مع الدول المجاورة. ولكن الواقع ينفي ذلك. لقد تدهورت العلاقات الصينية اليابانية تدهورًا حادًّا خلال فترة حكم رئيس الوزراء الياباني جونيتشيرو كويزومي نظرًا لإصراره على زيارة ضريح ياسوكوني ست مرات[2]. وشهدت العلاقات الصينية اليابانية انهيارًا آخر في سبتمبر عام 2010، حين اصطدمت إحدى سفن خفر السواحل اليابانية بسفينة صيد صينية بالقرب من جزر دياويو، واحتجزت حكومة (ناوتو كان) ربان السفينة الصينية لمدة 18 يومًا[3]. والجدير بالذكر أن العلاقات الصينية اليابانية كانت قد شهدت ذلك التدهور بسبب الواقعتين السالف ذكرهما خلال فترة تطبيق استراتيجية المتابعة والحذر، مما يثبت عجز هذه الاستراتيجية عن الحد من التدهور الخطير للعلاقات الصينية اليابانية. يوضح الرسم البياني رقم 3 تدهور العلاقات الصينية اليابانية إثر هاتين الواقعتين.

1- Zhu Ningzhu, "Chinese Premier to Visit Romania, Uzbekistan," November 18, 2013, http: / /news.xinhuanet.com/ english /china /2013 -11 /18 /c_ 132897930.htm.

2- "Kuizumi Visits Contested World War II Shrine," August 15, 2006, http://www.nbcnews. com/id/14351560 /ns / world_ news -asia_ pacific /t /koizumi -visits -contested -world -war - ii -shrine /#.UslAb4GlWcE.

3- "Zhan Qixiong Back Home in Fujian, Ended Japanese Unlawful Detention," September 25, 2010, http: / /www. whatsonxiamen.com/news14781.html.



الرسم البياني رقم 3: العلاقات الصينية اليابانية 2000 -2013

مصـدر المعلومـات: معهـد دراسـات العلاقـات الدوليـة المعـاصرة بجامعـة تشـينغهوا، نتائـج الأبحـاث العلميـة، قاعـدة بيانـات العلاقـات الخارجيـة الصينيـة، العلاقـات الصينيـة اليابانيـة 1950- 2013،

http/ / :www .imir .tsinghua .edu .cn/ publish/ iisen/ 7523/ index .html

تُعـد المواجهـات بـين الصـين واليابـان في الوقـت الراهـن عاقبـة "تأميـم" حكومـة يوشـيهيكو نـودا لجـزر دياويـو في عـام 2012. فقـد أدت السياسـة اليابانيـة بشـأن "تأميـم" جـزر دياويـو إلى مواجهـات خطـيرة بـين البلديـن، الأمـر الـذي أدى إلى التدهـور المسـتمر للعلاقـات الصينيـة اليابانيـة[1]. وازدادت العلاقـات سـوءًا مـع زيـارة شـينزو آبي ضريـح ياسـوكوني في ديسـمبر عـام 2013[2]. كـما هـو موضـح في الرسـم البيـاني رقـم 3، لقـد تدهـورت العلاقـات الصينيـة اليابانيـة بشـكل أكـبر خـلال فـترة حكـم شـينزو آبي الثانيـة مقارنـةً بفـترة حكـم جونيتشـيرو كويزومـي. وتعـد التناقضـات الهيكليـة بـين البلديـن أهـم الأسـباب التـي أدت إلى التدهـور الحـادّ

1- Anh Huyen, "Japan's Nationalization of Senkaku Islands Infuriates China," September 11, 2012, http://vovworld.vn /en -US /Current -Affairs /Japans -nationalization -of -Senkaku -Islandsinfuriates -China /106516.vov.

2- "China Says Abe not Welcome after War Shrine Visit,"The Washington Post, December 30, 2013, http://www.washingtonpost.com/world/asia_ pacific/china -says -abe -not -welcomeafter -war -shrine -visit /2013 /12 /30 / bc30314e -7133 -11e3 -bc6b-712d770c3715_ story.html.

للعلاقـات الصينيـة اليابانيـة في أعقـاب عـام 2000، فـلا تقبـل اليابـان أن تحـل الصـين محلهـا لتصبـح ثـاني أكـبر كيـان اقتصـادي في العـالم. وعـلى خلفيـة مـا سـبق، يتضـح لنـا أن العلاقـات الصينيـة اليابانيـة قـد تدهـورت لفـترات طويلـة منـذ عـام 2001، وكان ذلـك قبيـل تطبيـق اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة الحاليـة، وبالتـالي يمكننـا أن نقـول إن هـذه الاسـتراتيجية لم تلعـب دورًا في هـذا التدهـور.

بالرغـم مـن أن اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة الصينيـة لم تنجـح في تخفيـف المواجهـات بـين حكومـة شـينزو آبي والصـين، فإنهـا نجحـت في عـزل الحكومـة اليابانيـة عـن المنطقـة، ووطـدت مـن العلاقـات بـين الصـين وغيرهـا مـن الـدول. فعـلى سـبيل المثـال، اتخـذت كوريـا الجنوبيـة وروسـيا والولايـات المتحـدة مواقـف مشـابهة للصـين تعـارض فيهـا زيـارة شـينزو آبي لضريـح ياسـوكوني. حتـى إن رئيسـة كوريـا الجنوبيـة بـاك غـن هـي طبقـت سياسـة شـبيهة للصـين حيـال اليابـان، ورفضـت مقابلـة رئيـس الـوزراء اليابـاني شـينزو آبي بعـد توليـه الحكـم في فبرايـر عـام 2013[1]. كـما طبـق الرئيـس الـروسي فلاديمـير بوتـين سياسـة القـوة حيـال النـزاع الـروسي اليابـاني. وقـال وزيـر الخارجيـة الـروسي (سـيرجي لافـروف): لقـد تسـبب النـزاع الـروسي اليابـاني في عـدم توقيـع الدولتـين عـلى أيـة اتفاقيـات سـلمية رسـمية منـذ انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، ولا أعتقـد أنـه سـوف يكـون هنـاك حـل لهـذا الأمـر في المسـتقبل القريـب[2]. في عـام 2014، أجَّـل الرئيـس بوتـين زيارتـه إلى اليابـان أكـثر مـن مـرة، وبـدأت تتدهـور العلاقـات الروسـية اليابانيـة. ومنـذ عـام 2012، حثـت حكومـة أوبامـا اليابـان عـلى إعـادة 300 كيلوغرامًـا مـن البلوتونيـوم الـذي قدمتـه الولايـات المتحـدة لليابـان خـلال فـترة الحـرب البـاردة لأهـداف بحثيـة[3]. وخـلال القمـة الخاصـة بـين اليابـان واتحـاد الآسـيان المنعقـدة في أكتوبـر عـام 2013، رفضـت جميـع دول الآسـيان، فيـما عـدا الفلبـين، اقـتراح اليابـان باتخـاذ مواقـف مشـتركة حيـال إقامـة الصـين منطقـة دفـاع جـوي فـوق بحـر الصـين الشرقـي[4].

1- Julian Ryall, "China, South Korea Reject Complaint from Japan over Statue of Assassin," SouthChina Morning Post, January 27, 2014, http://www.scmp.com/news/asia/article /1360486 /china -south -korea -reject -complaint -japan -over -statue -assassin.

2- Steve Gutterman, "Russia's Putin Accepts Japan Invitation, Minister Says," January 21, 2014,http://www.reuters.com/article/2014/01/21/us-russia-japan-idUSBREA0K0SF20140121.

3- "US Presses Japan to Hand Back 300 kg of Plutonium," January 27, 2014, http://www. vancouverdesi.com/news / us -presses -japan -to -hand -back -300 -kg -of -plutonium/706755 /

4- "Japan Unable to Get ASEAN Members on Same Page at Special Summit,"The Asahi Shimbun, December 15, 2013, https://ajw.asahi.com/article/behind_news/politics /AJ201312150014.

خامسًا، الخاتمة

حاولت الدراسة تفسير الأسباب وراء قدرة القيادة السياسية المبنية على مفهوم الحكم بالفضيلة، على مساعدة الدول الكبرى الناهضة في بناء نظرية الواقعية الأخلاقية العلاقة بين الأخلاقيات الدولية ومختلف أنواع السلطة، وخلق بيئة دولية مواتية. بالرغم من أن الواقعية الكلاسيكية والواقعة الأخلاقية تؤكدان على أهمية الأخلاقيات الدولية، فإن الواقعية الكلاسيكية لم تميز بين المستويات المختلفة للأخلاقيات الدولية. في حين حللت أن المصداقية الاستراتيجية الدولية هي شرط ضروري يمكّن الدول الصاعدة من بناء مكانة قيادية عالمية والحصول على حلفاء أكثر من الدول المهيمنة.

ولقد فرضت الأناركية في الأنظمة الدولية حتمية وجود تناقضات هيكلية بين الدول الصاعدة والدول المهيمنة أو باقي الدول العظمى، تؤدي إلى وقوع الدول الناهضة في "أزمة نهضة". فمع تعاظم قوة الدول الصاعدة، يتعاظم ضغط الأنظمة الدولية عليها. وفقًا لمبادئ الواقعية الأخلاقية، ستتدهور البيئة الدولية المحيطة للدول الصاعدة إلا في حالة مبادرة هذه الدول بخلق بيئة دولية مواتية تخدم نهضتها الذاتية. وحتى تستطيع الدول الصاعدة خلق هذه البيئة، عليها أن تتحمل المزيد من المسئوليات الأمنية وإلا فسوف تتدهور بشكل طبيعي علاقتها مع الدول المجاورة. وبالتالي عجزت استراتيجية المتابعة والحذر عن توفير بيئة دولية مواتية تساعد الصين على تحقيق نهضة الأمة الصينية؛ لأنه بحسب هذه الاستراتيجية كانت الصين تتهرب من تحمل المسئولية الأمنية الدولية، ما جعل الدول الأخرى تنظر إلى الصين على أنها دولة كبرى "غير مسئولة". يعتبر القادة السياسيون الذين يحكمون بالفضيلة المصداقية الاستراتيجية أساسًا للسلطة الدولية، وبالتالي يعتبرون بناء المصداقية الاستراتيجية أهم المصالح الوطنية في الدولة. ومن هنا تهدف استراتيجية العمل بجد وحماسة إلى تعزيز المصداقية الاستراتيجية للصين، ويتضمن ذلك تقديم ضمانات أمنية للدول المجاورة. فبحسب الواقعية الأخلاقية، يُعتبر التعاون في المجال الأمني من أهم أسس بناء علاقات استراتيجية موثوق فيها بين الدول الصاعدة وباقي الدول، فالتعاون في المجال الأمني هو فقط ما يستطيع أن يقلل من خوف الدول المجاورة، ويزيد من قدر ثقة الدول الصغرى، مما يؤدي إلى كسب دعم استراتيجي أكبر.

في عـام 2013، حققـت الصـين إنجـازات واضحـة في المجـال الدبلومـاسي في ظـل اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة. وبحسـب الواقعيـة الأخلاقيـة، يكمـن السـبب الأسـاسي وراء هـذه الإنجـازات في تحـول السياسـات الدبلوماسـية الصينيـة مـن التوجـه الاقتصـادي إلى التوجـه السـياسي. فبعكـس اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر التـي تضـع الأولويـة القصـوى للمصلحـة الاقتصاديـة، تعتـبر اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة الكرامـة السياسـية مصلحـة وطنيـة أعـلى مـن تحقيـق المكاسـب الاقتصاديـة. وللحفـاظ عـلى هـذه الكرامـة السياسـية، تعتـبر اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة "تعزيـز علاقـات الصداقـة" أول أهـداف السياسـات الدبلوماسـية الصينيـة. ومـن هـذا المنطـلق، تقـدم الصـين الدعـم الاقتصـادي للـدول الأخـرى ليـس سـعيًا لتعزيـز مصالحهـا الاقتصاديـة، بـل لتعزيـز علاقاتهـا الدبلوماسـية مـع الـدول الأخـرى، وبالتـالي كان مـن الطبيعـي أن تتحسـن علاقـات الصـين مـع العديـد مـن دول العـالم. وعمـلاً عـلى بنـاء بيئـة دوليـة تسـاعد عـلى تحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة، طـرح الرئيـس شي مقـترح بنـاء "كيـان يجمعـه مصـير مشـترك" مـع الـدول المجـاورة. وبـصرف النظـر عـما إذا كانـت فكـرة بنـاء "كيـان يجمعـه مصـير مشـترك" تمثـل منظمـة دوليـة أكـثر حميميـة أو انفصـالاً عـن المفهـوم التقليـدي للتحالفـات، فإنهـا عـلى أقـل تقديـر لا تخلـو مـن التعـاون العسـكري. وحتـى تبنـي الصـين "كيانًـا يجمعـه مصـير مشـترك"، يتطلـب منهـا ذلـك أن تعـزز مـن مصداقيتهـا الاسـتراتيجية، وتفعّـل سياسـات تقـدر المبـادئ الأخلاقيـة مـع الـدول الأعضـاء في ذلـك "الكيـان". وقبـل بنـاء ذلـك "الكيـان"، سـوف تضمـن اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة عـلى الأقـل أن تقـف معظـم الـدول موقـف الحيـاد حيـال التنافـس الاسـتراتيجي بـين الصـين والولايـات المتحـدة الأمريكيـة.

بحســب مبــادئ الواقعيــة الأخلاقيــة، اســتطاعت اســتراتيجية العمــل بجــد وحماســة تحقيــق الاســتقرار للعلاقــات الصينيــة الأمريكيــة في الفــترة بــين عــام 2012 و2013، لأنــه قــد حولــت هــذه الاســتراتيجية علاقــة "الصداقــة المزيفــة" الصينيــة الأمريكيــة، إلى علاقــة "تنافــس ســلمي"، أي مــا يُطلــق عليــه النمــط الجديــد للعلاقــات بــين الــدول الكــبرى. وأثنــاء تمســك الصــين باســتراتيجية المتابعــة والحــذر، رفضــت الصــين والولايــات المتحــدة الاعــتراف بوجــود تناقضــات هيكليــة بينهــما، وبالتــالي اتخــذّ الطرفــان سياســة "الصداقــة المزيفــة"، التــي كانــت وصفًــا للعلاقــات بــين الدولتــين مــن ناحيــة، واســتراتيجية دبلوماســية يتبعهــا الجانبــان مــن ناحيــة

أخـرى[1]. إن "الصداقـة المزيفـة" باعتبارهـا اسـتراتيجية دبلوماسـية، يمكنهـا أن تخفـف مـن التوتـر بـين الصـين والولايـات المتحـدة بشـكل مؤقـت، ولكنهـا في الوقـت نفسـه قـد تـؤدي إلى توقعـات قـد تكـون ليسـت في محلهـا مـن كل دولـة حيـال الأخـرى. وبالتـالي قـد تتسـبب الآمـال العاليـة في ردود أفعـال حـادة حيـال أي سـلوك عـدائي مـن أحـد الأطـراف مـع الآخـر. ولذلـك كانـت العلاقـات بـين الصـين والولايـات المتحـدة غـير مسـتقرة تمامًـا قبـل تطبيـق اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة. بعكـس اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، تقـوم اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة عـلى افـتراض وجـود تناقضـات هيكليـة بـين دولـة صاعـدة وأخـرى مهيمنـة. في أغسـطس عـام 2011، توصـل الرئيـس شي ونائـب الرئيـس الأمريـكي جـو بايـدن إلى تفاهـم مشـترك حـول التنافـس السـلمي بـين البلديـن[2]. عندمـا اعـترف الطرفـان الصينـي والأمريـكي بـأن العلاقـة بينهـما علاقـة تنافسـية، لم يعـد أي طـرف يترقـب سـلوكًا وديًـا مـن الآخـر، مـما سـاهم في اسـتقرار العلاقـات بـين الطرفـين. وفي أواخـر عـام 2013، دعـم نائـب الرئيـس الأمريـكي هـذا المفهـوم مـن الجانـب الصينـي خـلال زيارتـه إلى الصـين، حيـث قـال: "إنكـم صرحـاء، وتتمتعـون بفكـر بنّـاء. وقـد تأثـرت بهـذا كثـيرًا منـذ البدايـة"، كـما قـال أيضًـا: "تطويـر هـذا النمـط الجديـد مـن العلاقـات بيننـا يحتـاج بشـدة إلى هـذه العقليـة. فالصراحـة تنبـع مـن الثقـة. والثقـة هـي التغيـير الحقيقـي، وهـي أسـاس التغيـير البنّـاء"[3].

في ظـل الثنائيـة القطبيـة في الأوضـاع الدوليـة، أصبـح مـن الصعـب عـلى الـدول الصاعـدة أن تخفـي قوتهـا الحقيقيـة. بحسـب اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، كان عـلى الصـين التهـرب قـدر الإمـكان مـن تحمـل المسـئولية الدوليـة، ولكـن لم يقلـل ذلـك مـن الضغـوط السياسـية عليهـا، فظـل المجتمـع الـدولي يطالبهـا بـضرورة تحمـل مسـئوليات دوليـة أكـبر، لدرجـة أن الصـين كانـت تُعتـبر دولـة "غـير ودودة " وحتـى "غـير أخلاقيـة". وعـلى العكـس مـن ذلـك، شـجعت اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة الصـين عـلى تحمـل المسـئوليات الدوليـة التـي تـأتي نتيجـة لتعاظـم قـوة الصـين ومكانتهـا كدولـة كـبرى تُعـد ثـاني أكـبر كيـان اقتصـادي في العـالم. وبالتـالي

1- Yan Xuetong and Qi Haixia, "Football Game Rather Than Boxing Match: China-U.S. Intensifying Rivalry Does not Amount to Cold War," Chinese Journal of International Politics, Vol. 5, No. 2, 2012, pp. 109 -113.

2- "Remarks by the Vice President at Sichuan University," August 21, 2011, http://www. whitehouse.gov/the -press -office /2011 /08 /21 /remarks -vice -president -sichuan -university.

3- David Nakamura, "Biden Opens Visit to China Aimed at Easing Tensions in Northeast Asia".

كان لهـذه الاسـتراتيجية دور يسـاعد الصـين عـلى بنـاء صـورة طيبـة لهـا كدولـة كـبرى تلتـزم بالمبـادئ الأخلاقيـة وتتحمـل المسـئولية. وفي الفـترة بـين عـام 2013 و2014 ارتفعـت مكانـة الصـين الدوليـة بـين الـدول الناميـة وخاصـةً في إفريقيـا. ولم تعـد الـدول تنظـر إلى الصـين عـلى أنهـا تقـوم بـ"غـزو اقتصـادي" لإفريقيـا، فقـد أرسـلت الصـين إلى جنـوب السـودان قـوات لحفـظ السـلام، مـا يثبـت أن الصـين تتحمـل مسـئولية أمنيـة دوليـة[1]. اسـتطاعت اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة توفـير بيئـة دوليـة مواتيـة لتحقيـق نهضـة الأمـة الصينيـة، لأنهـا حملـت في فحواهـا مفهومًـا جديـدًا للأخـلاق والمصالـح، يقـوم جوهـره عـلى تقديـم المبـادئ الأخلاقيـة عـلى المصالـح الاقتصاديـة، والمقصـود بهـذه القيـم الأخلاقيـة المسـاواة والعـدل[2]. يُعـد العـدل والمسـاواة قيـمًا سياسـيةً تمثـل المكونـات الأساسـية في الأخلاقيـات الدوليـة العامـة، وبمـا أنهـا قيـم مشـتركة بـين معظـم الـدول، بالتـالي ستسـاعد الصـين عـلى الحصـول عـلى دعـم دولي أكـبر. أمـا اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر فـكان جوهرهـا يقـوم عـلى تحقيـق المصلحـة الاقتصاديـة فحسـب، والسـعي إلى المصلحـة الاقتصاديـة فقـط يُعـد أمـرًا أنانيًـا في كل الثقافـات. وبالتـالي، إذا تمسـكت الصـين باسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، فسـوف يهـدم ذلـك بـلا أدنى شـك صـورة الصـين الدوليـة، وسـتعجز الصـين عـن خلـق بيئـة دوليـة مواتيـة تسـاهم في تحقيـق النهضـة العظيمـة للأمـة الصينيـة.

وحتـى وقتنـا الراهـن، لا يـزال العديـد مـن الباحثين الصينيـين والأجانب يـرون أن اسـتراتيجية العمل بجـد وحماسـة محكـوم عليهـا الفشـل. لدرجـة أن البعـض يضـع هـذه الاسـتراتيجية عـلى قـدم المسـاواة مـع السياسـات الألمانيـة قبـل الحـرب العالميـة الأولى، والسياسـات اليابانيـة قبل الحـرب العالميـة الثانية. لم تثبـت هـذه الدراسـة حتميـة نجـاح النهضـة الصينيـة في ظـل اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة، بـل ناقشـت أن هـذه الاسـتراتيجية يمكنهـا تقديـم بيئـة دوليـة أفضـل لتحقيـق النهضـة الصينيـة مقارنـةً باسـتراتيجية المتابعـة والحـذر. ولكـن يُعـد انـدلاع المواجهـات بـين الصـين والـدول المجـاورة أكـبر أخطار اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة، خاصـةً اليابـان، وليـس نشـوب الحـرب بـين الصـين والولايـات المتحـدة الأمريكيـة. ونظـرًا لوجـود فجـوة متزايـدة بـين قـوة الدولـة الصينيـة والـدول المجـاورة، مـن السـهل أن ينظـر البعـض إلى اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة بوصفهـا اسـتراتيجية تقـوم عـلى القـوة.

1- "الصين ترسل قوات حفظ السلام إلى جنوب السودان للمرة الأولى"، "أخبار مرجعية" 2014-9-26، ص1.

2- يانغ جيه تشي، "الابتكار في نظريات وممارسات الدبلوماسية الصينية في ظل الأوضاع الجديدة".

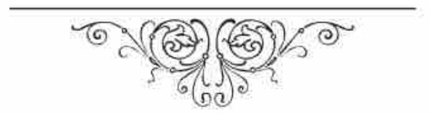
لذلـك ينبغـي عـلى الصـين أن تطبـق اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة بمنتهـى الـذكاء، حتـى لا تعتـبر الـدول الأخـرى الصـين دولـة كـبرى متسرعـة. وفي الوقـت نفسـه، تحتـاج الصـين إلى إقنـاع المجتمـع الـدولي بعـدم دعـم تلـك الـدول التـي تتعمـد تحـدي الصـين.

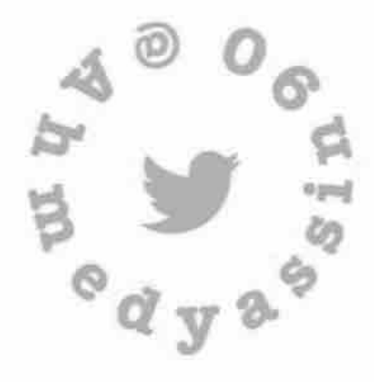
لا يمكننـا تقييـم دور اسـتراتيجية العمـل بجـد وحماسـة بشـكل وافٍ الآن؛ إذ لم يتـم تفعيلهـا إلا لفـترة قصـيرة. ومـع ذلـك، لا يمكننـا أن ننكـر أنهـا قـد حققـت إنجـازات واضحـة في المجـال الدبلوماسي، كـما قـد حققـت الحكومـة الصينيـة في الوقـت الراهـن سـمعة طيبـة في الداخـل والخـارج في ظـل قيـادة الرئيـس شي.

تـم نـشر هـذه الدراسـة في العـدد الرابـع مـن مجلـة "العلـوم السياسـة الدوليـة" Journal Quarterly Politics International of لعـام 2014 (العـدد رقـم 40 مـن إجـمالي الأعـداد)، ص 1-35. كـما تـم نشرهـا أيضًـا في العـدد الثـاني مـن "المجلة العلميـة الصينيـة للسياسـة الدوليـة"Journal Chinese The Politics International of لعـام 2014.

المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني والمفاهيم والخصائص الجديدة للدبلوماسية الصينية

جين تسان رونغ   وانغ خاو




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: في مواجهة الأوضاع الدولية والداخلية الجديدة، طرحت اللجنة المركزية للمؤتمر الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني- بقيادة السكرتير العام شي جين بينغ- سلسلة من المفاهيم الجديدة في الشئون الخارجية الصينية، كما ظهر أسلوب جديد وخصائص جديدة في ممارسات السياسة الخارجية الصينية. ويدل هذا القدر الكبير من التجديد في المفاهيم والممارسات الدبلوماسية لدى القيادة الصينية الجديدة على أن الدبلوماسية الصينية قد شهدت تغيراً كبيراً جديرًا بالاهتمام. فقد اكتسبت الدبلوماسية الصينية بمفاهيمها وخصائصها الجديدة التي جاءت إثر المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني أهميةً كبيرةً ليس بالنسبة للصين فحسب بل للعالم بأسره، وقدمت هذه المفاهيم والخصائص الجديدة إطارًا فعالًا يساعد على متابعة الدبلوماسية الصينية فيما بعد.

الكلمات المفتاحية: التنمية السلمية؛ الحلم الصيني؛ نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى؛ الحدود المبدئية؛ التوازن بين الشرق والغرب.

الباحثان: جين تسان رونغ (1962-)، أستاذ بكلية العلاقات الدولية بجامعة الشعب الصينية ومشرف على رسائل دكتوراه، حاصل على الدكتوراه في القانون، ومتخصص في الدراسات المعنية بالدبلوماسية الأمريكية، والعلاقات الصينية الأمريكية، والسياسة الخارجية الصينية. وانغ خاو (1988-)، باحث في مرحلة الدكتوراه بكلية العلاقات الدولية بجامعة الشعب الصينية.

في نوفمبر عام 2012، انتقلت القيادة الجماعية المركزية للحزب من القيادة القديمة إلى أخرى جديدة بانعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، مما يُعد مؤشرًا لدخول عملية الإصلاح الصينية إلى مرحلة جديدة من التطور. وعلى الصعيد الدبلوماسي، بدأت هذه المرحلة الجديدة بانعقاد مؤتمر الدراسة الجماعية الثالث للمكتب السياسي للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب[1] في 1/28 2013. وبالنيابة عن القيادة

1- يُقصد بالدراسة الجماعية للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب: نظام دراسة يعقده المكتب السياسي بصورة منتظمة لمناقشة القضايا الأساسية، يترأسها سكرتير عام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ويلقي كلمة فيها، ويحضرها جميع أعضاء المكتب السياسي، ويتم فيها دعوة المسئولين من الجهات المعنية والخبراء والعلماء لإلقاء محاضرات خاصة في مجالات مختلفة كالاقتصاد والسياسة والتاريخ والثقافة والعلوم والتكنولوجيا وعلم الاجتماع والشئون العسكرية والخارجية (المترجمة).

الجديـدة، طـرح شي جـين بينـغ للمـرة الأولى في هـذا المؤتمـر سلسـلةً مـن المفاهيـم الجديدة في الشـئون الخارجيـة، التـي ظـل يعمـل عـلى تحسـينها وتوسـيعها وتعميقهـا منـذ ذلـك الحـين. الأمر الـذي أدى إلى ظهـور خصائـص جديـدة كليًـا لـدى القيـادة الجماعيـة المركزيـة الجديـدة أثنـاء ممارسـاتها لسياسـتها الخارجيـة، التـي اعتـبرت بدايـة موفقـة لهـا. سـنهتم في هـذه الدراسـة بتحليـل ذلـك التجديـد في المفاهيـم والممارسـات الدبلوماسـية الصينيـة التـي جـاءت إثـر المؤتمـر الوطنـي الثامـن عـشر للحـزب، وسـوف نبحـث مـا اكتسـبه هـذا التجديـد مـن أهميـة بالنسـبة للصـين والعـالم مـن زاويـة السياسـة الدوليـة، محاولـين أن نقـدم إطـارًا فعـالًا يسـاعد عـلى متابعـة الدبلوماسـية الصينيـة فيـما بعـد.

أولًا: المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي والمفاهيم الجديدة في الدبلوماسية الصينية

1. الدبلوماسية العامة: إضفاء مغزى عالمي على "الحلم الصيني" على أساس مفهوم التنمية السلمية:

تم طرح تلك السلسلة الجديدة من المفاهيم حول الدبلوماسية الصينية للمرة الأولى - والتي جاءت إثر انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني- في مؤتمر الدراسة الجماعية الثالث للمكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، حيث ألقى الرئيس شي خلال هذا المؤتمر كلمة بعنوان "التنسيق بين المصالح الخارجية والداخلية، ووضع حجر الأساس لطريق التنمية السلمية"[1]. عرض الرئيس في كلمته وبشكل منظم فكرًا شاملًا للقيادة الجماعية المركزية الجديدة حول الشئون الخارجية. ويمكن تلخيص هذه الكلمة في ثلاث نقاط أساسية: أولًا، التشديد على عزم الصين على اختيار طريق التنمية السلمية؛ ثانيًا: التأكيد على ضرورة مواكبة التنمية الصينية للتيارات العالمية، وتحويل الفرص المتاحة للدول الأخرى إلى فرص تستفيد منها الصين، وجعل الفرص الصينية متاحة لبقية دول العالم؛ ثالثًا: عدم التنازل عن حقوق الصين ومصالحها المشروعة، أو التضحية بمصالحها الجوهرية تحت أي ظرف، أي أنه إن سلكت الصين طريق التنمية السلمية، ينبغي على باقي دول العالم سلوك ذلك الطريق معها، فلن تستطيع أي من دول العالم تحقيق التنمية المشتركة أو التعايش السلمي فيما بينها إلا من خلال طريق التنمية السلمية.

وترى الدراسة أن من أهم الرسائل التي كشفتها كلمة الرئيس، إصرار الصين على الاستمرار في المضي في طريق التنمية السلمية حتى يكتسب "الحلم الصيني" مغزى عالميًا، وتنعكس تلك المفاهيم الجديدة للدبلوماسية الصينية التي تدفع تحقيق هذا الهدف في

1- شي جين بينغ، "التنسيق بين المصالح الخارجية والداخلية، ووضع حجر الأساس لسلوك طريق التنمية السلمية"، صحيفة الشعب اليومية، 30-01-2013.

النقطتين الثانية والثالثة من كلمة الرئيس. ونختصر هاتين النقطتين مجازاً في مفهومي "التفاعل بين فرص الصين والعالم" و"تحقيق الوحدة الجدلية للتنمية السلمية". فكما هو معروف للجميع، قام شي جين بينغ - الذي انتخب ليكون السكرتير العام للحزب والعضو الدائم في المكتب السياسي للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب الشيوعي الصيني- بزيارة معرض "طريق النهضة" الضخم المنعقد في المتحف الوطني الصيني بمناسبة اختتام المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني، وهناك أشار إلى المفهوم الدقيق لـ"الحلم الصيني" عندما قال: "إن تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية هو أعظم الأحلام التي تطلعت لها الأمة الصينية في العصر الحديث"[1]. كما قال الرئيس شي خلال لقائه مع الرئيس أوباما في منتجع أنينبرج في صني لاندز بولاية كاليفورنيا أثناء زيارته إلى الولايات المتحدة الأمريكية في يونيو 2013: "ستسعى الصين جاهدةً لتحقيق الحلم الصيني الذي يتمثل في تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية، والحلم الصيني لا يختلف عن أحلام مختلف شعوب العالم كله بما فيها الحلم الأمريكي"[2]. يتضح من هذا التفسير الذي طرحة الرئيس شي أن الحلم الصيني سوف يكتسب مغزاه العالمي؛ لأنه حلم يسعى إلى التنمية المشتركة، باعتبار أن الصين دولة ناهضة مسئولة تسعى إلى تحقيق حلم يسعى إلى تحقيق المصالح المتبادلة والفوز المشترك مع العالم الخارجي. لذلك سوف نركز هنا على تحليل المفهومين الجديدين في الدبلوماسية الصينية اللذين يدفعان إلى تحقيق هذا الهدف، ألا وهما "التفاعل بين فرص الصين والعالم" و"تحقيق الوحدة الجدلية للتنمية السلمية".

أولًا: مفهوم "التفاعل بين فرص الصين والعالم": يشير هذا المفهوم، للمرة الأولى، إلى أن الصين باعتبارها دولة مسئولة كبرى، ليس فقط عليها استغلال جميع الفرص التي تتيحها العولمة في دفع تنميتها الذاتية، بل يؤكد على ضرورة تطوير الصين لتصبح قوة محركة مهمة تدفع بالتنمية في العالم بأسره. فمنذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، استطاعت الصين تحقيق إنجازات تنموية كانت محط أنظار العالم من خلال الانصهار الإيجابي في بوتقة الأنظمة العالمية وغيرها من الوسائل الأخرى. من منظور

-1 جانغ شوه، "ينبغي أن نربط بين الماضي والحاضر، وأن نشق طريق المستقبل، وأن نتقدم بخطوات شجاعة نحو تحقيق النهضة العظيمة للأمة الصينية"، صحيفة الشعب اليومية، 2012-11-30.

-2 شي جين بينغ، "الحلم الصيني يشبه أحلام شعوب العالم الأخرى". جريدة تشيان جيانغ المسائية، 2013-06-09.

السياسة الدولية، بدأت الأنظمة العالمية المعمول بها حاليًا تحول قضايا السياسة الدولية وتياراتها من مفهوم الحروب الاستعمارية والتوسع الخارجي سابقًا إلى مفهوم التعاون السلمي والتنمية المشتركة وذلك مع ظهور "الثقافة اللوكية" (Culture Lockean the)، التي نشأت بقيادة الولايات المتحدة عقب "الحرب العالمية الثانية"[1]. ومن ثم فقد استفادت سياسة الإصلاح والانفتاح الصينية قبل أكثر من ثلاثين عامًا، من تطور الثقافة الأناركية الدولية كثيرًا، وتستفيد كذلك من القضايا السياسية العالمية الحالية. وكما قال شي جين بينغ في مؤتمر الدراسة الجماعية: "إن التيارات العالمية قوية وجارفة، يحيى من يواكبها، بينما يهلك من يعاكسها. وعلى مدار التاريخ، نجد أولئك الذين اعتمدوا على القوة في شن الغزوات والتوسعات الخارجية انتهوا جميعًا بالفشل. هذا هو قانون الطبيعة. فالعالم المزدهر والمستقر يقدم فرصًا للصين، وتتيح التنمية الصينية فرصًا للعالم كله"[2]. وترى هذه الدراسة أن الرئيس شي يقصد بهذه الجملة أن الصين ستتحول تدريجيًا من مجرد طرف مستفيد إلى طرف يتحمل مسئولية دولية، وربما سيكون لهذا التحول تأثير عظيم في البحث عن حلول مناسبة للعديد من القضايا العالمية، ودفع الصين لتكون دولة عظمى تحظى بتقدير الجميع. ومن ثم يمكننا أن نعتبر مفهوم "التفاعل بين فرص الصين والعالم" استراتيجية فعالة تعمل على تعميق مفهوم المصلحة المتبادلة والفوز المشترك في ظل ما يمر به العالم من ظروف جديدة[3].

ثانيًا: مفهوم "تحقيق الوحدة الجدلية للتنمية السلمية": ويشير إلى أن الصين لن تسلك طريق التنمية السلمية إلا إذا مضت باقي دول العالم فيه، فبالنسبة للصين هذا شرط أساسي. ويشير هذا المفهوم كذلك إلى أن الصين، باعتبارها دولة كبرى مسئولة، يجب أن تكون ملمّة وواعية بالقضايا الاستراتيجية، ويجب أن يكون لها مواقف واضحة وثابتة فيما يتعلق بالقضايا المبدئية. فعلى سبيل المثال، عندما تحدث الرئيس شي عن قضية شبه الجزيرة الكورية قال: "لا يجوز لأي شخص أن يُحدث اضطرابات

1- Alexander Wendt, Social Theory of International Politics, Cambridge University Press, 1999, p.246-312.

2- شي جين بينغ، "التنسيق بين المصالح الخارجية والداخلية، ووضع حجر الأساس لسلوك طريق التنمية السلمية"، صحيفة الشعب اليومية، 30-01-2013.

3- جين تسان رونغ، "مسئوليات الدول الكبرى"، دار نشر جامعة الشعب الصينية، بكين،2011.

في عالمنا أو في أي منطقة بعينها سعيًا وراء المصالح الخاصة"[1]، وقد أكد السيد وانغ يي وزير الخارجية الصينية في هذا الصدد قائلًا: "لن نسمح بأي اضطرابات تطرق أبواب المواطنين الصينيين"[2]. ويتضح من وجهتي النظر السابقتين أنه على الرغم من أن الدبلوماسية الصينية لا تزال تخدم التنمية الاقتصادية المحلية في المقام الأول، ولكن على الجانب الآخر لا تعني التنمية السلمية بالنسبة للصين التهاون في القضايا المبدئية، وإنما تشير إلى ضرورة أن تصبح الصين إحدى القوى المهمة التي تسعى للحفاظ على السلام العالمي. وكما هو معلوم للجميع، فإن الصين، باعتبارها دولة دائمة العضوية في مجلس الأمن، بدأت تبادر بشكل متزايد إلى المشاركة في عمليات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة لتعزيز السلام والاستقرار في المنطقة. كما تدعم الصين بحزم شديد الآليات الدولية لمنع الانتشار النووي، ونزع الأسلحة النووية، وتدعو إلى الحل العادل والعقلاني لقضيتي كوريا وإيران النوويتين من خلال الحوار والمشاورات. وفضلًا عن ذلك، عيّنت الصين مبعوثًا خاصًا لدفع عجلة السلام في الشرق الأوسط، وهو يبذل جهودًا كبيرةً للتخفيف من حدة الصراعات وحل الأزمات الإنسانية في المنطقة[3].مجمل القول أنه مع تحول الصين إلى أحد أهم المشاركين، بل حتى أحد مؤسسي الأنظمة الدولية، لم تعُد التنمية السلمية مجرد خيار استراتيجي بالنسبة للصين، بل أصبحت مسئولية دولية كبرى باعتبار الصين دولة كبرى صاعدة مسئولة.

2. دبلوماسية الدول الكبرى: بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى:

طرح السيد داي بينغ قوه مفهوم "نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى" للمرة الأولى، خلال الجولة الثانية من الحوار الاستراتيجي والاقتصادي بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية في مايو 2010، وكان حينها بمجلس الدولة الصيني[4]. وخلال زيارته إلى الولايات المتحدة في فبراير 2012، أكد شي جين بينغ الذي كان يتقلد منصب نائب

1- شي جين بينغ، "لنبن معًا مستقبلًا أفضل لآسيا والعالم"، صحيفة الشعب اليومية، 2013-04-08.

2- وانغ يي، "لن نسمح بأي اضطرابات تطرق أبواب المواطنين الصينيين"، صحيفة الشعب اليومية، 7/4/2013.

3- جين تسان رونغ، "مسئوليات الدول الكبرى"، دار نشر جامعة الشعب الصينية، بكين، 2011.

4- وكالة شينخوا، "أصل فكرة بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى بين الصين والولايات المتحدة الأمريكية"
http://news.xinhuanet.com/world/2013-06/06/c_116064614.htm

رئيس الدولة آنذاك قائلاً: "يجب دفع علاقات التعاون والشراكة بين الصين والولايات المتحدة لتحقيق تقدم أكبر، والسعي من أجل تحويل علاقات التعاون والشراكة بين الدولتين إلى نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى يليق بالقرن الحادي والعشرين"[1]. عقدت حكومتا الدولتين منذ ذلك الحين العديد من التفاعلات الإيجابية تدور حول بناء "نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى"، وتحول هذا المفهوم الدبلوماسي الجديد في النهاية إلى نقطة تفاهم مشتركة بين الدولتين، وكان ذلك اللقاء الذي جمع بين رئيسي الدولتين في ولاية كاليفورنيا في يونيو عام 2013 خير دليل على هذا التقارب. بالإضافة إلى ذلك، طبقت الحكومة الصينية الجديدة هذا المفهوم في علاقتها مع غيرها من الدول الكبرى المهمة، فعلى سبيل المثال، عندما تقلد شي جين بينغ السلطة كانت أولى زياراته إلى روسيا، ما يدل على أن العلاقات الصينية الروسية قد أصبحت نموذجًا لذلك "النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى"[2]. خلاصة القول، إن طرح مفهوم "نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى" بشكل منظومي، والتركيز على تفسيره، والسعي لتطبيقه، كلها توجهات استراتيجية جديدة طرحتها القيادة الجماعية المركزية الجديدة لمعالجة علاقاتها مع الدول العظمى.

وطبقًا لخطابات الرئيس شي في العديد من المواقف، يشير مفهوم "نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى" - أي الصين والولايات المتحدة الأمريكية- إلى ثلاثة جوانب، تشمل: أولاً، عدم النزاع أو المقاومة؛ ثانيًا، الاحترام المتبادل؛ ثالثًا، التعاون وتحقيق الفوز المشترك[3]. وإذا نظرنا إلى تاريخ العلاقات الدولية ووضعها الراهن، نجد أن الهدف الأول من بناء "نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى" - أي الصين والولايات المتحدة- هو محاولة للبحث عن حلول مناسبة للخلافات والتناقضات الكامنة في العلاقات بين الطرفين، وتجنب تكرار "مأساة سياسية للقوى العظمى" أو ما يُدعى بـ"فخ ثوسيدايدس". أما من حيث الممارسات الدبلوماسية، فإن ذلك التفاهم المشترك بين الصين والولايات المتحدة

1- نفس الهامش السابق.

2- يو سوي، "ثمار وفيرة لزيارة شي جين بينغ إلى روسيا، المغزى العالمي للنمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى":
http://www.china.com.cn/international/txt/2013-04/03/content 28433981.htm

3- شي جين بينغ، "ملخص النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى بين الصين والولايات المتحدة: عدم النزاع أو المقاومة، الاحترام المتبادل، التعاون وتحقيق الفوز المشترك":
:http//:news:xinhuanet.com/politics/2013-06/10/c 116107914.htm

حـول بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى، لا يشـكل تأثـيراً واسـعًا عـلى العلاقـات بـين الدولتـين فحسـب بـل يؤثـر كذلـك عـلى منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ بـل عـلى العـالم بـأسره، حيـث أصبحـت هـذه القضيـة إحـدى أهـم القضايـا السـاخنة في السياسـة العالميـة. مـما لا يـدع مجـالًا للشـك، أن التأثـير الكبـير لهـذه القضيـة يرجـع إلى ذلـك القـدر غـير المسـبوق مـن التعقيـد والأهميـة البالغـة للعلاقـات بـين الصـين والولايـات المتحـدة حاليًّـا. مـن ناحيـة، فـإن الصـين والولايـات المتحـدة باعتبارهـما دولتـين كبريـين عالميًّـا مـن حيـث حجـم الاقتصـاد والتأثـير الـدولي، تعتمـد كل منهـما عـلى الأخـرى بشـكل عميـق لم تشـهده الدولتـان في تاريـخ علاقاتهـما مـن قبـل سـواء عـلى صعيـد العلاقـات الاقتصاديـة والتجاريـة أو عـلى صعيـد التحديـات العالميـة المشـتركة؛ ومـن جانـب آخـر، فـإن الصـين والولايـات المتحـدة باعتبارهـما دولتـين كبريـين بينهـما اختلافـات ثقافيـة واضحـة واختلافـات هيكليـة في وسـائل تحقيـق مصالحهـما الاسـتراتيجية، تُعـد قضيـة انعـدام الثقـة بينهـما مـن أكـبر القضايـا التـي يصعـب معالجتهـا عـلى مـدار تاريـخ العلاقـات بـين الدولتـين، وخاصـةً مـع النهضـة السريعـة والمسـتمرة للصـين، ولا يمكـن تجنـب ظهـور اختلافـات هيكليـة بـين الدولتـين عـلى نحـو بـارز. وعـلى هـذا فـإن مسـألة بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الصـين والولايـات المتحـدة، تتميـز بقيمـة عمليـة ومغـزى تاريخـي في الوقـت نفسـه. باختصـار يمكـن القـول بـأن هنـاك مميـزات واضحـة وكذلـك معوقـات عديـدة تقـف أمـام بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى (الصـين والولايات المتحـدة). ومـن ثـم يكمـن جوهـر القضيـة في مـدى قـدرة الطرفـين عـلى تحقيـق المصالـح وتجنـب المخاطـر، و"الإدراك" الدقيـق مـن كل طـرف للآخـر، مـا يضمـن تجنـب أحـكام اسـتراتيجية خاطئـة، ويقلـل مـن انعـدام الثقـة بـين الطرفـين[1].

وتـرى هـذه الدراسـة أن النمـوذج القابـل للتطبيـق مـن النمـط الجديـد للعلاقـات بـين الصـين والولايـات المتحـدة هـو نمـوذج "الشراكـة الوظيفيـة" المبنـي عـلى مفهـوم "التحـول المشـترك" الـذي طرحـه السـياسي الأمريـكي الشـهير هـنري كيسـنجر، ويشـير هـذا المفهـوم إلى أن يشـترك الطرفـان في السـلطة الدوليـة ويتحمـلا في الوقـت نفسـه المسـئولية الدوليـة. وفي مواجهـة التحديـات العالميـة، يسـاعد هـذا المفهـوم الطرفـين عـلى تحقيـق مصالحهـما، مـما يقـدم

1- روبرت جيرفيس، "الإدراك والإدراك الخاطئ في السياسة الدولية" النسخة المترجمة إلى اللغة الصينية، بكين. دار نشر المعارف العالمية، 2003.

إسهامات كبرى للعالم بأسره[1].

3. دبلوماسية دول الجوار: مفهوم العلاقة الحميمة، الصدق، تحقيق المنفعة، التسامح:

عقدت اللجنة المركزية للحزب ندوة عن الأعمال الدبلوماسية مع دول الجوار للمرة الأولى في 2013/10/24. وخلال الندوة، طرح شي جين بينغ السكرتير العام للجنة المركزية، السياسة العامة للدبلوماسية مع دول الجوار، ألا وهي معاملة الدول المجاورة بمودة، واتخاذهم كشركاء للدولة، والتمسك بحسن الجوار، وإثراء هذه العلاقة وتأمينها، مما يجسد مفهومًا جديدًا كليًّا يقوم على مبادئ العلاقة الحميمة والصدق وتحقيق المنفعة والتسامح[2]. وترى الدراسة أن هذا المفهوم الجديد للدبلوماسية يعكس الأهمية البالغة التي تمثلها دول الجوار بالنسبة للصين، ويجسد توجه الصين الحالي نحو تعديل أفكارها الدبلوماسية حيال الدول المجاورة استجابةً للتغيرات التي شهدتها الأوضاع الدولية والمحلية.

أولًا: لطالما كانت الدبلوماسية مع الدول المجاورة على رأس القضايا في مفهوم "الدبلوماسية الشاملة" الصينية. وتُعتبر قارة آسيا الساحة الدبلوماسية الأهم بالنسبة للصين باعتبارها دولة كبرى في شرق القارة الآسيوية، ومن ثم فإن قدرتها على إدارة علاقاتها مع الدول المجاورة أمر يؤثر على وضع الدبلوماسية الصينية ككل. فبعد انتهاء الحرب الباردة، تغيرت الساحة الدولية تغيرًا جذريًّا؛ لذلك بدأت الصين تعزز علاقاتها مع الدول المجاورة بمفاهيم جديدة كليًّا سواء على المستوى الاقتصادي أو الدبلوماسي أو الأمني. على المستوى الاقتصادي، بدأت الصين توسع من انفتاحها على الخارج، وتعمق تبادلاتها الاقتصادية والتجارية مع جميع الدول المجاورة؛ وعلى المستوى الدبلوماسي، بدأت الصين تنضم بشكل أوسع إلى مؤسسات ومنظمات محلية متعددة الأطراف، على

1- هنري كسنجر، "عن الصين" النسخة المترجمة إلى اللغة الصينية، بكين، دار نشر الصين الدولية للائتمان والاستثمار، 2012، ص515.

2- خونغ جو، "الحكم الأربع لدبلوماسية دول الجوار ذات الطابع الصيني: العلاقة الحميمة، والصدق، وتحقيق المنفعة، والتسامح" http://news.xinhuanet.com/world/2013-11/08/c 118063342.htm

سبيل المثال انضمامها إلى منطقة التجارة الحرة للصين والآسيان 10+1، وكذلك منتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ (APEC)، كما عززت من علاقاتها الدبلوماسية مع جميع الدول المجاورة على أساس تأسيس علاقات ثنائية مع كل من هذه الدول. أما على الصعيد الأمني، فقد اتخذت الصين من "مفهوم الأمن الجديد" استراتيجية خارجية تمثل جوهر استراتيجيتها مع دول الجوار على وجه الخصوص، وتسعى من خلالها إلى القضاء على الشكوك الاستراتيجية وتعزيز الثقة المتبادلة بينها وهذه الدول، وحماية السلام والاستقرار الإقليميين. وبلا شك حققت الدبلوماسية الصينية مع الدول المجاورة نجاحات واضحة في فترة ما بعد الحرب الباردة.

ثانيًا: مع ارتفاع مكانة القارة الآسيوية في الساحة السياسية والاقتصادية الدولية، وتحول مركز اهتمام الاستراتيجية الأمريكية إلى الشرق في السنوات الأخيرة، بدأت تظهر بعض التوجهات الفرعية التي كانت كامنة سابقًا في ظل تيار سائد معنيٌّ بالتعاون الاقتصادي المحلي، وخاصةً ظهور تلك النزاعات بين الصين وبعض الدول الساحلية المجاورة حول السيادة على الأراضي في بحر الصين الشرقي والجنوبي، التي أصبحت من أكبر القضايا السياسية عالميًّا. وفي ظل هذه التغيرات، كانت الصين في أمس الحاجة إلى تعديل استراتيجيتها الدبلوماسية مع دول الجوار، ووضع مفاهيم جديدة كليًّا تحكم أعمالها الدبلوماسية مع هذه الدول.

ترى الدراسة أن ذلك المفهوم القائم على العلاقة الحميمة، والصدق، وتحقيق المنفعة، والتسامح هو فكر موازٍ يواكب العصر. فأولًا: يعد هذا المفهوم القائم على العلاقة الحميمة والصدق وتحقيق المنفعة والتسامح، امتدادًا للمفهوم التقليدي للدبلوماسية مع الدول المجاورة، الذي يدعو إلى تعزيز علاقات حسن الجوار والصداقة، ودفع استراتيجية تسعى إلى تحقيق المصلحة المتبادلة والفوز المشترك، والحفاظ على مواقف تتسم بالانفتاح والتسامح. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يعكس هذا المفهوم أهمية الدول المجاورة كجزء مهم لتحقيق بناء "مجتمع يجمعه مصير مشترك" بالنسبة للصين، ومن ثم تعزز من الألفة مع الدول المجاورة وقدرتها على التأثير عليها، وتسعى لمحو ما يُدعى بـ"نظرية التهديد الصينية"، لخلق بيئة محيطة تكون أكثر نفعًا في حل المشكلات والتناقضات الكثيرة القائمة في الوقت الراهن. ثانيًا: ترى الدراسة أن مفهوم العلاقة الحميمة والصدق

وتحقيـق المنفعـة والتسـامح في حـد ذاتـه قائـم عـلى أسـاس مفهومـي "التفاعـل بـين فـرص الصـين والعـالم" و"تحقيـق الوحـدة الجدليـة للتنميـة السـلمية" المطروحـين في الدبلوماسـية العامـة، وخاصـة مفهـوم "الصـدق" الـذي يُظهـر فكـرًا جديـدًا في الدبلوماسـية الصينيـة مـع الـدول المجـاورة، حيـث إنـه يعـزز مـن مفهـوم "المعاملـة بالمثـل"، لأنـه ليـس بالـضرورة يعنـي معاملـة الآخـر بصـدق تجنـب الخلافـات أو القيـام بتنـازلات لا حـدود لهـا أو لا أسـاس لهـا، وإنمـا يمكـن مواجهـة وحـل المشـكلات عـلى أسـاس المبـادئ الخمسـة للتعايـش السـلمي[1]. وعـلى هـذا تؤكـد الصـين عنـد معالجتهـا للقضايـا المتعلقـة بالنـزاع عـلى سـلطة أراضيهـا في المجـال البحـري، عـلى أمانتهـا في حـل هـذه القضايـا مـع بعض مـن الـدول المجـاورة عـن طريـق المشـاورات العادلـة والوسـائل السـلمية. ومـع ذلـك، فإنـه إذا أصرت بعـض الـدول القليلـة الأخـرى عـلى المواجهـة وتمسـكت بمواقفهـا غـير المـبررة، فسـوف تتعامـل الصـين مـع هـذه الـدول بطريقـة مختلفـة انطلاقًـا مـن مفهـوم "تحقيـق الوحـدة الجدليـة للتنميـة السـلمية" ومفهـوم "المعاملـة بالمثـل"، وهـذا أمـر يتفـق مـع المنطـق، ويعكـس مسـئولية الصـين حيـال حمايـة مصالحهـا الخاصـة الأساسـية والحفـاظ عـلى السـلام والاسـتقرار في المنطقـة.

1- تشير المبادئ الخمسة للتعايش السلمي إلى الاحترام المتبادل لسيادة الدول وسلامة أراضيها، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل في الشئون الداخلية، والمساواة والمنفعة المتبادلة، والتعايش السلمي. وطرح رئيس مجلس الدولة الصيني الراحل شو إن لاي هذه المبادئ الخمسة خلال محادثاته في بكين مع الوفد الهندي في بداية المفاوضات التي عُقدت من ديسمبر 1953 إلى إبريل 1954 بين ممثلين عن الحكومتين الصينية والهندية. ومنذ يونيو عام 1954، عندما أدرجت المبادئ الخمسة في البيان المشترك الذي أصدره شو إن لاي ورئيس الوزراء الهندي الراحل جواهر لال نهرو، اعتمدت هذه المبادئ في العديد من الوثائق الدولية الأخرى وحظيت بقبول في العالم باعتبارها مبادئ تحكم العلاقات بين الدول (المترجمة).

ثانيًا: المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني والخصائص الجديدة للدبلوماسية الصينية

شهد مفهوم الدبلوماسية مع دول الجوار، كما أشرنا أعلاه، تعديلات دقيقة جاءت نتيجة لما شهدته الأوضاع المحيطة من تغيرات. صحيح أنه لم تتغير التوجهات الأساسية التي تدعو إلى السلام والتنمية والتعاون، أما على الجانب الآخر، فقد أكدت الصين خلال محاولاتها لحل خلافاتها الحالية على مفاهيم جديدة تدعو إلى المبادرة والحفاظ على الحدود المبدئية ومعالجة كل حالة حسب ما يقتضيه الأمر. وقد انعكست هذه التغيرات البارزة في خصائص جديدة تبنتها الدبلوماسية الصينية إثر انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني.

فبعد انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب، ظهرت خصائص جديدة جديرة بالاهتمام خلال الممارسات الدبلوماسية الصينية. وترى هذه الدراسة أن هذه الخصائص الجديدة ليست فقط مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالمفاهيم الجديدة التي تناولها الجزء الأول من البحث بالتحليل، وإنما جاءت تلبيةً لمقتضيات البيئة الدولية المحيطة بالصين. فمن جانب، بات العالم بأسره يترقب دورًا أكبر تلعبه الصين في القضايا الدولية، خاصةً مع الارتفاع الكبير لقوة الدولة الصينية مؤخرًا؛ ومن جانب آخر، أصبح لا مفر من مواجهة الصين لضربات مضادة من العالم الخارجي في مواجهة تطورها السريع وما يصحبه من "ضغوط على النظام الدولي". وفي مواجهة ذلك، تحتاج الصين إلى تعديل ملائم في استراتيجياتها وسياساتها التي تنتهجها خلال ممارساتها الدبلوماسية، ما يضمن للصين حصولها على بيئة خارجية مثلى وسط التقلبات السياسية والاقتصادية العالمية المتشعبة والمعقدة. وبشيء من التفصيل، نقول إن القيادة الجماعية المركزية الصينية الجديدة قد تبنت خصائص جديدة في ممارساتها الدبلوماسية، نذكرها فيما يلي.

1. المبادرة: تقديم الذات في المقام الأول:

ظهر جليًّا توجه "المبادرة" في الدبلوماسية الصينية بعد انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب، حيث أصبحت الصين تؤكد على ضرورة "تقديم الذات في المقام الأول" بشكل أكبر من ذي قبل. ومنذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، ونظرًا لما تلعبه الدبلوماسية من دور هائل في خدمة بناء الاقتصاد المحلي، ظلت الدبلوماسية الصينية في معظم الأحيان في مجرد حالة "استقبال" أو "توجيه"، أي أنها لا تحل الخلافات إلا عند ظهورها، ومن ثم كان موقفها سلبيًّا بعض الشيء، وأوضح مثال على ذلك هو موقف الصين من أزمة مضيق تايوان في منتصف تسعينيات القرن العشرين. إلا أن ذلك كان يعود في المقام الأول إلى ضعف الدولة الصينية آنذاك، حيث كانت القضايا الداخلية لها الأولوية الكبرى مقارنةً بالقضايا الدبلوماسية. أما الآن، مع الزيادة الواضحة لقوة الدولة الصينية، وتوسع مصالحها الخارجية بشكل متزايد، وتعمق مشاركتها في الحوكمة العالمية يوما بعد يوم، فقد احتلت الدبلوماسية مكانة لا تقارن بما كانت عليه من قبل في الاستراتيجية التنموية للدولة، ولذا كان من الحتمي أن تُظهر الدبلوماسية الصينية وجهًا جديدًا يدعو إلى المبادرة.

تتركز أهم القضايا الدبلوماسية الصينية حاليًّا في جانبين أساسيين: أولًا: انعدام الثقة الاستراتيجية بين الصين والولايات المتحدة؛ ثانيًا: النزاعات مع الدول المجاورة على سيادة الأراضي في المجال البحري. وفقًا لما يقتضيه المنطق قديمًا، كان لا بد على القيادة الجماعية الجديدة أن تبدأ بهاتين القضيتين فور تقلدها للسلطة. إلا أنه بعد أقل من أسبوع من تسلم الرئيس شي جين بينغ السلطة، ذهب في جولة من الزيارات الرسمية، أولها إلى روسيا وبعض الدول الإفريقية، ثم إلى العديد من الدول في أمريكا اللاتينية، وأخيرًا في يونيو ذهب إلى منتجع أنينبرج في صني لاندز بولاية كاليفورنيا للقاء الرئيس أوباما. ويتضح لنا من ذلك، أن الحكومة الصينية الجديدة مهدت أعمالها بفكر جديد يتمثل في "البدء بما هو خارجي ومحيط ثم التوجه إلى الداخل"، نقول مجازًا إنها قامت بتعزيز "جبهة ومؤخرة الجيش"، ثم بعد ذلك تحولت لحل القضايا الداخلية الملحّة، مما يعكس توجهًا جديدًا يدعو إلى المبادرة و"وضع الذات في المقام الأول"، دون السماح للآخرين أن يملوا إرادتهم على الصين أو السيطرة عليها. وكانت نتيجة هذا التوجه مبادرة الجانب الأمريكي بدعوة

الرئيـس شي جـين بينـغ لزيـارة الولايـات المتحـدة في يونيـو، وهـو مـا يثبـت أن هـذا الخيـار الجديـد الـذي اتخذتـه القيـادة الجديـدة قـد عـزز مـن مكانـة الصـين في المحادثـات الدوليـة.

2. الشمولية: الدبلوماسية العامة:

تنعكـس خاصيـة جديـدة مـن خصائـص الدبلوماسـية الصينيـة في التوجـه "متعـدد الاتجاهـات". وينعكـس ذلـك أولاً عـلى نطـاق زيـارات القيـادة الحاليـة الواسـعة التـي امتـدت تقريبًـا إلى قـارات العـالم أجمـع. فعـلى سـبيل المثـال، قـام الرئيـس شي بزيـارة جمهوريـة ترينيـداد وتوباغـو الكاريبيـة في يونيـو العـام المـاضي، وبالرغـم مـن أن العلاقـات بـين الدولتـين تعـود إلى عـام 1974، إلا أنـه لم يقـم أي مـن القـادة الصينيـين بزيـارة لهـذه الدولـة لمـا يقـرب مـن أربعـين عامًـا، ومـن ثـم جـاءت زيـارة الرئيـس شي لسـد هـذه الثغـرة. وفضـلاً عـما قـام بـه الرئيـس شي مـن نشـاطات خارجيـة امتـدت إلى روسـيا وإفريقيـا والأمريكتـين ووسـط آسـيا وجنـوب شرق آسـيا في العـام المـاضي، قـام لي كـه تشـيانغ رئيـس مجلـس الدولـة الصينـي كذلـك بزيـارات إلى العديـد مـن الـدول في جنـوب آسـيا ووسـط وشرق أوروبـا. ثانيًـا: أصبحـت القضايـا التـي تتطـرق لهـا الدبلوماسـية الصينيـة تشـمل جميـع التوجهـات. في المـاضي، كانـت الصـين تنطلـق دومًـا مـن مصالحهـا القوميـة العمليـة، وتهتـم بتطويـر علاقاتهـا مـع الـدول الكـبرى والـدول المجـاورة، في حـين لم تكـن تحظـى قضايـا التعـاون الإقليمـي باهتـمام كافٍ. أمـا الآن، ومـع الظهـور المتزايـد لقضايـا العولمـة التـي أصبحـت تمـس جميـع بقـاع العـالم، فقـد بـدأت الصـين تهتـم بالمشـاركة في الحوكمـة العالميـة، وتعـزز مـن مفهـوم الدبلوماسـية العامـة. فعـلى سـبيل المثـال أدلى الرئيـس شي بتصريحـات عديـدة حـول الحوكمـة العالميـة خـلال الاحتفـال بالذكـرى العـاشرة لتأسـيس منتـدى بـوأو الآسـيوي، مـما يعكـس أن الصـين سـتصبح مشـاركًا رئيسـيًا في الحوكمـة العالميـة تقـدم إسـهامات أكـبر في مكافحـة الفقـر والكـوارث، وتحقيـق الاسـتقرار المـالي والتجـاري[1]. وكذلـك لا تألـو الحكومـة الصينيـة جهـدًا لتعميـق التبـادلات الثقافيـة بـين الصـين والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وتوسـيع انتشـار اللغـة الصينيـة، مـما يعكـس الزيـادة المسـتمر في مكانـة الدبلوماسـية العامـة كجـزء مهـم مـن الدبلوماسـية الصينيـة. إجـمالاً لمـا سـبق، تـرى الدراسـة أن هـذه التوجهـات الجديـدة للدبلوماسـية الصينيـة

1- شي جين بينغ، "لنبن معًا مستقبلًا أفضل لآسيا والعالم"، صحيفة الشعب اليومية، 2013-04-08.

تُعـد تجسـيدًا حيًّـا لمفهـوم "التفاعـل بـين فـرص الصـين والعـالم" الـذي طرحنـاه في الجـزء الأول مـن هـذه الدراسـة.

3. الحفاظ على المصالح الصينية الخاصة والتأكيد على شروط التنمية السلمية:

أكـدت الصـين في العديـد مـن المناسـبات الخارجيـة عـلى تمسـكها بالحفـاظ عـلى "الحـدود المبدئية"، الأمـر الـذي يعكـس عـزم الصـين المتزايـد عـلى حمايـة مصالحهـا الخاصـة وتوضيـح شروط التنميـة السـلمية. فعـلي سـبيل المثـال، عندمـا كان الرئيـس شي ورئيـس مجلـس الدولـة لي كـه تشـيانغ يؤكـدان في مواقـف مختلفـة عـلى أهميـة التعـاون بـين الـدول، كانـا يؤكـدان دومًـا عـلى أن الصـين لـن تتنـازل عـن مصالحهـا الجوهريـة، وأن مصالحهـا هـذه غـير قابلـة للمقايضـة، وهـذا هـو مـا تقصـده الصـين بالحفـاظ عـلى الحـدود المبدئيـة، مـما يعكـس أن القيـادة الجديـدة أصبحـت تؤكـد عـلى هـذا المفهـوم بشـكل أكـثر وضوحًـا مـن ذي قبـل، مـما يعكـس ثقـة الصـين بنفسـها، وأن هـذا واجـب عليهـا باعتبارها "دولـة مسـئولة كـبرى". ونـرى أنـه في ظـل مـا تواجهـه الصـين مـن نزاعـات مـع الـدول المجـاورة عـلى سـيادة الأراضي في المجـال البحـري، فـإن التأكيـد عـلى أهميـة التعـاون السـلمي، وتعريـف العـالم الخارجـي بمـا هـي الحـدود المبدئيـة في هـذه القضايـا بالنسـبة للصـين، ليـس فقـط سـيتجنب إثـارة القلـق حـول مـا يُدعـى بـ"نظريـة التهديـد الصينيـة"، بـل سـيلعب دورًا إيجابيًّـا في الحـد مـن الشـكوك الاسـتراتيجية ويقلـل مـن مخاطـر إثـارة حـرب مفاجئـة، وخاصـة عندمـا يتعلـق الأمـر بالتواصـل بـين الصـين والولايـات المتحـدة، فتعريـف الولايـات المتحـدة بالحـدود المبدئيـة الاسـتراتيجية للصـين يصـب في مصلحـة القضـاء عـلى أي سـوء فهـم اسـتراتيجي قـد ينشـب بـين الطرفـين. وبالإضافـة إلى ذلـك، بـدأت الصـين تقـف عـلى "مسـافات مختلفـة" مـن الـدول المجـاورة والتعامـل مـع كل دولـة بحسـب مـا يقتضيـه الأمـر، مـما يعكـس تأكيدهـا عـلى احـترام "الحـدود المبدئيـة"، وتأكيدهـا عـلى أن هنـاك شروطًـا للتنميـة السـلمية، الأمـر الـذي يسـاعد عـلى حمايـة الصـين لمصالحهـا القوميـة ويعـزز مـن قـوة تأثيرهـا عـلى الـدول المجـاورة.

4. الاهتمام بالتوازنات: استراتيجية التوجه إلى الغرب والتوسع خارج القارة الآسيوية:

في مواجهة التخطيط الاستراتيجي الأمريكي الذي يدعو إلى العودة إلى القارة الآسيوية، بدأت الصين تهتم بتحقيق "التوازن بين الشرق والغرب"، أي أنها قد وسعت من المكانة التي تحتلها "استراتيجية التوجه إلى الغرب" في الدبلوماسية الصينية، وتدعو في الوقت نفسه إلى "التوسع خارج القارة الآسيوية" بشكل إيجابي. على مدار أكثر من ثلاثين عامًا من انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، ونظرًا لما تتمتع به المناطق الساحلية بشرق الصين من تميز جغرافي مكّنها من التواصل مع الخارج؛ لذا كان الاقتصاد الصيني مرتكزًا على المناطق الساحلية بجنوب شرق الصين، ومن ثم كانت أهم التوجهات الدبلوماسية الصينية تميل نحو المناطق في جنوب شرق القارة. إذا نظرنا إلى الأمر بنظرة موضوعية، فسنجد أنه كان لهذا الخيار الاستراتيجي إسهامات لا يمكن محوها في تحقيق النمو السريع والمستمر للاقتصاد الصيني. ولكن نظرًا لما تواجهه الصين الآن من ضغوط استراتيجية متصاعدة في هذا الاتجاه، وخاصة أن الاستراتيجية الأمريكية التي دعت إلى التحول إلى الشرق قد تسببت في "انفجار" قضايا بحر الصين الشرقي والغربي خلال السنتين أو الثلاث الأخيرة، من ثم إذا نظرنا الآن إلى الأمر من زاوية استراتيجية، سنجد أن "التفات الصين إلى الغرب" و"التوسع خارج القارة الآسيوية" يمكنه أن يحقق توازنًا في مواجهة الضغوط القادمة من الشرق. فعلى سبيل المثال، لم تكتفِ الصين بدفع "منظمة شنغهاي للتعاون" نحو لعب دور أكبر في المنطقة، بل قام الرئيس شي في سبتمبر العام الماضي بزيارة أربع دول بوسط آسيا، وطرح خلال الزيارات فكرة بناء "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير"، الذي يُعد سبقًا استراتيجيًا يسعى إلى تعميق الاتصال الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بين جميع دول أوروبا وآسيا، وكذلك سوف يعمل على تعزيز المصالح المتبادلة والفوز المشترك بين الدول[1].

1- شي جين بينغ، "لنعزس الصداقة بين الشعوب، ولنبن مستقبلًا أفضل"، صحيفة الشعب اليومية، 7/9/2013.

5. الاهتمام بالمجال البحري: حماية مصالح الصين البحرية، ودفع التحديث في أنظمة الدفاع الوطني:

بدأت الصين تدفع بالإسراع نحو تحديث أجهزة الدفاع الوطني في الدولة، وتحفيز التوجه إلى المصالح البحرية، التي تُعد مطالب موضوعية لتحقيق التنمية وتلبية التغيرات في قوة الدولة الصينية ومصالحها، كما تعد كذلك طريقًا حتميًا لتحقيق مزيد من التنمية. فعلى سبيل المثال، يُمثل الاقتصاد البحري لدى الصين 10% من مجمل الاقتصاد القومي، ويستمر في التطور بسرعة أكبر من معدل نمو إجمالي الناتج المحلي GDP. ومن ثم لطالما كانت الصناعات البحرية منذ القدم جزءًا لا غنى عنه في الاقتصاد الصيني؛ ولذلك سوف تلعب دورًا أكثر أهمية في المستقبل. وبناء على ذلك، بدأت الحكومة الصينية تهتم أكثر بمصالحها البحرية، ونظرًا لارتباط الاقتصاد البحري بالمصالح الحيوية بالعديد من الصناعات والقطاعات الاجتماعية، نجد أن ضغوط المجتمع المدني نحو المطالبة بحماية المصالح البحرية في زيادة مستمرة[1].

6. السمات الشخصية والخصائص الواضحة للقيادة الصينية الجديدة:

تتميز القيادة الصينية الجديدة بأساليب وخصائص مميزة تمثل عنصرًا مهمًا في الخصائص الجديدة للدبلوماسية الصينية، ويُعد اجتهادهم في العمل من أكبر دعائم الدبلوماسية العامة الصينية. فعلى سبيل المثال، يستخدم الرئيس شي ورئيس مجلس الدولة لي كه تشيانغ لغةً بسيطةً سهلة الفهم في خطاباتهما، كما يتميزان بغزارة المعرفة والقدرة على الاتصال الفعّال، وعادةً ما يبسطان أفكارهما سواء بطرح الأمثلة أو سرد القصص وغيرها من الطرق الأخرى، مما له أثر طيب وفعّال في تعزيز التفاهم مع الدول الأخرى وتقليص الفجوة بينها.

1- جين تسان رونغ، وانغ خاو، "خلفية ظهور المشاكل الساحلية الصينية وكيفية مواجهتها"، العلاقات الدولية الحديثة، 2012.

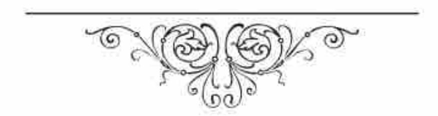
ثالثًا، الخاتمة

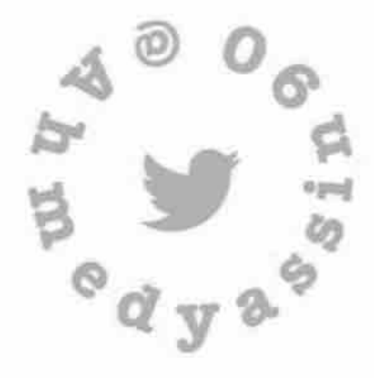
شهدت الدبلوماسية الصينية بعد انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب تغيرات كبيرة سواء على مستوى المفاهيم أو الممارسة، حيث قامت القيادة الجماعية المركزية الجديدة بتعديلات إيجابية في استراتيجياتها الخارجية على خلفية الأوضاع الداخلية والخارجية الحالية. وبالتأكيد سيساعد الاهتمام بهذه التغيرات الجديدة على فهم أفضل واستيعاب أكبر لخصائص وتوجهات الدبلوماسية الصينية في الوقت الراهن وفي المستقبل. ومع ذلك لا يمكن أن ننكر أن الدبلوماسية الصينية كما حللناها على المستويين السابقين تتميز أيضًا بأنها امتداد تاريخي، ففي الوقت الذي تدعو فيه الصين إلى التجديد تُحكّم عقلها بنظرتها التاريخية، الأمر الذي يساعد على فهم الدبلوماسية الصينية بشكل أفضل.

تم نشر هذه الدراسة في العدد الثالث من المجلد الحادي والأربعين من "المجلة العلمية لجامعة خوبي (الفلسفة وعلم الاجتماع)" في مايو 2014.

تخطيط الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية
في ظل التحول الاستراتيجي

وانغ فان




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: تهتم هذه الدراسة بتحليل التحديات والصعوبات التي تواجهها الصين في ظل التحول الذي تشهده الأوضاع الدولية، كما تحلل أيضًا أهداف ومهام الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية في ظل هذا التحول، مشيرةً إلى ما تواجهه الصين من صعوبات عند التخطيط لاستراتيجيتها الدبلوماسية، وتعرض للمفاهيم الأساسية ونقاط التركيز الرئيسية، في محاولة لتقديم تصور لتلك الخطة الاستراتيجية. تتطلب الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية تخطيطًا موحدًا ونظرةً شاملةً، تساعدها على تجنب المخاطر المحتملة، والاستيعاب الجيد للعلاقة بين التنمية والاستقرار، وتحقيق التوازن بين التكلفة والمكاسب، وتطبيق خطة جديدة كليًّا.

الكلمات المفتاحية: مرحلة التحول الاستراتيجي؛ الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية؛ الأوضاع الدولية؛ التخطيط الاستراتيجي.

الباحث: وانغ فان، أستاذ في مركز أبحاث العلاقات الدولية التابع للمعهد الدبلوماسي الصيني.

بحسب تقرير المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب، فإن الأوضاع الدولية في خضمّ عملية التحول، وفي ظل تحول الأوضاع الدولية وتغير قوة الدولة، تعيش الدبلوماسية الصينية أيضًا في مرحلة تحول استراتيجي. لكن، تُرى ما هي خصائص هذا التحول الاستراتيجي؟ وكيف تغيرت أهداف ومهام الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية في ظل هذا التحول؟ وكيف يمكن تخطيط الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية بشكل أفضل لمواجهة هذا التحول؟ سوف تتعرض هذه الدراسة للرد على هذه التساؤلات بشكل مبدئي.

أولًا: "مرحلة التحول" وخصائصها العامة

دخلت الأوضاع الدولية مرحلة من التحول في أعقاب الحرب الباردة. والمقصود بمرحلة التحول، تلك التغيرات الهيكلية التي شهدتها الأوضاع الدولية، والتي لم تتخذ شكلها النهائي أو تستقر، بل ظلت في تحول وتعديل مستمر. فقد تخلخل توازن القوى القديمة، ولم يتحقق توازن القوى الجديدة بعد، وظل العالم يبحث عن توجهات غير معلومة. إننا نقف في هذا المنعطف التاريخي، حيث تشهد العلاقات الدولية أعمق التحولات منذ نهاية الحرب العالمية الثانية[1]. ومن الواضح أن هذه التحولات لا تزال قائمة، ولم تؤتِ ثمارها بعد.

تتميز مرحلة التحول عادةً بالخصائص التالية:

أولًا: امتداد المرحلة الزمنية: على الرغم من أن التغيرات المرحلية استمرت لفترات قصيرة، فإن التغيرات الهيكلية لا تزال تشهد بعض التقلبات والتموجات. لقد شهدت الأوضاع العالمية تحولات هائلة منذ انتهاء الحرب الباردة، مرحلة من التغيرات الهائلة منذ انتهاء الحرب الباردة حتى نهاية القرن العشرين. ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر عام 2001 وما سببته من تحولات هائلة في الأوضاع الأمنية الدولية؛ حيث أصبحت مكافحة الإرهاب أهم قضايا العصر، وتحسن التنسيق الأمني بين الدول الكبرى. ثم مرحلة الأزمة المالية العالمية في عام 2008 حتى وقتنا الراهن. أثّرت الأزمة المالية العالمية على العالم بأكمله، الأمر الذي أدى إلى تشابك بين الاضطرابات المالية والتحولات المنظومية والإصلاحات في موازين القوى، وسرّع من التحول في الأوضاع العالمية والدولية. وإذا حللنا هذه الفترات الزمنية، فسنجد أنها انقسمت إلى مرحلة أولى استمرت 12 عامًا منذ عام 1989 حتى عام 2001، ثم سبع سنوات أخرى منذ عام 2001 حتى عام 2008، ومرحلة استمرت 30 عامًا مقارنةً بالقرن العشرين، وكانت أكثر المراحل تأثيرًا بأحداث مفاجئة هي أقصرها زمنًا، مما يعكس التغيرات الزمنية غير المتوازنة بين الفترات المختلفة.

1- تسوي لي رو، "بعض التأملات حول الاستراتيجية الدولية الصينية"، "العلاقات الدبلوماسية في العصر الحديث"، نوفمبر2011، ص1.

ثانيًـا: التوتـر النسـبي في العلاقـات بـين الـدول الكـبرى: فعـلى مـدار التاريـخ، عـادةً مـا كان يصاحب مراحـل التحـول توتـر في العلاقـات بـين الـدول الكـبرى وتصاعـد في القضايـا السـاخنة، قـال جيانـغ تسـه مـين: "تميـزت الأوضـاع الدوليـة وتطوراتهـا بخاصيـة واضحـة، حيـث خيمـت حالـة مـن التوتـر والمواجهـات الحـادة عـلى الأوضـاع الدوليـة والعلاقـات بـين الـدول الكـبرى"[1]. ولكـن مـع تغـير العصـور، أصبـح هنـاك اعتـماد متبـادل بـين الـدول، كـما أصبحـت هنـاك قيـود تؤثـر عـلى موازيـن الـردع النـووي، وبالتـالي تأثـرت العلاقـات بـين الـدول الكـبرى بأشـكال مختلفـة. عـلى سـبيل المثـال، توتـرت العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة إلى حـد مـا، لكنهـا لم تفقـد السـيطرة، بـل بصفـة عامـة حافظـت العلاقـات بـين الـدول الكـبرى عـلى قـدر طيـب مـن التنسـيق.

ثالثًـا: تشـابه التحـولات الداخليـة والخارجيـة: امتـدت التغـيرات التـي سـببتها مرحلـة التحـول إلى الأوضـاع الاجتماعيـة الداخليـة لـدى مختلـف الـدول. فـإذا نظرنـا إلى الأوضـاع الداخليـة للـدول المختلفـة، سـواء الناميـة أو المتقدمـة، فسـنجدها تعـاني مـن بعـض المشـكلات المشـتركة، مثـل البطالـة واتسـاع الفجـوة بـين الفقـراء والأغنيـاء وغيرهـا مـن المشـكلات، كـما أصبـح السـعي لتقليـص الفجـوة بـين الفقـراء والأغنيـاء أهـم قضايـا العـصر لـدى جميـع الـدول. وبالإضافـة إلى ذلـك، تواجـه جميـع الـدول، سـواء الناميـة أو المتقدمـة، تحـولات وتغـيرات جديـدة اجتماعيًـا واقتصاديًـا، ومـن الـوارد أن تؤثـر هـذه التحـولات الداخليـة ومـا تسـببه مـن مشـكلات عـلى التحـولات الدوليـة بـل تزيدهـا تعقيـدًا. ومثـال عـلى ذلـك، التحـول الاقتصـادي الـذي شـهدته جميـع دول منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ[2].

رابعًـا: مرحلـة التحـول ومـا يصاحبهـا مـن تعقيـدات مسـتمرة: سـارعت جميـع الـدول بتعديـل سياسـاتها الداخليـة، محاولـةً أن تصبـح الأكـثر تميـزًا وتفـردًا. كـما أصبحـت قضايـا الحوكمـة العالميـة أكـثر ثـراءً، وأصبـح البحـث عـن طـرق لتحقيـق هـذه الحوكمـة مـن القضايـا الجديـدة في السياسـة الدوليـة.

1- جيانغ تسه مين: "الأوضاع الدولية الراهنة وأعمالنا الدبلوماسية (28 أغسطس 1998)"، "مختارات جيانغ تسه مين" المجلد الثاني، بكين، دار نشر الشعب، 2006، ص 197.

2- وفقًا لما قدمه جيانغ لينغ في (باحث استراتيجي في جامعة تشينغخوا الصينية)، تنقسم التحولات الدولية إلى وجهين: أولًا، التحول الصناعي المبدئي في الدول النامية الناشئة؛ ثانيًا، التحول الصناعي الجديد في الدول المتقدمة. جيانغ لينغ في: "الحذر من ضربات التحولات والأزمات على منطقة آسيا والمحيط الهادئ"، "جلوبال تايمز"، 2012-12-6.

وإذا نظرنـا إلى الأحـداث العالميـة، فسـنجد أنـه قـد تشـابكت التناقضـات عـلى نحـو معقـد، وتعـددت الكيانـات الفاعلـة، وأصبـح هنـاك العديـد مـن المتغـيرات. وأصبـح "التعقيـد" مـن أهـم السـمات المميـزة للعلاقـات السياسـية والاقتصاديـة بـين دول العـالم في ظـل عـصر العولمـة وتعـدد الأقطـاب. وأصبـح هنـاك قـدر غـير مسـبوق مـن العنـاصر المتعـددة والمتنوعـة والمتداخلـة والغامضـة والمتغـيرة والمجهولـة[1]. وبالإضافـة إلى ذلـك، تُعـد الأخطـار والأضرار الأمنيـة التـي تسـببت فيهـا البيئـة الطبيعيـة خطـيرة للغايـة. فالبيئـة الطبيعيـة في تدهـور مسـتمر، وتتحـول الأزمـات الطبيعيـة إلى أزمـات اجتماعيـة. ومـع إقبـال عـصر الصناعـة والحضـارة البحريـة، ارتفـع الطلـب عـلى مـوارد الطاقـة ارتفاعًـا حـادًا، مـما قـد يصعّـد مـن النزاعـات البحريـة. وبالتـالي سـوف تشـمل النزاعـات البحريـة المسـتقبلية أنواعًـا متعـددة، منهـا نزاعـات تجاريـة، ونزاعـات عـلى الطاقـة، ونزاعـات أخـرى عـلى السـلطة قـد تعتبرهـا بعـض الـدول نزاعـات جيوسـتراتيجية وسياسـية. لقـد تسـبب ذلـك القـدر مـن التعـدد والتعقيـد في التحديـات الأمنيـة إلى صعوبـات جديـدة: أصبحـت تتزامـن وتتشـابك وتتعقـد بعـض المشـكلات التـي لم تكـن متصلـة ببعضهـا البعـض. عـلى سـبيل المثـال، بعـد انـدلاع الأزمـة الماليـة العالميـة، حاولـت بعـض الـدول نسـب الأزمـة إلى غيرهـا، مـا قـد أثـار الاضطرابـات الأمنيـة وصعّـد مـن القضايـا السـاخنة. كـما تزايـدت الاضطرابـات وارتفعـت الأخطـار في غـرب آسـيا وشـمال إفريقيـا، مـما قـد يسـبب تحـولات جيوسياسـية جديـدة. ومـن الواضـح أنـه قـد تزايـدت العشـوائية في تطـورات وتحـولات الأوضـاع الدوليـة، فليـس هنـاك قواعـد ثابتـة لـكل الأمـور.

مجمـل القـول أن مرحلـة التحـول، باعتبارهـا مرحلـة خاصـة، بالتأكيـد تشـمل متغـيرات عديـدة، وبالتـالي سـوف يـؤدي مـا تسـببه مـن توزيـع جديـد للسـلطة والمصالـح وحتـى المفاهيـم، إلى ظهـور كيانـات تعـاون وتوجهـات تنمويـة جديـدة واحتـمالات ومتغـيرات غـير مسـبوقة. هـذا واقـع يجـب أن نعـترف بـه. وبالتأكيـد، سـوف يحتـدم النـزاع بـين الـدول الكـبرى في ظـل مرحلـة التحـول، وخاصـة ذلـك النـزاع الـذي يـدور حـول الاسـتحواذ عـلى المصالـح والمنظـمات الدوليـة وقضايـا السـاعة الدوليـة والقـدرة عـلى التأثـير الـدولي. ونظـرًا إلى أن المجتمـع الـدولي بمـا فيـه العديـد مـن الـدول في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، قـد طبـق اسـتراتيجية الدبلوماسـية الشـاملة، أدى ذلـك إلى تعقـد وعـدم اسـتقرار العلاقـات بـين الـدول. فارتبطـت العلاقـات مـع

1- تسوي لي رو، "بعض التأملات حول الاستراتيجية الدولية الصينية"، ص 1.

الـدول المجـاورة والـدول الكـبرى بشـكل معقـد. وبالتـالي تواجـه الدبلوماسـية الصينيـة في ظـل مرحلـة التحـول متغـيرات عديـدة، مـما قـد يرفـع مـن خطـر انـدلاع بعـض الأزمـات، ومـع ذلـك توفـر هـذه المرحلـة فرصًـا لإعـادة بنـاء مكانـة الدولـة وتشـكيل الأوضـاع الدوليـة بشـكل مناسـب. وبالتـالي فـإن معرفتنـا وقدرتنـا عـلى اسـتيعاب المرحلـة هـي مـا يمكـن أن يحـدد مـا إذا كانـت هـذه المرحلـة سـوف تظـل كـما هـي أم سـتقدم للصـين فرصًـا اسـتراتيجية أفضـل.

ثانيًا: تحديد الأهداف والتحديات التي تواجهها الاستراتيجية الصينية في ظل مرحلة التحول

تشـهد الأوضـاع الدوليـة مرحلـة مـن التحـول الاسـتراتيجي، وهكـذا هـي أيضًـا الدبلوماسـية الصينيـة، وبالتـالي يمكننـا أن نقـول إن هنـاك تزامنًـا وتوافقًـا بـين التحـول الاسـتراتيجي الـذي تشـهده الأوضـاع الدوليـة والتحـول الاسـتراتيجي الـذي تشـهده الدبلوماسـية الصينيـة. وبشـكل موضوعـي يمكـن القـول بـأن تحـول الأوضـاع الدوليـة يدفـع الدبلوماسـية الصينيـة للقيـام ببعـض التعديـلات. وفي الحقيقـة، ظلـت الصـين تواجـه ضغوطًـا وتحديـات داخليـة وخارجيـة منـذ انتهـاج سياسـة الإصـلاح والانفتـاح، وهـي تشـمل جانبـين رئيسـيين: صعوبـات في تحقيـق النهضة وصعوبـات في تحقيـق التنمية. سـتظل هـذه الصعوبـات مصاحبـةً لمرحلـة التحـول لفـترات طويلـة، ومـع إقبـال مرحلـة التحـول تـزداد الأخطـار التـي قـد تثيرهـا هـذه التحديـات.

1. بروز مشكلات مرحلة الصعود:

تكمـن أكـبر الصعوبـات التـي تواجههـا عمليـة الصعـود الصينـي في مـدى قدرتـه عـلى تحقيـق الصعـود السـلمي، وكيفيـة تحقيقـه، والقـدرة عـلى تجنـب والتخلـص مـن أي طـرق أو سـبل غـير سـلمية.

تُعـد حمايـة وحـدة البـلاد وسـلامة أراضيهـا إحـدى الصعوبـات الاسـتراتيجية التـي يواجهـا الصعـود الصينـي. إذا نظرنـا إلى التاريـخ، سـنجد أن تحقيـق وحـدة البـلاد هـو إحـدى شروط تحقيـق نهضـة الـدول الكـبرى. فوحـدة البـلاد هـي أسـاس النهضـة، وهـي الوسـيلة الوحيـدة التـي تسـتطيع أن تخلـق بيئـة مواتيـة للنهضـة، وتسـتفزّ وتحـرّك مشـاعر الشـعوب. ولكـن حتـى تحقـق الصـين هـذه الوحـدة، عليهـا أن تختـار بـين اسـتخدام القـوة أو الوسـائل السـلمية، وإن كان لا يمكـن موضوعيًّـا التخـلّي التـام عـن اسـتخدام القـوة. وبالتـالي يصبـح تدخـل القـوى الخارجيـة، عـلى سـبيل المثـال قضيـة مثـل تسـليح تايـوان، مـن أكـبر الصعوبـات التـي تواجههـا قضيـة وحـدة الصـين.

تمثـل حمايـة سـلامة أراضي البـلاد إحـدى المشـكلات الكـبرى. ففـي ظـل الدعـم مـن القـوى الخارجيـة، نشـطت في السـنوات الأخـيرة قـوى داعيـة إلى انفصـال التبـت وإقليـم شـينجيانغ، مـا أدى إلى تزايـد احتماليـة انفصـال أراضي الدولـة عـلى يـد قـوى خارجيـة[1]. وبالإضافـة إلى ذلـك، هنـاك ضرورة لحـل النزاعـات والأزمـات البحريـة. ولكـن لا تأمـل الصـين في اللجـوء إلى القـوة لحـل النزاعـات البحريـة، فالقـوة سـتوجه ضربـات قاتلـة لمـا تدعـو الصـين إليـه مـن اسـتراتيجيات سـلمية وتنميـة سـلمية، وسـوف تتسـبب بالتأكيـد في تصعيـد القـوة مـن الجانـب الآخـر ونشـوب تنافسـات مسـلحة. فـإذا اسـتخدمت الصـين القـوة أو هـددت باسـتخدامها، سـوف تتشـوه صورتهـا كدولـة داعيـة إلى التنميـة السـلمية، وسـوف تفقـد ثقـة باقـي الـدول. ولكـن مـن ناحيـة أخـرى، تعتقـد بعـض الـدول أن الصـين تدعـو إلى الحـل السـلمي لأنهـا لا تجـرؤ عـلى اسـتخدام القـوة في حـل النزاعـات، وبالتـالي ظهـر توجـه يدعـو إلى تحطيـم هـذا الواقـع، مـا قـد يشـكل تحديـات جديـدة أمـام مـا تدعـو إليـه الصـين مـن اسـتراتيجيات تدعـو إلى الحـذر مـن اسـتخدام القـوة والسـعي إلى تحقيـق التنميـة السـلمية. لا تؤثـر قضيـة وحـدة الصـين عـلى أمنهـا القومـي فحسـب، بـل تؤثـر وحـدة الـدول المجـاورة أو انفصالهـا بشـكل مبـاشر أو غـير مبـاشر عـلى الأمـن القومـي الصينـي بصفـة عامـة.

إجـمالًا لمـا سـبق، يمكننـا تلخيـص التهديـدات الأساسـية التـي تواجههـا الصـين في الآتي: (1) مـن حيـث تحقيـق الاسـتقرار والتنميـة الداخليـة في البـلاد، تواجـه الصـين الأخطـار الناجمـة عـن انفصـال أو توحيـد القوميـات الصينيـة، والأخطـار التـي تسـببها التحـولات الهيكليـة بهـدف بنـاء مجتمـع عـادل. (2) مـن حيـث النزاعـات المحتملـة مـع الـدول الكـبرى وعواقبهـا، تواجـه الدولـة خطـر نشـوب نزاعـات مبـاشرة وغـير مبـاشرة تؤثـر عـلى العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة واليابانيـة والهنديـة وغيرهـا مـن العلاقـات مـع الـدول الكـبرى. (3) مـن حيـث النزاعـات المحتملـة مـع باقـي الـدول وعواقبهـا، تُعـد احتماليـة نشـوب النزاعـات بـين الصـين والـدول المجـاورة أعـلى مـن نزاعاتهـا مـع الـدول الكـبرى داخـل أو خـارج المنطقـة. وبالتأكيـد فـإن النـزاع بـين الصـين والـدول المجـاورة لا يمكـن أن يمنـع نشـوب نزاعـات مبـاشرة أو غـير مبـاشرة مـع الـدول الكـبرى. ونظـرًا إلى أن الأزمـات التـي تسـببها هـذه النزاعـات مـن السـهل حدوثهـا وتكـون أكـثر تعقيـدًا، بالتـالي تمثـل صعوبـة أكـبر عنـد حلهـا.

1- تُعد القضايا الحدودية أهم القضايا التي ينبغي أن تنتبه إليها الاستراتيجيات الصينية. انظر: يوان بنغ، "الاستراتيجية الصينية في العصر الحديث- قراءة لتقرير "المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب"، "العلاقات الدولية في العصر الحديث"، عدد 5، 2013، ص 6.

2. صعوبات التنمية:

هنـاك تناقـض شـديد بـين التنميـة السريعـة في الصـين والتنميـة البطيئـة في الـدول التقليديـة، وبالتـالي مـن المحتمـل أن تسـتولي التنميـة الصينيـة عـلى المـوارد الطبيعيـة المتاحـة، مـا يـؤدي إلى صدامـات بينهـا وبعـض الـدول التـي تسـعى إلى حمايـة الأوضـاع السياسـية والاقتصاديـة الراهنـة.

يجـب عـلى الصـين حـل بعـض المشـكلات التـي تـأتي مصاحبـةً لمعـدلات تنميتهـا السريعـة، مثـل ارتفـاع اسـتهلاك الطاقـة، وارتفـاع التكاليـف، والإضرار بالبيئـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، يجـب عليهـا أن تجـد حلـولاً بديلـة لاعتمادهـا عـلى مصـادر الطاقـة الخارجيـة، وأن تعتمـد عـلى رؤيـة اسـتراتيجية تسـاعدها عـلى معالجـة تلـك العلاقـة المتبادلـة بـين الاعتـماد التـام عـلى الخـارج للحصـول عـلى مـوارد الطاقـة، والاسـتقلالية التامـة للدولـة في هـذا الشـأن. وتشـمل صعوبـات التنميـة أيضًـا البحـث عـن وسـائل لحـل القضايـا الأمنيـة. فينبغـي أن تتمتـع الصـين بالقـدرة عـلى توفـير الضمانـات الأمنيـة المعقولـة التـي لا يمكـن الاسـتغناء عنهـا سـواء عـلى مسـتوى التنميـة الداخليـة أو الخارجيـة، ولكـن دون أن يشـكل ذلـك تهديـدات اسـتراتيجية لباقـي الـدول.

ينبغـي عـلى الصـين أيضًـا أن تندمـج بشـكل أعمـق وأشـمل في الأنظمـة الدوليـة، وأن تتحمـل مـا يُفـرض عليهـا مـن مسـئوليات دوليـة. وفي الوقـت نفسـه، ينبغـي أن تخضـع ممارسـات الصـين في الأنظمـة الحاليـة لقيـود وإشراف ومراقبـة الأنظمـة الدوليـة. ولكـن قـد تسـبب ذلـك في تعقـد تلـك العلاقـة القائمـة عـلى الاعتـماد المتبـادل بـين الصـين والأنظمـة الحاليـة، مـا سـبب أخطـارًا، ووفـر فرصًـا جديـدةً في الوقـت نفسـه أمـام البيئـة الأمنيـة الصينيـة. وإذا اسـتطاعت الصـين معالجـة هـذه العلاقـة المزدوجـة بشـكل صحيـح، سـوف يضمـن ذلـك بيئـة أمنيـة أفضـل للصـين.

3. أهداف استراتيجيات الدولة:

حتـــى نســـتطيع معالجـــة صعوبـــات التنميـــة والصعـــود الصينـــي، ينبغـــي أن نســـتوعب

ضرورة تعديل أهداف الاستراتيجية الصينية في ظل مرحلة التحول، والعمل على وضع أهداف جديدة. بمعنى آخر، نقول إنه يجب علينا عند وضع أهداف جديدة للاستراتيجية الصينية أن نأخذ بعين الاعتبار حلولاً يمكنها حل صعوبات التنمية والصعود الصيني بصفة عامة. إن هدف الاستراتيجية الصينية في مرحلة التحول هو تحقيق تحول الصين من دولة كبرى إقليميًا إلى دولة عظمى لها تأثير عالمي على المنطقة ككل. بمعنى أدق، ينبغي أن تتحول الصين إلى دولة كبرى عالميًا على المستوى الاقتصادي، وأن تتمتع بمكانة متفردة في المجال الأمني، وأن يصبح لها قوة تأثير مهمة في القضايا العالمية. باختصار، ينبغي أن تتحول الصين إلى دولة كبرى إقليميًا تتمتع بتأثير عالمي[1]. فإذا استطاعت الصين تحقيق هذا التحول، سوف يساعد ذلك بشكل أفضل على حل صعوبات الصعود والتنمية الصينية.

طبقًا لتحليلنا السابق، ينبغي على الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية السعي لحماية وتحقيق الأهداف التالية، حتى تستطيع الصين حل ما تواجهه من صعوبات أمام تحقيق التنمية والصعود الصيني: (1) حماية استقرار البلاد، ومقاومة أي عناصر خارجية أو داخلية قد تزعزع هذا الاستقرار. (2) حماية استقرار سيادة الدولة وسلامة أراضيها. (3) حماية وتوسيع موارد الطاقة والشرايين الاقتصادية للبلاد، والبحث عن مصادر متنوعة للطاقة. (4) حماية استقرار المنطقة والأنظمة العالمية. (5) تقديم الخدمات للمنشئات التجارية والاقتصادية العالمية. ويمكننا ترتيب هذه الأهداف كالآتي: أولًا: سيادة الدولة واستقرارها. ثانيًا: المصالح الجيوسياسية. ثالثًا: المكانة الدولية. رابعًا: التأثير الدولي. ولا تنحصر أهداف استراتيجية التحول على حماية سيادة الدولة وسلامة أراضيها فحسب، بل تكمن أيضًا في تحقيق التحول المناسب إلى دولة ذات تأثير دولي واسع.

وفي مرحلة التحول، ينبغي أن نؤكد على أهمية الآتي: (1) بعض القضايا المتعلقة بالأمن السياسي، مثل أمن أراضي الدولة، ووحدتها، وأمن الدول المحيطة بها. ويُعتبر أهم ما تتطرق له هذه القضايا هو خلق بيئة سلمية، ومنع أي دولة من الإضرار بالصين أو الدول المحيطة، والتخفيف من حدة الدول والقوى المعادية أو المقاومة، ومقاومة قوى الانفصال المتطرفة. (2) القضايا المرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالتنمية الاقتصادية، مثل تنمية

1- تانغ شي بينغ: "خلق بيئة أمنية مثالية للصين"، بكين، دار النشر الصينية للعلوم الاجتماعية، 2003، ص232.

مـوارد الطاقـة، وبنـاء القنـوات البحريـة، وتعزيـز قـدرة الدولـة عـلى الدفـاع ومواجهـة قـوى التدخـل. (3) منـع ظهـور دول مقاومـة للصـين في المناطـق المحيطـة.

وحتـى تسـتطيع الصـين التغلـب عـلى صعوبـات تحقيـق الصعـود والتنميـة، ينبغـي أن تركـز في مرحلـة التحـول الاسـتراتيجي عـلى توسـيع المجـالات التـي تسـتطيع أن تدفـع بالنمـو الاقتصـادي وتعـزز مـن قـوة الدولـة، عـلى سـبيل المثـال: تعزيـز القـوة الناعمـة، والبحـث عـن مـوارد للطاقـة الجديـدة، والتنميـة في الفضـاء الخارجـي، وبنـاء الشـبكات، والاهتـمام بالمناطـق البحريـة والقطبيـة.

ثالثًا: تخطيط الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية في ظل مرحلة التحول

بعـد أن تعرفنـا عـلى أهـداف الدبلوماسـية الصينيـة في ظـل مرحلـة التحـول ومـا تواجهـه مـن تحديـات، ينبغـي علينـا أن نوضـح الخطـة الاسـتراتيجية التـي مـن الممكـن اتباعهـا لمواجهـة هـذه التحديـات وتحقيـق هـذه الأهـداف.

1. المشكلات القائمة في الخطط الاستراتيجية السابقة:

بصفـة عامـة، كانـت هنـاك مشـكلتان رئيسـتان أثرتـا عـلى الاسـتراتيجيات الخارجيـة الصينيـة السـابقة، سـواء عـلى مسـتوى وضـع الاسـتراتيجية أو تنفيذهـا.

أ. الافتقار إلى الشمولية:

أولًا: لم تكـن هنـاك رؤيـة شـاملة تنظـر إلى الوضـع ككل، بـل كانـت تراقـب العـالم مـن وجهـة نظـر صينيـة. كـما أنـه لم يكـن هنـاك وعـي يسـتوعب الوضـع العـام ومسـتويات الأنظمـة العالميـة.

يعتقـد إيـان ميلـز أن الصـين تنظـر إلى العـالم باعتبارهـا مركـز هـذا العـالم، وبالتالي لا تهتـم بأي شيء خـارج نطـاق "مصالحهـا الجوهريـة". ورغـم وجـود إطـار موحـد، فـإن آليـات التخطيـط الاسـتراتيجية الصينيـة لا تـزال تـولي الاهتـمام الأكبر بالقضايـا الداخليـة والقضايا الجيوسياسـية للدول المجـاورة. ونظرًا إلى أن الصـين تطبّـق سياسـة عـدم التدخـل في شـئون الدول السـيادية الأخـرى، بالتالي فإن نظـرة واضعي السياسـات الصينيـين محـدودة، ولا يعـيرون أي اهتـمام للسـاحة الاسـتراتيجية الأوسـع. وعـلى الرغم من أن هـذا يتفـق مـع الموقـف الرسـمي الصينـي، فإنـه قيَّد بشـكل جـليّ وكبير قـدرات واضعي السياسـات، مـا جعلهـم في عجـز عـن التنبؤ بالأحـداث الدولية المهمـة والتيارات الجديـدة، وبالتالي لم يسـتعدوا جيدًا

لمواجهتها"[1]. ولكـن هـذا لا يتفـق مـع واقـع سـعي الصـين المسـتمر لتوسـيع مصالحهـا الوطنيـة في النطـاق العالمـي، الأمـر الـذي سـبب فجـوة أمـام تحقيـق هـدف تحـول الصـين إلى دولـة كـبرى ذات تأثـير عالمـي.

وإذا نظرنـا إلى التحـولات التـي شـهدتها العلاقـات الصينيـة مـع العـالم الخارجـي، فسـنجد أن اتصـال الصـين بالعـالم اليـوم أصبـح كـثر اتسـاعًا والتحامًـا، كـما تعمّقـت علاقـة الاعتـماد المتبـادل بـين الصـين والأنظمـة الدوليـة، وأسسـت الصـين علاقـات شراكـة اسـتراتيجية مـع العديـد مـن الـدول في المجـالات المختلفـة. ومـع تطـور انفتـاح الصـين عـلى الخـارج، اندمجـت في الأنظمـة الدوليـة بشـكل أعمـق. ولكـن بصفـة عامـة، شـهدت الصـين أخطـارًا منظوميـةً غـير مسـبوقة عندمـا سـعت إلى توسـيع مصالحهـا. فبمجـرد أن تتعـرض إحـدى حلقـات النظـام إلى أزمـة، يـؤدي ذلـك إلى خلـل النظـام بأكملـه وزيـادة حـادة في العواقـب التـي تتحملهـا الصـين. وبالتـالي يجـب أن تتمتـع الاسـتراتيجية الدبلوماسـية الصينيـة بالشـمولية والمنظوميـة.

ثانيًـا: ضعـف التنسـيق والترابـط، اللذيـن يُعـدان أيضًـا انعكاسًـا للافتقـار إلى الشـمولية. فرغـم وجـود تنظيـم شـامل، نجـد أن هنـاك انفصـالًا عنـد التطبيـق، وافتقـارًا إلى الربـط العضـوي الـكافي بـين الأجـزاء المكوّنـة للكيـان الشـامل، وبالتـالي هنـاك قصـور في التنسـيق والجمـع بـين الجهـات المختلفـة، مـا يـؤدي إلى تطبيـق الاسـتراتيجية في كل جهـة منفصلـة عـن الأخـرى. ونظـرًا لغيـاب مفهـوم مشـترك واضـح للتهديـدات، بالتـالي تضـع كل جهـة تهديداتهـا فـوق الجميـع، مـا يـؤدي إلى اختـلال وتـشرذم الاسـتراتيجيات الصينيـة سـواء عـلى مسـتوى المفهـوم أو التطبيـق. وفي بعـض الأحيـان، يحـدث انفصـال بـين مراحـل تطبيـق الاسـتراتيجية، مـما يؤثـر مبـاشرةً عـلى تنسـيق الخطـة الاسـتراتيجية وتنفيذهـا. كـما تهتـم كل جهـة بأدائهـا الحـالي، مـا يـؤدي دائمًـا إلى الاهتـمام بالقضايـا الراهنـة بشـكل أكـبر كثـيرًا مـن التخطيـط عـلى المـدى الطويـل أو المتوسـط. وبالإضافـة إلى ذلـك، تفتقـر قطاعـات الشـئون الخارجيـة والدبلوماسـية الصينيـة إلى مؤسسـات لهـا أدوار توجيهيـة في صناعـة القـرارات الاسـتراتيجية، فتعجـز القـدرة عـلى التنسـيق والإدارة الدوليـة والداخليـة عـن تلبيـة متطلبـات التخطيـط الاسـتراتيجي، وبالتـالي تعجـز عـن أداء دورهـا بشـكل مؤثـر أو توجيهـي أكـبر.

1- Iain Mills, "China Turn Its Gaze Outward", World Politics Review, April 24, 2012, http://www.worldpoliticsreview.com/articles/11877/china-turns-its-gaze-outward.

ثالثًا: غياب التوازن بين التفاعل الخارجي والداخلي. فعلى الرغم من أن هناك تأكيدًا على ضرورة التنسيق بين الأوضاع الداخلية والخارجية، ومع ذلك عادةً ما تؤثر الأوضاع الداخلية على الأوضاع الدولية. وبالإضافة إلى ذلك، لم يتغير دور الاستراتيجيات الخارجية وما تشغله من مكانة تبعية تغيرًا جوهريًا، سواء من حيث القدرة على تقييم الأوضاع أو تطبيق السياسات، ما يؤدي إلى تفاعل غير متناظر بين الجانبين. وهذا لا يتفق مع حقيقة وجود تفاعل مزدوج بين الأوضاع الداخلية والخارجية، بحيث تؤثر الأوضاع الدولية بشكل عميق على الاستقرار الاقتصادي والأمني الداخلي.

ب. الافتقار إلى المرونة:

إن الأنظمة والاستراتيجيات دائمًا ما تكون مقيدة بعملية صناعة القرار البيروقراطية شديدة التعقيد، ما يعني أنها تفتقر إلى التخطيط الاستراتيجي الكافي، وتصطدم بالعراقيل والقيود من كافة النواحي في مراحل التطبيق، ما يؤدي إلى تباطؤ الاستراتيجية في تعديل أو تغيير اتجاهها، وعدم وضوح المسئولية التي تتحملها.

تواجه الصين تحديات تزداد إلحاحًا مع توسع مصالحها الخارجية؛ نظرًا لما تفرضه مبادئ سياسة عدم التدخل التقليدية من قيود عليها. فالاعتماد الكلي على الطاقة من الخارج وسلاسل التوريد وخطوط الشحن الخارجية، يحدّ من الخيارات الاستراتيجية الصينية الخارجية. بالإضافة إلى ذلك، أدى الامتزاج بين الإرهاب، والقوى الانفصالية، واختراق تكنولوجيا الإنترنت، إلى ظهور أخطار جديدة غير مسبوقة أمام الصين. باختصار، تزداد الأوضاع تعقيدًا، وتتعدد التهديدات، ومع ذلك ليس هناك خطة استراتيجية واضحة للمواجهة تتسم بالشمولية والمرونة.

فالاستراتيجيات في مرحلة التحول غير ثابتة، وإنما في تغيير وتطوير مستمر. وبالتالي ينبغي أن يكون هناك تعديل ومتابعة سريعة وفعالة في مواجهة تغير الأوضاع. ويجب أن تتميز في الوقت نفسه بالصبر والمرونة في مواجهة المبادئ التوجيهية طويلة المدى.

2. المبادئ الأساسية وراء تخطيط الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية:

لم ولن تتغير السمة السلمية المهيمنة على الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية في

ظـل مرحلـة التحـول. وهـذا يتطلـب منـا الاسـتيعاب الجيـد لعلاقـات التفاعـل بيننـا وبـين الـدول الأخـرى، والمعالجـة الرشـيدة لجميـع الأحـداث المفاجئـة والقضايـا السـاخنة، بالإضافـة إلى التأكيـد عـلى ضرورة التعـاون في مواجهـة التهديـدات المشـتركة.

أ. الإطـار الفكـري العام للخطـة الاسـتراتيجية الصينية:

(1) ضرورة التأكيـد عـلى السـلم والتعـاون والتنميـة كمبـادئ توجيهيـة عامـة. وتمتـد الاسـتراتيجية السـلمية الصينيـة إلى بضـع جوانـب مهمـة، وهـي: تحقيـق الوحـدة السـلمية، الحـل السـلمي للنزاعـات، والتنميـة السـلمية. أمـا اسـتراتيجية التنميـة السـلمية، فتتطلـب مـن الصـين الانتبـاه إلى قضيتـين مهمتـين:

أولًا: وضـع الاسـتراتيجيات عـلى أسـاس التنميـة. هنـاك فـارق كبـير جـدًا بـين توجـه يضـع الاسـتراتيجيات عـلى أسـاس مواجهـة التهديـدات، وتوجـه آخـر يضـع الاسـتراتيجيات عـلى أسـاس تحقيـق التنميـة. وبصفـة عامـة، تفـوق الاسـتراتيجية الموضوعـة عـلى أسـاس التنميـة تلـك الاسـتراتيجية الموضوعـة عـلى أسـاس مواجهـة التهديـدات. فالثانيـة تكـون قـاصرة عـلى الأمـن السـياسي فقـط، بينهـا تكـون الأولى أكـثر شـمولية. ويمكننـا أن نعتـبر الاسـتراتيجية المبنيـة عـلى مواجهـة التهديـد بأنهـا اسـتراتيجية مضـادة للحصـار، تركـز عـلى الحـد مـن احتماليـة الوقـوع تحـت حصـار مشـترك. وبالتـالي فـإن مـن الجـلي ضرورة أن تعتمـد اسـتراتيجية التنميـة السـلمية الصينيـة عـلى اسـتراتيجية شـاملة للتنميـة.

ثانيًـا: هنـاك فـارق أيضًـا بـين الاسـتراتيجيات التـي يتـم وضعهـا لمواجهـة التهديـدات المشـتركة، وتلـك التـي يتـم وضعهـا لمواجهـة التهديـدات عـلى مسـتوى الدولـة فقـط. تختلـف النظريـات الصينيـة حـول السـلم والتعـاون اختلافًـا جذريًـا عـن تلـك في بعـض الـدول الكـبرى، فـلا تضـع الصـين الـدول الأخـرى أو تهديداتهـا في المقـام الأول عنـد وضـع سياسـاتها، بـل تضـع التهديـدات المشـتركة في المقـام الأول ونقطـة لانطـلاق نظرياتهـا. بمعنـى آخـر، إننـا لا نضـع تهديـدات الدولـة في المقـام الأول، إنمـا نضـع التهديـدات المشـتركة أو أكـبر التهديـدات التـي تواجـه البشريـة في المقـام الأول، فنضـع الصـين والـدول الأخـرى ضمـن كيـان واحـد مشـترك. وبهـذا الشـكل فقـط يمكننـا أن نضمـن تطبيـق اسـتراتيجية مشـتركة للتعـاون بـين الصـين وغيرهـا مـن الـدول.

إذا أردنا دفع الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية في ظل مرحلة التحول بشكل أكبر، فيجب أن تكون هناك نظرة شاملة تنظر إلى الوضع ككل، وتعمل بجد وعناية، وتميز بين المستويات المختلفة. وينبغي أيضًا وضع الاستراتيجيات لمواجهة التهديدات المشتركة وليس تهديدات الدولة فحسب، ما سوف يساعد بشكل هائل على حل ما نواجهه من أزمات تعوق النهضة، ويساعد أيضًا على تحديد توجهات التنمية السلمية بشكل أوضح.

(2) التأكيد على ضرورة التفاعل الإيجابي مع المجتمع الدولي. فاستراتيجية التحول الصينية هي استراتيجية للتنمية والتطوير، استراتيجية تسعى إلى تحقيق تحول الصين من دولة كبرى إلى دولة عظمى، ومن دولة مهمشة إلى دولة مركزية. والقضية المهمة هنا هي كيف نجعل الدول التي كانت تشغل مركز العالم تتقبل الصين. على المستوى الدولي، تتعاظم الصين داخليًّا بشكل مستمر، وتتجه نحو التنمية الخارجية، وبالتالي تجمع بين التنمية الداخلية والخارجية في كيان موحد، يؤثر كل منهما على الآخر، فما دام هناك إصلاح يجب أن يكون هناك انفتاح. ولكن هناك وجهين لتأثير التنمية الخارجية على المجتمع الدولي، فمن ناحية قد تجلب التنمية الخارجية المنفعة، ومن ناحية أخرى قد تسبب ضغوطًا تنافسية. وبالتالي ينبغي التأكيد على مفهوم المصالح المتبادلة والفوز المشترك، حتى تستطيع الصين تحقيق المصالح وتجنب المخاطر، وحتى يتقبلها المجتمع الدولي ويعترف بها.

(3) ضرورة تحقيق التوازن بين الاستقرار والتقدم. يجب على الاستراتيجية الصينية في مرحلة التحول أن تركز بشكل أكبر على العلاقة بين الاستقرار والإنجاز. بحيث تسعى إلى الإنجاز بالشكل المناسب وفي الوقت المناسب. ومن ثم يُعتبر الاعتدال والتوازن أهم مفاتيح التخطيط الاستراتيجي للدبلوماسية الصينية في مرحلة التحول، فيجب حل المشكلات بإيجابية، والتخفيف من حدة الأزمات، مع الأخذ في الاعتبار ضرورة التوقف في الوقت المناسب، والعمل بما لا يحمّل النفس أكثر من طاقتها. "إن هدف الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية هو التعزيز من

تأثير الصين دوليًا، وفي الوقت نفسه دون أن يستفز هذا "رد فعل مضادًا"[1].

منذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، ظلت استراتيجية الأمن الخارجي الصينية تسعى إلى تخطيط شامل، يشمل الحد من انتشار السلاح النووي، وضمان الاستقرار الإقليمي، وحماية المصالح الجوهرية، مع الحفاظ على التعاون مع الدول الأخرى، وتجنب نشوب حروب محلية بسبب النزاع على الأراضي، مع السيطرة الفعالة والمتعقلة على الأزمات، والسعي إلى علاقات شراكة وتعاون حقيقية، دون التأثير على التعاون مع باقي الدول، أو إقصاء أي طرف على حساب الآخر. بالإضافة إلى ضرورة الاهتمام بالتوازن في العديد من القضايا الكبرى. لا ننكر أنه قد تحققت إنجازات واضحة بالفعل في هذه الجوانب، ولكنها في حاجة إلى تحسين أكبر، وتتطلب ضمانات وأنظمة أكثر قوة.

(4) التنسيق الجيد بين قوة الدولة وما يقابلها من مسئوليات دولية. في ظل تطور الصين دوليًا، تحولت الصين من مجرد التساؤل عما إذا كان عليها تحمل مسئوليات دولية، إلى التساؤل حول كيف تتحمل هذه المسئوليات. وأصبحت أكثر القضايا إلحاحًا هي التساؤل حول ماهية هذه المسئوليات، وكيف يمكن تحملها، وما هي الإسهامات التي يمكن أن تقدمها الصين وفي أي المجالات. إذا نظرنا إلى المراحل الحالية والمستقبلية من التنمية، نجد أن الصين يمكن أن تلعب أدوارًا أكثر إيجابية في بعض المجالات، منها: حفظ السلام، وتقديم المساعدات للمناطق المنكوبة، وتقديم المساعدات للتنمية الدولية، وبناء البنية التحتية، ووضع قوانين دولية عادلة، وتوجيه الأخلاقيات الدولية.

ب. المفاهيم الأساسية وراء الاستراتيجية الصينية في ظل مرحلة التحول:

تلخيصًا لما سبق، ينبغي على الخطة الاستراتيجية الصينية أن تتقدم في جملة من المستويات، وأن تتمتع بتخطيط مترابط، يجمع بين التوازن وتجنب المخاطر، ويحافظ على استقلالية الدولة، وتجنب الاعتماد الزائد على الخارج. أي التركيز على

1- (مرجع أمريكي) أفري جولدستين، "الاستراتيجية الصينية والأمن الدولي"، ترجمة وانغ جيون وآخرين، بكين، دار نشر وثائق العلوم الاجتماعية، 2008، ص 14.

النقـاط المهمـة، والتمتـع بالتخطيـط الموحـد والنظـرة الشـاملة، والاهتـمام بالتـوازن الشـامل، والقـدرة عـلى تحديـد مـا هـو مناسـب، مـع الأخـذ في الاعتبـار تأثـير جميـع العنـاصر والتفاعـل بـين المصالـح المختلفـة. بمعنـى آخـر، يجـب أن تؤكـد الاسـتراتيجية الصينيـة في مرحلـة التحـول عـلى الشـمولية والمنظوميـة والتنسـيق وخاصـةً التعـاون، والقـدرة عـلى التنظيـم الشـامل للأنظمـة المعقـدة، وبنـاء خطـة دقيقـة وشـاملة ومترابطـة ومتسلسـلة.

كـما يجـب أن تتميـز الخطـة الاسـتراتيجية الصينيـة بالأفـق الواسـع، وتُـبرز أهـم النقـاط الاسـتراتيجية، مـع توفـير الوسـائل الاسـتراتيجية والطـرق التطبيقيـة الواقعيـة والقابلـة للتحقيـق.

لقـد حوّلـت اسـتراتيجية الولايـات المتحـدة في الحـرب البـاردة البـلاد مـن دولـة كـبرى إقليميًّـا إلى دولـة كـبرى عالميًّـا. وعندمـا كان جـورج كينـان يخطـط لهـذه الاسـتراتيجية، خـرج مـن حـدود الرؤيـة الإقليميـة للبـلاد، وراقـب للمـرة الأولى تقلبـات القـوى العالميـة مـن زاويـة رؤيـة جيوسياسـية عالميـة شـاملة، وطـرح خمـس قـوى كـبرى كمفاهيـم أساسـية وراء أهـداف الاسـتراتيجية، شـملت الآتي: الظـروف المناخيـة والقـوة الصناعيـة وأعـداد السـكان والعـادات والتقاليـد. كـما أكـد عـلى مصالـح الولايـات المتحـدة الأساسـية في الشـئون العالميـة، مـا يضمـن لهـا عـدم الوقـوع في يـد أي قـوة معاديـة أخـرى. كـما أوضـح أيضًـا أهميـة القنـوات التـي تتطلبهـا الصناعـة والمـواد الخـام والدفـاع. "تُعـد السـلطة الصناعيـة- العسـكرية مـن أخطـر السـلطات القائمـة في السـاحة الدوليـة، وبالتـالي ينبغـي إيـلاء أهميـة كبـيرة لحمايتهـا والسـيطرة عليهـا. وقـال جـورج كينـان: نظـرًا إلى أن القـدرة محـدودة؛ لـذا ينبغـي ترتيـب المصالـح بحسـب الأهميـة"[1].

وبعيـدًا عـن النـزاع العسـكري المبـاشر، حلـل جـورج كينـان في خطتـه الاسـتراتيجية التـي وضعهـا أثنـاء الحـرب البـاردة طبيعـة وخصائـص الاتحـاد السـوفيتي باعتبـاره خصـمًا كامنًـا، ثـم وضـع اسـتراتيجية سـلمية تسـعى إلى هزيمـة وكبـح الاتحـاد السـوفيتي بتأسـيس التحالفـات عـلى الصعيـد العسـكري، وعـلى الصعيـد الاقتصـادي دعـا إلى تطبيـق مـشروع مارشـال، واتخـذ مـن ألمانيـا الغربيـة نقطـة اخـتراق لاسـتراتيجيته، مـا

1- شي ين خونغ، "عشرون رؤية استراتيجية"، تيانجين، دار نشر الشعب، 2008، ص286.

حـوّل العلاقـة مـن العـداوة إلى الصداقـة وسـاعد عـلى السـيطرة عـلى أوروبـا، مـما كان لـه مغـزى مهـم بـلا شـك حيـال اسـتقرار مناطـق نفـوذ الولايـات المتحـدة بعـد الحـرب والتقسـيم السـياسي في أوروبـا. ولكـن تسـتند هـذه الاسـتراتيجية إلى المفهـوم التقليـدي للهيمنـة، مـا قـد صعّـد مـن المواجهـة والمعارضـة في السياسـة الدوليـة.

وعـلى مسـتوى التطبيـق، اهتمـت اسـتراتيجية الولايـات المتحـدة في الحـرب البـاردة باسـتراتيجية التحالـف. فبعـد الحـرب العالميـة الثانيـة، طبقـت الولايـات المتحـدة اسـتراتيجية عالميـة جديـدة، اتخـذت مـن اسـتراتيجية التحالـف دعامـةً أساسـية مـن دعائـم اسـتراتيجياتها الخارجيـة. وبعـد سـنوات مـن البنـاء، أسسـت الولايـات المتحـدة شـبكة مـن التحالفـات غطـت العـالم بأكملـه وتضمنـت أهـم الـدول المتقدمـة، وكان لهـا دور بـارز في دعـم الدفـاع، وتقاسـم المسـئوليات، وتحقيـق تـوازن القـوى في المنطقـة. يمكننـا أن نقـول إن تأسـيس علاقـات الشراكـة والتحالفـات هـي ضـمان أسـاسي اتخذتـه الولايـات المتحـدة لحمايـة هيمنتهـا، وإن اسـتراتيجية التحالـف واسـتراتيجية الهيمنـة الأمريكيـة كلتيهـما مترابطتـان عـلى المسـتوى السـياسي.

بعـد انتهـاء الحـرب البـاردة، اسـتغلت الولايـات المتحـدة الفرصـة الاسـتراتيجية لتصبـح القـوة المهيمنـة الوحيـدة، وأكـدت عـلى المفاهيـم الاسـتراتيجية التـي تشـبّه العـالم برقعـة الشـطرنج، واسـتمرت في إدارة التحـولات الجديـدة. ومـن أهـم المفاهيـم الاسـتراتيجية مفهـوم الجيوسـتراتيجية، التـي تتخـذ مـن المناطـق في وسـط أوراسـيا وعـلى حدودهـا مكونًـا مهـمًا لاسـتراتيجيتها، وتتخـذ مـن المناطـق داخـل الـشرق الأوسـط وأوراسـيا مركـز قـوة لآسـيا الوسـطى في قضيـة الطاقـة، لتجنـب ظهـور قـوى متحديـة أو تحالفـات للقـوى في المنطقـة، والسـيطرة عـلى المـوارد الاسـتراتيجية المهمـة في العـالم بأكملـه. أمـا المفهـوم الاسـتراتيجي الثـاني فهـو اسـتراتيجية تـوازن القـوى. وترتبـط اسـتراتيجية تـوازن القـوى باسـتراتيجية التحالـف، حيـث تعتمـد اسـتراتيجية التحالـف عـلى خلـق الأزمـات أو اسـتغلالها كقـوة دافعـة لتكويـن التحالفـات. كـما أن هنـاك وفاقًـا تامًّـا بـين مفهـوم الجيوسـتراتيجي، واسـتراتيجية تـوازن القـوى، واسـتراتيجية التحالـف؛ بحيـث تكـون الجيوسـتراتيجية هـي الجوهـر الأسـاسي، واسـتراتيجيتا تـوازن القـوى والتحالـف الوسـائل الأساسـية المسـتخدمة. ويُعـد هـذان المفهومـان

(الجيوستراتيجية واستراتيجية توازن القوة) من أهم المفاهيم المطبقة طيلة فترة ما بعد انتهاء الحرب الباردة حتى يومنا هذا.

تختلف استراتيجية التنمية السلمية الصينية اختلافًا جذريًا عن استراتيجية الهيمنة الأمريكية، ومع ذلك يُعد تخطيط الاستراتيجيات الخارجية بناءً على قوة الدولة وأهدافها الاستراتيجية وسيلةً مشتركةً في الاستراتيجيتين.

أولًا: تعتمد الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية على مبادئ توجيهية عامة، ما يحتم عليها عند وضع الاستراتيجية الانتباه إلى ضرورة أن تغطي الاستراتيجية نطاقًا أكبر في ظل رؤية استراتيجية عالمية جديدة، ما يعني تواجدًا أوسع وفعّالًا للاستراتيجية وقدرة على تحقيق التوازن، تمكّنها من كبح وممارسة ضغوط استراتيجية على أي منظمات أو قوى قد تظهر في الأوقات الحرجة لزعزعة السلم والاستقرار العالمي. هناك اختلاف جوهري بين الاستراتيجية الخارجية الصينية والأمريكية، فلا تسعى الصين إلى استراتيجية للهيمنة، بل تسعى إلى استراتيجية للسلم والتعاون. وبما أن الصين ثاني أكبر كيان اقتصادي على مستوى العالم، فهي بالتالي تنتشر مجالات تعاونها الاقتصادي في جميع أنحاء العالم، وتوسع مصالحها الوطنية بشكل مستمر، ما يعني أنها تواجه جميع أنواع التحديات الأمنية التقليدية وغير التقليدية. ولذلك يجب أن تتمتع بقدرة فعّالة على حماية استراتيجياتها، بحيث تبرز نقاط القوة، وتسيطر في الوقت نفسه على قنواتها الاستراتيجية، وتشارك بإيجابية في حل الأزمات والقضايا الدولية الساخنة.

ثانيًا: الاعتماد على نمط جديد من علاقات التعاون كوسيلة أساسية لتطبيق الاستراتيجية. تتمسك الصين باستراتيجية عدم الانحياز، ولا تطبق استراتيجية توازن القوى التي تهدف إلى قيام التحالفات والهيمنة، ولكنها تؤمن بضرورة تعزيز علاقات الشراكة والتعاون الاستراتيجي وتنميتها وتوطيدها، وضرورة بناء تجمعات وعلاقات جديدة في شكل منتديات للتعاون متعددة الأطراف، على سبيل المثال منظمة شنغهاي للتعاون ومجموعة العشرين. وبالإضافة إلى ذلك، تُعتبر علاقات الشراكة الصينية مفككة إلى حد ما، فهي لا تتميز بهذا القدر من التماسك الموجود في التحالفات، وبما أن علاقات الشراكة تستهدف أهدافًا مختلفة، بالتالي

يصعب حشد القوى لمواجهة التهديدات المشتركة، ما يتطلب تعزيز التنسيق مع الشركاء الاستراتيجيين. وعند اختيار الشريك الاستراتيجي، يجب أن نضع في الاعتبار أهمية الاتحاد مع الأطراف القوية، ولكن دون أن ننسى أنه يكمل القوى الضعيف، ونحاول قدر المستطاع تجنب خسارة أطراف على حساب تعزيز العلاقات مع أطراف أخرى.

ثالثًا: ينبغي توضيح المراحل المختلفة للتحول الجيوستراتيجي الصيني. تمر الاستراتيجية الصينية بثلاث مراحل لتحقيق التحول من دولة ضعيفة إلى دولة عظمى. تركز المرحلة الأولى على تطبيق استراتيجيات إقليمية، أي استراتيجيات تقليدية مع دول الجوار. أما المرحلة الثانية فتركز على نطاق أوسع، وتمتد إلى محيط أبعد من مناطق الجوار التقليدية، على سبيل المثال استراتيجيتا المحيط الهادئ والمحيط الهندي، واستراتيجيات بحرية وبرية تمتد غربًا إلى آسيا الوسطى والشرق الأوسط، وشرقًا إلى ما بعد المحيط الهادئ امتدادًا إلى أمريكا اللاتينية. والمرحلة الثالثة هي مرحلة الاستراتيجيات العالمية، التي لا تسعى إلى الهيمنة، بل تهتم بشكل أكبر بتحقيق التوازن بين الاستراتيجيات الإقليمية والاستراتيجيات البحرية البعيدة، وتهتم كذلك بالجمع بين الاستراتيجيات البحرية وتكتل أوراسيا. لا يزال التركيز في الوقت الراهن على مرحلة تطبيق الاستراتيجيات الإقليمية، التي تركز بشكل أساسي على الحفاظ على الاستقرار والتنمية في المناطق المحيطة، وتجنب تصعيد الأزمات أو اندلاع الحروب. ومع تطبيق الاستراتيجيات الإقليمية، ينبغي ضمان التوازن العام مع الدول الكبرى، ما يتطلب التنسيق والتكامل مع باقي الاستراتيجيات الإقليمية. مع تعمق مرحلة التحول الاستراتيجي، ينبغي على الصين التحول من الاستراتيجيات الإقليمية الدفاعية إلى استراتيجيات تتجه إلى محيط أوسع.

يُعد بناء استراتيجيات خارجية واستيعاب الأهداف والفرص المرحلية استنادًا إلى قوة الدولة، أمرًا في غاية الأهمية بالنسبة للخطة الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية. فإن المشكلات التي تنتج عن التجاوز الطائش للمرحلة وعدم الانتهاء من المهام في وقتها المناسب خطيرة للغاية، وخاصةً في أثناء مرحلة تحول الصين

مـن دولـة كـبرى إلى دولـة عظمـى إقليميًـا، حيـث ينبغـي عليهـا تجنـب أي تقـدم طائـش علـى المسـتوى الاسـتراتيجي، وتجنـب الوقـوع في مشـكلات قـد تضعهـا الـدول الأخـرى للإيقـاع بالصـين. مـن الزاويـة الاسـتراتيجية، لقـد تفـكك الاتحـاد السـوفيتي بسـبب سـعي الاسـتراتيجيات الخارجيـة السـوفيتية حينئـذ إلى القـوة العسـكرية السـطحية، ووضعـت أهدافًـا لا تتفـق مـع مصالحهـا الوطنيـة، بـل سـعت إلى التنـازع عـلى الهيمنـة مـع الولايـات المتحـدة، كـما سـعت إلى التوسـع الخارجـي دون أي ضوابـط. وهـذا درس يجـب أن نتعلـم منـه.

3. أهم مفاتيح تخطيط الاستراتيجية الدبلوماسية:

في مواجهـة مـا تشـهده الأوضـاع الدوليـة مـن تغـيرات معقـدة، ينبغـي عـلى الصـين تطبيـق اسـتراتيجيات دبلوماسـية إيجابيـة، تتأمـل الوضـع بشـكل شـامل، وتحـدد أهـم النقـاط فتركـز عليهـا، وتسـعى إلى الريـادة والمبـادرة.

أ. الاستعانة بالأوضاع واستغلالها والاستفادة منها:

الاسـتغلال السريـع والحريـص للوضـع المناسـب مـع تغـير العلاقـات أو موازيـن القـوى، وخلـق الفـرص واسـتغلالها. تحمـل كلمـة "وضـع" مسـتويين مـن الدلالـة: أولًا: مفهـوم يشـير إلى الأوضـاع العامـة الثابتـة، مثـال: وضـع، ظـرف، طبيعـة. ثانيًـا: مفهـوم يشـير إلى توجهـات أساسـية ديناميكيـة، مثـال: موقـف، حالـة، توجـه. ولا تخلـو الأوضـاع في حالتهـا الثابتـة مـن العنـاصر الديناميكيـة. تشـير كلمـة (وضـع) إلى النظـام الموضوعـي وراء تطـور الأشـياء، وتشـير أيضًـا إلى المبـادرة الذاتيـة التـي يسـيطر عليهـا الفاعـل. وفي الثقافـة الصينيـة، تُعتـبر الأوضـاع أهـم مـا يحـدد نجـاح أو فشـل الأمـور[1].

أحـد أهـم عنـاصر تطبيـق الاسـتراتيجية هـي تحديـد مـن يجيـد الاسـتعانة بالأوضـاع واسـتغلالها. "المقاتـل البـارع يقـدّر مـدى قـوة جيشـه ككل، ولا يتوقـع الكثـير مـن الأفـراد، وبذلـك يصبـح قـادرًا عـلى اختيـار الرجـال المناسـبين والاسـتفادة مـن اتحـاد القـوات"، "إن القـوة التـي تتجـلى مـن المقاتلـين الباسـلين، هـي مثـل القـوة الدافعـة التـي يكتسـبها الحجـر

1 بان تشونغ تشي، "من ‹مسايرة الأوضاع› إلى ‹الاستفادة منها›"، "الاقتصاد والسياسة العالمية" 2010، عدد 2، ص7.

الدائـري الصغـير المتدحـرج مـن قمـة جبـل يرتفـع آلاف الأمتـار، هـذا هـو موضـوع القـوة"[1].
و"الاسـتعانة بالوضـع يسـاعد عـلى الاصطفـاف الأمثـل للقـوات، قـد تبـدو قـوة الجيـش ضعيفـة ولكـن باصطفافـه يبـدو قويًـا، مثـل نمـو ريـش الإوز عـلى جناحـه بغـزارة"[2]. تُعـد العولمـة الاقتصاديـة والاعتـماد المتبـادل، مـن التوجهـات التـي يمكـن اسـتغلالها بشـكل كامـل، "تُعـد السـيطرة عـلى علاقـة الاعتـماد المتبـادل أهـم الأسـباب وراء اسـتثمار الولايـات المتحـدة في المـوارد الطبيعيـة للفـوز بسـلطة قياديـة دوليـة، وهـو مـا يعـد أيضًـا جوهـر اسـتراتيجيتها الجديـدة"[3].

يجـب أن يجيـد السياسـيون اسـتغلال الأوضـاع والاسـتفادة منهـا. وبحسـب لعبـة الغـو[4] الصينيـة، لا يقـوم مفهـوم اللعبـة عـلى النـزاع بـين قوتـين وإنمـا يدعـو إلى التفكـير في الوضـع ككل. وتؤكـد الدبلوماسـية الصينيـة عـلى ضرورة الاسـتفادة مـن الأوضـاع، والتركيـز عـلى الاسـتفادة طويلـة المـدى وليـس الفـوز أو الخسـارة المؤقتـة. فيجـب البـدء بالتكيـف مـع الأوضـاع، ثـم الانطـلاق باسـتغلالها والتغـير بمقتضاهـا.

يجـب أن تهتـم الخطـة الاسـتراتيجية بالاسـتفادة مـن الأوضـاع. إن التغـير بمقتـضى الأوضـاع مهـم، ولكـن خلـق الأوضـاع والاسـتفادة منهـا مسـتوى أعـلى مـن التخطيـط. وتُعـد الاسـتفادة مـن الأوضـاع أعـلى مسـتويات التخطيـط الاسـتراتيجي، فهـي تدفـع ببنـاء بيئـة وآليـات مواتيـة تسـاعد عـلى تحقيـق التنميـة الذاتيـة. عـلى سـبيل المثـال، ينبغـي تحسـين الأنظمـة الدوليـة حتـى مـع الاندمـاج فيهـا، وتحويـل القـدرة عـلى التأثـير العالمـي الواسـعة إلى قـدرة اسـتراتيجية قـادرة عـلى حـل المشـكلات.

ب. بناء الأنظمـة والقوانين:

يشـير أحـد المؤلفـات إلى أنـه "تُعـرّف القـوة في الوقـت الراهـن بأنهـا القـدرة عـلى

1- سون تسي، "فن الحرب- فصل القوة". انظر: لي لينغ، "الخداع للفوز في الحرب- قراءتي لسون تسي"، بكين، دار النشر الصينية، 2006، ص 199- 200.

2- بو ينغ خوا، خوا مينغ ليانغ، "ستة وثلاثون تكتيكًا"، بكين، دار نشر المستندات الصينية، 1994، ص135.

3- جوزيف ناي، "هل محكوم على الولايات المتحدة القيادة- تحول طبيعة السلطة الأمريكية"، ترجمة ليو خوا، بكين، دار نشر جامعة الشعب الصينية، 2012، ص 201.

4- الغو: لعبة استراتيجية صينية قريبة من الشطرنج، تُلعب على لوحة منقسمة إلى تسعة عشر سطرًا قائمًا وتسعة عشر سطرًا تقطعها في زوايا قائمة. يلعبها لاعبان يتبادلان وضع صخرات من لونين (أسود وأبيض)، ويتبارى اللاعبان في الإحاطة بأكبر عدد من صخرات اللاعب الآخر. على الرغم من بساطة قواعد اللعبة فإن استراتيجيتها معقدة إلى درجة كبيرة (المترجمة).

السيطرة على الأنظمة في مجال أو عدد من المجالات في ظل التنافس الدولي"[1]. تُعد قدرة الدولة على نشر ثقافتها وبناء سلسلة من القوانين والأنظمة التي تساعدها على تحقيق التنمية الذاتية وتمكّنها من قيادة مجالات مختلفة من الأنشطة الدولية أهم مصادر السلطة[2]. وينبغي أن تضم الخطة الاستراتيجية الدبلوماسية مخططًا يسعى لتنمية القوة الناعمة، ويؤكد على أهمية العناصر الاستراتيجية المعنوية. وفي المجتمع الدولي، هناك علاقة حتمية بين المكانة الدولية التي يمكن أن تصل لها الدولة وقدرتها على تحقيق أهدافها الاستراتيجية، كما أن هناك علاقة وثيقة بين قدرة الدولة على التأثير دوليًّا وما تتمتع به من مكانة دولية، وينعكس مدى قوة أو ضعف تأثير الدولة على قدرتها على وضع القوانين في الأنظمة الدولية.

تمثل القدرة على وضع الأنظمة أهميةً استراتيجية كبيرة؛ نظرًا لما تلعبه من دور مهم في وضع الأنظمة الدولية، الأمر الذي ليس فقط يساعد الدولة على سعيها لمصالحها الذاتية، بل يساعد الدول الأخرى أيضًا على التعرف على الدولة والاعتراف بها، ويساعد أيضًا على بناء نموذج أفضل للتعاون المشترك.

إذا نظرنا إلى التاريخ، فسنجد أن هناك علاقة وثيقة بين المكانة التي وصلت إليها وطورتها الولايات المتحدة باعتبارها دولة كبرى، وقدرتها على وضع القواعد والأنظمة داخل الأنظمة الدولية. وبعد الحرب العالمية الثانية، اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على دعامتين رئيسيتين للتحكم في مواقع الهيمنة: الأولى هي منظمة الأمم المتحدة في المجال الأمني. والثانية هي البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية في المجال الاقتصادي، والتي ساعدت الولايات المتحدة على بناء "هيمنة منظومية". وبخلاف "دبلوماسية البوارج"[3] التي اعتمدت سابقًا على الأسلحة النارية، اعتمدت الهيمنة المنظومية على وسائل

1- (مرجع فرنسي) باسكال بونيفاس، "تفكيك وتحليل العالم المعاصر"، ترجمة شو تيه بين، تيانجين، دار نشر الشعب، 2005، ص 62.

2- نفس المرجع السابق، ص28.

3- دبلوماسية البوارج: مصطلح يُستخدم في السياسة الدولية، ليشير إلى ممارسة الدول الكبرى الأوروبية إرهابًا على الدول الأخرى لحماية التجارة أو الامتيازات الأخرى، عن طريق استعراض قوتها العسكرية المتفوقة كتهديد مباشر بالحرب، حيث تقوم بإيفاد سفنها الحربية أو أسطول من السفن التابعة لها إلى شواطئ الدول الأضعف. ولقد أُلغي هذا التقليد في معاهدة دراكو- بورتر في عام 1907 (المترجمة).

القـوة الناعمـة، التـي تُعـد أكـثر نفاذيـةً واسـتمرارية. تسـتند الهيمنـة الأمريكيـة إلى قاعدتـين: أولًا، قاعـدة داخليـة، أي القـوة السياسـية والاقتصاديـة والعسـكرية والعلميـة والتكنولوجيـة والثقافيـة للدولـة؛ ثانيًـا، قاعـدة دوليـة، كـما قـال زبغنيـو بريجينسـكي: "لقـد اكتسـبت القـوة الأمريكيـة أهميـةً عالميـةً كبـيرةً، نظـرًا إلى أنهـا هـي التـي قامـت ببنـاء النظـام العالمـي"[1]. وانطلاقًـا مـن هـذا المفهـوم، تتمثـل الهيمنـة الأمريكيـة في سلسـلة مـن مجـالات التعـاون الـدولي والآليـات المرتبطـة بهـا، التـي تقـوم الولايـات المتحـدة بتنميتهـا، عـلى سـبيل المثـال: أنظمـة التحالـف العالميـة، والأنظمـة النقديـة الدولاريـة التـي تـشرف الولايـات المتحـدة عـلى بنائهـا. "إن المؤسسـات الدوليـة التـي تسـاهم الولايـات المتحـدة في بنائهـا لم تؤثـر عـلى الوسـائل التـي تتخذهـا الـدول الأخـرى في سـعيها إلى مصالحهـا فحسـب، بـل أثـرت أيضًـا عـلى الوسـائل التـي تتخذهـا لتحديـد مصالحهـا وسـلوكياتها"[2].

ومـع نهضـة الصـين وغيرهـا مـن الـدول الناشـئة الجديـدة، تغـير التشـكيل السـياسي والاقتصـادي العالمـي، واختلفـت أيضًـا المصالـح، وتزايـد طلـب الـدول الناشـئة عـلى تغيـير الأنظمـة الدوليـة الحاليـة، وفي الوقـت نفسـه تزايـدت الضغـوط والقيـود المنظوميـة التـي فرضتهـا الأنظمـة الدوليـة عـلى الصـين وغيرهـا مـن الـدول الصاعـدة بقيـادة الـدول العظمـى التقليديـة. وفي ظـل غيـاب النظـام وفقـدان السـيطرة عـلى الأوضـاع الدوليـة، ينبغـي عـلى الصـين اسـتغلال الفرصـة ولعـب دور مهـم في ذلـك التحـول الـذي تشـهده الأنظمـة الدوليـة.

إذا تناولنـا الاسـتراتيجية الدبلوماسـية الصينيـة المسـتقبلية، فسـوف تسـعى الصـين إلى التعدديـة، وسـوف توسـع مـن قـوة تأثيرهـا في المنابـر متعـددة الأطـراف، مـا سـوف يضاعـف مـن فاعليتهـا. وتُعـد القـدرة عـلى بنـاء الأنظمـة هـي أهـم مـا سـيضمن للصـين توسـيع تأثيرهـا في المنابـر متعـددة الأطـراف. وإلى جانـب تعزيـز القـدرة عـلى وضـع الأنظمـة، ينبغـي عـلى الصـين أيضًـا أن تدعـو إلى الالتـزام والصـدق، وتوسـيع أفـق التعـاون.

1- (مرجع أمريكي) زبغنيو بريجينسكي، "رقعة الشطرنج الكبرى- الأولويّة الأمريكية ومتطلباتها الجيوستراتيجية"، ترجمة مركز أبحاث القضايا الدولية الصيني، شنغهاي، دار نشر الشعب، 1998، ص33.

2- جوزيف ناي، "هل محكوم على الولايات المتحدة القيادة- تحول طبيعة السلطة الأمريكية"، ص161.

هـ .   اختيار الطريق المناسب:

يجب أن تسعى الخطة الاستراتيجية إلى توفير السبل المختلفة، ما يحد من الاعتماد المستمر على سبيل واحدة فقط. يجب توفير سبل وخيارات متعددة للوصول إلى الهدف الواحد. على سبيل المثال، توفير مصادر متنوعة للطاقة، وخطط بديلة لمواجهة أخطار الأزمات.

عند اختيار الطريق، يجب أولاً التركيز على الوقاية، ثم إيلاء الأولوية للابتكار، وأخيراً المفاضلة بين الخطط المختلفة.

الوقاية: يتجاوز مفهوم الوقاية تقديم الحلول، فتعني الوقاية التركيز على كيفية السيطرة على الأزمة وليس التركيز على حلها بعد وقوعها بالفعل وفقدان السيطرة. فعند اندلاع الحروب على سبيل المثال، يكون التركيز على كيفية تجنب الحرب، وليس مواجهة الحرب بعد وقوعها. وبالتالي يكون الاستعداد للحرب بالوقاية منها.

الابتكار: وهو الإقدام على اكتشاف طرق جديدة، بدلاً من التشبث بالطرق القديمة البعيدة عن المخاطر. والأفضل من اكتشاف الطرق الجديدة هو تغيير تلك الأفكار التي تتشبث بوضع الضمانات في المقام الأول، أو الحفاظ على الأوضاع الراهنة. رغم أن اكتشاف الطرق الجديدة لا يخلو من الأخطار، ولكن هذه الأخطار يستحق تحملها في سبيل الحصول على دبلوماسية صينية تستوعب الأوضاع الجديدة.

المفاضلة: يتوقف نجاح أو فشل الاستراتيجيات الصينية المستقبلية على مدى استغلالها الأمثل لميزاتها، بحيث لا تتوقف الصين عن المفاضلة بين الخطط المختلفة أثناء تخطيط الاستراتيجيات، بما يضمن لها تحقيق أكبر قدر من المكاسب، والوصول إلى نتائج مضاعفة بمجهود أقل، وتحقيق المكاسب بأقل التكاليف. وهذا يتطلب أيضًا حساب الظروف الطارئة، واستغلال الفرص السانحة، والانتباه إلى التوازن بين الهجوم والدفاع.

4. نقاط تركيز الاستراتيجية في ظل مرحلة التحول:

تركز الاستراتيجيات في مرحلة التحول على تجاوز نطاق منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وتوسيع نطاق تغطية الاستراتيجية، وتجنب أي متغيرات أو أخطار ممكنة، والسعي إلى

التوسـع الاسـتراتيجي. واسـتنادًا إلى مـا سـبق، سـوف تركـز الخطـة الاسـتراتيجية في مرحلـة التحـول عـلى حـل المشـكلات الآتية:

أ. التخطيط الجيوستراتيجي:

يجـب أن نربـط بـين التخطيـط الجيوسـتراتيجي الصينـي وقـدرة الصـين عـلى توسـيع اسـتراتيجياتها الخارجيـة، وقـدرة هـذه الاسـتراتيجيات عـلى التحمـل والتكيـف. وبالتـالي تحتـاج الصـين إلى تخطيـط جيوسـتراتيجي جديـد.

في السـنوات الأخـيرة، اكتسـب الفضـاء الجيوسـياسي أهميـةً كبـيرة، وازدادت أهميـة الجغرافيـا البحريـة بشـكل كبـير. ولكـن ظلـت الدراسـات الجيوسياسـية الصينيـة متأخـرة عـن بعـض الـدول الكـبرى، مـما أدى إلى تأخـر التنميـة الصينيـة في العـصر الحديـث إلى حـد مـا. أمـا اليـوم، فتـزداد البيئـة المحيطـة تعقيـدًا يومًـا بعـد يـوم، وتمتـد اسـتراتيجية التنميـة الصينيـة إلى الخـارج بشـكل مسـتمر، وبالتـالي يجـب أن تتكيـف الصـين مـع التغـيرات الجديـدة، وأن تتحـول إلى فضـاء أوسـع. لذلـك أصبـح التوجـه البحـري أحـد الخيـارات الضروريـة في هـذا السـياق. ولكـن تواجـه الصـين عوامـل شـديدة التعقيـد والخصوصيـة عـلى المسـتوى البحـري، لدرجـة أنـه قـد يتحـول النـزاع البحـري في المسـتقبل إلى نقـاط ارتـكاز وانطـلاق بعـض الـدول مـن أجـل كبـح النهضـة الصينيـة. وبالتـالي أصبحـت مسـألة حمايـة الحقـوق والمصالـح البحريـة مـن القضايـا الجديـدة التـي تتناولهـا الدبلوماسـية الصينيـة.

بمـا أن الصـين دولـة مركزهـا أراضي بريـة، بالتـالي لا تتمتـع بتميـز جغـرافي طبيعـي، كـما أن نطـاق تأثـير قوتهـا محـدود. كـما تفتقـر الصـين جغرافيًـا إلى مناطـق فاصلـة ومناطـق عازلـة وسـيطة. ونظـرًا إلى أن الصـين دولـة كـبرى تجمـع بـين الحـدود البريـة والبحريـة، بالتـالي يمكننـا أن نقـول إنهـا تواجـه تهديـدات بحريـة وبريـة مبـاشرة، وهـو مـا يختلـف تمامًـا عـن البيئـة الآمنـة التـي تتميـز بهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. مـن الزاويـة الأمنيـة الجغرافيـة، عـادةً مـا تتميـز الـدول الكـبرى بمخرجـين بحريـين عـلى الأقـل، أمـا الصـين فليـس لديهـا سـوى مخـرج بحـري وحيـد يـؤدي إلى المحيـط الهـادئ، وبالتـالي مسـاحات واسـعة مـن الأراضي الصينيـة مغلقـة تقريبًـا. ولكـن تلتقـي مسـاحات واسـعة مـن الأراضي الصينيـة في آسـيا الوسـطى بمناطـق في وسـط أوراسـيا، كـما تتميـز شرقًـا بخـط سـاحلي طويـل، وتتصـل بحريًـا بسلسـلة مـن الـدول المجـاورة، وبالتـالي تتميـز بسـيادة بريـة ولديهـا القـدرة لتوسـيع سـيادتها البحريـة.

ومـن ثـم يجـب أن يتنـاول التخطيـط الجيوسـتراتيجي الصينـي تلـك العلاقة البريـة البحريـة المركبة. منـذ بضـع سـنوات، تناولـت الدوائـر العلميـة الصينيـة النزاعـات البحريـة والبريـة[1]. في الحقيقـة، طبقًـا للخصائـص الجغرافيـة الصينيـة، ينبغـي أن ينتبـه التخطيـط الجيوسـتراتيجي الصينـي إلى التنميـة عـلى الجانبـين البحـري والـبري، دون تمييـز أحـد هذيـن الجانبـين عـلى حسـاب الآخـر. بالنظـر إلى الجيوسـتراتيجية الصينيـة التـي تجمـع بـين الجانبـين البحـري والـبري، ينبغـي عـلى الصـين أن تعـزز مـن تميزهـا الجغـرافي بشـكل كامـل، إمـا بالتوسـع غربًـا أو شرقًـا، بمـا يتناسـب مـع التخطيـط الاسـتراتيجي البحـري الـبري المركـب، مـع التنميـة البحريـة والبريـة في الجانبـين الشرقـي والغـربي، سـعيًا إلى رقعـة شـطرنج مشـتركة تجمـع منطقـة أوراسـيا، وتعـزز مـن المميـزات الجغرافيـة لهـذه المنطقـة. بهـذه الطريقـة تسـتطيع الصـين التغلـب عـلى أي المحـاولات مـن الـدول الكـبرى لكبحهـا أو حصارهـا، ويوفـر روافـد متنوعـة لنقـل مـوارد الطاقـة والتجـارة. يُعـد توحيـد أوراسـيا في كيـان واحـد مـن الأهـداف التنمويـة طويلـة المـدى في الجيوسـتراتيجية الصينيـة، كـما يُعـد التوجـه البحـري والدمـج بـين الجانبـين البحـري والـبري إحـدى توجهـات التنميـة الصينيـة. باختصـار، يمكننـا أن نقـول إن الاسـتراتيجية البريـة تتجـه إلى التوسـع غربًـا، بينـما تتجـه الاسـتراتيجية البحريـة إلى التوسـع شرقًـا، وبمـا أن الصـين دولـة مركبـة بحريًـا وبريًـا، بالتـالي يعـد التركيـز الاسـتراتيجي في هـذا الجانـب غايـة في الأهميـة.

إذا أخذنـا في الاعتبـار التوجـه الصينـي للتنميـة الشـاملة في المسـتقبل، فيجب أن نقول إنه سـيتضمن التنميـة في كافـة الاتجاهـات، شرقًـا وغربًـا وجنوبًـا وشـمالًا، دون إغفـال أي اتجـاه. تشـير اسـتراتيجية التوسـع إلى الـشرق إلى التوسـع البحـري نحـو المحيـط الهادئ بشـكل أسـاسي، وعندما يصل هذا التوسـع إلى المناطـق الشاسـعة في شـمال شرق وجنـوب شرق القـارة الآسـيوية، سـيتحتم البحـث عن وسـائل لحل سلسـلة مـن النزاعـات البحريـة، تضـم قضيـة احتياطي المـوارد الاسـتراتيجية والمخـارج البحرية وتوسـيع المجـال الاسـتراتيجي وتوفـير مـوارد متعـددة للطاقـة مـن الخـارج. كـما سـوف تشـمل الاسـتراتيجية التركيـز عـلى بنـاء حواجـز اسـتراتيجية بحريـة، وحمايـة المحـاور الاسـتراتيجية، بالإضافـة إلى تأمـين

1- تنقسم العلاقة بين السيادة البحرية والبرية لدى الأوساط العلمية الصينية إلى ثلاثة آراء: رأي يضع الأولوية للسيادة البحرية، ورأي يرى السيادة البحرية تابعة للسيادة البرية، ورأي آخر يضع السيادة البحرية والبرية على قدم المساواة ويهتم بتحقيق التوازن بينهما.

شرايين الطاقة والممرات الاستراتيجية المهمة. ومن الناحية العسكرية، ينبغي أن تشمل استراتيجية التوسع إلى الشرق مهمتين أساسيتين: أولًا، القدرة على الدفاع في المجال البحري القريب. ثانيًا، القدرة على القتال في المجال البحري البعيد. وبالتأكيد يجب أن تبني الدولة أسطولها البحري بشكل معقول ومناسب، بما لا يخالف السياسة العامة في استراتيجية التنمية السلمية الصينية، ويأخذ في الاعتبار أيضًا أمن الدول البحرية المجاورة، وأن يكون هناك تقييم متعقل لردود أفعال بعض الدول الكبرى حيال هذه الاستراتيجية. على سبيل المثال تعتبر الولايات المتحدة تطوير الصين لأساطيلها في المجال البحري البعيد نزاعًا بين الدولتين على السيادة البحرية، وبالتالي لا يجب الاستهانة بالأهمية الاستراتيجية لهذه القضية. ومن ثم يُعد الخيار الأمثل بالنسبة للصين في هذه القضية هو تطوير قوات بحرية رادعة[1].

تُعد استراتيجية التوسع إلى الغرب (المعروفة أيضًا باستراتيجية الانفتاح على الغرب) استراتيجية برية بشكل أساسي، وتشير إلى ربط المناطق في وسط أوراسيا، أي آسيا الوسطى وأوروبا الوسطى والشرقية. ويتم الآن في آسيا الوسطى تطوير التعاون الاقتصادي والأمني من خلال منظمة شنغهاي للتعاون، كما بدأ بالفعل الربط الجغرافي مع القارة الأوروبية من خلال مشروع بناء "طريق الحرير الجديد".

أما استراتيجية التوسع إلى الجنوب، فتشمل كل من الهند وباكستان، ويسعى هدفها الأساسي إلى بناء استراتيجية المحيط الهندي كاستراتيجية موازية لاستراتيجية المحيط الهادئ، تمكّن الصين من الامتداد إلى المجال البحري عبر رافدين مختلفين. تضم استراتيجية التوسع إلى الجنوب عنصرًا آخر مهمًا، وهي ميانمار، التي تُعد من أهم القنوات لنقل الطاقة إلى الصين، حيث تستطيع أن تخلص الصين إلى حد ما من خط الشحن البحري الوحيد من المحيط الهندي إلى المحيط الهادئ.

أما استراتيجية التوسع إلى الشمال، فتهدف إلى تعزيز التعاون التقليدي مع روسيا، وتنمية التعاون الاقتصادي مع منغوليا. وأيضًا تنمية التعاون في مجال الطاقة بين مناطق شمال شرق آسيا وروسيا، وتنمية التعاون الاقتصادي بين الصين وروسيا وكوريا في شبه الجزيرة الكورية. بالإضافة إلى المشاركة في تنمية مناطق القطب الشمالي.

1- تانغ شي بينغ: "خلق بيئة أمنية مثالية للصين"، ص 227.

يجب أن تتميز الاستراتيجيات الجيوستراتيجية في المستقبل بقدر أكبر من الشمولية والكلية، وأن تدفع بالتكامل الاقتصادي الإقليمي بشكل أفضل، ما يجعل لها قوة تأثير أكبر. يجب أن يخدم التنظيم الجيوستراتيجي الصيني الاستراتيجيات الاقتصادية الصينية للانفتاح على الخارج، ويساهم في خلق بيئة أمنية وسلمية مواتية للصين. بمعنى آخر، يجب أن تكون هناك خطوط شحن آمنة متعددة، ومناطق عازلة استراتيجية، وعلاقات شراكة استراتيجية صامدة في كل الأجواء، وعلاقات استراتيجية متميزة، كما يجب أن تكون هناك استراتيجيات بحرية تخدم التجارة والتنمية البحرية، كما يجب أن تكون هناك في المستقبل استراتيجيات في مجال الفضاء. كما ينبغي أن تتمتع الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية بأفكار استراتيجية شاملة ووافية تتناسب معها.

باختصار، يجب إعلاء مجالات التعاون الأمني غير التقليدية، وتنظيم وتخطيط أنماط جديدة لعلاقات الشراكة والتعاون الاستراتيجي، مع التوسع المستمر في دائرة شركاء التعاون الاستراتيجي. ومن الناحية الجغرافية، يجب السعي إلى هدف جيوستراتيجي طويل المدى يدعو إلى بناء كيان أوروبي آسيوي مشترك يمكن تحقيقه من خلال استراتيجية الانفتاح على الغرب، ودفع التنمية الاستراتيجية في المحيط الهادئ بتعزيز التعاون مع الدول المجاورة من خلال استراتيجية الانفتاح على الشرق، وتحقيق الاتصال البري والبحري في الاتجاه الشرقي والغربي والشمالي والجنوبي.

أ. تجنب المخاطر أو التخفيف من حدتها:

من الصعوبات التي تواجهها استراتيجيات التنمية، عدم إتاحة سوى خيار واحد فقط، فعلى سبيل المثال تضطر الدول إلى المجازفة وتعريض نفسها للخطر بسبب الأزمات في الموارد الاستراتيجية. ولتجنب مثل هذه الأوضاع، يجب أن تحافظ الدولة على استقلالها وتبتعد عن الاعتماد الزائد على العالم الخارجي؛ حيث تؤثر درجة اعتماد الدولة على الخارج في مدى استقلالها، كما يقلل من الخيارات المتاحة أمامها. وبالتالي يجب أن تكون هناك حدود معقولة لمدى اعتماد الدول على الخارج.

في الوقت الراهن، يتزايد طلب الصين على الطاقة بشكل مستمر، ولكن الطاقة الجديدة غير مستدامة. وكلما زاد اعتماد الدولة على الخارج للحصول على الطاقة، زادت المخاطر. لأن الاعتماد المبالغ على طلب الطاقة من الخارج يساوي وضع التنمية الاقتصادية للدولة

تحت رحمة عناصر دولية لا يمكن التحكم فيها، فإن التقلبات والأخطار التي تشهدها السوق الدولية والأوضاع السياسية والاجتماعية للدول الأخرى، تؤثر بشكل مباشر على الاستقرار والتنمية الاقتصادية للدولة. وانطلاقًا من هذه الزاوية، يمكننا أن نقول إن الدولة التي تستطيع التخلص من الاعتماد الزائد على العالم الخارجي للحصول على الطاقة أو غيرها من المواد الاستراتيجية، وتستطيع أيضًا التخلص من أزمات الطاقة، سوف تكون لها الأسبقية في هذا المجال وسوف تكون الأكثر تميزًا.

وللحد من اعتماد الدولة على الخارج، يجب تقنين هذا الاعتماد بقدر مناسب يستند إلى أسس علمية، والاهتمام بالتنمية المتوازنة، والتأكيد على أهمية توفير احتياطي استراتيجي، واعتبار توسيع وتحسين الأسواق الداخلية خيارًا استراتيجيًا أفضل ويمكنه الاستمرار لمدى أطول. ينبغي على الصين الاستمرار في تعزيز احتياطي الموارد الاستراتيجية، وإعداد خطط بديلة متعددة، وتجنب أن يؤثر الاعتماد المبالغ على الخارج في الخيارات الاستراتيجية الخارجية المتاحة. ومن هنا أصبح شراء احتياطي النفط في الوقت المناسب من أكثر القضايا الملحة في الوقت الراهن. وبالإضافة إلى ذلك، يُعد لاحتياطي الذهب أهمية كبيرة في الأنظمة النقدية متعددة الأقطاب.

لمعالجة تلك العلاقة المركبة بين الاعتماد الخارجي واستقلالية الدولة، ينبغي تعزيز قدرة الاستراتيجية على التحمل والتكيف، وتوسيع الاستراتيجية بشكل أكبر، وإن كان أبرز الحلول هو تعزيز قدرة الاستراتيجية على التكيف.

هـ . تعزيز القدرة على السيطرة على الأزمات:

تتكرر وتتشابك الأزمات الصينية القديمة والجديدة، فهناك أخطار اقتصادية ومالية على المستوى الدولي، وهناك صعوبات أيضًا على مستوى الحوكمة العالمية، بالإضافة إلى المشكلات الأمنية بين الصين والدول المجاورة، يُعد أصعبها هو ذلك الجدال الدائر حول السيادة الصينية، وقضية "الانفصالات الثلاثة" (أي انفصال تايوان والتبت وإقليم شينجيانغ)، وهناك أيضًا قضية السيطرة على التسليح الخارجي، ومنع الانتشار النووي. وإذا تحدثنا عن الأمن النووي، سنجد أن القضية النووية في كوريا الشمالية تُشكل أكبر مصادر الأزمات بالنسبة للصين. إن العديد من الأزمات التي تمس الصين معقدة وممتدة وصعبة ولها خلفية تاريخية، بالتالي لا يمكن حلها بين ليلة وضحاها. وإن فقدت الصين

السيطرة على أي من هذه الأزمات، سوف يتسبب ذلك في ضربات هائلة للأمن الصيني والتنمية الصينية. وبالتالي ينبغي أن تتمتع الصين بقدرة كبيرة على الوقاية والسيطرة على هذه الأزمات التي يصعب حلها، وأن تقوم بالتنسيق الكامل مع الدول المجاورة وتعزيز الثقة معها، بالإضافة إلى تعزيز الأنظمة على المستويات المختلفة. بصفة عامة، يجب وضع مسألة السيطرة على الأزمات من ضمن إطار الخطة الاستراتيجية، بحيث يتم معالجة هذه الأزمات على المدى البعيد وبصورة شاملة.

يجب أن ننطلق من زاوية شاملة حتى نستطيع حل مشكلات التنمية، والوصول إلى فاعلية حقيقية. وبما أن الصين دولة لم تحقق التقدم إلا مؤخرًا؛ يتطلب منها ذلك التخطيط الجيد والشامل لكل الوسائل والمفاهيم التي تدعو لها. وفي ظل الأوضاع المعقدة، ينبغي على الصين ابتكار آليات جديدة ووضع مفاهيم دبلوماسية جديدة حتى تستطيع تحقيق التنمية المستدامة.

الخاتمة

على مدار ثلاثين عامًا من الإصلاح والانفتاح، قامت الاستراتيجية الدبلوماسية الصينية بتعديل توجهاتها الاستراتيجية؛ فتحولت من الدبلوماسية الثورية إلى الدبلوماسية التنموية، ودعت إلى سلسلة من الأهداف العظيمة منها الدعوة إلى "بناء عالم متناغم"، كما وضعت سبلًا لتحقيق هذه الأهداف، على سبيل المثال أسست علاقات مع الدول الكبرى باعتمادها على علاقات الشراكة الاستراتيجية، وأسست علاقات مع الدول المجاورة من خلال الدعوة إلى علاقات حسن الجوار، كما اندمجت في الأنظمة الدولية الحالية، ووضعت استراتيجيات دبلوماسية متعددة الأطراف لها دور إيجابي، وقدمت إسهامات كبيرة للتنمية الاقتصادية وتحقيق الرخاء للشعوب وإرساء السلام العالمي.

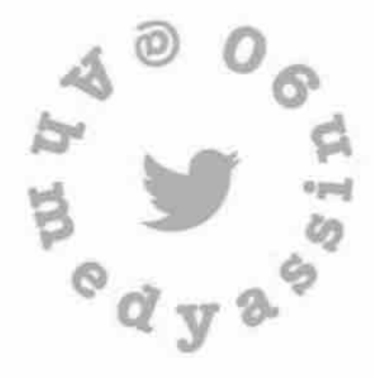
تتميز الأوضاع الدولية الحالية بقدر كبير من التعقيد والتحول. وبالتأكيد، يؤدي تغير الأوضاع الدولية إلى أخطار كبيرة. وبالتالي تواجه الصين مسئوليات هائلة غير مسبوقة. ينبغي أن تنتبه الخطة الاستراتيجية في ظل مرحلة التحول بقضايا العصر، وأن تتمتع ببعد النظر، والقدرة على التخطيط الشامل، ومراقبة ومعالجة المشكلات برؤية شاملة، والقدرة على استيعاب الوضع كاملًا، مع البحث في التفاعلات والتحولات المعقدة على المستويات المختلفة، ووضع أسس راسخة وقوية لتطوير الدبلوماسية الصينية، ورسم خطة واضحة لطريق الصين في المرحلة الأولى من الحداثة.

تصادف الوقت التي تم فيه تسليم هذه الدراسة للنشر مع انعقاد الاجتماع الكامل الثالث للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب، حيث تم تمرير "قرارات اللجنة المركزية للحزب حيال بعض القضايا المتعلقة بتعميق الإصلاح"، وقد تقرر "تأسيس لجنة للأمن القومي الصيني، وتحسين أنظمة واستراتيجيات الأمن القومي، للحفاظ على أمن البلاد"[1]. مما يعكس الفهم العميق والاستيعاب الكامل للقيادة العليا الصينية حيال ما تواجهه الصين من أوضاع دولية وإقليمية، وضرورة حماية الأمن القومي الصيني وما يتبع ذلك من خطط استراتيجية وقرارات. باختصار، ينبغي أن تنتبه الخطة الدبلوماسية الصينية

1- "قرارات اللجنة المركزية للحزب حيال بعض القضايا المتعلقة بتعميق الإصلاح"، "صحيفة الشعب اليومية"، 2013-11-16، الطبعة الثالثة.

في المستقبل إلى قضايا العصر، وأن تتمتع ببعد النظر، والقدرة على التخطيط الشامل، واستيعاب تحولات التنمية في مرحلة التحول، كما ينبغي مراقبة ومعالجة المشكلات برؤية شاملة. كما يجب تحديث المفاهيم الفكرية وتجاوز الأفكار التقليدية، ورفع القدرة على التمييز، والتغلب على التطرف والسطحية. كما ينبغي تحديد نقاط التركيز الأساسية، والاهتمام بتحقيق التوازن، والاستفادة من الوضع أحسن استفادة لحل الأزمات، وتجنب الأخطار قدر المستطاع، والاستيعاب الجيد للعلاقة بين التنمية والاستقرار، وتنسيق التوازن بين التكاليف والمكاسب، وتخطيط الاستراتيجيات المستقبلية بشكل علمي ومنظم. وإلا فلن تستطيع الدبلوماسية الصينية تحقيق التحول والتطور بشكل ناجح.

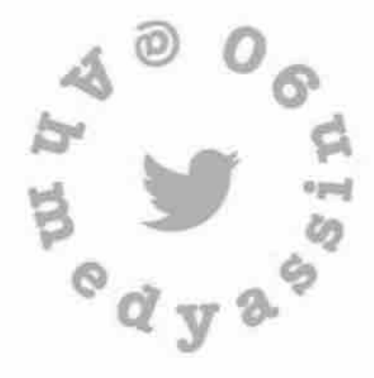
تم نشر هذه الدراسة في العدد السادس من مجلة "استعراض الشئون الخارجية" لعام 2013.



هل الابتكارات الدبلوماسية الصينية في حاجة إلى ثورة دبلوماسية؟

تشن جه مين




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: توالت مجموعة من السياسات الدبلوماسية الجديدة في الصين خلال العامين الماضيين، وتُعد هذه الفترة أكثر الفترات كثافةً وقوةً منذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح من حيث ما شهدته من ابتكارات دبلوماسية. تعالج الدراسة هذه الابتكارات الدبلوماسية من خمسة جوانب أساسية: الابتكار في تحديد هوية الذات، ووضع الاستراتيجيات، وبناء الأنظمة، واستخدام الوسائل الدبلوماسية، واختيار الأساليب. ومن خلال هذه الابتكارات، تبحث الصين سلوك طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية اعتمادًا على ممارسات دبلوماسية واعدة. ولكن لا يمكن اعتبار هذه الابتكارات ثورةً دبلوماسيةً؛ حيث لم تتغير المبادئ والأساليب الدبلوماسية الصينية تغيراً جوهريًا، فلا تزال الصين تعتبر نفسها نمطًا جديدًا من الدول الكبرى، ولا تزال التنمية جوهر الأجندة الدبلوماسية الصينية، كما تتمسك الصين بدبلوماسية الصداقة وعدم الانحياز، وتنادي باحترام سيادة الدول والمساواة وحظر استخدام القوة. وانطلاقًا من دراسة التغيرات المحتملة في البيئة الدولية، والتطور المحتمل لمكانة الصين وسط القوى الدولية، ونمو المفاهيم الدبلوماسية الصينية، تناقش الدراسة مدى احتمالية حدوث ثورة دبلوماسية في مستقبل الصين. وترى الدراسة في هذا السياق أنه حتى عام 2030، لن تكون هناك ضرورة للقيام بتغييرات جوهرية فيما أفرزته سياسة الإصلاح والانفتاح من مبادئ إرشادية وأنماط تطبيقية دبلوماسية احتفظت بشرعيتها لفترات طويلة، إلا في حال شهدت الأوضاع الدولية تدهورات جذرية، وهذا أمر غير مرجح. وبالتالي، لا تحتاج الصين إلى استعجال ثورة دبلوماسية، إنما عليها الاستمرار في القيام بابتكارات دبلوماسية تساعدها على لعب دورها كدولة كبرى جديدة.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الصينية؛ الابتكارات الدبلوماسية؛ الثورة الدبلوماسية؛ دبلوماسية الدول الكبرى؛ نمط جديد من الدول الكبرى.

الباحث: تشن جه مين، عميد كلية العلاقات الدولية بجامعة فودان الصينية.

تمهيد

على مدار العامين الماضيين، توالت مجموعة من السياسات الدبلوماسية، وانبثقت أفكار وإجراءات جديدة. مما جعل هذه الفترة من أكثر الفترات قوةً وكثافةً منذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح من حيث ما شهدته من ابتكارات دبلوماسية. ويُقصد بالابتكار في المجال الدبلوماسي: التغيير والتحديث في الأفكار والممارسات الدبلوماسية السابقة. ومع تعمق الصين في الابتكار، بدأت التساؤلات حول مدى احتمالية حدوث ثورة دبلوماسية في المستقبل. فهل تحتاج الصين إلى القيام بتغييرات جوهرية في المبادئ الإرشادية والأنماط التطبيقية الدبلوماسية في ظل هذه الابتكارات؟

بحسب موسوعة المعارف البريطانية "بريتانيكا"، يتوافق مصطلح "الثورة الدبلوماسية" مع مفهوم "تحول التحالفات"[1]. وباختصار، يشير مصطلح الثورة الدبلوماسية إلى تحالف دولة ما مع عدو سابق لمواجهة حليف سابق. وبحسب المفاهيم الدبلوماسية السابقة، يمثل انعكاس علاقات التحالف تحولاً جذريًا في الاستراتيجية الدبلوماسية وممارساتها، وبالتالي فإنه من المناسب أن نسمي هذا التحول ثورةً دبلوماسيةً. وفي هذا السياق، أشار الباحث الصيني شي ين خونغ في إحدى مقالاته إلى أن "الثورة الدبلوماسية" مصطلح شائع الاستخدام في تاريخ مجال الدبلوماسية الدولية، ويرجع أصله إلى ذلك التغير الحاد الذي شهدته تآلفات الدول العظمى المشاركة بصفة مباشرة في الحرب بالنمسا في القرن الثامن عشر، وخاصة ذلك التحول الحاد من علاقات العداوة إلى الصداقة. ويعتقد شي ين خونغ أنه يمكن استخدام "الثورة الدبلوماسية" بالمعنى الأوسع للإشارة إلى تحول العلاقة بين بلدين كانا متعاديين إلى التآلف أو الاقتراب من التآلف في ظل تحول الأوضاع الدولية، على أن تتغير العلاقة بينهما بشكل "درامي"، أو أن "يتقاربا" بشكل درامي. وبالتالي، يمكننا من هذا المنطلق على سبيل المثال، اعتبار زيارة الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون إلى الصين في عام 1972 "ثورةً دبلوماسيةً"

1- http://global.britannica.com/EBchecked/topic/164621/Diplomatic-Revolution، تاريخ الاطلاع والتحميل: 20-8-2014

بين البلدين[1].

يُعـد التحـول الجـذري في اسـتراتيجيات التحالـف مـن أبـرز علامـات الثـورة الدبلوماسـية عـلى مـدار العصـور. ولكـن نـرى أن طبيعـة الدبلوماسـية في الدولـة لا تتوقـف عـلى تحالفاتهـا فحسـب. فهنـاك جوانـب أخـرى يجـب وضعهـا في الاعتبـار للحكـم عـلى طبيعـة الدبلوماسـية في الدولـة إلى جانـب مـا تتبنـاه مـن اسـتراتيجيات للتحالـف، عـلى سـبيل المثـال: الأهـداف الدبلوماسـية التـي تسـعى إليهـا، موقفهـا مـن مبـدأ السـيادة، وأيضًـا طريقـة اسـتخدامها للقـوة. وبالتـالي فـإن التغيـير الجـذري في هـذه الجوانـب يمثـل ثـورةً أيضًـا.

سـوف تلخـص هـذه الدراسـة أولًا مفاهيـم الابتـكار في الدبلوماسـية الصينيـة الحاليـة، وتحلـل أسـبابها، وتناقـش مظاهرهـا. ثـم انطلاقًـا مـن التعريـف السـابق للثـورة الدبلوماسـية، سـوف تثبـت الدراسـة أن الابتـكارات الدبلوماسـية الصينيـة الحاليـة لا تمثـل ثـورةً دبلوماسـيةً حقيقيـةً. ثـم تناقـش بعـد ذلـك الظـروف التـي يمكـن بموجبهـا أن تحـدث ثـورة دبلوماسـية في الصـين. وأخـيرًا، سـوف تؤكـد الدراسـة في الخاتمـة أنـه ليـس هنـاك ضرورة للقيـام بتغيـيرات جذريـة فيـما أفرزتـه سياسـة الإصـلاح والانفتـاح مـن مبـادئ إرشـادية وأنمـاط تطبيقيـة دبلوماسـية احتفظـت بشرعيتهـا لفـترات طويلـة، إلا في حـال شـهدت الأوضـاع الدوليـة تدهـورًا تامًـا. فتحتـاج الصـين إلى ابتـكارات دبلوماسـية، ولكـن دون اسـتعجال ثـورة دبلوماسـية.

1- شي ين خونغ: "اقتراب الصين واليابان من الثورة الدبلوماسية"، "الاستراتيجيات والإدارة"، عدد3، 2003، ص74.

الابتكارات الدبلوماسية الصينية الحالية

ترى هذه الدراسة أن الصين الجديدة كانت قد مرت على مدار تاريخها بثلاث ثورات دبلوماسية على الأقل. كانت الثورة الأولى في بدايات تأسيس الصين الجديدة، وكانت علامتها المميزة هي تطبيق الصين لاستراتيجيتي "الانحياز إلى طرف واحد" و"التنظيف ثم استقبال الضيوف"[1]، حيث أعلنت الصين عن انضمامها إلى الجبهة الاشتراكية في الشرق لموازنة القوة ضد الغرب. وكانت الثورة الثانية في عام 1972، حينما تمت المصالحة بين الصين والولايات المتحدة لمواجهة الاتحاد السوفيتي. أما الثورة الثالثة، فبدأت بتلك التغييرات الثورية في أهداف الدبلوماسية الصينية التي نادى بها الاجتماع الكامل الثالث للجنة المركزية الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني، حيث تحول تركيز الدبلوماسية الصينية من مواجهة الإمبريالية والهيمنة والاستعداد لشن الحرب، إلى التوجه لخلق بيئة خارجية سلمية تساعد على تحقيق التنمية الاقتصادية. ثم في عام 1982، أعلنت الصين عن سياسات دبلوماسية سلمية مستقلة، ووضعت مبادئ جديدة كليًّا تدعو إلى دبلوماسية عدم الانحياز. وكانت هذه الأهداف والاستراتيجيات الجديدة، بالإضافة إلى تأكيد الصين مجددًا على المبادئ الخمسة للتعايش السلمي، هي ما قد شكل الثورة الدبلوماسية الصينية الثالثة في أعقاب انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح.

وعلى مدار ثلاثين عامًا من تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، حققت الصين طفرة في التنمية الاقتصادية، وأخذت مكانتها وقوة تأثيرها الدولية ترتفع بشكل ملحوظ. وفي ظل الظروف التاريخية المتغيرة، كانت الدبلوماسية الصينية في حاجة إلى ابتكارات تساعدها على التكيف مع البيئة الخارجية والداخلية الجديدة. وبعد أن تقلدت القيادة الصينية الجديدة السلطة، سعت إلى تحقيق إنجازات كبيرة سواء على مستوى السياسة الداخلية للدولة أو شئونها الخارجية، واستطاعت أن تدفع بالتحول الدبلوماسي الصيني من خلال

1- سياسة "الانحياز إلى طرف واحد" Side One to Lean هي سياسة صينية وضعت حجر الأساس للدبلوماسية الصينية في خمسينات القرن العشرين بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية، وهي تشير إلى تحالف الصين مع الاتحاد السوفيتي، وانحيازها إلى الجبهة الاشتراكية لمواجهة الإمبريالية والرأسمالية الغربية. وسياسة "التنظيف ثم استقبال الضيوف" هي أيضًا من أهم السياسات الدبلوماسية الصينية بعد تأسيس الصين الجديدة، ويُقصد بها ضرورة التخلص من بقايا الإمبريالية في الصين قبل البدء في تأسيس علاقات دبلوماسية مع دول الغرب (المترجمة).

ابتـكارات شـاملة. وسـوف نتنـاول هـذه الابتـكارات الدبلوماسـية الصينيـة مـن خـلال الجوانـب الخمسـة التاليـة:

أولاً: ابتكار هوية دبلوماسية تتناسب مع المكانة الدولية الجديدة للصين:

في عـام 2010، تجـاوزت الصـين اليابـان، لتصبـح أكـبر كيـان اقتصـادي في القـارة الآسـيوية، وثـاني أكـبر كيـان اقتصـادي عـلى مسـتوى العـالم، مـما يعكـس تطـور الصـين مـن دولـة كـبرى عـلى المسـتوى السـياسي والعسـكري إلى دولـة كـبرى تتمتـع بقـوة شـاملة. وعـلى الرغـم مـن أن نصيـب الفـرد مـن إجـمالي الناتـج المحـلي ظـل في مسـتوى الـدول الناميـة، إلا أن معظـم المـؤشرات احتلـت مراكـز متقدمة عـلى مسـتوى العـالم. وفي عـام 2013، ألقـى وزيـر الخارجيـة الصينـي وانـغ يـي كلمـةً مهمـةً أشـار فيهـا إلى أن الصـين المعـاصرة تبحـث سـلوك طريـق "دبلوماسـية الـدول الكـبرى ذات الخصائـص الصينيـة"، مـا جعـل الدبلوماسـية الصينيـة تكتسـب هويـةً جديـدةً[1]، ورفـع مسـتوى الوعـي الدبلومـاسي الصيني باعتبارهـا دولـة كـبرى. وفي عـام 1987، قـال دينـغ شـياو بينـغ أثنـاء لقائـه مـع نائـب رئيـس وزراء سـنغافورة السـيد غـو تشـوك تونـغ: "إن الصـين دولـة فقـيرة، ومـع ذلـك تتمتـع بمكانـة لا غنـى عنهـا في السـاحة السياسـية الدوليـة؛ لأنهـا دولـة كبـيرة"[2]. واليـوم قـد سـاهمت هـذه "الدولـة الكبـيرة" بالإضافـة إلى القـوة الشـاملة للدولـة الصينيـة التـي تحتـل مركـزاً متقدمًـا عـلى مسـتوى العـالم في وضـع أسـس راسـخة للوعـي الدبلومـاسي الصينـي باعتبـار الصـين دولـة كـبرى. مـما يعنـي أن الدبلوماسـية الصينيـة سـوف تسـلط الضـوء بشـكل أكـبر عـلى متطلبات التحـول إلى دولـة كـبرى. فدبلوماسـية الدول الكـبرى الصينيـة ليسـت دبلوماسـية تفعّلهـا الصـين للتعامـل مـع الـدول الكـبرى الأساسـية فحسـب، بل تعنـي أن الصـين سـوف "تبـدأ بتنفيـذ هـذه الدبلوماسـية باعتبارهـا دولـة كـبرى أيضًـا"، بالتـالي سـتبدأ في تحديـد مصالحهـا وأهدافهـا، كـما سـوف تسـتخدم وسـائل دبلوماسـية تتـواءم مـع مكانتهـا وقدراتهـا الدوليـة. وسـوف تسـعى دبلوماسـية الـدول الكـبرى إلى تحقيـق مصالـح الصـين الوطنيـة عـلى مسـتوى

-1 وانغ يي، "بحث طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية"، "صناعة القرارات"، عدد 1، 2014، ص 18.

-2 مركز بحوث وثائق الحزب للجنة المركزية للحزب الشيوعي، "سجل حياة دينغ شياو بينغ (1975- 1997)"، بكين، دار نشر وثائق الحزب للجنة المركزية للحزب الشيوعي، طبعة 2004، ص1191.

العـالم بشـكل أكـبر، كـما سـوف توسـع مـن قـوة تأثيرهـا في الشـئون الدوليـة[1]. وهـو مـا يعنـي أن الصـين عـلى اسـتعداد لتحمـل مسـئوليات أكـبر كدولـة كـبرى. وبمـا أن الصـين تقـف الآن بالفعـل في مركـز السـاحة الدوليـة، فيجـب عليهـا أن تلعـب دورهـا كدولـة كـبرى لحـل القضايـا الإقليميـة والدوليـة.

ثانيًـا: ابتـكار اسـتراتيجيات دبلوماسـية للتكيـف مـع متطلبـات الأوضـاع الدوليـة الجديـدة:

بمـا أن الصـين أصبحـت دولـةً كـبرى وثـاني أكـبر كيـان اقتصـادي عـلى مسـتوى العـالم، فيعنـي ذلـك أنهـا اسـتطاعت تحقيـق قفـزات هائلـة حتـى في أضعـف المجـالات، وأنهـا تؤثـر في موازيـن القـوى الدوليـة، ولديهـا تأثـير جيوسـياسي واقتصـادي مهـم. وبالتـالي بـدأت دول الغـرب الكـبرى التـي ظلـت تحتـل مكانـات رائـدة لفـترات طويلـة في النظـام الـدولي، تعيـد تقييـم علاقاتهـا مـع الصـين. ولذلـك طرحـت الولايـات المتحـدة، والتـي تُعتـبر القـوة العظمـى الوحيـدة، اسـتراتيجية إعـادة التوازن تجـاه منطقة آسـيا والمحيط الهـادئ، في محاولـة للكبـح مـن قـوة تأثـير الصـين المتزايـدة في هـذه المنطقـة، وحمايـة المكانـة الرائـدة التـي تحتلهـا الولايـات المتحـدة. وبالإضافـة إلى ذلـك، أجـرت الولايـات المتحـدة وغيرهـا مـن دول الغـرب الكـبرى محادثـات حـول بنـاء أنظمـة اقتصاديـة وتجاريـة في مناطـق مـا وراء المحيـط الأطلـسي والمحيـط الهـادئ لإقصـاء الـدول الصاعـدة مـن هـذه المناطـق، محاولـةً الحفـاظ عـلى حقهـا في الهيمنـة عـلى الأنظمـة الاقتصاديـة والتجاريـة الدوليـة. وبعـد أن أصبحـت الصـين أكـبر كيـان اقتصـادي عـلى مسـتوى القـارة الآسـيوية، اعتقـدت بعـض الـدول المجـاورة للصـين أنـه ينبغـي عليهـا تقويـة علاقاتهـا مـع الولايـات المتحـدة والاعتـماد عليهـا في قمـع الصـين، حتـى تسـتطيع الفـوز في جميـع النزاعـات القائمـة مـع الصـين، الأمـر الـذي جعـل الأوضـاع الإقليميـة أكـثر تعقيـدًا. وفـوق ذلـك، تصاعـد التنافـس بـين روسـيا والـدول الغربيـة بسـبب النـزاع عـلى الهيمنـة عـلى المناطـق المحيطـة بروسـيا، لدرجـة أنـه قـد وصـل هـذا التنافـس إلى مواجهـات خطـيرة. فبعـد أن ضمّـت روسـيا القـرم إلى أراضيهـا، وقعـت المناطـق الشرقيـة مـن أوكرانيـا في حـروب أهليـة، كـما فرضـت الولايـات المتحـدة والاتحـاد الأوروبي عقوبـات اقتصاديـة عـلى روسـيا، وجمـدت عضويتهـا

1- وو شين بوا: "دبلوماسية الدول الكبرى: التحديات والمواجهات"، "صحيفة الشرق الصباحية"، 2013-3-18.

في مجموعـة الثـماني، وبـدأ يلـوح شـبح حـرب بـاردة جديـدة في أوروبـا. وبالإضافـة إلى ذلـك، تسـبب صعـود القـوى الراديكاليـة الإسـلامية في منطقـة الـشرق الأوسـط في تهديـدات خطـيرة أمـام اسـتقرار المنطقـة. وبالتـالي فإنـه عنـد مواجهـة هـذه الأوضـاع الدوليـة الخطـيرة، ينبغـي أن تقـوم الصـين بابتـكارات جديـدة في دبلوماسـيتها حتـى تسـتطيع مواجهـة كل هـذه التحديـات الخارجيـة، كـما ينبغـي عليهـا المبـادرة بتخطيـط اسـتراتيجيات جديـدة حتـى تسـتطيع التأثـير عـلى توجهـات العـالم الخارجـي.

وفي ظـل هـذه الظـروف، جعلـت الحكومـة الصينيـة الجديـدة مفهـوم "المبـادرة" مـن أهـم الخصائـص الأساسـية للدبلوماسـية الصينيـة[1]. ففـي ظـل اسـتراتيجية المتابعـة والحـذر، كانـت الدبلوماسـية الصينيـة سـابقًا "تطبـق سياسـة التـواري عـن الأنظـار، وكانـت الحالـة المسـيطرة عليهـا هـي حالـة الدفـاع وردّ الفعـل فقـط"[2]. أمـا الدبلوماسـية الجديـدة فدعـت إلى التحـول إلى المبـادرة والإقـدام. فلـم تعـد تنحـصر مهـام الدبلوماسـية الصينيـة عـلى مواجهـة الأزمـات والمخاطـر مـن الخـارج، والتخفيـف مـن المشـكلات الخارجيـة التـي تؤثـر عـلى التنميـة الصينيـة، والحفـاظ عـلى بيئـة خارجيـة سـلمية ومسـتقرة تسـاعد عـلى تحقيـق التنميـة فحسـب، بـل عـلى الدبلوماسـية الصينيـة أيضًـا أن تسـتفيد مـن الأوضـاع المحيطـة للمبـادرة والمشـاركة في خلـق بيئـة خارجيـة طيبـة، تسـاعدها عـلى التخلـص مـن التحديـات الخارجيـة مـن جذورهـا. ولذلـك قامـت الحكومـة الصينيـة الجديـدة بإصـدار سلسـلة مـن المفاهيـم الدبلوماسـية التـي وضعـت الأطـر الاسـتراتيجية للدبلوماسـية الصينيـة، حيـث قامـت بجمـع الشـعب الصينـي عـلى قلـب رجـل واحـد مـن خـلال طـرح مفهـوم "الحلـم الصينـي"، وأظهـرت عزيمـة الصـين الدبلوماسـية مـن خـلال طـرح مفهـوم "دبلوماسـية الـدول الكـبرى"، ودعـت إلى تعزيـز آليـات للتعـاون بـين الـدول الصاعـدة مـن خـلال منظمـة دول البريكـس، كـما دعـت إلى الدبلوماسـية مـع الـدول المجـاورة عـلى أسـاس "العلاقـة الحميمـة والصـدق وتحقيـق المنفعـة والتسـامح"، كـما بنـتْ ووسـعت شـبكة مـن الشراكـة البحريـة والبريـة مـن خـلال بنـاء "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر الجديـد" و"طريـق الحريـر البحـري"، كـما سـعت إلى تحقيـق الاسـتقرار مع

1- "وانغ يي يجيب عن تساؤلات الصحفيين الصينيين والأجانب حول السياسة الدبلوماسية الصينية وعلاقاتها الخارجية خلال المؤتمر الصحفي المنعقد على هامش اللقاء الثاني من الدورة الثانية عشرة للمؤتمر الوطني لنواب الشعب"، "صحيفة الشعب اليومية"، 9-3-2014.

2- تسوي لي رو، "تحول الأوضاع الدولية وتحول الدبلوماسية الصينية"، "أبحاث في العلاقات الدولية"، عدد 4، 2014، ص8.

مراكـز القـوة الرئيسـية في العـالم وخاصـة الولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وذلـك مـن خـلال بنـاء "نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى"، ووطـدت ووسـعت مـن علاقاتهـا مـع الـدول الناميـة مـن خـلال طـرح "المفهـوم الجديـد للأخـلاق والمصالـح" ومفهـوم بنـاء "كيـان يجمعـه مصـير مشـترك". الأمـر الـذي جعـل الخطـط الاسـتراتيجية الصينيـة أكـثر تطلعًـا، وجعـل الأفـكار الاسـتراتيجية أكـثر منظوميـةً، وجعـل الوسـائل الاسـتراتيجية أكـثر وضوحًـا.

ثالثًا، ابتكار أنظمة جديدة لتوحيد جهود الأنظمة الاستراتيجية الصينية:

تتميـز الصـين مقارنـةً بباقـي الـدول بأنظمـة تسـاعدها عـلى نـشر اسـتراتيجياتها. فعلى سـبيل المثال، يعتقـد آنـدرو ناثـان وروبـرت روس أن "الصـين تتمتـع بأكـبر قـدر مـن حريـة التـصرف بـين جميـع الـدول الكـبرى مـن حيـث قدرتهـا عـلى السـعي المتعقـل لمصالحهـا الوطنيـة، فتقـوم بتحويـل تحالفاتهـا وتطبيـق سياسـات خارجيـة طبقًـا لمتطلبـات اسـتراتيجياتها"[1]. ولكـن مـع تعمـق الصـين المسـتمر في تطبيـق سياسـة الإصـلاح والانفتـاح، بـدأت جهـات مختلفـة سـواء حكوميـة أو غـير حكوميـة تشـارك في شـئون العلاقـات الخارجيـة للدولـة، وبالتـالي تعـددت الأدوار التـي تلعبهـا المؤسسـات المختلفـة في الدبلوماسـية الصينيـة[2]. مـا أدى إلى صعوبـات في تخطيـط وتنسـيق السياسـات الدبلوماسـية؛ ولذلـك تعالـت الأصـوات الداعيـة إلى ضرورة التـزام مسـتويات الدولـة العليـا بأعـمال التخطيـط في هـذا الشـأن. وبالتـالي، قامـت الحكومـة الصينيـة الجديـدة بإصلاحـين أساسـيين في المجـال الدبلومـاسي أو الشـئون الخارجيـة بصفـة عامـة، مـا عـزز مـن القـدرة عـلى التخطيـط الشـامل والتنسـيق في هـذا المجـال. كان الإصـلاح الأول في مـارس عـام 2013، حيـث تقـرر في خـلال الـدورة الثانيـة عـشرة مـن المؤتمـر الوطنـي لنـواب الشـعب دمـج كل مـن إدارة شـئون المحيطـات، وجهـاز الرقابـة الصينيـة عـلى المحيطـات، وخفـر السـواحل الصينيـة التابعـة لـوزارة الأمـن العـام، ومصلحـة شـئون الصيـد التابعـة لـوزارة الزراعـة الصينيـة، وشرطـة مكافحـة التهريـب البحـري التابعـة

1- Andrew Nathan and Robert Ross, Great Wall and the Empty Fortress: China's search for Security, NewYork: W.W. Norton & Company, 1997, p.14.

2- David M. Lampton, ed., The Making of Chinese Foreign and Security Policy in the Era of Reform, 1978- 2000, Stanford: Stanford University Press, 2001,p.12 .Linda Jakobson and Dean Knox, New Foreign Policy Actors in China, SIPRI Policy Paper No.26, September 2010.

للإدارة العامة للجمارك الصينية، وذلك بتأسيس جهاز جديد لإدارة شئون المحيطات تقوم وزارة الأراضي والموارد الطبيعية بإدارته. وستقوم إدارة شئون المحيطات الصينية الجديدة بأعمال حماية السيادة وتطبيق القانون في المجال البحري تحت مسمى إدارة خفر السواحل الصينية، وذلك بتوجيه من وزارة الأمن العام الصينية. وكان الهدف من هذا التعديل هو التخلص من تشرذم وقلة تأثير قوات إنفاذ القانون الصينية في مجالها البحري، وعجزها عن حماية سيادة الصين وغيرها من المشكلات الأخرى. أما الإصلاح الثاني فكان في نوفمبر عام 2013، حيث طرح الاجتماع الكامل الثالث للجنة المركزية الثامنة عشرة للحزب تأسيس "لجنة الأمن القومي الصينية". وفي يناير عام 2014، غيّر المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب اسم هذه اللجنة الجديدة إلى "لجنة الأمن القومي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني"، ورئيسها هو الرئيس الصيني شي جين بينغ، وكل من لي كه تشيانغ وتشانغ دي جيانغ كنائبين لرئيس اللجنة، وضمت أيضًا عددًا من الأعضاء الدائمين والعاديين من المكتب السياسي. وبما أن لجنة الأمن القومي الصينية هي الجهة المسئولة عن صناعة القرارات وتنسيق الأمور المتعلقة بالأمن القومي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، بالتالي يكون المسئولون فيها من المكتب السياسي ولجنته الدائمة، فهم المسئولون عن تخطيط وتنسيق الأعمال المهمة والقضايا الكبرى المتعلقة بالأمن القومي الصيني. ويعتقد بعض الباحثين أن "هدف تأسيس لجنة الأمن القومي الصينية هو تحقيق تضافر الجهود وتعزيز التنسيق بين القطاعات المعنية، والعمل على توحيد جهودها"[1].

رابعًا، ابتكار وسائل دبلوماسية تعكس قوة الدولة المتنامية:

منذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، ظلت المهمة الجوهرية للدبلوماسية الصينية هي خلق بيئة خارجية مواتية تساعد على تحقيق التنمية المحلية. ونظرًا إلى أن قوة الصين محدودة؛ لذلك ركزت الصين عند اختيارها لوسائلها الدبلوماسية على استخدام القوة الناعمة والصلبة بشكل جذاب. ويمكن تفصيل ذلك في الجوانب الثلاثة الآتية: أولاً: استغلال الكاريزما الدبلوماسية الأخلاقية الداعية إلى السلم والتعاون. فقال المتحدث

1- منغ شيانغ تشينغ، "الآن هو الوقت المناسب لتأسيس لجنة الأمن القومي الصينية"، "صحيفة جيش التحرير"، 2013-11-22.

الرسـمي باسـم وزارة الخارجيـة الصينيـة تـاي جانـغ: "إن الصـين تنـادي بالعـدل في الشـئون الدوليـة، ولا تسـعى إلى الهيمنـة، بـل تدعـو إلى التنميـة السـلمية والتعـاون والفـوز المشـترك، ونحـن نـرى أن هـذه أكـبر القـوى الناعمـة الصينيـة"[1]. ثانيًـا: تتمتـع بقـوة جـذب للمكاسـب التـي يمكـن تحقيقهـا في الأسـواق الصينيـة المنفتحـة. فخـلال الثلاثـين عامًـا الماضيـة، جذبـت الصـين اسـتثمارات أجنبيـة مبـاشرة تُقـدر بتريليـون دولار أمريـكي، ووصـل حجـم الـواردات في عـام 2013 إلى تريليـون وتسـعمائة وخمسـين مليـار دولار أمريـكي، لتصبـح ثـاني أكـبر دولـة مسـتوردة بعـد الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. كـما أصبحـت الصـين أيضًـا مـن أهـم مصـادر رأس المـال الأجنبـي بالنسـبة للعديـد من الـدول؛ نظـرًا لما تقدمـة مـن اسـتثمارات أجنبيـة مبـاشرة وغـير مبـاشرة. ولقـد أدت هـذه العلاقـات الاقتصاديـة متبادلـة المنفعـة إلى اعتـماد الصـين عـلى اقتصـادات العـالم، والعكـس صحيـح، اعتمـدت اقتصـادات العـالم أيضًـا عـلى الاقتصـاد الصينـي، وانطلقـت الـدول مـن هـذه المصالـح الاقتصاديـة لتطويـر وتحقيـق الاسـتقرار لعلاقـات التعـاون بينهـا والصـين. ثالثًـا: تتمتـع بقـوة جـذب للثقافـة الصينيـة ذات الحضـارة العريقـة. بعـد أن قامـت الصـين بتطبيـق اسـتراتيجية القـوة الناعمـة وبـدأت نـشر ثقافتهـا خاصـةً منـذ عـام 2007، تزايـد اهتـمام الشـعوب بالثقافـة الصينيـة بشـكل كبـير، كـما ازدادت أعـداد معاهـد كونفوشـيوس عـلى مسـتوى العـالم، وارتفـع عـدد الطـلاب الأجانـب الدارسـين في الصـين بشـكل سريـع جـدًا. ويمكننـا أن نقـول إن الصـين قـد اعتمـدت عـلى قـوة الإقنـاع في المجـال الدبلومـاسي بشـكل أكـبر كثـيرًا مـن اعتمادهـا عـلى قـوة الإكـراه، ويمكننـا مقارنـة ذلـك بوضـوح شـديد مع مـا تسـتخدمه الولايـات المتحـدة والـدول الأوروبيـة المتقدمـة مـن قـوة إقنـاع ووسـائل إكـراه[2].

وإذا قلنـا بـأن الدبلوماسـية الصينيـة قـد اعتمـدت في المـاضي عـلى القـوة الناعمـة بشـكل أسـاسي، حيـث كانـت تسـتعين بقـوة الإقنـاع للتأثـير في العـالم الخارجـي وباقـي الـدول الأخـرى، فقـد اهتمـت الدبلوماسـية الصينيـة في السـنوات الأخـيرة بالجمـع بـين القوتـين الناعمـة والصلبـة، حيـث عـززت الصـين مـن اسـتراتيجيات الإقنـاع، وركـزت في الوقـت نفسـه عـلى دور القـوة

1- "المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية ومدير المكتب الإعلامي تاي جانغ يتحدث عن الدبلوماسية العامة"، ، تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-9-28.http//:fangtan.people.com.cn/GB.147550/17592355/html

2- تشن جه مين، تشانغ لو لو، "مصادر السلطة واستخداماتها: مناقشة استراتيجية السلطة في الدبلوماسية الصينية"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، عدد 7، 2012، ص15.

المضادة والقوة الدافعة، ما أدى إلى "زيادة القوة الناعمة نعومةً، وزيادة القوة الصلبة صلابةً". وركزت الصين عند تعزيز استراتيجيات الإقناع على ثلاثة جوانب أساسية: أولًا: الاهتمام بتحمل المسئوليات الدولية التي تفرضها السياسات الدبلوماسية، والدفع بصورة قوية للإجراءات الجديدة التي تساعد على تحقيق المساواة والعدل العالميين، على سبيل المثال التعاون مع دول البريكس. ثانيًا: الاهتمام بأن تقدم السياسات الاقتصادية الخارجية الصينية المنفعة للآخرين، وفي هذا السياق رحب الرئيس شي جين بينغ خلال زيارته إلى منغوليا في أغسطس عام 2014 بصعود منغوليا على متن قطار التنمية الصينية، وقال: "يمكنكم القيام بجولة على قطارنا السريع، أو السفر لمسافة فقط، فالكل مرحب به"[1]. ثالثًا، الاهتمام بأن تلعب القوة العسكرية الصينية دورًا دوليًا في حفظ السلام، حيث أرسلت الصين للمرة الأولى قوات مقاتلة للقيام بأعمال إصلاح في جنوب السودان. وإلى جانب هذا كله، تواجه الصين أية تحديات تمس مصالحها الجوهرية بثبات، وتعتمد على قوة الدولة الشاملة للرد والمواجهة بقوة. فعلى سبيل المثال، بعدما أعلنت اليابان "تأميم" جزر دياويو دخلت قوات إنفاذ القانون البحرية الصينية إلى المياه الإقليمية لجزر دياويو، وعادت سفن الخفر الصينية لوضعها الطبيعي، وأسست موقعًا للدفاع الجوي فوق بحر الصين الشرقي.

خامسًا: ابتكار أساليب دبلوماسية عملًا على تعزيز سياسة الأولوية الصينية:

على صعيد العلاقات الثنائية، أسست الصين أنواع مختلفة من علاقات الشراكة مع العديد من الدول، وأسست شبكة من الشركاء على درجات مختلفة من العلاقات. وفي العصر الحديث، اهتمت دبلوماسية الشراكة الصينية بالاستغلال الاستراتيجي للعلاقات المتفاوتة بين الدول، بحيث حددت العلاقات مع بعض الدول والمناطق على أنها أولويات للدبلوماسية الصينية، على سبيل المثال روسيا والقارة الأوروبية والهند واتحاد دول جنوب شرق آسيا، وركزت طاقتها أيضًا على بناء علاقات شراكة لتنمية التعاون والفوز المشترك،

1- شي جين بينغ، "الحماية المتبادلة وبداية عصر جديد لتنمية العلاقات بين الصين ومنغوليا- كلمة الرئيس في برلمان منغوليا"، http://www.fmprc.gov.cn/mfa_chn/ziliao_611306/zyjh_611308/t1184896.shtml، تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-9-22.

وبذلـك رسـخت الصـين نقـاط قـوة لاسـتراتيجياتها الدبلوماسـية. وعـلى الصعيـد الآخـر، بـادرت الصـين بتأسـيس علاقـات بـاردة مـع تلـك الـدول التـي تتحـدى المصالـح الصينيـة الجوهريـة، عـلى سـبيل المثـال اليابـان والنرويـج والفلبـين، مـا يدفـع إلى تغيـير درجـة العلاقـات مـع هـذه الـدول بفـرض الضغـوط عليهـا[1].

أمـا عـلى صعيـد العلاقـات متعـددة الأطـراف، اهتمـت الصـين قديمًـا بـضرورة التأكيـد عـلى المشـاركة في الأنظمـة الدوليـة الحاليـة؛ ولذلـك كانـت تسـعى داخليًـا إلى تعديـل الأنظمـة الحاليـة للحصـول عـلى أنظمـة دوليـة أكـثر عـدلًا. وبالإضافـة إلى ذلـك، سـعت الصـين إلى تأسـيس آليـات للتعـاون متعـددة الأطـراف، عـلى سـبيل المثـال تأسـيس منظمـة شـنغهاي للتعـاون، ومنطقـة التجـارة الحـرة للصـين والآسـيان. وبصفـة عامـة، تـم تأسـيس هـذه المنظـمات لافتقـار الأنظمـة الدوليـة الحاليـة إليهـا، وبالتـالي لا تشـكل أيـة تحديـات بالنسـبة لهـا، إنمـا تعـد أنظمـة دوليـة تكميليـة. ولقـد اعتمـدت هـذه الأنظمـة التكميليـة عـلى الوسـائل الثـلاث التاليـة: أولًا: تطويـر "نظـام مـوازٍ تكميـلي"، يتـم تطويـره بالتـوازي مـع الأنظمـة الحاليـة، ويتـم تأسيسـه في المناطـق المُغفَلـة، عـلى سـبيل المثـال القمـة الآسـيوية الأوروبيـة. ثانيًـا: تطويـر "نظـام تعزيـزي" يكمـل الأنظمـة الحاليـة، ويركـز بشـكل أسـاسي عـلى تعزيـز الحوكمـة في الأنظمـة الحاليـة، ويعمـل عـلى تعويـض مناطـق القصـور. عـلى سـبيل المثـال، الموافقـة عـلى مبـادرة شـيانغ مـاي[2] في عـام 2010 لبنـاء صنـدوق احتياطـي مـن النقـد الأجنبـي في شرق آسـيا بقيمـة مائـة وعشريـن مليـار دولار أمريـكي. وتتحكـم الـدول الأعضـاء فيـه بتقديـم 20% فقـط منـه كدعـم للـدول الأخـرى إذا واجهـت أزمـات ماليـة، في حـين يتـم ربـط الــ80% المتبقيـة بمشـاريع مسـاعدات صنـدوق النقـد الـدولي، والتـي يتـم توجيههـا بقـرار مـن الصنـدوق. ثالثًـا: بنـاء "نظـام يتطلـع إلى المسـتقبل"، والهـدف مـن تأسـيس هـذا النظـام هـو بحـث نمـوذج أفضـل للعلاقـات الدوليـة، سـواء عـلى المسـتوى الإقليمـي أو الـدولي أو العالمـي، عـلى سـبيل المثـال لقـد قدمـت منظمـة شـنغهاي للتعـاون نموذجًـا لنمـط جديـد مـن العلاقـات الدوليـة في مجـال الأمـن والتعـاون عـلى

1- قال تشو فانغ يين: "لقد طبقت الصين سياسات متباينة مع الدول المجاورة، عملًا على تطوير علاقات الصداقة مع هذه الدول بصفة عامة". انظر: تشو فانغ يين، "أهداف الدبلوماسية الصينية الجديدة مع دول المجاورة وسياساتها الدبلوماسية"، "صحيفة الشرق الصباحية"، 2014-1-14.

2- مبادرة شيانغ ماي: هي نظام يسعى إلى تجنب الوقوع في أي أزمة مالية نقدية إقليمية من خلال اتفاقات لتبادل العملات. جاءت المبادرة للمرة الأولى في أعقاب الأزمة التي ضربت القارة الآسيوية في1998-97. وفي مارس 2000، اجتمع وزراء مالية دول آسيان +3 في مدينة شيانغ ماي التايلاندية واتفقوا على أنه يجب على كل الدول الأعضاء مساعدة بعضها البعض ماليًا لتجاوز أي أزمة في النقد الأجنبي (المترجمة).

أساس عدم الانحياز ضد طرف ثالث[1].

يعكس رفض الكونجرس الأمريكي في عام 2010 اعتماد اتفاقية تعديل حصص صندوق النقد الدولي، وكذلك رفض الولايات المتحدة واليابان منح الصين حق صناعة القرارات في بنك التنمية في آسيا، أن بعض الدول التي كانت لها مكانة ريادية في الأنظمة الدولية ترفض إجراء التعديلات الضرورية في الأنظمة الدولية القديمة، حتى تتكيف مع موازين القوة الجديدة. وعلى هذه الخلفية، تسعى الصين وغيرها من الدول النامية إلى تأسيس أنظمة دولية جديدة، على سبيل المثال بنك التنمية واحتياطي الطوارئ لدول البريكس، وبنك الاستثمار للبنية التحتية في آسيا. على الرغم من أن هذه الأنظمة الدولية الجديدة تتشابه من حيث ما تقوم به من وظائف مع الأنظمة الحالية، ولكن تستطيع صناعة القرارات بشكل مستقل، وبالتالي فإلى جانب تكاملها مع الأنظمة الحالية، تتمتع بالتنافسية ويمكن استبدالها بالأنظمة الحالية. ومن هنا يمكننا أن نتنبأ بأنه إن لم يتم تعديل الأنظمة الحالية، فسوف تتميز الأنظمة الدولية الجديدة بتنافسية أكبر، ما يدفع الدول المعنية إلى قبول القيام بالتعديلات الضرورية بشكل عاجل في الأنظمة الحالية.

1- انظر: تشن جه مين، "استراتيجية صينية لتحسين أنظمة الحوكمة العالمية"، "العالم المعاصر"، عدد 8، 2014، ص10.

ابتكارات دبلوماسية وليست ثورة دبلوماسية

على الرغم من أن الدبلوماسية الصينية شهدت ابتكارات عديدة، ولكن طبقًا لتعريف الدراسة للثورة الدبلوماسية، لا يمكن أن نعتبر الابتكارات الدبلوماسية الحالية ثورةً دبلوماسيةً. ويمكن أن نلخص أسباب ذلك في النقاط التالية:

أولا: إن دبلوماسية الدولة الكبرى الصينية هي دبلوماسية لدولة اشتراكية نامية، فهي ليست الطريق التقليدي لدبلوماسية الدول الكبرى التي تسعى إلى تقوية الدولة بالهيمنة. وعلى الرغم من أن تركيز الدبلوماسية الصينية قد تحول إلى دبلوماسية الدول الكبرى، ولكن لم تشهد خصائص الدولة الصينية تغييرات جوهرية باعتبارها دولة كبرى اشتراكية نامية. فلا تزال مهمة الصين الأساسية هي تعزيز التنمية الاقتصادية والاجتماعية، واستغلال دبلوماسية الدول الكبرى في دعم هذه التنمية. وفي هذا السياق، قال الرئيس شي جين بينغ خلال زيارته إلى ألمانيا: "نعرف جميعًا أن الصين لا تزال أكبر الدول النامية في العالم، لأن رفع جودة ومستوى معيشة مليار وثلاثمائة مليون صيني أمر يحتاج منا إلى بذل الجهود المضنية. كما أنه ينبغي أن تركز الصين انتباهها على البناء، الذي يتطلب شرطين أساسيين: الأول هو بيئة داخلية منسجمة ومستقرة. والثاني هو بيئة خارجية سلمية وآمنة"[1]. وقد أشار نائب رئيس الدولة الصيني لي يوان تشاو خلال زيارته إلى زامبيا وتنزانيا في يونيو عام 2014، إلى أن إجمالي الناتج المحلي الصيني قد تجاوز تسعة تريليونات دولار أمريكي في عام 2013، ولكن كان متوسط نصيب الفرد ستة آلاف وسبعمائة دولار أمريكي فقط، وتأتي هذه النسبة في المركز الرابع والثمانين على مستوى العالم. كما أن التنمية الإقليمية والتنمية في المدن والقرى لا تزال غير متوازنة، حيث يصل متوسط دخل أكثر من ستمائة مليون فلاح صيني إلى ألف وخمسمائة دولار أمريكي فقط، ويعيش نحو مائتي مليون شخص تحت خط الفقر بحسب معايير البنك الدولي. كما أن متوسط دخل الفرد من إجمالي الناتج المحلي لستين بالمائة من السكان في المناطق بوسط وغرب الصين، لا يصل إلى نصف ذلك الذي يحصل عليه سكان المناطق

1- "كلمة الرئيس شي جين بينغ في صندوق كولبرج كرافيس روبرت (KKR) بألمانيا"، 2014-3-28، برلين، http//:www.gov.cn/xinwen/201403/29/content.2649512_htm.22-8-2014 ، تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-8-22

الساحلية في الدول المتقدمة. كما تصل نسبة التوسع الحضري في الصين إلى 53.7%، في حين تتجاوز هذه النسبة عادةً 80% في الدول المتقدمة. وبالتالي لا يزال الطريق طويلاً أمام الصين لتحقيق هدف بناء مجتمع رغيد الحياة بحلول عام 2020، أو تحقيق الحداثة الشاملة بحلول منتصف القرن الحادي والعشرين. وعلى هذا الأساس يمكننا أن نقول بأن "هوية الصين باعتبارها أكبر دولة نامية على مستوى العالم، لم تتغير بعد"[1].

وبالإضافة إلى ما سبق، يدعو النظام الاشتراكي الصيني الدبلوماسية الصينية إلى أن تكون أكثر إقدامًا وعدلًا. وقد أشار وزير الخارجية الصيني وانغ يي إلى أن خصائص الدبلوماسية الصينية تنبع من المفاهيم الاشتراكية التي تتمسك بها الصين. وبما أن الصين تتمسك بمفاهيم طريقها الاشتراكي؛ لذا عليها أن تسعى إلى المساواة والعدل، وتحقيق الرخاء المشترك، والانسجام الاجتماعي في الداخل، وأن تتمسك أيضًا بالعدل، وتحمي الحقائق الثابتة، وتدعو إلى العدالة في الخارج. كما أن عليها التخلي عن مفهوم قانون الغاب، وأن تتمسك بالمساواة بين الدول الكبرى والصغرى مع مواجهة أي شكل من أشكال الهيمنة، وأن تدفع بالديمقراطية في العلاقات الدولية، وأن ترفض مبدأ الكبير يأكل الصغير، أو القوي يضطهد الضعيف، أو الغني يقهر الفقير، وأن ترفض أيضًا التدخل في السياسات الداخلية للدول الأخرى. وفوق هذا، تدعو الصين إلى حل القضايا الدولية والإقليمية الراهنة عن طريق الحوار والمحادثات، كما أنها ترفض استخدام القوة، وتؤمن بضرورة تناوب السلطة، ويُعد هذا كله من المعايير الأساسية للأخلاقيات والعلاقات الدولية[2].

ثانيًا: يجب أن تخدم الدبلوماسية الصينية قضية الأمن القومي والتنمية الداخلية في الدولة، وبالتالي ليست مهمتها الأساسية هي استبدال الأعمال الداخلية بالأعمال الخارجية. وهو ما يعني أنه يجب على الصين توسيع مشاركاتها الخارجية من جانب، وأن تتجنب على الجانب الآخر الوقوع في الطيش أو الانفعال. وهنا يجب الانتباه إلى بعض النقاط. أولًا: يجب تحديد المهام الأساسية للمرحلة الحالية. ولكي تتخلص الصين من "فخ الدخل المتوسط"، وتدفع بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية بشكل مستمر، ينبغي عليها تركيز

1- لي يوان تشاو، "هوية الصين باعتبارها أكبر دولة نامية على مستوى العالم لم تتغير بعد"، http://politics.people.com.cn/n/2014/0708/c100l25254455.html، 22-8-2014 .تاريخ الاطلاع والتحميل:

2- وانغ يي، "بحث طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية"، "صناعة القرارات"، عدد 1، 2014، ص18.

طاقتها بشكل أساسي على البناء الداخلي للدولة. ثانيًا: يجب تحديد القوة الشاملة للدولة في المرحلة الحالية. وعلى الرغم من أن الصين ثاني أكبر دولة اقتصادية على مستوى العالم، لكنها تواجه أنظمة تحالف أسستها الدول المتقدمة، ومن أبرزها الولايات المتحدة؛ ولذلك لا ينبغي على الصين أن تعتمد على قوتها وحدها في مواجهة مختلف القوى في الأنظمة الدولية، أو أن تبالغ في تقدير قوة تأثيرها على تشكيل الأوضاع الدولية. ثالثًا: يجب فهم الوضع الخاص للصين في المرحلة الجديدة باعتبارها دولة كبرى ناهضة. تُعتبر الصين أكبر قوة تستطيع توجيه الضربات للأنظمة الدولية الحالية باعتبارها أكبر دولة صاعدة وأسرعها نموًّا، الأمر الذي أثار بالفعل حذر الدول التي كانت تتمتع بمكانة رائدة، وأصبحت الصين دولة مستهدفة لبعض الدول التي تحاول استعادة توازنها. ولذلك يجب على الصين تجنب الوقوع في أي أخطاء على مستوى الشئون الدولية في ظل هذه المرحلة الحساسة التي تشهد تحولات في السلطة. رابعًا: الانتباه إلى التقاليد الدبلوماسية الصينية. بالنسبة إلى شي ين خونغ، تُعتبر "الحماية" إحدى أهم القضايا على مدار تاريخ الصين الطويل؛ لأنها مهمة ثقيلة تستدعي حماية وحدة الصين وسلامة أراضيها باعتبارها دولة ضخمة، والحفاظ أيضًا على الاستقرار والسلم فيها. وقد ظهر ذلك قديمًا في كيفية صمود الصين على مدار التاريخ أمام الاحتلال والاعتداء الخارجي وأيضًا الثورات الداخلية، وانعكس في الصين المعاصرة على مدى ثبات ومرونة وكفاءة القيادة السياسية الصينية وسط جهودها الهائلة والطويلة، حيث استطاعت هذه القيادة الحفاظ على وحدة الدولة واستقرار أنظمة الحكم بل وحتى تحقيق الازدهار الاجتماعي، رغم التغييرات الهائلة التي تسببت فيها عدد من الثورات الاستثنائية[1].

ثالثًا: التخطيط الشامل للدبلوماسية بحيث تدفع كل من قضايا الأمن القومي والتنمية المحلية بشكل متوازن، فلا يجب أن تحل دبلوماسية الأمن القومي محل دبلوماسية التنمية. عملًا على خدمة مهمة الصين الرئيسية المتمثلة في التنمية الاقتصادية، سعت استراتيجيات الأمن الصينية منذ بداية انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، إلى بذل كل الجهود في سبيل تحقيق "الأمن الأساسي" لضمان "عدم تعرض المصالح الجوهرية

1- شي ين خونغ، "الأفكار الاستراتيجية الخارجية في الصين المعاصرة: الأيديولوجية الفكرية والاستراتيجيات الأساسية والتحديات الحالية والخصائص الصينية"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، عدد 9، 2009، ص22.

الصينيـة لأيـة تهديـدات"[1]. ولكـن مـع النمـو السريـع لقـوة الدولـة الصينية في ظـل التنميـة الاقتصادية السريعـة، تعقـدت التحديـات الأمنيـة الداخليـة والخارجيـة، ولم يعـد عـلى الصـين في المرحلـة الحاليـة تلبيـة متطلبـات الأمـن الأساسـية فقـط، بـل عليهـا في الوقـت نفسـه العمـل عـلى تعزيـز الأمـن بشـكل أكـبر، وذلـك بالرفـع مـن مسـتوى الضمانـات الأمنيـة لتحقيـق المصالـح الجوهريـة، وتعزيـز مسـتوى الضمانـات الأمنيـة لمصالـح الدولـة الأخـرى، وتعزيـز قـدرات وأسـاليب الدولـة للحفـاظ عـلى الأمـن القومـي.

ولكــن لا يعنــي تعزيــز الأمــن التضحيــة في المقابــل بالتنميــة التــي تُعــد مــن مصالــح الصــين الجوهريــة، ولا يعنــي أيضًــا أنــه ينبغــي أن تحــل الدبلوماســية الأمنيــة محــل دبلوماســية التنميــة، وإنمــا ينبغــي الســعي إلى تحقيــق التــوازن بــين الأمــن والتنميــة ودفــع هذيــن الهدفــين معًــا. ولذلــك ينبغــي أن تســعى الاســتراتيجيات الأمنيــة إلى تحقيــق الفاعليــة، وأن تهتــم بتحقيــق جميــع المصالــح الوطنيــة الجوهريــة بشــكل متــوازن. إن الاســتراتيجية الأمنيــة الفعالــة هــي التــي تســعى إلى تعزيــز الأمــن النسـبي وليـس المطلـق، الأمـن المنفتـح وليـس المغلـق، الأمـن المسـتدام وليـس اللحظـي، الأمـن الشـامل وليـس التقليـدي فقـط، الأمـن المتطـور وليـس الراكـد، الأمـن المشـترك وليـس أمـن الدولـة الواحـدة، الأمـن الشـامل وليـس المفـكك، الأمـن القانـوني وليـس المفـرط[2].

كـما أسسـت الصـين في الوقـت الراهـن مؤسسـتين قياديتـين لصناعـة القـرارات في مجـال السياسـات الدبلوماسـية. الأولى هــي المجموعــة القياديــة للشــئون الخارجيــة باللجنــة المركزيــة، التــي قــد تــم تأسيسـها منـذ فـترة طويلـة، ويترأسـها الرئيـس شي شـين بينـغ، ونائـب المجموعـة هـو نائـب رئيـس الدولـة لي يـوان تشـاو. أمـا الثانيـة فهـي لجنـة الأمـن القومـي للجنـة المركزيـة للحـزب الشـيوعي الصينـي التـي تـم تأسيسـها حديثًـا. وفي ظـل هاتـين المؤسسـتين، يتـم التنسـيق لبنـاء اسـتراتيجيات أمنيـة ودبلوماسـية، والسـعي إلى تعزيـز الأمـن إلى جانـب تحقيـق الأهـداف الجوهريـة الأخـرى، مـا يتطلـب منـا ترتيـب أفكارنـا وتحسـين أنظمتنـا، بمـا يسـاعد الجهـات العليـا عـلى لعـب دورهـا القيـادي والتنظيمـي بشـكل فعـال، وتجنـب أن تحـل الدبلوماسـية الأمنيـة محـل دبلوماسـية التنميـة.

1- ليو جيان في، "استرجاع الدبلوماسية الصينية في السنوات الأخيرة"، "البحث والمنافسة"، عدد 4، 2012، ص41.

2- انظر: لجنة تحرير التقارير الاستراتيجيات لبنك الأفكار في جامعة فودان، "تقرير جامعة فودان حول استراتيجية الأمن القومي الصينية، الأمن والتنمية والتعاون الدولي"، نوفمبر 2014.

رابعًـا: إن الجمـع بـين القوتـين الصلبـة والناعمـة يسـتغل مصـادر قـوة الدولـة الصينيـة بشـكل أشـمل وأفضـل، دون الدعـوة إلى التحـول مـن دبلوماسـية الإقنـاع إلى دبلوماسـية الإكـراه. وتجمـع الصـين في المرحلـة الحاليـة بـين قـوة الإقنـاع ووسـائل الإكـراه. ونظـرًا إلى أن قـوة الإقنـاع عـادةً مـا ترتبـط بالتضحيـة بمكاسـب كبـيرة، وعـادةً مـا يكـون مردودهـا غـير مضمـون؛ لذلـك تلجـأ الـدول الكـبرى التقليديـة عـادةً إلى اسـتخدام القـوة حتـى تسـتطيع تغيـير مواقـف الـدول الأخـرى بشـكل أسرع، فعـلى سـبيل المثـال فـرض العقوبـات أو القيـام بتدخـلات عسـكرية. ولكـن أثبتـت التجـارب التاريخيـة منـذ بدايـة القـرن العشريـن، أن اسـتخدام وسـائل القـوة غـير المعـترف بهـا مـن المجتمـع الـدولي، وخاصـةً اسـتخدام الوسـائل العسـكرية، عـادة مـا يتسـبب في عواقـب غـير متوقعـة، عـلى سـبيل المثـال تلـك الكـوارث التـي خلفتهـا الحـرب العالميـة الأولى والثانيـة عـلى البشريـة؛ أو جـرّ الـدول المتدخلـة عسـكريًّا إلى حـروب اسـتنزاف طويلـة المـدى، عـلى سـبيل المثـال الحـرب الأمريكيـة في العـراق؛ أو سـقوط الـدول المتدخلـة عسـكريًّا في حالـة مـن الفشـل حتـى وإن قـد حققـت النـصر العسـكري، عـلى سـبيل المثـال الحـرب في أفغانسـتان. وعـلى الرغـم مـن ذلـك، تعجـز الـدول التـي تتمتـع بقـوة هائلـة عـن مقاومـة إغـراءات السـلطة، عـلى سـبيل المثـال لم تسـتطع الولايـات المتحـدة في بدايـة القـرن الحـادي والعشريـن مقاومـة الإغـراءات بـأن تكـون القـوة المهيمنـة الوحيـدة؛ ولذلـك دخلـت في مخاطـرات عسـكرية بشـكل متـوالٍ في أنحـاء كثـيرة مـن العـالم، أدت إلى عواقـب جـاءت عكـس آمالهـا تمامًـا.

مـما لا شـك فيـه، أنـه يجـب عـلى الدبلوماسـية الصينيـة الحاليـة أن تكون أكثر شـجاعة في اسـتخدام القـوة مقارنـةً بالمـاضي. فـإن فشـلت الوسـائل الدبلوماسـية السـلمية في مواجهـة الـدول التـي تهـدد السـلم العالمـي أو تلـك المعروفـة بارتـكاب جرائـم ضـد الإنسـانية وجرائـم الإبـادة العنصريـة وجرائـم الحـرب والإبـادة الجماعيـة، ينبغـي عـلى الصـين في هـذه الحالـة التمسـك بجميـع وسـائل القـوة المعروفـة في المجتمـع الـدولي، بمـا في ذلـك اللجـوء إلى الخيـار الأخـير وهـو التدخـل العسـكري. أمـا عـلى صعيـد العلاقـات الثنائيـة، فينبغـي عـلى الصـين أولًا: اسـتغلال الـدور الـرادع للقـوة، لمنـع أي مـن القـوى الخارجيـة مـن اللجـوء إلى سياسـات تتعـدى عـلى المصالـح الجوهريـة الصينيـة. ثانيًـا: يجـب عـلى الصـين اسـتغلال الـدور الكابـح للقـوة، لإفشـال أي مـن القـوى الخارجيـة في اللجـوء إلى أفعـال تتعـدى عـلى المصالـح الجوهريـة الصينيـة. ثالثًـا: يجـب اسـتغلال الـدور الداعم للقوة، بحيـث تدفـع الصـين الدول إلى اسـتخدام الوسـائل السـلمية لحـل النزاعـات. وبالتـالي ينبغـي عـلى الصـين أولًا محاولـة اسـتخدام جميع

الوسـائل البعيـدة عـن فـرض العقوبـات بالقـوة، كـما أن عليهـا تطبيـق القوانـين المدنيـة لحمايـة المصالـح الجوهريـة للدولـة قبـل اسـتخدام القـوة. وعـلى الصعيـد العسـكري، ينبغـي ألا تقـوم بالهجوم إلا إذا تعرضـت للاعتـداء.

وبالإضافـة إلى ذلـك، يجـب أن تنتبـه الصـين إلى حـدود اسـتخدام القـوة، فيجـب ألا تسـتغل القـوة العسـكرية للتدخـل أو فـرض العقوبـات، وأن تلتـزم بالمبـادئ الدبلوماسـية الأساسـية التـي تدعـو إلى حـل النزاعـات باللجـوء إلى الحلـول السـلمية، وذلـك أولًا مـن خـلال الاعتـماد عـلى قـوة الإقنـاع في حمايـة مصالـح الصـين، والرفـع مـن قـدرة تأثـير الصـين ومكانتهـا الدوليـة.

خامسًـا: الابتـكار في الوسـائل الدبلوماسـية بتعزيـز قـدرة الصـين عـلى بنـاء العلاقـات الثنائيـة وأنظمـة دوليـة متعـددة الأطـراف، دون أن تتحـول الصـين مـن دبلوماسـية الصداقـة إلى دبلوماسـية التحالـف، أو مـن الحفـاظ عـلى علاقـات متفاوتـة مـع الـدول إلى علاقـات العـداوة والصداقـة فقـط، أو التحـول مـن إصـلاح الأنظمـة الدوليـة إلى القيـام بثـورة دبلوماسـية.

تُعـد دبلوماسـية الصداقـة مـن أهـم خصائـص النمـط الجديـد مـن الدبلوماسـية الصينيـة، وقـد حققـت بالفعـل نتائـج مميـزة، فقـد سـاعدت الصـين عـلى الحصـول عـلى بيئـة خارجيـة مواتيـة في أعقـاب الحـرب البـاردة، وأيضًـا طـورت التعـاون القائـم عـلى تبـادل المصالـح مـع العديـد مـن الـدول. ومـع النمـو السريـع لقـوة تأثـير الصـين الخارجيـة، علـت أصـوات في الصـين تدعـو إلى تفعيل دبلوماسـية التحالـف، داعيـةً إلى التخلـص مـن دبلوماسـية عـدم الانحيـاز القديمـة[1]. طبقًـا لنظريـات التحالـف، تسـتطيع اسـتراتيجيات التحالـف تقديـم دعـم خارجـي إضـافي للدولـة، مـما يسـاعدها عـلى مواجهـة التحديـات الأمنيـة الخارجيـة بشـكل أفضـل. تتمتـع معظـم الـدول المتقدمـة بالإضافـة إلى روسـيا في الوقـت الراهـن بأنظمـة تحالـف خاصـة بهـا، تسـاعدها عـلى رفـع المسـتوى الأمنـي للدولـة، وتعزيـز قدرتهـا عـلى قيـادة الشـئون الدوليـة. ولكـن يعنـي الانضـمام إلى تحالـفٍ مـا تحمـل مسـئولية تقديـم ضمانـات أمنيـة للحلفـاء، كـما أنـه قـد تواجـه الـدول داخـل التحالـف خطـر الاسـتبعاد أو التوريـط، وقـد تواجـه أيضًـا تصاعـدات في القضايـا الأمنيـة خـارج التحالـف، مـا قـد يسـبب آثارًا سـلبية عـلى أمن الدولـة. ولذلـك ينبغـي علينـا أن نأخـذ في الاعتبـار تكاليـف ومكاسـب الانضـمام إلى التحالفـات حتـى نحكـم عـلى إمكانيـة تطبيقهـا. في المرحلـة الحاليـة، يجعـل الـردع النـووي الـدول النوويـة الكـبرى تعتمد

1- يان شويه تونغ، "قد تفكر الصين في تغيير استراتيجية عدم الانحياز"، "صحيفة الدفاع" 2011-6-8.

عـلى قوتهـا في منـع الـدول الأخـرى مـن الاعتـداء عليهـا. أمـا دبلوماسـية الصداقـة فتمكّـن الصـين مـن تطويـر علاقـات للتعـاون متفاوتـة الدرجـات مـع جميـع الـدول، ويشـمل ذلـك علاقـات التعـاون في المجـال العسـكري. وبهـذا النـوع مـن الدبلوماسـية يمكـن الاسـتفادة مـن مزايـا التعـاون في علاقـات التحالـف، مـع تجنـب عواقبهـا في الوقـت نفسـه، مثـل تحمـل مسـئولية الحفـاظ عـلى الأمـن، أو خطـورة اسـتبعاد إحـدى الـدول أو توريطهـا، أو تصعيـد المواجهـات مـع الخـارج. وبالتـالي تتوافـق دبلوماسـية الصداقـة مـع مـا نـادت بـه الصـين دومًـا مـن مبـادئ لعـدم الانحيـاز، وبذلـك تُعتـبر خيـارًا متعقـلاً ينبغـي علينـا الاسـتمرار في التمسـك بـه.

في دبلوماسـية الصداقـة، ينبغـي أن تميـز الصـين بـين المسـتويات المتفاوتـة لعلاقاتهـا مـع جميـع الـدول. فمـن ناحيـة، يعكـس هـذا موضوعيًّـا الفـروق بـين المسـتويات المختلفـة للتعـاون؛ ومـن ناحيـة أخـرى، يمكـن أن تسـتغل الصـين تلـك العلاقـات المتفاوتـة لتعزيـز علاقـات التعـاون مـع الـدول الصديقـة، وممارسـة ضغـوط عـلى تلـك الـدول التـي لا يربطهـا بهـا نفـس القـدر مـن علاقـات الصداقـة، مـا سـوف يؤثـر عـلى الجـدال الدائـر داخـل هـذه الـدول حيـال سياسـتها تجـاه الصـين، ويدفعهـا إلى تطويـر هـذه السياسـات بشـكل بنّـاء. ولكـن يختلـف هـذا النـوع مـن الدبلوماسـية عـن الدبلوماسـية القائمـة عـلى العـداوة أو الصداقـة. خـلال فـترة الحـرب البـاردة، كانـت الصـين تعيـش في مواجهـة ومقاومـة للأنظمـة الدوليـة، وبالتـالي كان مـن الطبيعـي للغايـة أن تفعّـل دبلوماسـية العـداوة والصداقـة. ولكـن اليـوم وبعـد انتهـاء الحـرب البـاردة، لا توجـد دولـة تعتـبر الصـين عـدوًّا مبـاشرًا لهـا. وعـلى الرغـم مـن أن هنـاك تناقضـات واختلافـات بـين الصـين وبعـض الـدول، ولكـن وجـود التنافـس والتعـاون أمـران طبيعيـان في العلاقـات الثنائيـة. وبالتـالي لا ينبغـي عـلى الصـين أن تعتـبر الـدول التـي لم تعادِهـا دولاً عـدوة، أو أن تضعهـا في خانـة العـدو كـما تنـادي المدرسـة البنائيـة؛ لأن هـذا لا يتوافـق أبـدًا مـع المبـادئ الدبلوماسـية الصينيـة، وسـوف يعـوق مصالحهـا الوطنيـة.

أمـا عـلى صعيـد الدبلوماسـية متعـددة الأطـراف، فيجـب عـلى الصـين أن تنـادي بإصـلاح الأنظمـة الدوليـة الحاليـة. وفي ظـل تأجيـل الـدول الغربيـة المسـتمر للإصلاحـات في صنـدوق النقـد الـدولي والبنـك الـدولي، يتطلـب مـن الصـين إلى جانـب الدعـوة إلى اسـتراتيجية للتعديـل الداخـلي للأنظمـة، أن تطـور مـن اسـتراتيجيات للإصـلاح خـارج نطـاق هـذه الأنظمـة، وبذلـك تقـوم بـ"دفـع الإصـلاح الداخلي بالاعتـماد عـلى الإصـلاح الخارجـي". ومـن أمثلـة قيـام الصـين باسـتراتيجيات إصلاحيـة خارجيـة تأسـيس بنـك التنميـة لـدول البريكـس، وبنـك الاسـتثمار للبنيـة التحتيـة في آسـيا.

متى تتحول الابتكارات الدبلوماسية إلى ثورة دبلوماسية؟

إن لم تكن الصين في المرحلة الحالية في حاجة إلى ثورة دبلوماسية، فما الذي سيدفعها مستقبلًا للسعي إلى ثورة دبلوماسية؟ سوف نتناول في هذا الجزء من الدراسة التغيرات التي قد تشهدها بعض العناصر في الاستراتيجيات الدبلوماسية الصينية، والتي سوف تؤدي إلى تغييرات جذرية في المبادئ والوسائل الأساسية في الدبلوماسية الصينية، وهي تتضمن ثلاثة جوانب: قوة الدولة، والبيئة الخارجية، والمفاهيم الدبلوماسية.

أولًا: أفق قوة الدولة: بحسب المدرسة الواقعية، تُعتبر السلطة المحدِّد الأساسي للمصالح، ويُعتبر هذا من أهم المبادئ في العلاقات الدولية. فبصفة عامة يمكننا أن نقول إن قدر سلطة الدولة يحدد قدر ما تسعى إليه من مصالح. وانطلاقًا من هذه الزاوية، إذا وصلت قوة الدولة الصينية في المستقبل إلى مستوى أعلى، فسوف تتغير بالتأكيد مصالح الصين ووسائل تحقيقها، ومن ثم تتجه إلى ثورة دبلوماسية. وبالنسبة لدولة مثل الصين، ستتطلع الدبلوماسية الصينية إلى تجاوز النظرة الواقعية نظرًا لكونها دولة اشتراكية كبرى جديدة. وبالإضافة إلى ذلك، تُعد الأوضاع السياسية من أهم الدعائم التي تعتمد عليها الدولة في وضع استراتيجياتها وسياساتها. وهنا ينبغي أن نتساءل: هل سيؤدي تطور الصين المستقبلي على المستوى السياسي إلى ضغوط تدفع بالثورة الدبلوماسية؟

الصين باعتبارها دولة كبرى صاعدة، تمثل أهم القوى التي يمكنها أن تؤدي إلى تغيرات هائلة في الأنظمة الدولية. فتُعد الصين اليوم من أكبر دول العالم سياسيًّا وعسكريًّا، كما أصبحت ثاني أكبر كيان اقتصادي على مستوى العالم رغم كونها دولة نامية. وعلى الرغم من تباطؤ معدلات النمو حاليًّا، فإن الصين لا تزال تحافظ على معدلات نمو تتجاوز ضعف نظيرتها في دول العالم الريادية. ما يبشر بأن نطاق ومكانة القوة الصينية سوف يظل ينمو في المستقبل. وطبقًا لتقديرات خو آن جانغ، فإنه إذا حافظ الاقتصاد الصيني على معدل نمو بقدر 7% في الفترة بين 2010- 2020، ومعدل نمو بنسبة 8% في الفترة بين 2020- 2030، فسوف يصل حجم الاقتصاد الصيني إلى 19 تريليون و800 مليار

دولار أمريكي بحلول عام 2019، وبذلك سوف يتجاوز اقتصاد الصين الولايات المتحدة، لتصبح الصين أكبر كيان اقتصادي على مستوى العالم. ثم بحلول عام 2030، سوف يصل حجم الاقتصاد الصيني إلى 66 تريليون و400 مليار دولار أمريكي، أي حوالي ضعف حجم الاقتصاد الأمريكي. كما قد يصل متوسط دخل الفرد من إجمالي الناتج المحلي إلى أربعين ألف دولار أمريكي. وبالتالي سوف تصبح الصين أكبر الدول المساهمة في العالم، وأكبر محرك للتنمية العالمية، وأكبر دولة تقدم مساعدات لتنمية الدول، وأكبر الدول التي تقود التحولات العالمية[1]. ويعتقد يان شويه تونغ أنه بحلول عام 2023 ستستطيع الصين اللحاق بالقوة الاقتصادية الأمريكية، ولكن ستظل متخلفة عن الولايات المتحدة من حيث القوة العسكرية والثقافية. "يمكن تقليص الفجوة بين القوتين الصينية والأمريكية للوصول إلى مستوى مشترك، ولكن لن تستطيع الصين اللحاق بالولايات المتحدة بشكل كامل"[2]. في حين تتنبأ الاستخبارات الوطنية الأمريكية بأن تتعادل القوتان الصينية والأمريكية مع حلول عام 2030، وذلك طبقًا لتقديراتها لعناصر السلطة الأربعة الأكثر أهمية بالنسبة للدولتين، وهي: إجمالي الناتج المحلي، وعدد السكان، والنفقات العسكرية، والتطورات العلمية والتكنولوجية[3].

يمكننا أن نقول إنه إذا استمرت دول العالم في التطور على نفس الوتيرة الحالية، فمن المحتمل أن تتساوى قوة الدولة الصينية مع الولايات المتحدة الأمريكية أو حتى تتجاوزها بحلول عام 2030، ومن ثم ستتقدم على باقي الدول العظمى والاتحاد الأوروبي كاملاً. وسوف يصبح هذا التحول تحولاً تاريخيًّا؛ لأنها المرة الأولى التي تتجاوز فيها دولة غير غربية باقي الدول الغربية منذ عصر التحول الصناعي. ما يعني أن الصين يمكنها أن تحقق أهدافها التنموية التي تناضل من أجلها، وتشارك بشكل أعمق في الشئون الدولية، وتتمتع بقوة أكبر تدعم هذه المشاركة. كما سوف تظهر حتميًّا ابتكارات دبلوماسية أكثر قوة.

1- خو آن جانغ وآخرون، "الصين في عام 2030: التطلع إلى الرخاء المشترك"، بكين، دار نشر جامعة الشعب الصينية، 2011، ص196-197.

2- يان شويه تونغ، "القصور التاريخي: الصين والعالم في العشر سنوات المقبلة"، بكين، دار نشر الصين الدولية للائتمان والاستثمار، 2013، ص 5.

3- National Intelligence Council, Global Trends 2030: Alternative Worlds, p.16.

ومـع ذلـك لا يمكننـا أن نعتـبر هـذه التغـيرات التاريخيـة تغـيرات ثوريـة. فطبقًـا لتقديـرات الاسـتخبارات الأمريكيـة، سـوف تحتـل كل مـن الصـين والولايـات المتحـدة نسـبة 17% مـن إجـمالي السـلطة في العـالم بحلـول عـام 2030، وتُعـد هـذه النسـبة أقـل مـن المكانـة القويـة التـي احتلتهـا الولايـات المتحـدة في عـام 2010 حيـث احتلـت 4/1 السـلطة العالميـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، تتجـاوز القـوة الشـاملة لـكل مـن الاتحـاد الأوروبي والهنـد 10% مـن حجـم القـوة الإجماليـة العالميـة[1]. بمعنـى آخـر، يمكننـا أن نقـول إن العـالم سـوف يشـهد ظهـور "قوتـين عظمتـين وقـوات كـبرى متعـددة" بحلـول عـام 2030، وسـواء لم تسـتطع الصـين أو الولايـات المتحـدة الوصـول إلى تميـزات سـاحقة عـلى مسـتوى العـالم، فسـتظل كل منهـما تقيـد الأخـرى وتواجـه قيـودًا أخـرى خارجيـة. ومـن هـذا المنطلـق، سـوف تكـون موازيـن القـوى الدوليـة حتـى حلـول عـام 2030 مواتيـة للصـين، ولكـن لا تـزال الاحتماليـة ضعيفـة لأن تصـل الصـين إلى مكانـة متميـزة وسـاحقة. وبالتـالي فـإن تحسـين مكانـة سـلطة الدولـة لـن يسـبب تحديـات جذريـة أمـام المبـادئ والوسـائل الدبلوماسـية الأساسـية الحاليـة. أمـا فيـما يتعلـق بمسـتقبل التنميـة مـا بعـد 2030، فلـم يقـم البحـث بمناقشـتها لوجـود متغـيرات كثـيرة.

ثانيًـا: احتـمال تدهـور البيئـة الخارجيـة تدهـورًا جذريًا: يُعـد التغير المفاجـئ في البيئـة الخارجية عنـصرًا آخـر مهـمًا يؤثـر عـلى الاسـتراتيجيات الدبلوماسـية. إن تغـيرت القواعـد الأساسـية التـي تعتمـد عليهـا الاسـتراتيجيات الدبلوماسـية الصينيـة الحاليـة، وإن تدهـورت قضايـا السـلم والتنميـة تدهـورًا جوهريًـا، فسـوف يكـون مـن المحتـم أن تتغـير الاسـتراتيجيات الدبلوماسـية أيضًـا. قـال ريتشـارد هـاس في إحـدى مقالاتـه: سـوف ينتهـي ذلـك العـصر الـذي امتد لخمسـة وعشريـن عامًا بعـد الحـرب الباردة، وسـوف يبـدأ عـصر جديـد مـن الفـوضى. في ذلـك العـصر المـاضي، كانـت الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تحتـل الصـدارة، وكان النـاس يعيشـون حيـاة مزدهـرة، كـما ظهـرت أنظمـة اجتماعيـة وسياسـية أكـثر انفتاحًـا، وسـاد السـلام بشـكل واسـع، وكان هنـاك قـدر معقـول مـن التعـاون بين الـدول الكـبرى. ولكن انتهـى هـذا العـصر اليـوم، واسـتبدل بعـصر جديـد أكـثر فـوضى وأقـل سـلمية[2]. فقـد شـهدت الأوضـاع

1- National Intelligence Council, Global Trends 2030: Alternative Worlds, p. 16, p.101

2- Richard Haas, "The Era of Disorder", Project Syndicate, October 27, 2014, http://www. projectsyndicate.org/commentary/new-era-of-global-instability-by-richard-n-haass-2014 - 10#qUH31dHfDvSIlZfm.99, تاريخ الاطلاع والتحميل: 30-10-2014

العالمية تغيرًا هائلاً منذ اندلاع الأزمة الأوكرانية، حيث تصاعدت المواجهات بين روسيا والولايات المتحدة وأوروبا، وقامت هذه الدول بفرض عقوبات اقتصادية، كما تم تجميد عضوية روسيا في مجموعة الثماني، حتى لقد اعتبر البعض تلك المواجهات الجديدة بين روسيا والغرب بداية لحرب باردة جديدة. وبالإضافة إلى ذلك، بدأت الولايات المتحدة تعزيز علاقات التعاون الأمني مع دول حليفة لها في آسيا، تطبيقًا لاستراتيجية إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ، كما اختارت أن تقف موقف المتفرج أمام نزاعات بعض الدول مع الصين على سيادة الأراضي، ما قد أثار التنافس الاستراتيجي مع الصين. ومع التغير الهائل في الأوضاع الجيوسياسية، بدأ الغرب يشك بشكل متزايد في عصر العولمة الذي جلب للصين مكاسب اقتصادية كبيرة، وأخذت ترتفع الأصوات ضد العولمة. كما انخفضت قيمة التجارة بين الصين واليابان والاتحاد الأوروبي بشكل هائل في الفترة بين 2011-2013، وكانت هذه السابقة الأولى منذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح. كما أخذت تتوالى إجراءات الحماية التجارية من دول الغرب تجاه الصادرات الصينية، وأصبحت شعوب الدول الغربية تنظر بسلبية إلى تأثيرات العولمة، كما أن الدول الغربية تقوم في الوقت الراهن ببناء أنظمة تجارية عابرة إقليميًّا تحاول إقصاء الصين، ومن علامات ذلك المميزة المحادثات حول "اتفاق الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية عبر المحيط الهادئTTP " و"اتفاق الشراكة التجارية والاستثمارية عبر المحيط الهادئ TTIP". في ظل هذه الظروف، تُرى هل سيظل السلم والأمن من خصائص العصر؟

مما لا شك فيه، أنه قد ظهرت في الفترة الأخيرة عناصر تؤثر سلبًا في الأوضاع الدولية، التي لا تتوافق مع السلم والتنمية باعتبارها قضايا العصر الأساسية. ولكن إن نظرنا إلى الأمر برؤية أبعد وبعين أشمل، سنكتشف أنه لا يمكننا أن نضع خطورة تلك المواجهات الحالية بين روسيا والدول الغربية على قدم المساواة مع تلك في فترة الحرب الباردة. وإذا نظرنا إلى نطاق هذه المواجهات، فسوف نجد أنها تقتصر على جزء واحد من أوروبا وليس العالم بأكمله كما كان الحال في الحرب الباردة. وتؤثر هذه المواجهات بصورة عميقة على البيئة الخارجية الروسية، بينما تشكل هذه المواجهات تحديات وتقدم أيضًا الفرص للبيئة الدولية الصينية. فمن ناحية، يُعد كل من الاتحاد الأوروبي وروسيا وأوكرانيا شركاء للتعاون بالنسبة للصين. ولكن دخل اليوم شركاء التعاون في مواجهات حادة فيما بينهم، ما يؤدي حتمًا إلى أزمات أمام الصين في تطوير علاقاتها مع هذه الأطراف

الثلاثة. ولكن لم تمس هذه التحديات المصالح الجوهرية الصينية، وعلى الرغم من وجود صعوبات إلا أنه يمكن مواجهتها. ومن الناحية الأخرى، دفعت الأزمة الأوكرانية كلًّا من روسيا والاتحاد الأوروبي وأوكرانيا والولايات المتحدة إلى البحث عن علاقات للتعاون مع الصين، إما للحصول على دعم استراتيجي أو مواقف محايدة منها، أو سعيًا وراء الأسواق ورءوس الأموال الصينية. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة قد طبقت استراتيجية إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ، ولكن نظرًا للأزمات المالية والاضطرابات في أوروبا والشرق الأوسط، من المحتمل أن يكون دور الولايات المتحدة محدودًا في تدعيم هذه الاستراتيجية الجديدة، حيث لم تحصل على دعم قوي في آسيا إلا من بعض الدول القليلة. ولذلك إذا اتخذت الصين الاستراتيجيات المناسبة، فلن تستطيع أي دولة تطبيق أي استراتيجيات تقويضية على شئونها العسكرية والاقتصادية. طبقًا لتجارب المنافسة بين الصين والولايات المتحدة خلال العامين الماضيين، يمكننا أن نقول إنه قد احتدمت المنافسة الجيوستراتيجية بين البلدين، ولكن يمكن للصين مواجهة التحديات من الولايات المتحدة وحلفائها في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، بالاستناد إلى ابتكاراتها في الاستراتيجيات والسياسات. وفي خلال قمة الأبيك في نوفمبر عام 2014، توصل القادة الصينيون والأمريكيون إلى تفاهمات مشتركة، بشرت بآفاق مستقبلية لذلك النمط الجديد من العلاقات بين الصين والولايات المتحدة. ولذلك لا ينبغي أن نفقد ثقتنا في السلم باعتباره أهم قضايا العصر.

وبالإضافة إلى ذلك، علينا أيضًا أن نتمتع بثقة كاملة بالتنمية كقضية أخرى مهمة في هذا العصر. فما تواجهه الدول الغربية من أزمات اقتصادية في الوقت الراهن يعكس أن التنمية مهمة ليس لها نهاية. فلن تستطيع الدولة تحقيق مزيد من التقدم في ظل التكامل الاقتصادي المتزايد في العالم إلا بالسعي والمثابرة والابتكار حتى وإن وصلت الدولة إلى مستوى الدول المتقدمة. وفي مواجهة الأصوات والممارسات الداعية إلى التخلص من العولمة، يمكن للصين أن توسع من انفتاحها على الأسواق، وأن تبادر بدفع الانفتاح على اقتصادات الدول المجاورة أو الدول على المستوى العالمي بصفة عامة، وبذلك تدفع الصين التنمية العالمية من خلال تنميتها، وتتجنب حروبًا تجارية تسعى إلى المصالح على حساب الغير. ومع النمو الضعيف للتجارة العالمية في الوقت الراهن، يمكن للصين أن تحقق التواصل البحري والبري من خلال استراتيجية "الحزام والطريق"، وأن تربط بين

اقتصادات جميع الدول بشكل وثيق من خلال الاستثمارات والمساعدات الخارجية التي قد نمت نموًا سريعًا خلال السنوات الماضية.

ثالثًا: تحول المفاهيم الدبلوماسية: على الرغم من أن مكانة قوة الدولة الصينية وبيئتها الخارجية لم تشهد تغييرات ثورية، ولكن إذا شهدت المفاهيم الدبلوماسية الصينية تغيرات ثورية، فمن الممكن أن يؤدي ذلك إلى حدوث ثورة دبلوماسية. وبالتأكيد تتغير المفاهيم الدبلوماسية الداخلية مع تغير البيئة المحيطة بشكل عام وتتأثر بها تأثرًا كبيرًا. ولكن طبقًا للمدرسة البنائية، تأتي المفاهيم في المقام الأول، ثم تُبنى على أساسها الاستراتيجيات والسياسات. ويرى البحث أنه إذا ظهرت داخل الصين توجهات دبلوماسية جديدة تدعو إلى النزعة المركزية الصينية، وتستفز المشاعر القومية، أو تهاجم النزعة الواقعية، فستشهد الصين ثورة دبلوماسية، ولكنها ليست النوع الذي نرتضيه.

ظلت الصين مركزًا للقارة الآسيوية لفترات طويلة على مدار التاريخ، وحافظت على أنظمة تنظر إلى الصين على أنها مركز القارة. وقد أدت هذه الأنظمة إلى استقرار أكبر مقارنةً بالأنظمة في القارة الأوروبية[1]. ولكن يُعد من أهم خصائص هذا النظام، تفريقه الطبقي بين الدول الكبرى والصغرى، الأمر الذي لا يتفق أبدًا مع المبادئ الأساسية في الأنظمة الدولية الحالية. ثم بعد تأسيس الصين الجديدة، ظهرت الصين من جديد كدولة كبرى في القارة الآسيوية. وكان رئيس مجلس الدولة الصيني شو إن لاي يهتم اهتمامًا خاصًا بتحقيق التوازن بين الدول الكبرى والصغرى، فقال: "إن الصين دولة كبرى، ومن السهل أن تفقد احترامها للدول الصغرى؛ ولذلك ننبه الناس دائمًا إلى المشكلات الفكرية التي تسببها هذه النزعة"[2], واليوم تصبح الصين من جديد أولى الدول الكبرى في القارة الآسيوية، الأمر الذي قد يتسبب في ظهور النزعة المركزية الصينية باعتبارها دولة كبرى. ولكن إذا أصبح النظام الأبوي التقليدي هو الدعامة الفكرية التي تعالج بها الصين علاقاتها مع الدول الصغرى، فسوف تتلاشى المبادئ الأساسية الداعية إلى احترام السلطة وعدم التدخل في السياسة الداخلية.

1- David Kang, China Rising : Peace, Power, and order in East Asia, New York: Columbia University Press, 2007, p.41.

2- وزارة الخارجية الصينية ومركز بحوث وثائق الحزب للجنة المركزية للحزب الشيوعي، "مختارات شو إن لاي في المجال الدبلوماسي"، بكين، دار نشر وثائق الحزب للجنة المركزية للحزب الشيوعي، 1990، ص132-131.

لقد مرت الصين في تاريخها الحديث بنحو قرن ونصف من الاستعمار، حتى كادت الدولة تهلك. وقد لعبت النزعة القومية المتأثرة بالغرب دورًا مهمًا لإنقاذ البلاد. وعلى الرغم من أن الصين قد حققت إنجازات بارزة سواء على مستوى تقوية الدولة أو تحقيق الرخاء فيها منذ تأسيس الصين الجديدة، فإن الصين لم تتوحد بشكل تام، ولم يتوقف التدخل الخارجي في شئونها الداخلية. ولقد استفزت هذه المحن المشاعر القومية الصينية، حيث نادت الصين بتحقيق المصالح في المقام الأول، ووضعت الفوز المشترك والتعاون جانبًا، وأصبح استخدام القوة خارجيًا أمرًا مشروعًا. وبالإضافة إلى ذلك، يعتقد الصينيون أنه بما أن الدول الغربية يمكنها اليوم القيام بالتحالفات في كل مكان، وتفعيل سياسات الهيمنة تحت كل المسميات، والقيام بالتدخل العسكري في الدول الأخرى، إذن فلماذا لا يمكن للصين الاقتداء بهذا المثل إذا توفرت لها القدرة؟

بالرغم من أن هذه الأفكار لها تواجد حقيقي في الصين، لكن يستبعد البحث أن تصبح هذه الأفكار أفكارًا أساسيةً في الدبلوماسية الصينية إلا إذا شهدت البيئة الخارجية تغيرات جذرية. فعلى مستوى صانعي القرارات، لا يزال الطريق الدبلوماسي لدى الحزب والدولة يتمسك بالمبادئ الجوهرية في الدبلوماسية الصينية. وعلى مستوى الشعب، يتمتع الشعب الصيني بأفكار ومواقف صحية على مستوى الشئون الخارجية. وبحسب دراسة قام بها بعض الباحثين الأستراليين في الفترة الأخيرة، دعم العدد الأكبر من المشاركين في الدراسة الإجراءات التي تتخذها الدولة في نشر موقف الصين حيال النزاعات البحرية في بحر الصين الشرقي والجنوبي، كما دعم عدد كبير أيضًا اللجوء إلى المحادثات لمعالجة القضايا، بينما دعم أقل من نصف المشاركين في الدراسة اللجوء إلى التدخل العسكري لحل الأزمات[1].

1- Eric Fish, "A Glimpse into Chinese Nationalism", The Diplomat, November 7, 2014, http://thediplomat.com/2014/ll/a-glimpse-into-chinese-nationalism12-11-2014 :تاريخ الاطلاع والتحميل.

الخاتمة

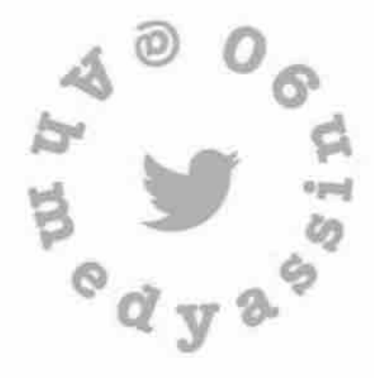
يجب على الصين أن تقوم بابتكارات دبلوماسية في ظل العصر الحديث الذي تزداد فيه قوة الدولة الصينية وتتعقد فيه التحديات الخارجية. لقد عالج البحث هذه الابتكارات الدبلوماسية في خمسة جوانب أساسية، ألا وهي: الابتكار في تحديد هوية الذات، ووضع الاستراتيجيات، وبناء الأنظمة، واستخدام الوسائل الدبلوماسية، واختيار الأساليب، ما يعكس أن الصين تشهد تغيرات واسعة وعميقة. ومع ذلك لا يمكننا اعتبار هذه الابتكارات ثورة دبلوماسية. فلم تتغير المبادئ والأساليب الدبلوماسية الصينية تغيرًا جوهريًا، فلا تزال الصين تعتبر نفسها نمطًا جديدًا من الدول الكبرى، ولا تزال التنمية جوهر الأجندة الدبلوماسية الصينية، كما تتمسك الصين بدبلوماسية الصداقة وعدم الانحياز، وتنادي باحترام سيادة الدولة والمساواة وحظر استخدام القوة. وإذا تأملنا المستقبل، فسنجد أن المبادئ والوسائل الدبلوماسية الأساسية الصينية لن تشهد تغيرات ثورية حتى بحلول عام 2030، إلا إذا شهدت البيئة الخارجية تغيرات جذرية.

ولكن هذا لا يعني أنه ينبغي على الصين التمسك بهذه المبادئ والوسائل تمسكًا أعمى. فعلى الرغم من أن الصين لن تشهد ثورة دبلوماسية، إلا أن الدبلوماسية الصينية سوف تشهد تغيرات مهمة من حيث ما تحدده من أهداف وهوية ذاتية، وما تستخدمه من وسائل واستراتيجيات دبلوماسية. فستظهر خصائص دبلوماسية جديدة باعتبار الصين دولة كبرى، وسوف تلعب دورًا رياديًا على المستوى العالمي. وعلى الرغم من أن المشاركة في الشئون الخارجية لن تحل محل الدبلوماسية التنموية، إلا أنه سوف تزداد أهميتها بشكل كبير، وستتدخل الصين بشكل أكبر في شئون الدول الأخرى ولكن مع احترام سيادة باقي الدول. كما سوف تحظى الصين على فضاء أكبر لتعزيز دبلوماسية القوة، وسوف تلعب قوة الجذب ووسائل القوة الصينية دورًا مهمًا. وسوف تدفع الصين بالدبلوماسية الثنائية ومتعددة الأطراف بشكل أكبر.

وفي ظل المرحلة الحالية، ينبغي على الصين أن تستفيد من التجارب الإيجابية والسلبية التي مرت بها الدول الرائدة، وأن تبتعد عن أية إغراءات قد تأتي بها السلطة، وأن تتمسك بالمبادئ والقوانين الدبلوماسية، وأن تجمع بين خصائصها الاشتراكية، ومصالحها

العالمية، واستراتيجياتها الداخلية، وأن تعزز دورها كدولة كبرى جديدة اعتمادًا على ابتكاراتها الدبلوماسية.

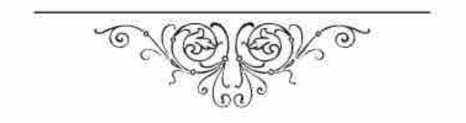
تم نشر هذه الدراسة في العدد الرابع من مجلة "الاقتصاد والسياسة الدولية" في أكتوبر 2014. كما تم نشر جزء منها خلال ورشة عمل عقدتها أكاديمية العلوم الاجتماعية بشنغهاي بتاريخ 20-9-2014 تحت عنوان "الدبلوماسية الصينية في أعقاب المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني: استراتيجيات وتأملات".

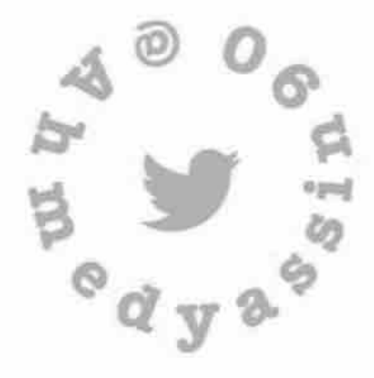

@Ahmedyassin90

الكوزموبوليتانية الصينية

دراسة حول العلاقات الخارجية وأنظمتها

رن شياو




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: تناقش هذه الدراسة تحوّل الرؤية الصينية القديمة للعالم إلى ما يُعرف بالكوزموبوليتانية الصينية الجديدة، وما يمكن أن تقدمه من إسهامات فكرية بناءة في عالمنا اليوم. نشأت الكوزموبوليتانية في الصين منذ أسرة تشو الملكية، وتطورت على مدار فترات تاريخية طويلة بدءًا من أسرة تشين خان حتى أسرتي مينغ وتشينغ؛ ولذلك تتميز بمفاهيم متأصلة وتأثيرات عميقة وبعيدة. ويشمل مفهوم الكوزموبوليتانية الصينية بعض العناصر الجوهرية، وهي: امتداد العلاقات الخارجية في شكل دوائر لا حدود لها، ومفاهيم منظومية تحدد مكانة الأطراف داخليًّا وخارجيًّا، وتوجه يدعو إلى انسجام العالم في أسرة واحدة، وبناء ثقافي يتميز بالثقة في النفس والتأمل في مكنونها. وفي ظل هذا البناء الثقافي، قد تتغير هوية الفاعلين؛ لأنه ليس هناك "آخر" مطلق، إنما هناك "ذات" نسبية. وبالتالي يمكن للكوزموبوليتانية الصينية أن تتحول إلى مصدر فكري مهم يثبت أنه يمكن للثقافة الصينية أن تقدم إسهامات فكرية بناءة للعالم، بعدما تتخلص مما تحويه من تفرقة بين الطبقات العليا والدنيا أو بين الرؤساء والتابعين. وتتميز الكوزموبوليتانية الصينية بخمس خصائص مهمة: أولًا، تحتوي الآخر ولا تقصيه. ثانيًا: تتمتع بعلاقات متغيرة. ثالثًا: يعتمد التغيير فيها على العنصر الثقافي وليس اللجوء إلى استغلال القوة. رابعًا: تعتمد على قوة الجذب والكاريزما. خامسًا: تأتي وسائل التغيير اختيارية وليست إجبارية. خامسًا: هدفها الأسمى هو انسجام العالم في أسرة واحدة.

الكلمات المفتاحية: الكوزموبوليتانية؛ الرؤية الصينية للعالم؛ الثقافة الصينية التقليدية؛ الفكر الكونفوشي؛ العلاقات الخارجية الصينية.

الباحث: رن شياو، أستاذ بجامعة فودان، ومدير مركز الدراسات الدبلوماسية الصينية بالجامعة.

أولًا: تمهيد:

إن الكوزموبوليتانية هي مفهوم يعالج القضايا العالمية بمفهوم المواطنة العالمية، وتُعرف في اللغة الإنجليزية بـcosmopolitanism. ويرجع أصل هذا المصطلح إلى كلمة cosmo بمعنى "العالم" أو "الكون"، وقد نشأ في الغرب تأثرًا بالفكر اليوناني والروماني. فيُقال إنه عندما سُئل سقراط عن موطنه، لم يجب بـ"أثينا" وإنما قال موطنه هو "العالم". وطبقًا للفلسفة الرواقية في اليونان القديمة، يتجاوز مفهوم النظام الاختلافات القانونية والحياتية بين الشعوب المختلفة؛ إذ ينبع من الأنظمة الطبيعية التي يمكن أن يستوعبها المنطق. وامتزجت هذه الفلسفة القديمة بعد ذلك بتعاليم المساواة في الديانة المسيحية. وحفّزت نظرية القانون الطبيعي في الفلسفة الرواقية مفهوم مدينة الإله المسيحي، ثم تطورت في شكل نظرية القانون الطبيعي المعروفة في النظريات السياسية الحديثة. والشخص الكوزموبوليتاني هو الذي يُبعد نفسه عن تقاليد وقوانين الجهات السياسية التي ينتمي إليها على المستوى الفكري أو التطبيقي، ويحكم على الأمور من مستوى أرفع[1]. وبحسب آراء بعض الباحثين، يُقصد بالكوزموبوليتانية على مدار تاريخ الفلسفة الغربية: بناء كيان موحد يحتوى الآخر على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي، وتتمتع فيه الشعوب والأفراد بالمساواة[2]. قد يختلف البعض حول هذا التعريف ويتناولونه بالنقاش، ولكن لا شك في أن الكوزموبوليتانية هي مفهوم فكري ينظر إلى العالم نظرةً مجملةً ويعتبره كيانًا يتمتع بـ"رحابة الصدر".

وفي ضوء ما سبق، نكتشف أن الصينيين ينفردون بمفهوم كوزموبوليتاني خاص بهم. فالكوزموبوليتانية الصينية تضرب بجذور بعيدة في التاريخ، وتتجسد بشكل قوي في رؤية الصين القديمة للعالم، التي تُعرف في اللغة الصينية بـ"تيان شيا" (تعني "تيان" السماء، و"شيا" بمعنى أسفل، أي أن العالم بالنسبة للصينيين هو كل ما تحت السماء).

يُعد مصطلح "تيان شيا" مصطلحًا شائعًا ويُستخدم بشكل واسع. ولكن كغيره من

1- Seyla Benhabib, "Cosmopolitanism and Democracy: Affinities and Tensions": The Hedgehog Review, 2009, pp. 30-41.

2- جيانغ نينغ كانغ: "تيان شيا والإمبراطورية"، دار نشر جامعة نانجينغ، 2010، ص14، ملحوظة رقم 2.

المصطلحات، يُستخدم للتعبير عن دلالات مختلفة، الأمر الذي يتطلب تحليلاً دقيقًا من الباحثين. لقد حظي مفهوم "تيان شيا" باهتمام واسع من المتخصصين في العلاقات الدولية وأُثيرت حوله المناقشات الساخنة، بعدما تناول الفيلسوف الصيني تشاو تينغ يانغ نظرية تيان شيا في كتابه بعنوان "نظام تيان شيا - دليل فلسفي للأنظمة العالمية"[1] الصادر في عام 2005. وفي عام 2006، ألقى المؤرخ الصيني وانغ جنغ وو محاضرة حول هذه القضية في جامعة هارفارد، ولكنها لم تنل اهتمامًا كبيرًا[2]. وبعد ذلك ظهرت العديد من الأبحاث في الصين التي تناقش بعض القضايا ذات الصلة[3]، منها بحث فنغ وي جيانغ الذي تناول نظام "تيان شيا" من منظور علم الاقتصاد، ولكن كان هذا البحث يفتقر إلى المعالجة التاريخية والفكرية، ولم يضع تعريفًا محددًا لـ"نظام تيان شيا". وبالإضافة إلى ذلك، لاحظنا أخطاء خطيرة وقعت فيها أبحاث البعض حول هذه القضية (معظمهم من الباحثين الأجانب)، حيث ربطت بين المفاهيم الأكاديمية والسياسات الرسمية، معتقدين أن النقاشات حول مفهوم "تيان شيا" تعكس محاولات الصين للسعي إلى الهيمنة[4]. ويُعد تفسير تشاو تينغ يانغ لمفهوم "تيان شيا" منقوصًا، لأنه اكتفى بإعادة شرح المفهوم على المستويين الفلسفي والفكري فقط، دون التطرق إلى الوقائع التاريخية، ولذلك ينتقده البعض بأنه "مثالي". وعلى الرغم من ذلك لا ننكر أن كثيرين قد اعترفوا بأهمية هذه الدراسات.

وتنطلق التأملات السابقة من استعراضنا لأبرز القضايا في عالمنا المعاصر المليء بالفوضى، والتي يعجز الفكر الغربي عن مواجهتها. ففي نهايات الحرب الباردة، صرح فرانسيس فوكوياما أن التاريخ قد انتهى بانتشار الليبرالية والديمقراطية. ثم بعد بضع

1- تشاو تينغ يانغ: "نظام تيان شيا- دليل فلسفي للأنظمة العالمية"، دار نشر جيانغسو التعليمية، نانجينغ، 2005.

2- Wang Gungwu, "Tianxia and Empire: External Chinese Perspective", Inaugural Tsai Lecture, Harvard University, May 4, 2006.

3- نُشرت هذه الأبحاث خلال السنوات الأخيرة في مجلة "الاقتصاد والسياسة العالمية". وهي كالآتي بحسب ترتيب تواريخ النشر: شاو تينغ يانغ، "عرض بسيط لنظام تيان شيا"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2008، عدد 10، ص65-57. فنغ وي جيانغ، "مناقشة خصائص نظام تيان شيا، وأسباب نشأته وسقوطه، وموروثاته"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2011، عدد 8، ص-4 29. لي مينغ مينغ، "السياسة والحوكمة في فكر تيان شيا"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2011، عدد 12، ص-109 125.

4- William A. Callahan, "Chinese Visions of World Order: Post-hegemonic or a New Hegemony?" International Studies Review, Vol. 10, No. 4, 2008, pp. 749-761.

سنوات، لاحظ صامويل هانتنغتون ظهور بوادر لصدام الحضارات في السياسة الدولية[1]. وفي عام 2001، هزّت أحداث الحادي عشر من سبتمبر العالم بأكمله، وأصبحت قضية صراع الحضارات حقيقةً على أرض الواقع. ولذلك شنّت الولايات المتحدة الحرب على أفغانستان والعراق، ولكن جاءت النتائج محزنة ومخيبة للآمال. وظلت الولايات المتحدة والدول الغربية في حيرة من أمرها في مواجهة العالم الإسلامي المعقد. ثم في النصف الأول من عام 2014، اندلعت الأزمة الأوكرانية التي جذبت انتباه العالم. وبعد عزل فيكتور فيدوروفيتش يانوكوفيتش، تخلخلت التوازنات التي كانت قائمة بين شرق وغرب أوكرانيا وبين روسيا وباقي الدول الغربية. ولذلك تحركت روسيا على الفور واستولت على القرم، ولجأت الحكومة الأوكرانية في كييف إلى القوة في المنطقة الشرقية بدعم من الغرب. ولكن الغرب الذي ينادي بـ"الحرية والديمقراطية" عجز عن حل القضايا العالمية، بل على العكس أُثير المزيد من الفوضى والاضطرابات في مواقف عديدة. وبالتالي تثبت الحقائق أن اللجوء إلى الأفكار الغربية يعجز عن حل القضايا العالمية المعقدة. فهناك حاجة إلى استحداث أفكار جديدة، تقوم بالمعالجة المناسبة للقضايا العالمية، ليصبح العالم أكثر نظامًا وانسجامًا.

وعلى هذه الخلفية، ينبغي على الفكر الصيني أن يقدم إسهاماته للعالم، وهو أمر يمكن تحقيقه حسبما اعترف العديد من المفكرين. ولعلنا لا نزال نسمع صدى حكمة العالم الصيني في شياو تونغ حتى يومنا هذا، حيث قال: "عندما تحترم ثقافات وقيم الغير كما تحترم ثقافتك وقيمك، يصبح العالم كيانًا منسجمًا"[2]. ولكن المشكلة هي أن هذه الإسهامات الفكرية تحتاج إلى جهود استكشافية عميقة وتحولات مبتكرة، ويتفق هذا التوجه مع ما ذكره الباحث الصيني المشهور في الولايات المتحدة لين يو شنغ عندما قال: "ينبغي علينا إعادة وضع مفاهيم معاصرة للسمات الجمالية في العلوم الإنسانية الصينية

1- Samuel P. Huntington, "The Clash of Civilizations?" Foreign Affairs, Vol. 72, No. 3, 1993, pp.22-49

2- طبقًا لما ذكره فو شياو تونغ، فقد ابتكر هذه الحكمة خلال "الندوة الدولية للدراسات الاجتماعية في شرق آسيا" المنعقدة في طوكيو بتاريخ ديسمبر عام 1990. انظر: في شياو تونغ، "أبحاثي في الصين- تجربة شخصية"، تحرير مركز الدراسات الاجتماعية والإنسانية في جامعة بكين، "الدراسات الاجتماعية في شرق آسيا"، بكين، دار نشر جامعة بكين، 1993، ص19-10. في شياو تونغ، "المزيد عن أبحاثي في الصين"، تحرير مركز الدراسات الاجتماعية والإنسانية في جامعة بكين، "الدراسات الاجتماعية في شرق آسيا"، ص165-161.

التقليديـة"[1]. ولا يخلـو مفهـوم "تيـان شـيا" مـن هـذه "السـمات الجماليـة"، التـي تُعتبر عميقـة ومهمة وغنيـة؛ لأنهـا ذات طابـع صينـي، ونشـأت عـلى مـدار تاريـخ الثقافـة الصينيـة الطويـل والممتـد. وتـرى هـذه الدراسـة أنـه يمكـن للكوزموبوليتانيـة الصينيـة المتمثلـة في مفهـوم تيـان شـا أن تقـدم إسـهامات فكريـة جديـدة للعـالم بعـد المـرور ببعـض التحـولات المبتكـرة أو الابتـكارات التحوليـة. وسـوف تتنـاول هـذه الدراسـة أولًا مفهـوم "تيـان شـيا" مـن زاويـة تاريخيـة فكريـة، لتـشرح ماهيـة هـذا المفهـوم، ثـم بعـد ذلـك سـوف تناقـش الكوزموبوليتانيـة الصينيـة المتمثلـة في رؤيـة الصـين القديمـة للعـالم (تيـان شـيا)، محـاولًا بعـد ذلـك الوقـوف عـلى مـا يمثلـه مفهـوم تيـان شـيا مـن مغـزى عالمـي.

1- لين شو شنغ، "التحول المبتكر في التقاليد الصينية"، مكتبة سان ليان، بكين، 1988، جزء "التمهيد".

ثانيًا: ما هو مفهوم "تيان شيا"؟

"تيـان شـيا" معناهـا الحـرفي "كل مـا تحـت السـماء". وبالنسـبة للقدمـاء الصينيـين، فـإن "تيـان" أي "السـماء" بعيـدة غامضـة، ولكـن لهـا وجـود واضـح يهابـه النـاس، ولذلـك يعتبرونهـا شـيئًا مقدسًـا. ونظـرًا إلى أن الحضـارة الزراعيـة الصينيـة تعتمـد عـلى الريـاح والأمطـار الخـيرة للحصـول عـلى الحصـاد الوفـير لـكل المحاصيـل؛ لذلـك يقـدم الصينيـون القرابـين إلى السـماء طالبـين البركـة والعنايـة. وعـلى الرغـم مـن أن "السـماء" شيء غـير ملمـوس، فبالنسـبة للصينيـين يمتـد وجودهـا في كل مـكان، وتُعتـبر كائنًـا حيًّـا لديـه القـدرة عـلى الحكـم عـلى الأمـور، وحمايـة النظـام في حياتهـم والطبيعـة المحيطـة بهـم. وعـلى هـذا الأسـاس، يعتقـد الصينيـون أن الكـوارث الطبيعيـة عـادةً مـا تكـون نذيـرًا بانقـلاب السـلطة[1]. ولذلـك دائمًـا مـا كان الحـكام يسـتعينون بالسـماء لحمايـة سـلطاتهم، فيسـمي الإمبراطـور نفسـه بـ"ابـن السـماء" ويسـمي بلاطـه الملـكي "مملكـة السـماء".

ولقـد تطـور مفهـوم "تيـان شـيا" في حكـم أسرة تشـو الملكيـة، ويسـميه عـالم الصينيـات الأمريـكي بنجامـين تشـوارتز بـ"السـلم الممتـد في ظـل حكـم أسرة تشـو (ica-PaxChou)"[2]، الـذي خلـق حالـة مـن النظـام والاسـتقرار في عـالم "متحـضر" واسـع خـلال فـترة أسرة تشـو الملكيـة.

وطبقًـا لبعـض الدراسـات، نشـأ مسـمى "الصـين" ومفهـوم "تيـان شـيا" بشـكل رسـمي في بدايـة أسرة تشـو. ثـم في أواخـر أسرة تشـو الغربيـة، اسـتخدمت كلمـة "تيـان شـيا" للتعبـير عـن معنيـين مختلفتـين، أحدهـما معنـى واسـع وآخـر ضيـق. ويشـير المعنـى الواسـع إلى كل مـا تحـت السـماء، والـذي تشـع عليـه الشـمس وتطـأ عليـه قـدم الإنسـان. أمـا المعنـى الضيـق فيشـير إلى جميـع أنحـاء "الصـين" فقـط[3]. وتـوارث شـعب أسرة تشـو مفهومًـا مهـمًّا عـن أسرة شـانغ يفـرق بـين المسـتويات الداخليـة والخارجيـة لإدارة شـئون الدولـة. وبحسـب هـذا المفهـوم

1- لين بي تشاو: "السياسة الدولية والسياسات الدبلوماسية"، شركة وو نان للنشر، 2013، ص195.

2- بنجامين شوارتز: "العالم الفكري في الصين القديمة"، ترجمة تشنغ جانغ، دار نشر الشعب في جيانغسو، 2008، ص59.

3- شينغ يي تيان: "العالم أسرة واحدة- مفهوم تيان شيا عند الصينيين"، نقلا عن ليو داي: "التيار الدائم"، شركة ليان جينغ للنشر، 1983، ص442-441.

هناك أمراء مسئولون عن الشئون الخارجية وموظفون حكوميون مسئولون عن الشئون الداخلية. ويشكل هذا المفهوم هيكلًا دفاعيًا للدولة، يتخذ من ابن السماء (الإمبراطور) مركزًا له، ثم يحيط به من الخارج أمراء الدولة، وتتلوه بعد ذلك القوميات الأجنبية الأربع (التي كان يطلق عليها الصينيون قديمًا مسمى البربر)[1]. ويمثل هذا الهيكل نموذجًا مصغرًا لمفهوم تيان شيا عند الصينيين، الذي ينقسم إلى مفهوم مكاني ومفهوم طبقي.

ولكن هناك مفهوم أعمق وأهم من المفهومين السابقين، وهو المفهوم الثقافي، الذي ينعكس بشكل واضح في تسمية شعب أسرة تشو بقومية "شيا" أو "تشو شيا"، في حين أُطلقت الأسماء "يي" و"مان" و"رونغ" و"دي" على القوميات الأجنبية الأربعة الأدنى ثقافيًا وأقل تطورًا. وأخيرًا وليس آخرًا، لقد أطلق شعب أسرة تشو على أنفسهم أيضًا مسمى "خوا شيا" وصفًا لفخامة وسمو ثقافتهم. فإن "شيا" (بمعنى ضخم) تشير إلى الآداب الاحتفالية الصينية، و"خوا" (بمعنى فخم) تشير إلى الملابس الفاخرة التي كان يرتديها الصينيون حينئذ. وبهذا الشكل اكتسب مفهوم تيان شيا مغزاه الثقافي، حيث يتألف العالم (تيان شيا) من ثقافة قومية خوا شيا الراقية وثقافة البربر المتدنية.

وبمعنى آخر، أسس شعب أسرة تشو الصينية مفهومًا ثقافيًا يفرق بين "الذات" و"الآخر" وفقًا للفروق الثقافية. وكان اليونانيون القدامى أيضًا يعتبرون الشعوب المحيطة بهم من "البربر"[2]. ويعتقد بنجامين شوارتز أن "الثقافة هي التي تحول الإنسان من مجرد فرد إلى عضو مستقل في المجتمع البشري"[3].

وتعود الفروق بين الثقافات إلى تفاوت مستويات تطور القوى الإنتاجية واختلاف أساليب الحياة، ما تسبب في نشأة الشعور بالفوقية في ثقافة "خوا شيا" عند أهل أسرة تشو. وينعكس هذا الوعي بشكل واضح في "كتاب الطقوس"، الذي قد شرح بشكل منسق مفهوم تيان شيا عند الصينيين: "كان الناس من الاتجاهات الخمسة (الصينيون في المركز وحولهم البربر) كل له طبيعته التي لم تتغير؛ كانت قبائل الشرق تُدعى "يي"، وهم أصحاب شعر أشعث وأجساد موشومة، ومنهم من كان يأكل الطعام نيئًا. وكانت

1- شينغ يي تيان، "العالم أسرة واحدة- مفهوم تيان شيا عند الصينيين"، نقلا عن ليو داي: "التيار الدائم"، ص445-443.

2- Robert N. Berki, The History of Political Thought: A Short Introduction, London and Melboune: Dent, 1977, p.42.

3- بنجامين شوارتز: "العالم الفكري في الصين القديمة"، ص361.

قبائـل الجنـوب تُدعـى "مـان"، وهـم أصحـاب جبـاه موشـومة وأرجـل معوجـة، وكان منهـم أيضًـا مـن يـأكل الطعـام نيئًـا. وكانـت قبائـل الغـرب تُدعـى "رونـغ"، وهـم أصحـاب شـعر أشـعث ويرتـدون الملابـس الجلديـة، وكان منهـم مـن لا يـأكل الحبـوب. أمـا القبائـل في الشـمال فكانـت تُدعـى 'دي'، وكانـوا يرتـدون جلـود الحيوانـات والطيـور، ويعيشـون في الكهـوف، ومنهـم أيضًـا مـن كان لا يـأكل الحبـوب"[1]. وقـد لاحظنـا مـما سـبق اختـلاف القبائـل البربريـة عـن القوميـة الصينيـة مـن حيـث المـأكل والملبـس، وكيـف كانـت ثقافـات هـذه القبائـل أدنى في المسـتوى مـن قوميـة خـوا شـيا الصينيـة. كـما كانـت هنـاك عنـاصر مختلفـة تدخـل في إدارة دولـة الصـين، منهـا: "الشـعر والعلـوم والآداب العامـة والفنـون والقانـون"، الـذي يبتعـد كل البعـد عـن القبائـل البربريـة. ويتضـح لنـا مـما سـبق أن الصينيـين القدامـى كانـوا يعتـبرون أنفسـهم كيانًـا ثقافيًـا، حيـث كانـت أنظمـة المراسـم الاحتفاليـة والآداب العامـة تمثـل علامـة مميـزة للحضـارة، في حـين كانـت المفاهيـم حـول الحـدود السياسـية ضعيفـةً هشـةً.

وعـلى الرغـم مـن أنـه كانـت هنـاك فـروق بـين قوميـة خـوا شـيا الصينيـة وقبائـل البربـر عـلى المسـتوى الثقـافي، ويختلـف الاثنـان في مسـتويات التطـور، فإنـه لا يمكـن فصلهـما بشـكل قاطـع؛ لأنـه يمكـن أن يقبـل كل منهـما التغيـير. ومـما لا شـك فيـه، تُعـد ثقافـات قبائـل البربـر أدنى مـن ثقافـة قوميـة خـوا شـيا الصينيـة، ولكـن مـن الممكـن لهـذه القبائـل أن تتهـذب وتصبـح أكـثر تحـضرًا نتيجـة لاختلاطهـا بقوميـة خـوا شـيا. وعـلى الجانـب الآخـر، عـلى الرغـم مـن أن حضـارة خـوا شـيا أكـثر الحضـارات سـموًا، لكـن هـذا لا يعنـي إقصاءهـا للغـير وعـدم اسـتفادتها منـه، فلقـد تعلمـت قوميـة خـوا شـيا الرمايـة وركـوب الخيـل مـن الآخـر، وتأثـرت البوذيـة بالخـارج قبـل أن يُضفَـى عليهـا بعـض التعديـلات لتتحـول إلى عقيـدة ذات طابـع صينـي.

يلخـص المـؤرخ الصينـي شـينغ لي تيـان مفهـوم تيـان شـيا في كونـه "قواعـد تجمـع بـين الثقافـة والمكانـة والتقسـيم الطبقـي". وقـد أشـار إلى أنـه "قـد نضـج مفهـوم تيـان شـيا عنـد الصينيـين تدريجيًّـا منـذ فـترة الخريـف والربيـع حتـى عـصر الممالـك المتحاربـة. فالعديـد مـن المفاهيـم التـي كانـت متشرذمـة في المـاضي، إمـا اندمجـت في نظـام واحـد أو حفـزت مفاهيـم أخـرى جديـدة داخـل عقـول الفلاسـفة الصينيـين مـا قبـل أسرة تشـين"[2]. ولقـد تشـكلت هـذه

1- انظر شروح وانغ ون جين "شروح كتاب الطقوس"، بكين، شركة تشونغ خوا للنشر، 2001، ص176.

2- شينغ يي تيان، "العالم أسرة واحدة- مفهوم تيان شيا عند الصينيين"، نقلا عن ليو داي: "التيار الدائم"، ص453.

القواعد من اندماج كل من الثقافة والمكانة والتقسيم الطبقي، التي تختلف ما بين القومية الصينية وقبائل البربر. فتتألف الرؤية الصينية القديمة للعالم (المعروفة بـ"تيان شيا") من قومية خوا شيا الصينية وقبائل البربر أيضًا (وهم مان ويي ورونغ ودي). والصين أو قومية خوا شيا هي دولة العلوم والفنون، كما تحتل المركز الداخلي على المستوى الطبقي، وتتبوأ المكانة المركزية. في حين تحتل قبائل البربر المكانة الخارجية على المستوى الطبقي، وتحتل المكانة الفرعية. ونظرًا إلى أن الصين تحتل مركز العالم من حيث المكانة والمستوى الطبقي، بالتالي يمكنها أن تمد جسور الثقافة إلى الخارج بلا حدود، حتى تحقق هدفها الأسمى، وهو انسجام العالم في أسرة واحدة[1]. ويُعد هذا التفسير الدقيق والعميق هو القاعدة الأساسية التي سوف تعتمد عليها هذه الدراسة لمناقشة مفهوم تيان شيا بشكل أعمق فيما يلي.

طبقًا لدراسات تشن لاي حول الفكر الصيني وتحولاته في عصر أسرة تشو الملكية، فقد نشأ الفكر الإنساني الصيني من ثقافة الآداب العامة والفنون في أسرة تشو، ثم نما ونضج بشكل أكبر في فترة الخريف والربيع. ومن أهم خصائص الثقافة والفكر الصيني في فترة الخريف والربيع، تراجع المفاهيم المقدسة، والنهضة الواسعة للتيارات الفكرية الإنسانية. حيث لم تعد الثقافة في أسرة تشو تعتمد على القوانين المقدسة، وإنما اعتمدت على قوانين الآداب العامة التي وضعتها التجمعات البشرية[2]. وقد شهدت الفترات الأخيرة من فترة الربيع والخريف التي استمرت نحو 300 عام تغيرات اجتماعية، حوّلت ثقافة الآداب العامة والفنون إلى عالم ملموس جديد (عالم سياسي، وأخلاقي، وكوني). وفي خلال فترة الربيع والخريف أيضًا، تحول انتباه الصينيين إلى الآداب العامة من منظور شكلي إلى منظور عقلاني، وعلى الرغم من أن أنظمة المراسم الشكلية لا تزال محتفظًا بها، فقد أصبح هناك اهتمام أكبر بتحويل هذه الآداب إلى مبادئ تطبيقية منطقية. وبالتالي فاق الاهتمام بالمغزى السياسي والتطبيقي للآداب المغزى الشكلي للمراسم والاحتفالات، ما حوَّل مفهوم الآداب العامة من "آداب فنية" إلى "آداب سياسية". ويمثل هذا التحول أهميةً كبيرةً، فلم تعد الآداب تُعتبر مجموع الأنظمة والمراسم، بل ظهرت في شكل مبادئ أخلاقية

1- المرجع السابق، ص455-454.

2- تشن لاي: "عالم الثقافة والفكر الصيني القديم - الفكر الديني والأخلاقي والاجتماعي في فترة الربيع والخريف"، بكين، مكتبة سان ليان، 2002، ص9- 10.

معيارية ومبادئ جوهرية في الأنظمة السياسية[1]. ويمثل تطور ثقافة الآداب الصينية مكونًا مهمًا يجسد مفهوم تيان شيا الصيني.

ولقد أشار الباحث التايواني لي بي تشاو إلى أنه طبقًا للفلسفة الصينية، يمثل مفهوم تيان شيا كيانًا منسجمًا، لا تفرقه حدود بين الدول، وتتزعمه دائمًا الثقافات والحضارات[2]. ويمثل مفهوم تيان شيا أهميةً كبيرةً؛ لأنه كان يشير إلى وعي "حضاري متقدم"، ثم توسعت العلاقات الخارجية على المستويين الداخلي والخارجي، وامتدت من القاصي إلى الداني بلا حدود. وبما أن هذا الوعي ينطلق من رؤية الذات للعالم الخارجي المحيط بها؛ لذلك تعالج علاقاتها مع الآخر بكونها هي مركز هذه العلاقات. وبالتالي فإن المفهومين "الداخلي" و"الخارجي" نسبيان ومطاطان، يشبهان الصخرة التي تحدث التموجات بإلقائها في الماء. ومن ثم فإن تحقيق "انسجام العالم في أسرة واحدة" ليس بالأمر المستحيل. ولكن بالتأكيد تتحرك هذه التموجات من الداخل إلى الخارج، وتتحول من القوة إلى الضعف. ومن ثم تصبح علاقة السيطرة بين الملك وحاشيته، التي تتمثل في تنفيذ الحاشية أوامر الملك دون تردد حتى لو طلب منها الموت، أمرًا غير واقعي وصعب المنال على مستوى الشئون الخارجية.

بحسب ما جاء في كتاب "مينغ تسي"، "سمعنا أن القومية الصينية قد غيرت من قبائل البربر، ولكن لم نسمع أن البربر قد غيروا من القومية الصينية". ولكن هذا لا يعني أن القومية الصينية وقبائل البربر كيانات جامدة، بل من الممكن أن تقبل التغيير. فقد ورد في "محاورات كونفوشيوس" أن كونفوشيوس كان يريد العيش في مكان ناءٍ فقال له البعض: "إن هذه الأماكن بدائية ومتخلفة"، ولكن كونفوشيوس أجاب: "كيف تكون أماكن متخلفة ما دام يعيش فيها أصحاب الأخلاق الحميدة؟". بمعنى آخر، عندما يعيش أصحاب الأخلاق الحميدة في مكان ما، تتغير وتتهذب سلوكياته. ولذلك يعتمد التفريق بين القومية الصينية وقبائل البربر على العنصر الثقافي وليس العِرقي. فعلى سبيل المثال، بعدما أبادت أسرة تشو أسرة شانغ، لم يتحمل تشي تسي أن يكون من حاشية الأسرة الملكية الجديدة، فذهب إلى كوريا الشمالية، حيث منحه ملك أسرة تشو سلطة كوريا".

1- تشن لاي، "عالم الثقافة والفكر الصيني القديم- الفكر الديني والأخلاقي والاجتماعي في فترة الربيع والخريف"، ص15.

2- لين بي تشاو: "السياسة الدولية والسياسات الدبلوماسية"، ص197.

هنـاك "علّـم تـشي تـسي النـاس الآداب العامـة، فتحولـت سـلوكياتهم البربريـة إلى السـلوكيات المتعارفـة في قوميـة شـيا الصينيـة"[1]. وطبقًـا لتشـاو تينـغ يانـغ، "عندمـا كان مفهـوم تيـان شـيا شـائعًا، كانـت التفرقـة بـين القوميـة الصينيـة وقبائـل البربـر ضعيفـةً، في حـين عندمـا كانـت مفاهيـم التفرقـة بـين القوميـة الصينيـة والبربـر شـائعة، ضعـف مفهـوم تيـان شـيا. بمعنـى أدق، يعـارض مفهـوم تيـان شـيا التفرقـة بـين القوميـة الصينيـة وقبائـل البربـر"[2]. ولكـن قـد يشـكك البعـض في هـذا المفهـوم، فعـلى الرغـم مـن أن مفهـوم تيـان شـيا يختلـف عـن مفهـوم التفرقـة، لكـن لا يمكـن الفصـل بـين المفهومـين؛ لأن التفرقـة بـين القوميـة الصينيـة والبربـر عـلى أسـاس الفـروق الثقافيـة تُعتـبر مكونًـا أساسـيًّا في مفهـوم تيـان شـيا الصينـي، ولكـن بعـد ذلـك دعـا النـاس إلى تشـجيع مـا هـو صالـح ونبـذ الطالـح في هـذا المفهـوم.

يعتقـد المـؤرخ والمفكـر بنجامـين شـوارتز أنـه "لم تتعـرض الصـين عـلى مـدار تاريخهـا الطويـل لتحديـات مـن الـدول الكـبرى المحيطـة بهـا، ولم تكـن هنـاك ضرورة إلى التعامـل الصينـي الحـاد عـلى المسـتوى الثقـافي في مواجهـة أي دعـوات مـن هـذه الـدول"[3]. ولكـن يتعـارض النصـف الأول مـن هـذه العبـارة مـع الواقـع. لأنـه قـد تعرضـت أسرة خـان الصينيـة لتحديـات حقيقيـة مـن قبائـل شـيونغ نـو، وواجهـت أسرة سـونغ تحديـات ضخمـة مـن أسرة ليـاو، حتـى إنهـا اضطـرت إلى توقيـع معاهـدات اضطراريـة تسـمح بالاكتفـاء بالسـيادة عـلى جـزء مـن البـلاد فقـط، وكان ذلـك في عـصر أسرة سـونغ الجنوبيـة. وذلـك بالإضافـة إلى التحديـات التـي تسـبب فيهـا تأسـيس الإمبراطوريـة المنغوليـة. أمـا النصـف الثـاني مـن العبـارة فهـو صحيـح؛ حيـث اسـتمرت ثقـة الصـين في نفسـها عـلى المسـتوى الثقـافي لفـترات طويلـة، ولم تتزعـزع حتـى لجـأ الغـرب إلى القـوة والحـروب في العـصر الحديـث. وقـد لاحـظ بنجامـين شـوارتز أيضًـا أنـه "هنـاك تشـابه بـين الصـين وغيرهـا مـن الثقافـات الزراعيـة، حيـث كانـت الصـين تعتـبر ثقافتهـا هـي أفضـل الثقافـات. ولذلـك لم تُعِـرْ الصـين أي انتبـاه إلى دعـوات قـادة قبائـل شـيونغ نـو أو خاقانـات الفـرس، ولكـن هـذا لا يعنـي بالـضرورة أن الصينيـين مغـرورون متكـبرون"[4].

1- "الصين في السجلات الصينية بشبه الجزيرة الكورية- كلمة لتشانغ بو وي"، "جريدة ون خوي"، 2014-1-27.

2- شاو تينغ يانغ، "عرض بسيط لنظام تيان شيا"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2008، عدد 10، ص58.

3- بنجامين شوارتز، "مفهوم النظام العالمي في الصين"، نقلًا عن في تشنغ تشينغ، ترجمة دو تشي دونغ: "النظام العالمي في الصين"، بكين، دار النشر الصينية للعلوم الاجتماعية، 2010، ص 298- 299.

4- بنجامين شوارتز، "مفهوم النظام العالمي في الصين"، نقلًا عن في تشنغ تشينغ، "النظام العالمي في الصين"، ص298- 299.

لأننا لاحظنا مثل هذه التصرفات في مناطق أخرى من العالم، "فكان يعتبر اليونانيون الفرس والمصريين من شعوب "البربر"، في حين كان يعتبر اليونانيون أنفسهم أسمى أجناس البشر"[1]. وهي ظاهرة مثيرة للاهتمام، تعكس لنا أن الشعور بالفوقية والمركزية كان شعورًا شائعًا عند القدماء، نظرًا للمعرفة الجغرافية المحدودة والفكر الضيق في ذلك الوقت. وبالتالي اعتبرت القوميات ذات الثقافات المتطورة والناضجة نفسها مركزًا للعالم. وهذا أمر غير مستغرب في ظل المفاهيم السائدة حينئذ. ولكن مع مضي الوقت، أصبح التشبث بمفهوم المركزية هذا أمرًا سلبيًا، خاصة أن الصين تكبرت وتخيلت نفسها "إمبراطورية السماء" التي تتبوأ مركز العالم بأكمله.

في ظل مفهوم تيان شيا، لا يمكن الفصل بين الداخل والخارج فصلاً تامًّا؛ حيث تُعتبر معالجة العلاقات مع "الخارج" امتدادًا للمبادئ والأنظمة الاجتماعية والسياسية داخل البلاد، والتي تتميز بطابع أخلاقي قوي، يطلق عليها ليانغ شو مينغ مسمى "المجتمع الأخلاقي"[2]. ومن مميزات العلاقات الأخلاقية أنها تضع مستويات متفاوتة وأنظمة للعلاقات، وتجمع بين مشاعر الصداقة والإنسانية. ولذلك دائمًا ما تعتمد المبادئ التي تقود مثل هذه المجتمعات على مشاعر الصداقة والإنسانية وليس المبادئ القانونية، وتهتم بالواجبات أكثر من الحقوق[3]. ومن ثم تعتمد الصين على المبادئ الأخلاقية داخليًا وخارجيًا، لأن العلاقات الخارجية تُعتبر امتدادًا للشئون الداخلية. وتنعكس المبادئ الأخلاقية خارجيًا في "رضوخ" الأطراف الخارجية، ويتمثل ذلك في انصياعها للآداب العامة وآداب التحية الصينية، ومن ثم لم تلجأ إلى الأساليب القانونية مثل القانون الدولي في أوروبا، لأن نظام تيان شيا الصيني لم يعتمد على المبادئ القانونية وإنما اعتمد على المبادئ الأخلاقية. ويعتقد خوانغ تشي ليان أن إرساء السلم في القومية الصينية لم يعتمد على وسائل القوة[4]، وإنما اعتمد على الاعتراف بالآخر وقبول مبادئه الأخلاقية. وقال وانغ جنغ وو إن مفهوم "تيان شيا" مفهوم مثالي لرؤية المفكرين الكونفوشيين للعالم، يميز

1- بنجامين شوارتز، "مفهوم النظام العالمي في الصين"، نقلًا عن في تشنغ تشينغ، "النظام العالمي في الصين"، ص300.

2- ليانغ شو مينغ: "موجز الثقافة الصينية"، شنغهاي، دار نشر شويه لين، 1987، الفصل الخامس.

3- تشن لاي: "عالم الثقافة والفكر الصيني القديم- الفكر الديني والأخلاقي والاجتماعي في فترة الربيع والخريف"، ص3- 4.

4- خوانغ جي ليان، "دراسة حول منظومة الآداب العامة في إمبراطورية السماء" الجزء الأول، "نظام خوا شيا في آسيا: العلاقات بين الصين دول آسيا" بكين، دار نشر جامعة الشعب الصينية، 1992، ص297.

بين من هو متحضر ومن هو غير متحضر[1].

يُعد تشجيع الدول الخارجية على "دفع الجزية"، ومنح الألقاب للأمراء الأجانب، نتاجًا لوعي الصينيين حينئذ بتحقيق "التوحيد"، و"الهدوء"، و"السلم" و"الانسجام"، وشرطًا مهمًا لحماية رؤية الصين للعالم والكون من الانهيار. وبحسب هذه الرؤية الصينية، هناك "إله في السماء"، وهناك نظام كوني واسع على الأرض مركزه هو ذلك "القديس أو الإله" الذي يعتمد عليه الكون في كل شيء[2]. وفي ظل هذا المفهوم كان لا بد من تطوير سبيل لمعاملة "الغرباء" يقوم على سياسة التقرب والتسامح و"اجتذاب وشراء الدويلات التابعة حتى لا تفكر في الخيانة أو الغدر". ويؤكد نظام تيان شيا أيضًا على "سياسة التقرب والتسامح مع الغرباء"، التي يُقصد بها منح الاعتراف السياسي والمساعدات الاقتصادية للآخر، ما يجعل الآخر يشعر بالامتنان الشديد لمعروف الإمبراطور الصيني.

ويتضح لنا مما سبق أن مفهوم تيان شيا يتميز بالقدرة على الجذب؛ ولذلك "إن لم يخضع الآخر، يتم اجتذابه عن طريق تهذيب الأخلاق". (محاورات كونفوشيوس). والمقصود بالاجتذاب هنا هو القبول والاعتراف بثقافة الآداب العامة الصينية ومكانة الإمبراطور الصيني. وبعد اجتذاب الآخر، يُعرض عليه التطور الثقافي وثراء الموارد، "فتصبح أفضال الإمبراطور لا حصر لها". ويمثل كل ما سبق عناصر في نظام "تيان شيا" الصيني.

1- Wang Gungwu, "Tianxia and Empire: External Chinese Perspective," Inaugural Tsai Lecture, Harvard University, May 4 , 2006.

2- خوانغ جي ليان، "دراسة حول منظومة الآداب العامة في إمبراطورية السماء" الجزء الأول، "نظام خوا شيا في آسيا: العلاقات بين الصين ودول آسيا"، ص223- 225.

ثالثًا: مغزى "مفهوم تيان شيا":

إن التيـار الفكـري السـائد في مفهـوم تيـان شـيا هـو التيـار الكونفـوشي، الـذي يتجـه إلى الحيـاة العلمانيـة والإنسـانية، حيـث لا يكـون للديـن دور جوهـري ومؤثـر. ولكـن هـل الكونفوشـية فكـر أم ديانـة؟ وهـل هنـاك مـا يُدعـى بـ"الديانـة الكونفوشـية"؟ في الحقيقـة هـذه مسـألة جدليـة. ففـي كتاب العـالم الألمـاني ماكـس فيـبر بعنـوان "الكونفوشـية والطاويـة"، لم يفـسر الكاتـب بشـكل واضـح سـبب اسـتخدام مسـمى "الديانـة الكونفوشـية". ولكـن يعتقـد ماكـس فيـبر أن "الديانـة الكونفوشـية هـي عبـارة عـن مبـادئ أخلاقيـة منطقيـة، سـوف تقلـل مـن علاقـة التوتـر بيننـا والعـالم إلى أدنى مسـتوى. وبحسـب الفكـر الكونفـوشي، فـإن عالمنـا هـذا هـو الأفضـل عـلى الإطـلاق، كـما أن الخـير مـن طبائـع وسـمات الإنسـان عـلى المسـتوى الأخلاقـي. وعـلى الرغـم مـن اختـلاف مسـتوى العلاقـات بـين الأفـراد والأشـياء، إلا أن جميعهـا تتميـز بطبائـع متشـابهة، حيـث إن كلهـا لديهـا القـدرة عـلى الوصـول إلى الكـمال غـير المحـدود، وتطبيـق المبـادئ الأخلاقيـة بشـكل تـام"[1]. ومـن هنـا يتضـح لنـا أن ماكـس فيـبر يعتقـد أن "الكونفوشـية" مبـادئ أخلاقيـة وليسـت إلهيـة، أي أنهـا مبـادئ عامـة لتهذيـب المجتمـع وليسـت ديانـة إلهيـة.

وعـلى العكـس مـن ذلـك، تؤثـر الديانـات تأثـيرًا عميقًـا في الفكـر الغـربي. فالديانـة المسـيحية عـلى سـبيل المثـال مـن الديانـات التوحيديـة، التـي تؤمـن بأن أصحـاب الأخـلاق الفاضلـة يُجـازون بالفردوس الأعـلى، بينـما يُعاقـب أصحـاب الأخـلاق الدنيئـة بالجحيـم، الأمـر الـذي يقيـد تصرفـات الإنسـان وسـلوكياته. ولكـن دائمًـا مـا يرجـع حـل أي مشـكلة إلى كيان واحـد، فأي شيء غـيره يُعـد شركًا أو دعوات مضللـة. ويختلـف الوضـع في الصـين عـن ذلـك تمامًـا؛ لأن الفكـر الصينـي فكـر دنيـوي علـماني، ولا يؤمن بالـذات الإلهيـة، إنمـا يهتـم بالأمـور الحياتيـة. ويعتقـد جو خونـغ مينغ أنـه طبقًـا للتعاليم الكونفوشـية فـإن تقديـم القرابـين لتقديـس الأسـلاف وغيرها من المسـئوليات المقدسـة المخلصـة كلها، تمنـح الصينيين شـعور الخلـد في الحيـاة وأيضًـا المواسـاة في المـوت، الأمـر الذي يتشـابه مع المعتقـدات الدينيـة في الدول الأخـرى حـول الـدار الآخـرة[2]. بمعنـى آخـر، هنـاك قـوى معنويـة مختلفـة في العـالم الغـربي تـؤدي

1- ماكس فيبر: "الكونفوشية والطاوية"، ترجمة خونغ تيان فو، نانجينغ، دار نشر الشعب في جيانغسو، 1995، ص257.

2- جو خونغ مينغ: "روح الصينيين"، ترجمة لي تشن شي، نانجينغ، دار نشر يي لين، 2012، ص32.

نفس وظيفة المواساة. ويسمي جو خونغ مينغ هذه القوة بـ"المعتقدات العامة". "وتُعتبر المعتقدات العامة في الصين معتقدات تستطيع إرساء النظام بين العامة دون اللجوء إلى القساوسة أو استغلال قوات الشرطة أو الجيش"[1]. "وفي الواقع تحافظ الصين على السلم والنظام بين معظم سكان القارة الآسيوية في ظل حكم إمبراطورية ضخمة"[2]. ويصف جو خونغ مينغ ذلك بـ"النجاح الصيني المميز". وعلى العكس، تعتمد القارة الأوروبية على سلاحين للحفاظ على النظام، وهما الدين والقانون.

يهاب الصينيون "السماء"؛ ولذلك يستمد الحكام شرعيتهم منها أو ما يسمونه بـ"إرادة السماء". أما فيما يتعلق بماهية "السماء" فهي مسألة يمكن استشعارها ولكن يصعب شرحها، ويعود جزء منها إلى تقديس الصينيين القدامى للطبيعة. ولكن كما جاء في "كتاب الأغاني"، "إن قضاء السماء ليس أبديًا". فعلى المدى البعيد، نجد أن إرادة السماء لا يمكن أن تظل ثابتة في أسرة ملكية بعينها. لأن دعم السماء للأمراء أو الحكام يعتمد على معايير موضوعية و"عامة". فعلى سبيل المثال، فقدت أسرة شانغ تأييد السماء بسبب فشلها العام في أنظمة الآداب العامة والمبادئ الأخلاقية[3]. وبالتالي عندما حلت أسرة تشو محلها، كان يجب أن تتعلم من الدرس المستفاد، وتعرف جيدًا أن إرادة السماء قد دعمت أسرة تشو، لأن اعتمادها على مبادئها الأخلاقية قبل تأسيس عصر الأسر الملكية يثبت أحقيتها في حكم "العالم" (تيان شيا). ومن ثم فإن السماء لها وجود مقدس مهيب؛ ولذلك لا يمكن مخالفتها، بل يجب الاستسلام لإرادتها.

إن العالم يشمل كل شيء، ولذلك يجب إرساء النظام فيه حتى يستطيع البقاء، ولكن إرساء النظام يتطلب الالتزام بمبادئ معينة. وهذه المبادئ عبارة عن أنظمة بدأت في شكل أواصر الدماء والعلاقات الأسرية، ثم امتدت إلى نطاق الدولة، ثم إلى نطاق العالم (تيان شيا)، ويمكن تلخيصها بحسب الثقافة الصينية في نظام يحقق "تهذيب الذات وتوحيد الأسرة وإدارة شئون البلاد وتحقيق الاستقرار للعالم (تيان شيا)". وبالإضافة إلى ذلك، فإن الفكر الصيني فكر متسامح، والدليل على ذلك أن البوذية استطاعت الدخول إلى الصين من الهند، وتم قبولها بعد المرور ببعض التعديلات. كما أن الكونفوشية والطاوية

1- جو خونغ مينغ: "روح الصينيين"، ص6.

2- المرجع السابق، ص9.

3- بنجامين شوارتز: "العالم الفكري في الصين القديمة"، ص 60.

والبوذية قد استطاعت أيضًا أن تتعايش في عالم واحد. وعلى العكس من الثقافة الغربية التي تؤمن بوجود إله أعلى قادر على كل شيء، تؤمن الثقافة الصينية بأنه "لا يمكن اكتشاف المبادئ العامة للحياة إلا من خلال التأمل في علاقة التعايش بين البشر... ولا تُحل المشاكل بين البشر إلا من خلال البشر أنفسهم، وليس عن طريق قوة إلهية أو سلطة طبيعية"[1]. وبالتالي، فإن الرؤية الصينية للعالم (تيان شيا) رؤية واقعية ودنيوية محضة.

يتكون مفهوم "تيان شيا" من أربعة عناصر أساسية، ألا وهي: علاقات دائرية متراكزة، نظام يحدد مكانة الأطراف، بناء ثقافي متفاوت، وتوجه يدعو إلى انسجام العالم في أسرة واحدة.

أولًا: هيكل من العلاقات في شكل دوائر متراكزة: يُعد مفهوم تيان شيا الصيني عبارة عن هيكل من العلاقات في شكل دوائر متراكزة تقوم على المبادئ الأخلاقية. وينطلق هذا الهيكل الدائري المتداخل من صلة الدم، مشكلًا هيكلًا يشبه العلاقة الأُسرية. وطبقًا لكتاب فو شياو تونغ بعنوان "أرض الصين الوطنية"، فإن كلمة "أسرة" في الصين كلمة مطاطة، فقد تعني بها الزوجة، أو قد تشير إلى العلاقة بينك وأعمامك وأولادهم، وبالتالي يمكنك إدخال من تريد في دائرة أسرتك للتعبير عن قربه الشديد لك. ومن هنا يمكن أن يتسع أو يضيق نطاق أسرتك بما يقتضيه الزمان والمكان، لدرجة أن يصبح العالم كله أسرة واحدة[2]. ويشبه هذا الهيكل الدائري المتداخل التموجات الدائرية التي يسببها قذف حجارة في الماء، فكل تموج هو دائرة متراكزة، وكلما امتدت هذه الدوائر إلى الخارج وابتعدت أصبحت أكثر ضعفًا، ومشكلةً "مستويات متفاوتة من العلاقات" حسبما يسميها في شياو تونغ. ويعتقد شو دياو يون أن دائرة العلاقات الاجتماعية في الكونفوشية هي أيضًا عبارة عن دوائر متراكزة، تمتد من علاقات وثيقة إلى علاقات أضعف. و"تمتد دائرة العلاقات الاجتماعية هذه إلى علاقات الصين بالجوار في الاتجاهات الأربعة، حيث لا يوجد "آخر" مطلق إنما يوجد "ذات" نسبية[3]. وهذه نقطة مهمة للغاية، فليس هناك آخر

1- شاو تينغ يانغ، "عرض بسيط لنظام تيان شيا"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، 2008، عدد 10، ص60.

2- في شياو تونغ، "أرض الصين الوطنية"، بكين، مكتبة سان ليان، 1985، ص23.

3- شو دياو يون، "الذات والآخر- التقسيم الداخلي والخارجي في تاريخ الصين"، بكين، مكتبة سان ليان، 2010، ص20.

مطلـق بحسـب الفكـر الصينـي؛ لأن العلاقـة بـين "الـذات" والآخـر علاقـة متغـيرة، ووسـائل التغيـير هـذه يجـب أن يقبلهـا الآخـر بنفسـه ولا تُفـرض عليـه.

طبقًـا لبعـض الدراسـات حـول أسرتي سـوي وتانـغ، طـرح جـاو مينـغ شي وجهـة نظـر تقسـم الهيـكل الدائـري للعلاقـات إلى ثلاثـة مسـتويات: مناطـق للحاشـية مـن الداخـل، ومناطـق للحاشـية من الخـارج، ومناطـق أخـرى مؤقتـة. ويُقصـد بمناطـق الحاشـية مـن الداخـل، الأراضي الوطنيـة الصينيـة، في حـين تنقسـم مناطـق الحاشـية مـن الخـارج إلى نوعـين: الأول تُمنـح فيـه الألقـاب وتُفـرض فيـه الجزيـة، والآخـر تُفـرض فيـه الجزيـة ولا تُمنـح فيـه الألقـاب. وفي هـذه المناطـق لا يحكـم الإمبراطـور النـاس بصفـة مبـاشرة، ولا تتحمـل الحاشـية مـن الخـارج دفـع إيجـار الأراضي وغيرهـا مـن الواجبـات. أمـا المناطـق المؤقتـة، فتشـمل الـدول والمناطـق الصديقـة، والـدول العـدوة، والمناطـق النائيـة[1]. ويمتـد نظـام تيـان شـيا الصينـي أيضًـا مـن الداخـل إلى الخـارج، ومـن الـداني إلى القـاصي في شـكل طبقـات، تنقسـم أيضًـا إلى مناطـق الحاشـية الداخليـة، ومناطـق الحاشـية الخارجيـة، ثـم المناطـق المؤقتـة. وقـد تـم توضيـح ذلـك في كتـاب تاكيـشي هاماشـيتا بعنـوان "الفـرص الدوليـة في الصـين الحديثـة"، ولكـن لم توضـح الأسـباب هـذا التقسـيم. وفي الحقيقـة ترجـع هـذه الأسـباب إلى امتـداد العلاقـات في الدولـة مـن أواصر الـدم أو العلاقـة الأسريـة في شـكل هيـكل أسري- دولي. وهـي علاقـات تقـوم عـلى المبـادئ الأخلاقيـة ومـا يلائمهـا مـن هيـاكل. وبالتـالي تنقسـم العلاقـات في نظـام تيـان شـيا إلى مسـتويات مختلفـة حسـب درجـة قـرب هـذه العلاقـات.

ويتجسـد هـذا النظـام سياسـيًّا في العلاقـة بـين الحاكـم وحاشـيته، التـي وُصفـت في "محـاورات كونفوشـيوس" بأنهـا علاقـات بـين "الحـكام والحاشـية والآبـاء والأبنـاء". وعـلى هـذه الخلفيـة، يحـاول الحاكـم الذيـن يعتـبر نفسـه "ابنًـا للسـماء" تقويـم العلاقـات مـع المناطـق النائيـة والبعيـدة انطلاقًـا مـن طبيعـة العلاقـة بـين الحاكـم وحاشـيته. فبمجـرد أن يعتـبر الآخـر الحاكـم الصينـي ملـكًا، ويعتـبر نفسـه أحـد حاشـيته، ويعـرب لـه عـن طاعتـه واحترامـه، تتأسـس علاقـة سـليمة بـين الطرفـين، وتسـير الأمـور عـلى مـا يُـرام دون حاجـة إلى ممارسـة القهـر. ومـن هـذا المفهـوم نشـأ أحـد التقاليـد الصينيـة، وهـو "انحنـاء رأس الحاشـية أمـام الملـك" كنـوع مـن التحيـة التـي تعـرب عـن الخضـوع والطاعـة، وهـو يُعـد امتـدادًا لطبيعـة العلاقـة بـين الحاكـم

1- جاو مينغ شي: "دراسة حول نظام تيان شيا ودائرته الثقافية"، شنغهاي، دار نشر شنغهاي، 2008، ص23-22.

وحاشيته في العلاقات الخارجية.

وبالنسبة لـ"ابن السماء" (الإمبراطور) وبلاطه الملكي، يُعد إرسال الآخر المبعوثين لتقديم هدايا الولاء للإمبراطور تجسيدًا لخضوع الآخر وطاعته واحترامه. ولكن تكمن المشكلة الحقيقية في أن هناك اختلافًا كبيرًا بين رؤية الطرفين للأمر الواحد. فما يُعتبر تعبيرًا عن الولاء بالنسبة للإمبراطور، ما هو إلا اتصالات خارجية للحصول على مكاسب سياسية أو اقتصادية أو الاثنين معًا بالنسبة للأطراف الخارجية. وبالتالي فإن تقليد "تقديم هدايا الولاء للإمبراطور" قد يبدو من الخارج أنه علاقة من عدم المساواة بين الحاكم وحاشيته، ولكنه في جوهره عبارة عن اتصالات قائمة على المساواة الحقيقية وتحقيق المكاسب الفعلية للأطراف الخارجية. وانطلاقًا من هذا المعنى، قدمت الصين إسهامات عامة على مستوى العلاقات الخارجية، ومعظمها قُدمت بالتعاون بين الطرفين[1].

وبالتالي عندما تعجز قوة الدولة الصينية عن دعم هذه الإسهامات، فلا مفر من أن يقترح البلاط الملكي الصيني من الطرف الآخر تقليل مرات تقديم "الجزية". وهذا يثبت على الجانب الآخر جوهر علاقة تقديم هدايا الولاء للإمبراطور.

وعلى هذا الأساس، يعتقد بعض الباحثين أن العلاقات بين الدول في ظل نظام تيان شيا الصيني ليست علاقات تنافسية ولا علاقات عبودية، وبالتأكيد ليست أيضًا علاقات قائمة على اتفاقيات متعادلة، وإنما هي علاقات أخلاقية يختار فيها كل طرف دوره المناسب في ظل هيكل من العلاقات المتفاوتة. وتهتم "المبادئ الأخلاقية" بالاختلاف؛ لأنها نظام متفاوت المستويات. فهناك مستويات مختلفة من العلاقات بين الحكام وحاشيته، وبين الآباء والأبناء، وبين النبلاء والأذلاء، وبين الكبار والصغار، وبين الأقارب والأغراب. ومن ثم نعتبره نظامًا علمانيًّا، يعكس العلاقات الإنسانية بشكل أساسي. ونظرًا إلى أن هذا النظام

1- هناك العديد من الوثائق التي تثبت هذه النقطة. فعلى سبيل المثال، لقد غير الحاكم الياباني أشيكاغا يوشي- ميتسو في خلال فترة موروماشي من حالة الانعزال القديمة وأعلن عن خضوعه لإمبراطور لأسرة مينغ الصينية، محاولًا اغتصاب العرش والحصول على السلطة في البلاد عن طريق اعتراف أسرة مينغ بملك اليابان. وهناك جانب آخر، وهو الجانب الاقتصادي. فتُعتبر العملة رمزًا لسلطة الحاكم، وبالتالي فإن قبول العملة كمكافأة هي دليل للخضوع. ولكن في الحقيقة هذا أمر شكلي فقط، وهي تساوي على أرض الواقع شراء أسرة مينغ الجزية من الدول التابعة، وهو نوع من الصفقات غير المعترف بها بين أباطرة أسرة مينغ وحكام الدول التابعة. لكن نظرًا إلى أنه عادة ما تدفع أسرة مينغ العملات بما يتجاوز قيمة الجزية، فبالتالي تُعد صفقة مجدية بالنسبة للطرف الآخر. ومن هنا يتضح لنا جوهر تجارة هدايا الولاء. انظر: تيان تشونغ جيان فو، "بناء وتطوير علاقات الاتصال الدولية في شرق آسيا"، "ترجمات تاريخ العلاقات الصينية الخارجية" (الجزء الثاني)، تحرير الجمعية الأكاديمية لتاريخ العلاقات الصينية الخارجية، دار نشر شنغهاي للنصوص المترجمة، 1985.

نظام أخلاقي، فإن السلم بالتالي أمر أساسي داخل علاقات التعايش بين الفاعلين.

ثانيًا: نظام يحدد مكانة الأطراف: تهتم العلاقات الأخلاقية بمكانة الأطراف وكذلك مفهوم تيان شيا الصيني. ونظرًا إلى أن هوية الحاكم تختلف عن الحاشية وهوية الأب تختلف عن الابن؛ لذلك يتمتع كل طرف بمكانة خاصة به. ويهتم نظام تيان شيا الصيني بتسمية الأمور بمسمياتها الصحيحة؛ لأن "تسمية الأمور بغير مسمياتها يؤدي إلى الفشل". وبالتالي يُطلق على حكام الدول التابعة لقب "الأمراء"، في حين يُطلق لقب الإمبراطور على حاكم الصين في ظل نظام تيان شيا الصيني. وفي حالات قليلة جدًا يخضع الإمبراطور الصيني لأطراف خارجية. وبالتالي على من يحتل المركز "الأعلى" أن يُظهر أخلاقه السامية، وتُعد المكافآت من أهم السبل التي تظهر "أفضال الإمبراطور التي لا تحصى". وليست المكانة أمرًا اعتباطيًّا في نظام تيان شيا؛ لأنها أساس وضع الأنظمة، فإذا حُددت المكانة بشكل سليم، رسخت الأنظمة. ويُعد تسجيل عهد كل إمبراطور جديد في سجل الأباطرة الصينيين انعكاسًا لهذا النظام وأهمية تحديد مكانة الأطراف.

وفي ظل مفهوم تيان شيا، إذا لم تحدد مكانة كل طرف بشكل سليم، فشل النظام، ومن الوارد حتى قيام حملات انتقامية. ومن هذا المنطلق، فإن قتل الحكام في الدول التابعة يدمر النظام تمامًا. وقد يطلب الموظفون في البلاط الملكي من الإمبراطور التدخل، وفي ذلك الوقت قد يحاول الحكام الصينيون أولًا استيضاح الأمور، وعلى الرغم من أنه لا يعد التدخل بالأمر المستبعد، فعادةً ما يفضل الإمبراطور التعامل بحذر والاعتراف بالحقائق القائمة.

ويختلف هذا تمامًا عن مبادئ العلاقات في الغرب. لأن الأنظمة الغربية أنظمة قانونية، تقوم بتقويم العلاقات والتصرفات بين الفاعلين اعتمادًا على القانون. وبالتالي فإن هناك مساواة بين الفاعلين بشكل طبيعي؛ لأن العلاقات بين الأطراف تعتمد على الاتفاقيات، التي يصبح الجميع سواسية أمامها. وتقرر المحاكم مدى الالتزام بالاتفاقيات كما يقتضيه القانون، وبالتالي فإن النظام القانوني واضح وجامد، فمهما كانت العلاقات بين الأفراد، يظل الجميع سواسية أمام هذه الاتفاقيات. وعلى هذا الأساس، تهتم الأنظمة الغربية بالمساواة أيضًا على المستوى السياسي. فعلى سبيل المثال، عندما أرسل الملك الإنجليزي

اللـورد جـورج مكارتنـي مبعوثـًا إلى الصـين، رفـض الركـوع تحيـةً للإمبراطـور تشـيان لونـغ الصينـي، واشـترط أن يركـع الـوزراء الصينيـون أمـام لوحـة للملـك الإنجليـزي حتـى يركـع هـو للإمبراطـور الصينـي. هـذا وقـد قـال العـالم والمـؤرخ جوزيـف نيدهـام: "ينعكـس شـعور الفوقيـة لـدى الأوربيـين بشـكل واضـح عـلى مبادئهـم القانونيـة... في حـين هنـاك توجـه صينـي عـام يرفـض تدويـن القوانـين؛ لأنـه يؤمـن بأنـه يجـب الحكـم عـلى الأمـور اسـتنادًا إلى الحـالات الظاهريـة، مـع التأكيـد عـلى أهميـة التسـوية والانسـجام"[1].

هنـاك فـروق واضحـة بـين النظامـين الصينـي والغـربي. فالنظـام الصينـي يركـز عـلى "المسـميات"، وهـي نقطـة واضحـة جـدًا. في حـين لا يعالـج جوهـر العلاقـات بشـكل متعمـق، وهـو مـا يجعـل هـذا النظـام عـلى قـدر مـن الغمـوض. ولكـن هـذا الغمـوض يجعـل الأطـراف يعيشـون في بيئـة مـن التفاهـم، حيـث يعالـج كل طـرف أمـوره بنفسـه دون أن يتدخـل في شـئون الآخـر. وبالتـالي يتضـح لنـا أن النظـام الصينـي يهتـم بالعلاقـات الإنسـانية بشـكل أكـبر مقارنـةً بالأنظمـة القانونيـة الغربيـة[2]. الأمـر الـذي يُعـد انعكاسًـا للفـروق الدقيقـة والعميقـة بـين الثقافـات.

إن "الآداب العامـة" هـي أهـم مـا يجسـد النظـام الصينـي، ويُقصد بـالآداب العامة أنظمـة الطقوس والمراسم. ولا يخلـو نظـام تيـان شـيا أيضًـا مـن هـذه الآداب، التـي تنعكـس بشـكل أسـاسي عـلى طبيعة العلاقـة بـين الحاكـم وحاشـيته، وتتجسـد أيضًـا في "خضـوع" الأطـراف الخارجيـة للإمبراطـور الصينـي. ولقـد ظهـرت هـذه الآداب في سـجلات الاتصـالات بـين الطرفـين، حيـث يُعـد إرسـال الأطـراف الخارجيـة المبعوثـين إلى الإمبراطـور لتقديـم هدايـا الـولاء مـن الآداب العامـة. وتمثـل "الآداب العامـة" أهميـة كبـيرة بالنسـبة للبـلاط الملـكي الصينـي، لأنهـا تعـرب عـن تقديـر واحـترام الأطـرف الخارجيـة للحـكام الصينيـين. وتُعـد هـذه العلاقـة امتـدادًا للعلاقـة بـين الحاكـم وحاشـيته داخـل البـلاد، كـما أن مبـادئ تأسيسـها متشـابهة، حيـث تعتمـد علاقـة "الحاشـية" بالملـك عـلى "الإخـلاص" و"الاحـترام"، في حـين تعتمـد علاقـة "الملـك" بحاشـيته عـلى الرعايـة والاهتـمام. أمـا عـلى المسـتوى الاقتصـادي، فـإن تحقيـق المكاسـب الحقيقيـة للطـرف الآخـر يجعلـه يشـعر بالامتنـان الشـديد للأخـلاق الحميـدة وكـرم الطـرف

1- جوزيف نيدهام، "في البحار الأربعة"، ترجمة لاو لونغ، بكين، مكتبة سان ليان، 1987، ص14-13.

2- انظر خوانغ جوانغ قوه، خو شيان جين: "العلاقات الإنسانية والكرامة: ألعاب السلطة عند الصينيين"، بكين، دار نشر جامعة الشعب الصينية، 2010. وكان لهذا الكتاب دور عميق في كشف العلاقات الإنسانية.

الصينـي، وبالتـالي يمنعـه عـن الخيانـة والغـدر. ومـن ثـم فـإن إرسـاء المكانـة الصحيحـة لـكل طـرف يضمـن سلاسـة العلاقـة. فعـادةً لا يتدخـل "ابـن السـماء" (الإمبراطـور) في شـئون الطـرف الآخـر، بـل يدعـه يسـتمتع بالمكاسـب الحقيقيـة ويشـعر بالاسـتقلالية.

ثالثًـا: الثقافـة "تغـير" الإنسـان: ترجـع الاختلافـات بـين القوميـة الصينيـة وقبائـل البربـر إلى اختلاف درجـة التطـور الثقـافي بـين الطرفـين، وليـس إلى أي سـبب آخـر. وبالنسـبة للقوميـة الصينيـة، فـإن القوميـات التـي تتغـذى عـلى اللحـوم النيئـة والدمـاء (قبائـل البربـر) لم تنفتـح عـلى الخـارج، ولم تتأثـر بـأي مـن "الثقافـات المتطـورة". في حـين تعتـبر القوميـة الصينيـة (تشـو شـيا أو شـيا) نفسـها إحـدى هـذه الثقافـات المتطـورة والمتقدمـة؛ لذلـك دائمًـا مـا تسـير في المقدمـة.

ولكـن يكمـن جوهـر نظـام تيـان شـيا في أن هـذا الاختـلاف بـين القوميـات ليـس مطلقًـا وإنمـا متغـيرًا. حيـث يمكـن لقبائـل البربـر التعلـم مـن الآداب العامـة الصينيـة، والاقـتراب مـن قوميـة خـوا شـيا الصينيـة، أو بنـاء علاقـات مناسـبة معهـا. ولذلـك يعـد "موقـف الأطـراف" مهـمًا للغايـة في نظـام تيـان شـيا الصينـي، فـما دام هنـاك موقـف "سـليم" لا يجـب القلـق بشـأن الاختلافـات الثقافيـة. وبحسـب مفهـوم تيـان شـيا، "يمكـن اسـتغلال الآداب العامـة لتهذيـب الآخـر وليـس لتقييـده"، فيمكـن نقـل الأنظمـة والمفاهيـم إلى الآخـر عنـد طريـق جذبـه إلى ثقافـة الـذات، وبالتـالي يتقبـل الأنظمـة والمفاهيـم الجديـدة مـن تلقـاء نفسـه. وتعـد هـذه إحـدى "السـبل" الثقافيـة.

وعـلى العكـس مـن ذلـك، تركـز الثقافـة المسـيحية في الغـرب عـلى "فـرض الأنظمـة عـلى الآخـر"، وإقناعـه بتقبـل شـعائر الديانـة المسـيحية فيـما يسـمى بالتبشـير بالديانـة المسـيحية. وهنـاك رسـالة واضحـة وراء اجتيـاز المبشريـن بالديانـة المسـيحية للبحـار وصـولًا إلى الـدول البعيـدة، أمـلًا في أن يعتنق الجميـع الديانـة المسـيحية بـين ليلـة وضحاهـا، الأمـر الـذي يعكـس سياسـة الهجـوم التـي تنتهجهـا الديانـة المسـيحية في الخـارج. وتُعـد الحمـلات الصليبيـة دليـلًا واضحًـا عـلى ذلـك، ولعـل الحـرب الأمريكيـة في العـراق تذكّرنـا بهـذه الحمـلات الصليبيـة.

أمـا الصـين فتتمسـك، عـلى العكـس مـن ذلـك، بـ"اسـتغلال الآداب العامـة لتهذيـب الـذات

وليس لتقييد الآخرين"، وهي ليست بسياسة للهجوم إنما سياسة للدفاع. فلا يعني عدم خضوع الآخر عدم طاعته، وإنما يتطلب من الذات جذب الآخر بالوسائل الأخلاقية. وبعد جذب الآخر ينبغي جعله يشعر بالأمان، ولذلك وسائل عديدة، ولكن معظمها تعتمد على تحقيق الازدهار في أنظمة الآداب العامة، بالإضافة إلى الاجتذاب على المستوى الاقتصادي، ما يجعل الآخر "يهاب السلطة ويشعر بالامتنان لها لما تقدمه من فضائل أخلاقية". وقال تشو شي في هذا السياق: "يجب إدارة الدولة وتهذيب الذات أولاً حتى يخضع الآخر، وإن لم يخضع، يجب اجتذابه بالوسائل الأخلاقية وليس باستخدام القوة"[1]. ومن هنا يتضح لنا أهمية "الأخلاق" في مفهوم تشان شيا. لأن "الأخلاق" مفهوم "شخصي" وأيضًا مفهوم "مجتمعي". فبالنسبة للفرد، تُعد "الأخلاق" من الصفات الحميدة في الإنسان. أما بالنسبة للدولة، فيمكن إدارة البلاد بالمبادئ الأخلاقية، أي أن الأخلاق الحميدة تمتد من كونها صفة شخصية إلى ممارسة سياسية حقيقية.

رابعًا: انسجام العالم في أسرة واحدة: ليس هناك شيء يُدعى "العالم الخارجي" بحسب مفهوم تيان شيا الصيني. فبالنسبة للملك، وهو الحاكم ذو الأخلاق الحميدة والذي يمتد سلطانه في كل بقاع الأرض، يُعد الداخل والخارج كيانًا واحدًا، بل إن العالم أسرة واحدة، لأن تهذيب الأخلاق يقرب القاصي بالداني والقريب بالبعيد[2]. كما أن مفهوم "تحقيق الانسجام للعالم في أسرة واحدة" مفهوم ثقافي، لأن العناصر المكونة لهذا الكيان على اقترابها وابتعادها تمر بالتهذيب الأخلاقي، ويصبح مفهوم "الأسرة" هو الأقرب لوصف مكانة كل من الذات والآخر في هذا الكيان، حتى تصل في النهاية إلى الانسجام المثالي. والجدير بالذكر أن هذا المفهوم يضرب بجذور عميقة في تاريخ الفكر الصيني بدءًا من "محاورات كونفوشيوس، التي تعكس أن الصينيين القدامى دائمًا ما كانوا ينطلقون من أنفسهم، ثم تمتد علاقاتهم من أواصر الدم على مستوى العلاقات الأسرية إلى مستوى الدولة، ثم مستوى العالم.

والجدير بالذكر هنا أن فكرة "العالم أسرة واحدة" قد نشأت من مفهوم "الانسجام". ولكن ما هو "الانسجام"؟ في خلال فترة الربيع والخريف، حلل يان تسي الفارق بين

1- تشو شي: "شروح للكتب الأربعة"، بكين، دار النشر الصينية، 1983، ص170.

2- "كتاب الطقوس": "انسجام العالم في أسرة واحدة". انظر شينغ يي تيان: "العالم أسرة واحدة- مفهوم تيان شيا عند الصينيين"، نقلا عن ليو داي: "التيار الدائم"، ص459

مفهومـي "الانسـجام" و"الإضافـة"، حيـث وضـح أن "الإضافـة" هـي مجـرد التكـرار للـشيء نفسـه. أمـا الانسـجام فهـو مثـل تحضـير الحسـاء، الـذي يتـم إعـداده بمـزج المكونـات والتوابـل المختلفـة لتتولـد حالـة مـن الانسـجام. وبالتـالي فـإن "الانسـجام" هـو تأثـير أو تقييـد العنـاصر المختلفـة لبعضهـا البعـض وتكاملهـا، أي تحقيـق الانسـجام بـين الصراعـات والمواجهـات. أمـا الإضافـة فهـي إقصـاء لـكل مـا هـو مختلـف، مـا يشـكل صعوبـة أمـام بقـاء الأشـياء أو اسـتمرارها. ومـن هـذا المنظـور، فـإن الاختـلاف هـو مصـدر الحيـاة. فاختـلاف الأشـياء هـو الـذي يجعلهـا تتجانـس، فلـولا اختلافهـا لمـا تجانسـت. ومـن هـذا المنطلـق تتعايـش الكائنـات الحيـة، وتعيـش المجتمعـات[1].

وفي ضـوء مـا سـبق، يتضـح لنـا أن مفهـوم "الانسـجام" لا يقـضي عـلى الاختـلاف، بـل يعـترف بوجـوده ويتغنـى بـه. وكـما أشـار دو وي مينـغ، فـإن "شرط تحقيـق بناء كيـان منسـجم (unity great) هـو تحقيـق الانسـجام بـين كل مـا هـو مختلـف. وهنـاك مقولـة شـهيرة في أحـد المؤلفـات الكلاسـيكية الكونفوشـية تقـول: "تحقيـق الانسـجام بـين الأمـراء رغـم الاختـلاف" (محـاورات كونفوشـيوس). وعـلى الرغـم مـن أن مفهـوم الانسـجام يعـترف بوجـود الاختلافـات والتناقضـات، فإنـه يحـاول تحويـل أي ضغـوط هدامـة إلى قـوى بنـاءة، مـا يحقـق درجـة عاليـة مـن الانسـجام حتـى إن كانـت العلاقـات مليئـة بالضغـوط"[2].

رابعًا: مغزى الكوزموبوليتانية الصينية في المستقبل:

نشـأت الكوزموبوليتانيـة في الصـين منـذ أسرة تشـو الملكيـة، وتطـورت عـلى مـدار فـترات تاريخيـة طويلـة بـدءًا مـن أسرة تشـين خـان حتـى أسرتي مينـغ وتشـينغ؛ ولذلـك تتميـز بمفاهيـم متأصلـة وتأثـيرات عميقـة وبعيـدة. ويشـمل مفهـوم الكوزموبوليتانيـة الصينيـة بعـض العنـاصر الجوهريـة، وهـي: امتـداد العلاقـات الخارجيـة في شـكل دوائـر متراكـزة لا حـدود لهـا، ومفاهيـم منظوميـة تحـدد مكانـة الأطـراف داخليًـا وخارجيًـا، وتوجـه يدعـو إلى

1- لو يو لين: "التحول الحديث للفكر التقليدي المنسجم"، نقلًا عن تشانغ لي ون: الانسجام والوعي في شرق آسيا"، دار نشر جامعة خوا دونغ للمعلمين، شنغهاي، 2001، الهامش3، ص234- 235.

2- دو وي مينغ: "الاشتراكية والفردية في النزعة الإنسانية في الكونفوشية ومفهوم الانسجام"، نقلًا عن وانغ رونغ خوا، "الصين من رؤى مختلفة"، شنغهاي، دار نشر شيويه لين، 2006، ص156.

انسجام العالم في أسرة واحدة، وبناء ثقافي يتميز بالثقة في النفس والتأمل في مكنونها. وفي ظل هذا البناء الثقافي، قد تتغير هوية الفاعلين؛ لأنه ليس هناك "آخر" مطلق، إنما هناك "ذات" نسبية. وبالتالي، يمكن للكوزموبوليتانية الصينية أن تتحول إلى مصدر فكري مهم يثبت أن الثقافة الصينية يمكنها أن تقدم إسهامات فكرية بناءة للعالم، بعد أن تتخلص مما تحويه من تفرقة بين الطبقات العليا والدنيا أو بين الرؤساء والتابعين.

انتشر الفكر الغربي منذ سنوات عديدة بشكل واسع في العالم بسبب قوة الغرب الجبارة. ولكن أصبح جليًّا أمام الجميع الآن مدى عجز الفكر الغربي عن معالجة القضايا العالمية، بل أصبح يسير دائمًا عكس الآمال والتوقعات، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها. وبالإضافة إلى ذلك، لا يُعد "انحيار" الفكر الغربي لبعض المناطق وتهميشه لباقي مناطق العالم ظاهرة صحية، الأمر الذي يتطلب التركيز على تحقيق الفائدة والتوازن، ووضع خطط وسبل أخرى بديلة. وعلى الرغم من أن هناك أصواتًا داخل الكيان الغربي تنتقد الفكر الغربي، فإنها ليست بناءة؛ لأنها تكتفي بالنقد فقط دون تقديم أي خطط أو خيارات بديلة. في حين تمثل الكوزموبوليتانية الصينية وأفكارها أهمية كبيرة في هذا الشأن؛ لما تقدمه من خيارات. فتتميز الكوزموبوليتانية الصينية بخمس خصائص، تمثل أهمية كبيرة لا يمكن التغاضي عنها؛ لما تلعبه من دور مهم في إعادة تشكيل العالم، وتقليل النزاعات، وتعزيز الانسجام العالمي.

أولًا: إن الكوزموبوليتانية الصينية تحتوي الآخر ولا تقصيه. في حين نجد الكوزموبوليتانية في الديانة المسيحية تركز دائمًا على إصلاح الآخر، وتحويل العالم إلى كيان يخضع للشعائر والمعتقدات المسيحية. أما الكوزموبوليتانية الصينية فتؤمن بأن الاختلاف أمر طبيعي، بل إنه شرط لتطور الأشياء. ولذلك لا يتم إقصاء أي شخص أو معتقده الديني، وإنما يتم التواصل معه مهما كان اختلافه. كما تؤمن الكوزموبوليتانية الصينية بالتفاوت الطبقي؛ لأن هذا التفاوت هو جزء من النظام الطبيعي، وبالتالي ينعكس على الحياة الإنسانية، الأمر الذي يتطلب من كل طرف البحث عن دوره المناسب، ليعم السلام في العالم.

ثانيًا: إن العلاقات بين الأطراف متغيرة بحسب الكوزموبوليتانية الصينية. فليس هناك "أنا" أو "آخر" مطلق، ولا يمكن الفصل بين "العدو" و"الذات" بشكل قاطع. حتى وإن

كان هناك "عدو" يهدد الذات، فيمكن لعلاقة العداوة هذه أن تتغير أو تتحول. ويختلف هذا التوجه كثيرًا عن المفاهيم الفلسفية التي تفرق بين الخير والشر والنور والظلام. وبالتالي فإن الكوزموبوليتانية الصينية عميقة ومتعقلة، وتستحق أن يستوعبها الإنسان ويستفيد منها.

ثالثًا: تعتمد سبل التحول بكل أشكالها على العنصر الثقافي وليس عنصر القوة. ولذلك تهتم الكوزموبوليتانية الصينية بالعنصر الأخلاقي، ودائمًا ما تحاول إبراز ذاتها من خلال قوتها على تهذيب الأخلاق، ما يقنع الآخرين ويجعلهم يخضعون لها، لأنها تعتمد على قوة الجذب والكاريزما. وعلى الرغم من أنه قد سبق ظهورها طرح "القوة الناعمة" في عالمنا الحالي، إلا أن قوة تأثيرها أعمق من "القوة الناعمة" كثيرًا.

رابعًا: إن وسائل التحول في الكوزموبوليتانية الصينية اختيارية وليست إجبارية. أما في الفكر الغربي فهناك مفهوم يؤمن بأنه "إن لم يرغب الآخر في الحرية، فيجب أن تفرضها عليه". وبالتأكيد فإن هذا النوع من "الحكم الاستبدادي" بعيد كل البعد عن "الحكم بالفضيلة" في الصين. فالفكر الصيني خالٍ من هذه الأفكار؛ لأنه يحترم الآخر، وينتظره أن يتقبله هو بنفسه. وفي ظل هذا الفكر، كان من المستبعد بالتأكيد اندلاع حرب مثل الحرب في العراق، والتي ظهرت عواقبها ظهور الشمس اليوم، ما يثبت أنه من المستحيل القضاء على الشر بشر آخر. ولذلك يجب تغيير هذا الفكر، والبحث عن سبيل آخر للخروج.

خامسًا: تحقيق انسجام العالم في أسرة واحدة، وهو يُعد الهدف الأمثل للكوزموبوليتانية الصينية. ولا يسعى هذا السبيل إلى "الاندماج" الآلي، بل يسعى إلى الانسجام الذي يكمل به كل طرف الآخر. ولا يسعى أيضًا إلى المزج المطلق بين الخير والشر والميزات والعيوب، وإنما يسعى إلى نوع من التحول المنسجم والمتعادل. ونظرًا إلى أن هناك مساواة بين الثقافات المختلفة، لذا تحتوي الأطراف بعضها البعض وتكمل بعضها. وليس هناك حاجة إلى القوة لإثبات ذلك، وإنما سوف يثبت الزمن ذلك من خلال الممارسة. وعلى هذا الأساس يتحول التعايش السلمي إلى التكافل المنسجم.

قال وانغ جنغ وو: "من وجهة نظر الصين، فإن الحديث عن "النهضة السلمية" يشير إلى أن الصين، التي سوف تتمتع بالقوة والرخاء في المستقبل، من الممكن أن تبحث عن رؤية

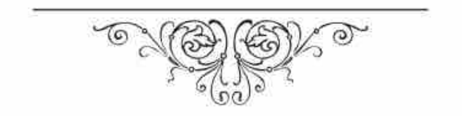
أخـرى معـاصرة تسـتوعب بهـا العـالم. ولـن تنظـر هـذه الرؤيـة الجديـدة إلى العـالم باعتبـار الصـين إمبراطوريـة توحـد العـالم. بـل عـلى العكـس، سـوف تتقبـل الصـين نفسـها باعتبارهـا دولـة ضخمـة متعـددة القوميـات طبقًـا لقواعـد السـيادة والمسـاواة في الأنظمـة الدوليـة الحاليـة"[1]. إن هـدف هـذه الدراسـة هـو مناقشـة تحـوّل الرؤيـة الصينيـة القديمـة للعـالم إلى مـا يُعـرف بالكوزموبوليتانيـة الصينيـة الجديـدة، ومـا يمكـن أن تقدمـه مـن إسـهامات فكريـة بنـاءة لعالمنـا اليـوم، ولربمـا تلهـم هذه الدراسـة مزيـدًا مـن الدراسـات عـلى يـد باحثـين آخريـن.

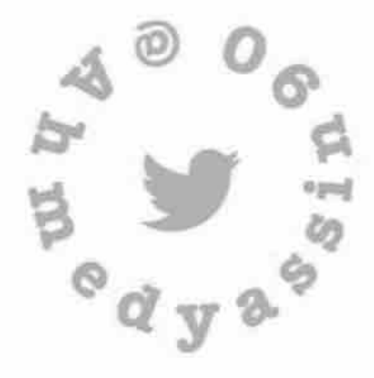
تم نشر هذه الدراسة في العدد الثامن من "مجلة الاقتصاد والسياسة العالمية" لعام 2014.

1- Wang Gungwu, “Tianxia and Empire: External Chinese Perspective”, Inaugural Tsai Lecture, Harvard University, May 4, 2006.

الصين والولايات المتحدة وبناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى: تقييمات ومقترحات

وو شين بوا




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: شهد عام 2013 تطورات مهمة في ذلك النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى ما بين الصين والولايات المتحدة، حيث اتفق الرئيس الصيني شي جين بينغ والرئيس الأمريكي باراك أوباما على هدف بناء ذلك النمط الجديد من العلاقات بين البلدين، كما كان للقاء بين الرئيسين في ولاية كاليفورنيا أهمية وتأثير واضح في توسيع مجالات التعاون بين البلدين. ورغم الاختلافات والاحتكاكات بين البلدين، إلا أن الطرفين نجحا في معالجتها دون المواجهة. وعملاً على دفع بناء هذا النمط الجديد من العلاقات، كان على الصين اقتراح أفكار وإجراءات جديدة لدفع العلاقات الصينية الأمريكية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وعرض رؤية الصين حيال المنطقة، في محاولة لوضع قواعد مشتركة ومشروع تجريبي لتطوير ذلك النمط الجديد للعلاقات بين البلدين.

الكلمات المفتاحية: نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى بين الصين والولايات المتحدة.

الباحث: وو شين بوا، أستاذ مركز الدراسات الأمريكية بجامعة فودان في شنغهاي.

يُعتبر عام 2013 مرحلةً جديدةً في تاريخ العلاقات الصينية الأمريكية. فأولًا، هناك قيادة جديدة في الدولتين. في الصين، تولت القيادة الجديدة السلطة بقيادة سكرتير عام الحزب السيد شي جين بينغ؛ وفي الولايات المتحدة، بدأت الفترة الرئاسية الثانية للرئيس أوباما، وشهدت الإدارة الأمريكية تغيرات كبيرة. ثانيًا، هناك أفكار جديدة. ففي عام 2012 طرحت الصين فكرة بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى مع الولايات المتحدة. ثم في عام 2013 توصل قادة البلدين إلى تفاهمات مشتركة حول هذه الأطروحة، ومن هنا أصبحت فكرة بناء "نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى" مفهومًا جديدًا يساعد على تطوير العلاقات بين البلدين. ثالثًا، هناك أساليب جديدة. فكان اللقاء بين الرئيسين في صني لاندز بولاية كاليفورنيا في يونيو عام 2013 سابقةً جديدةً في العلاقات بين البلدين سواء من حيث الشكل أو المضمون، وفتح صفحة جديدة في التواصل بين القيادة العليا الصينية والأمريكية. رابعًا، هناك تطورات جديدة. حيث حقق البلدان تطورات جديدة سواء على مستوى العلاقات التجارية والعسكرية بين الطرفين، أو تعزيز الاتصال والتنسيق حول القضايا الساخنة في المنطقة.

أولًا: بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى

يقوم مفهوم النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى الذي طرحته الصين على "عدم النزاع أو المواجهة، وتبادل الاحترام، ومراعاة المصالح المتبادلة والفوز المشترك". ولهذا الطرح أهمية كبيرة سوف نناقشها في النقاط الثلاثة التالية. أولًا: بعد أن تجاوز حجم الاقتصاد الصيني اليابان في عام 2010 وأصبحت الصين ثاني أكبر كيان اقتصادي على مستوى العالم، تساءلت الولايات المتحدة حكومةً وشعبًا تُرى متى قد يتجاوز حجم الاقتصاد الصيني الولايات المتحدة، وبدأت تتأمل أيضًا عواقب حدوث ذلك. وأكد بعض المحللين استنادًا إلى نظرية الحتمية والنظرية الواقعية أن صعود دولة كبرى جديدة سوف يؤدي حتمًا إلى الصدام مع الدول الكبرى القائمة، وبالتالي فلا مفر من الصدام بين الصين والولايات المتحدة، ومن ثَم يجب أن تستعد الولايات المتحدة لمواجهة ذلك. وعلى هذه الخلفية، طرحت الصين فكرة بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى بين الصين والولايات المتحدة، في محاولة لتجنب حدوث مأساة سياسية بين القوى العظمى في ظل ظروف العصر الجديدة، والقضاء على ذلك النمط التقليدي المعروف بنظرية الحتمية، وفتح صفحة جديدة للعلاقات بين دولة كبرى صاعدة ودولة كبرى أخرى قائمة. ثانيًا: دفعت الولايات المتحدة باستراتيجية "العودة إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ" خلال الفترة الرئاسية الأولى للرئيس أوباما، كما وسّعت من تواجدها في المنطقة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي أو الأمني، وكان أحد أهم أسباب ذلك هو محاولتها لكبح قوة الصين وتأثيرها المتزايد في المنطقة. وعلى هذه الخلفية، تزايدت الاحتكاكات بين الصين والولايات المتحدة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ، وظهر التنافس الاستراتيجي بين البلدين بشكل واضح. وبالتالي فإنه إذا تطورت الأوضاع بهذا الشكل، من المحتمل أن تنشب الصراعات بين البلدين في المنطقة، مما سوف يهدد العلاقات الثنائية بين البلدين ويضر بالسلم والاستقرار في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. ولذلك طرحت الصين فكرة انفتاحية جديدة تؤمن بأن "منطقة المحيط الهادئ منطقة شاسعة، يمكن أن تحتوي الصين والولايات المتحدة معًا"، وطرحت أيضًا مفاهيم جديدةً تدعو إلى تجنب الصراع والمواجهة

ومراعـاة المصالـح المتبادلـة والفـوز المشـترك بـين البلديـن، في محاولـة لكبـح وتخفيـف تلـك العلاقـة السـلبية بـين البلديـن في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، وبنـاء علاقـات أكـثر إيجابيـة. ثالثًـا: تُعـد الصـين دولـة كـبرى ناهضـة جديـدة، تتمسـك بطريـق التنميـة السـلمية، وتحرص عـلى مفاهيم "السـلم والتنميـة والتعـاون والفـوز المشـترك"، ولكـن الاختبـار الحقيقـي أمـام مفاهيـم الصـين الدبلوماسـية وممارسـتها باعتبارهـا دولـة كـبرى جديـدة، هـو مـدى قدرتهـا عـلى معالجـة العلاقـة بينهـا والولايـات المتحـدة الأمريكيـة، وهـي أكـبر قـوة عظمـى في المنطقـة كلهـا. وبالتـالي يمكـن أن نعتـبر طـرح الصـين لذلـك النمـط الجديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى مـع الولايـات المتحـدة، هـو محاولـة منهـا لابتـكار أفـكار جديـدة تدفـع بالمفاهيـم والممارسـات الدبلوماسـية الصينيـة.

طرحـت الصـين مبـادرة بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى مـع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة منـذ الجولـة الرابعـة مـن الحـوار الاسـتراتيجي والاقتصـادي بـين البلديـن المنعقـد في مايـو عـام 2012، ولكـن لم تحصـل الصـين عـلى رد رسـمي أو إيجـابي مـن الجانـب الأمريـكي حينئـذ حتـى عُقـد اللقاء بـين الرئيـس الصينـي والأمريـكي في يونيـو عـام 2013، حيـث شرح الرئيـس شي جـين بينـغ ضرورة بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين البلديـن، وأشـار إلى أن الهـدف مـن تطويـر ذلـك النمـط الجديـد للعلاقـات هـو "تعزيـز الحـوار والثقـة المتبادلـة وتنميـة التعـاون والسـيطرة عـلى الخلافـات بـين البلديـن"[1]. وكانت النتيجـة أن أعـرب الرئيـس أوبامـا عـن اسـتعداده للتعـاون مـع الجانـب الصينـي لتحقيـق هـذا الهـدف. ثـم بعـد ذلـك وجدنـا القـادة والمسـئولين الأمريكيـين يسـتخدمون مفهـوم "النمـط الجديـد للعلاقـات بين الـدول الكـبرى" في خطاباتهـم بشـكل كبـير. فعـلى سـبيل المثـال، في العشريـن مـن نوفمـبر عـام 2013، صرحـت مستشـارة الأمـن القومـي الأمريكيـة سـوزان رايـس في كلمـة لهـا حـول السياسـات الأمريكيـة في آسـيا بـأن الولايـات المتحـدة الأمريكيـة تبحـث تفعيـل نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى مـع الصـين، وهـو مـا يعنـي أننـا سـنعمل عـلى إدارة تلـك المنافسـة الحتميـة بـين البلديـن، ونعمـل

-1 موقع وزارة الخارجية الصينية، "لقاء صحفي مشترك بين الرئيس شي جين بينغ والرئيس الأمريكي أوباما"، 2013-6-8،
http//:www.fmprc.gov.cn/mfa_chn/ziliao_611306/zt_611380/dnzt_611382/xjpdwfw_644623 /zxxx_644625 / t1048842.shtml.

أيضًا في الوقت نفسه على تعميق التعاون في القضايا التي تعود بالمصلحة على الطرفين[1]. كما صرح نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن خلال زيارته إلى الصين في شهر ديسمبر بأن الولايات المتحدة الأمريكية تسعى إلى بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى مع الصين، ومن أهم سمات هذه العلاقة الجديدة هي "التعاون البنّاء، والمنافسة الصحية، واحترام القوانين الجديدة بالإضافة إلى القواعد الدولية للقرن الحادي والعشرين المتعارف عليها"[2].

ويتضح لنا أن هناك نقاط اتفاق وأيضًا اختلاف بين الصين والولايات المتحدة حول بناء ذلك النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى. فهناك اتفاق حول توسيع التعاون والسيطرة على الخلافات وتجنب الصدامات، بينما نجد الاختلافات في أن الجانب الصيني يؤكد على الاحترام المتبادل (مثل احترام كل دولة لسيادة الدولة الأخرى وسلامة أراضيها، وأنظمتها الاجتماعية، وطرقها التنموية، ومصالحها الجوهرية، واهتماماتها الكبرى)، أما الولايات المتحدة فتؤكد على احترام القوانين، حيث تأمل استغلال قدراتها لوضع هذه القواعد في تقييد وتوجيه تصرفات الجانب الصيني.

وفي الحقيقة، لا تزال هناك آراء مختلفة في الولايات المتحدة، على مستوى الحكومة وحتى العامة، حول ذلك النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى. فيرى البعض أن طرح الصين لذلك النمط الجديد من العلاقات مهم بالنسبة لها؛ لأن المنافسة العسكرية قد تصاعدت بين البلدين في السنوات الأخيرة، وبالتالي فإن طرح بناء ذلك النمط الجديد سوف يقوم بتوجيه العلاقات بين البلدين على المستوى السياسي، ويسيطر سياسيًا على الاستراتيجيات العسكرية للبلدين بالشكل الذي لا يسمح لأي من جيشي البلدين بتطوير خطة حرب عسكرية خطيرة (على سبيل المثال وضع خطة حربية بحرية جوية متكاملة)؛ وذلك لأن مخططات مثل هذه سوف تصعّد من خطر نشوب صدامات بين البلدين، وبالتالي لا يجب أبدًا تطبيقها. وعلى الجانب الآخر، يرى آخرون أن مفهوم بناء نمط جديد

1- Remarks as prepared for delivery by National Security Advisor Susan E. Rice at Georgetown University, Washington DC, November 20, 2013, http://www.whitehouse.gov/the-press-office /2013 /11 /21 /remarks-prepared-delivery-national-security-advisor-susan-rice

2- Remarks by the Vice President at a breakfast with the American Chamber of Commerce in Beijing and the U.S.-China Business Council, Beijing, China, December 5, 2013, http: //www.whitehouse.gov/the-press-office/2013/12/05/remarks-vice-president-breakfast-american-chambercommerce-beijing-and-u

للعلاقات بين الدول الكبرى ليس واضحًا بالنسبة لهم، فربما هو مجرد طرح صيني جديد حول العلاقات الصينية الأمريكية، ولكن لا تهتم الولايات المتحدة بهذا الطرح الجديد بحد ذاته، وإنما تتابع معالجة الجانب الصيني لسلسلة من القضايا التي تهتم بها الولايات المتحدة، على سبيل المثال أمن الإنترنت، والقضية النووية الكورية.. إلخ. وبالتالي إذا لم يحقق الطرفان تطورات على مستوى التعاون في هذه القضايا، فسوف يتوارى هذا الطرح سريعًا عن الأنظار.

ومما لا شك فيه أن طريق بحث الصين والولايات المتحدة لبناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى سيكون مليئًا بالتحديات؛ نظرًا لما تواجهه العلاقات الصينية الأمريكية من خلافات. ومع ذلك، لاحظنا إيجابية واضحة في هذا الأمر منذ أن طرحت الصين هذا المقترح حتى وافق عليه قادة البلدين. ويظهر ذلك في ثلاثة جوانب أساسية. أولًا: لقد أصبحت الصين أكثر مبادرة في معالجة العلاقات الصينية الأمريكية، وأصبح لها قدر أكبر من حرية التعبير. فمن المعروف أن الولايات المتحدة ظلت تحتل مكانة رائدة في العلاقات الصينية الأمريكية لفترات طويلة، حيث كانت هي التي تُصدر القرارات وتطالب الصين بالإجراءات، بينما كانت الصين تقف موقفًا سلبيًا، ولكن ذلك التفاعل الصيني الأمريكي حول بناء ذلك "النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى" قد عكس أن الصين أصبحت أكثر مبادرة وإيجابية عما سبق. ثانيًا: ظهور مفهوم جديد لتطوير العلاقات الصينية الأمريكية. فمع تعمق الاعتماد المتبادل بين الصين والولايات المتحدة، وزيادة التحديات أمام الحوكمة العالمية، ومع النهضة السريعة للدولة الصينية، والتراجع النسبي للولايات المتحدة في ظل عصر العولمة، كان لبناء ذلك النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى دور مهم في تخفيف الاحتكاكات وتجنب الصدامات وأيضًا توسيع وتعميق التعاون بين البلدين، مما يضمن تطور العلاقات الصينية الأمريكية بشكل صحي وإيجابي في القرن الحادي والعشرين. ثالثًا: توحيد الأفكار داخل حكومتي البلدين، مما كان له دوره في دفع العلاقات الصينية الأمريكية للتطور بشكل صحي. فمن ناحية موضوعية، عادةً ما كانت تتأثر حكومتا البلدين عند معالجتهما للعلاقات الثنائية بمصالح هيئات الدولة أو مصالح الدولة بصفة عامة، ما يسبب إغفال الهدف الأساسي وهو تنمية العلاقات بين البلدين، ولكن بعد أن وافق قادة البلدين على بناء ذلك النمط الجديد من العلاقات، أصبح ذلك بمثابة رسالة إلى الهيئات الحكومية في كلا البلدين، حيث ينبغي على جميع الجهات أن تركز عند معالجتها للعلاقات الثنائية على دفع الهدف الأساسي.

ثانيًا، اللقاء بين الرئيسين في منتجع أنينبرج

نادى الرئيس أوباما في بداية فترة ولايته الثانية بتحسين العلاقات مع الصين وأيضًا تأسيس علاقات تعاون بناءة مع القيادة الصينية الجديدة، وذلك بعد أن ظهرت شتى أنواع الخلافات في العلاقات الصينية الأمريكية خلال فترة ولايته الأولى. وقد بعثت السياسات الأمريكية الجديدة حيال الصين ببعض الرسائل الإيجابية، فعلى سبيل المثال أوضحت الولايات المتحدة أنها لا تستهدف الصين باستراتيجية إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ، بل إن تعزيز العلاقات الأمريكية الصينية يُعد جزءًا من هذه الاستراتيجية. واستجابةً لتوصيات بعض المتخصصين الأمريكيين، دعت الحكومة الأمريكية إلى ضرورة سرعة ترتيب لقاء بين الرئيس الصيني والأمريكي، حتى يتعرف كل منهما على الآخر بشكل أكبر، ويؤسسا علاقات عمل طيبة فيما بينهما. واستجابت الصين بشكل إيجابي للطرح الأمريكي، مما سهّل عقد اللقاء بين الرئيس شي جين بينغ والرئيس أوباما في ولاية كاليفورنيا يومي 7 و8 من يونيو عام 2016.

وتُعد هذه الزيارة سابقة جديدة في تاريخ العلاقات الصينية الأمريكية لما حققته من سلسلة من الإنجازات نوردها فيما يلي: أولًا: عزز اللقاء من التفاهم والثقة المتبادلة بين الطرفين؛ حيث "كشف" قادة البلدين في خلال لقائهما الأول هذا عن أجندة كل دولة، الأمر الذي جعل كل طرف يتعرف على أفكار ومفاهيم الطرف الآخر بشكل أفضل. كما "كشف" كل طرف عن سياسته نحو الطرف الآخر. فأكد الرئيس شي جين بينغ على تمسك الصين بسلوك طريق التنمية السلمية، والاستمرار في تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، كما شدد على شرح وجهة نظره حيال فكرة بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى مع الولايات المتحدة. وصرح الرئيس أوباما بأن الولايات المتحدة تهتم كثيرًا بعلاقتها مع الصين، وترحب بأن تستمر الصين في النهضة لتصبح دولة كبرى عالميًا، وأن الولايات المتحدة غير قلقة بشأن تجاوز حجم اقتصاد الصين الولايات المتحدة، وإنما يسعدها كثيرًا أن تحافظ على علاقات تعاون راسخة وقوية مع الصين. وبجانب المحادثات التقليدية،

كانت المأدبة التي حضرها الرئيسان والجولة التي قاما بها فرصة طيبة ليتعرف كل طرف على الآخر بشكل أكبر. وكان انطباع الرئيس أوباما عن الرئيس شي جين بينغ خلال هذه الزيارة أنه "شخص جريء ونشيط وواثق من نفسه"[1].

ثانيًا: اتفق الرئيسان على هدف بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى. وهنا نذكر ما عرضه الرئيس شي جين بينغ من عوامل ساعدت على تحقيق هذا الهدف، وهي كالآتي: يتمتع كلا الطرفين باستعدادات سياسية لبناء ذلك النمط الجديد من العلاقات بين الدول الكبرى. وقد ساهمت فترة أربعين عامًا من التعاون بين البلدين في وضع أسس ثابتة للعلاقات بين الطرفين. أسس الطرفان أكثر من تسعين آلية للحوار والتواصل، على سبيل المثال عقد جولات من الحوار الاستراتيجي والاقتصادي، والقيام بالتبادلات الثقافية، وأيضًا المشاورات بين القيادة العليا، الأمر الذي ساعد على دعم بناء ذلك النمط الجديد من العلاقات بين البلدين. بالإضافة إلى ذلك، فقد أدت الاتصالات الاجتماعية بين البلدين إلى توفير دعم شعبي عميق. كما أن مستقبل التعاون بين البلدين يتمتع بآفاق واسعة. وقد صرح الرئيس أوباما بأن اللقاء أتاح فرصة طيبة ليتبادل الطرفان وجهات النظر حول مجموعة من القضايا وأيضًا لمناقشة فكرة بناء ذلك النمط الجديد من العلاقات. فالفرصة الآن سانحة بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية والصين لرفع العلاقات بين البلدين إلى مستوى أعلى، وبالتالي سوف يبذل الطرفان قصارى جهدهما حتى لا يفوتا هذه الفرصة الطيبة[2].

ثالثًا: أتاح اللقاء الذي استمر يومين فرصة لرئيسي الدولتين لتبادل وجهات النظر حول العديد من القضايا. فناقش الطرفان كيفية تطوير العلاقات الاقتصادية والتجارية والعسكرية بين البلدين، وناقشا أيضًا قضية شبه الجزيرة الكورية، وأعرب كل منهما عن موقفه حيال قضية أمن الإنترنت. ولكن مع تطور العولمة ونمو قوة الدولة الصينية وتأثيرها، اتسع نطاق تغطية العلاقات الصينية الأمريكية، ما قد جلب فرص جديدة للتعاون، ولكن تسبب في الوقت نفسه في ظهور العديد من الخلافات والتناقضات. وكما ذكرنا سلفًا، فإن هدف بناء ذلك النمط الجديد من العلاقات بين الدول الكبرى هو توسيع

1- الشبكة الصينية، "أوباما: الرئيس شي جين بينغ جريء ونشيط"، 2013-6-19،
http//:www crntt.com/doc/1025/8/8/4/102588419.html?coluid = 0 & kindid =0 & docid = 102588419.

2- موقع وزارة الخارجية الصينية، "لقاء صحفي مشترك بين الرئيس شي جين بينغ والرئيس الأمريكي أوباما"، 2013-6-8.

نطاق التعاون والسيطرة على الخلافات بين البلدين. وقد استطاع الطرفان التوصل إلى نقاط مشتركة للتعاون من خلال نقاشاتهما المتعمقة خلال هذا اللقاء، كما حللا بصدق شديد تلك الخلافات والتناقضات القائمة بين الطرفين حتى يمكن معالجتها بشكل فعّال. فعلى سبيل المثال، وافق الطرفان على تحسين وتطوير العلاقات العسكرية بين البلدين، ودفع بناء نمط جديد من العلاقات العسكرية. وبالإضافة إلى ذلك، كانت التبادلات بين الطرفين حول القضية الكورية صادقة ومباشرة.

رابعًا: أرسى اللقاء نموذجًا جديدًا للعلاقات بين رئيسي البلدين. لقد كانت التبادلات الثنائية بين رئيسي البلدين سابقًا في شكل زيارات رسمية أو زيارات عمل، وبالتالي كانت تتمسك بشدة بالشكليات، وحتى إن استغل الطرفان فرصة للقاء على هامش لقاءات أخرى متعددة الأطراف، عادة ما يكون اللقاء غير متعمقًا بسبب ضيق الوقت. أما هذا اللقاء فقد تجاوز الشكليات والرسميات المعتاد عليها في الزيارات الرسمية أو زيارات العمل، كما تم استغلال الوقت قدر المستطاع في الحوار بين الطرفين. وبالإضافة إلى ذلك اتّسم اللقاء بالتبادلات الصادقة، فلم يجهز الطرفان نقاط معينة للحديث عنها حتى يبتعدا عن البروتوكولات العادية، مما جعل رئيسي البلدين يتحدثان بصدق عن آرائهما حول مختلف القضايا. وبما أنه لم يُصدر الطرفان بيانًا مشتركًا، فقد جعلهما هذا يركزان على الزيارة نفسها وليس على تحضير مستند يسجل إنجازات اللقاء. وكان الطرفان في رضا شديد عن هذا الشكل من التواصل، وأعربا عن رغبتهما في استمرار مثل هذه اللقاءات. والجدير بالذكر هنا أن هذا النموذج الجديد من اللقاءات بين الرئيسين الصيني والأمريكي قد عكس ما يتطلبه تطوير العلاقات بين البلدين من متطلبات موضوعية.

خامسًا: كان لنجاح اللقاء بين الرئيسين تأثير إيجابيّ واسع. كما ذكرنا سلفًا، أدى تطبيق الرئيس أوباما لاستراتيجية إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ في الفترة الأولى من ولايته إلى توتر العلاقات وتصعيد المنافسة بين البلدين في منطقة آسيا والمحيط الهادئ؛ ولذلك كانت العلاقات الصينية الأمريكية خلال الفترة الرئاسية الثانية محطّ أنظار العالم كله. ولقد بعث هذا الشكل الجديد من اللقاءات، الذي جاء في بداية حكم القيادة الصينية الجديدة وبداية الفترة الرئاسية الثانية للرئيس أوباما، برسالة مهمة للعالم، وهي أن رئيسي البلدين يوليان أهميةً كبيرةً للعلاقات الثنائية، ويأملان في

توسيع التعاون بين البلدين والسيطرة على الخلافات بينهما، وأنهما على استعداد لدفع العلاقات الصينية الأمريكية بشكل إيجابي وبنّاء. الأمر الذي قد ساعد على تخفيف القلق حول توتر العلاقات الصينية الأمريكية، وقد ساهم أيضًا في إفشال محاولات بعض الدول لاستغلال الولايات المتحدة في كبح الصين، وقد ساهم أيضًا في إرساء السلم والاستقرار في منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

ثالثًا، توسيع آفاق التعاون

لا تـزال العلاقـات الاقتصاديـة والتجاريـة مـن أهـم الأسـس والقـوى الدافعـة لتطويـر العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة. طبقًـا للإحصـاءات الصينيـة، تجـاوز حجـم التجـارة الثنائيـة بـين الصـين والولايـات المتحـدة حاجـز الخمسـمائة مليـار للمـرة الأولى في عـام 2013، ليصـل إلى خمسـمائة وواحـد وعشريـن مليـار دولار أمريـكي، حيـث بلـغ حجـم الصـادرات الصينيـة إلى الولايـات المتحـدة 368 مليـار و400 مليـون دولار أمريـكي، بينـما بلـغ حجـم الـواردات مـن الولايـات المتحدة 152 مليـار و600 مليـون دولار أمريـكي، بفائـض تجـاري صينـي يصـل إلى 215 مليـار و800 مليـون دولار أمريـكي. وفي نفـس العـام، كانـت الولايـات المتحـدة ثـاني أكـبر شريـك تجـاري للصـين، وأكـبر سـوق للصـادرات الصينيـة، وخامـس أكـبر سـوق للـواردات الصينيـة. كـما كانـت الصـين ثـاني أكـبر شريـك تجـاري للولايـات المتحـدة، وثالـث أكـبر سـوق للصـادرات الأمريكيـة، وأكـبر سـوق للـواردات الأمريكيـة. وعـلى مسـتوى الاسـتثمارات، تجـاوزت الاسـتثمارات الثنائيـة بـين الصـين والولايـات المتحـدة الأمريكيـة مائـة مليـار دولار أمريـكي، حيـث تجـاوز حجـم الاسـتثمارات الأمريكيـة المبـاشرة في الصـين 70 مليـار دولار أمريـكي، وتجـاوز حجـم الاسـتثمارات الصينيـة المبـاشرة في الولايـات المتحـدة 30 مليـار دولار أمريـكي. وتُعـد الولايـات المتحـدة خامـس أكـبر سـوق للاسـتثمارات المبـاشرة الصينيـة، كـما تُعـد ثـاني أكـبر مقصـد للاسـتثمارات الصينيـة المبـاشرة، وتتجـاوز سرعـة نمـو الاسـتثمارات المباشرة الصينيـة في الولايـات المتحدة سرعة نمو الاسـتثمارات الأمريكيـة المبـاشرة في الصـين. وفي خـلال الجولـة الخامسـة مـن الحـوار الاسـتراتيجي والاقتصـادي بـين الصـين والولايـات المتحـدة المنعقـد في شـهر يوليـو، وافـق الطرفـان عـلى عقـد محادثـات حـول اتفاقيـة الاسـتثمار الثنـائي الصينـي الأمريـكي (BIT) عـلى أسـاس تقديـم المعاملـة الوطنيـة وتطبيـق القوائـم السـلبية. وبـدأت المحادثـات بـين الطرفـين حـول هـذه الاتفاقيـة منـذ الجولـة الرابعـة مـن الحـوار الاسـتراتيجي والاقتصـادي بـين البلديـن في عـام 2008، وفي يوليـو عـام 2013 قـام الطرفـان بالجولـة التاسـعة مـن المناقشـات الفنيـة، ولكـن لم تحقـق إنجـازات واضحـة. إلا أن التوافـق الـذي توصـل إليـه الطرفـان هـذه المـرة يعنـي دخـول المحادثـات مرحلـةً جديـدةً. وفي أكتوبـر عـام 2013، عقـد الطرفـان الجولـة العـاشرة مـن المحادثـات، وناقشـا كيفيـة وضـع القوائـم السـلبية وغيرهـا مـن التفاصيـل.

كـما حقـق التعـاون بـين الصـين والولايـات المتحـدة تطـورًا جديـدًا في قضايـا مثـل تغـير المنـاخ والطاقـة النظيفـة. في إبريـل عـام 2013، زار وزيـر الخارجيـة الأمريـكي جـون كـيري الصـين للمـرة الأولى بعـد توليـه المنصـب، حيـث اقـترح تأسـيس فريـق عمـل صينـي أمريـكي حـول تغـير المنـاخ، لتعزيـز التعـاون الثنـائي بـين البلديـن في هـذا المجـال. وخـلال الجولـة الخامسـة مـن الحـوار الاسـتراتيجي والاقتصـادي الصينـي الأمريـكي المنعقـد في شـهر يوليـو، قـرر الطرفـان التعـاون في خمسـة مجـالات أساسـية في محاولـة لمواجهـة قضيـة تغـير المنـاخ، منهـا التعـاون في مجـال الشـاحنات وغيرهـا مـن السـيارات، والشـبكات الذكيـة، واسـتخراج الكربـون واسـتخدامه وتخزينـه، وتجميـع وإدارة البيانـات حـول غـازات الدفيئـة، ورفـع كفـاءة أعـمال البنـاء والصناعـة. وفي شـهر سـبتمبر، حـضر الرئيـس شي جـين بينـغ قمـة مجموعـة العشريـن المنعقـدة في سـان بطرسـبرج، وصرّح في لقائـه مع الرئيـس الأمريكي خـلال هـذه القمـة بـأن قضايـا مثـل ترشـيد الطاقـة وحمايـة البيئـة سـوف تتحـول إلى "نقـاط مضيئـة في مجـالات التعـاون الصينيـة الأمريكيـة"[1].

بينـما تعـد العلاقـات العسـكرية الأهـم مـن بـين مجـالات التعـاون الصينيـة الأمريكيـة. ففـي عـام 2013، حققـت العلاقـات العسـكرية الصينيـة الأمريكيـة نمـوًّا ناجحًـا. وخـلال اللقـاء الـذي جمـع الرئيسـين الصينـي والأمريـكي في ولايـة كاليفورنيـا، اتفـق الطرفـان على ضرورة تحسـين وتطويـر العلاقات العسـكرية بـين البلديـن، ودفـع بنـاء نمـط جديـد من العلاقـات العسـكرية. وأكـد الرئيـس أوبامـا قائلًا: "إن التعـاون العسـكري بـين البلديـن أحـد مجـالات التعـاون التـي يمكـن أن تحقـق تقدمًـا ملموسًـا، فهـي شـاهد عـلى دفـع البلديـن لبنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى"[2]. وعـلى مسـتوى الاتصـالات بـين القيـادة العليـا، زار رئيـس هيئـة الأركان المشـتركة الأمريكيـة مارتـن ديمبـسي الصـين في إبريـل مـن نفـس العـام، حيـث التقـى بـه الرئيـس شي وعـدد مـن القـادة العسـكريين والمسـئولين في الحكومـة الصينيـة، للتشـاور المشـترك لبنـاء خطـة للنمط الجديـد من العلاقات العسـكرية بـين البلدين. وفي شـهر أغسـطس، زار وزيـر الدفـاع الصيني تشـانغ وان تشـوان أيضًا الولايـات المتحـدة، والتقى بوزير الدفـاع الأمريـكي تشـاك هيغـل، وتوصـل الطرفان إلى خمـس اتفاقيات حـول تطوير العلاقات العسـكرية بـين البلديـن، وتبـادل الزيـارات بـين القيـادة العليـا، ووضـع آليـات للتبـادل وغيرهـا مـن المجـالات.

1- "الرئيس شي جين بينغ يلتقي بالرئيس أوباما"، "صحيفة الشعب اليومية" (النسخة الأجنبية)، 2013-9-7، الطبعة الأولى.

2- موقع وزارة الخارجية الصينية: "لقاء صحفي مشترك بين الرئيس شي جين بينغ والرئيس الأمريكي أوباما"، 2013-6-8.

وعقـد الطرفـان الصينـي والأمريـكي الجولـة الرابعـة عـشرة مـن المباحثـات بـين وزارتي الدفـاع الصينيـة والأمريكيـة، حيـث قـدّم الجانـب الصينـي مقترحاتـه حـول تطبيـق الاقتراحـين الأساسـيين اللذيـن قدمهـما الرئيـس شي خـلال لقائـه بالرئيـس أوبامـا (بحـث وضـع آليـات لتبـادل الإبـلاغ بالعمليـات العسـكرية الصينيـة والأمريكيـة، ووضـع معايـير للأعـمال الأمنيـة العسـكرية البحريـة والجويـة). وبالإضافـة إلى ذلـك، تواصـل القـادة العسـكريين مـن البلديـن خـلال الحـوار في مدينـة شـانغري-لا وغيرهـا مـن المناسـبات الأخـرى، كـما أرسـل جيشـا البلديـن ممثلـين لحضـور الجولـة الخامسـة مـن الحـوار الاسـتراتيجي والاقتصـادي الصينـي الأمريـكي، وكذلـك الحـوار الأمنـي الاسـتراتيجي، والمؤتمـر الأول لفريـق عمـل الإنترنـت بـين البلديـن. وعـلى صعيـد التبـادلات العسـكرية بـين البلديـن، قامـت القـوات البحريـة للبلديـن بمنـاورات مشـتركة لمكافحـة القرصنـة في خليـج عـدن في مايـو عـام 2013. وفي سـبتمبر مـن نفـس العـام، قامـت القـوات البحريـة الصينيـة والأمريكيـة أيضًـا بعمليـات بحـث وإنقـاذ مشـتركة في المجـال البحـري بالقـرب مـن هـاواي. ثـم في شـهر نوفمـبر أرسـلت الصـين قـوات إلى هـاواي للقيـام بـأول منـاورات عسـكرية صينيـة أمريكيـة مشـتركة للإنقـاذ والإغاثـة، وكانـت هـذه هـي المـرة الأولى التـي ترسـل فيهـا الصـين جنـودًا إلى الأراضي الأمريكيـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، تعـاون الجيشـان الصينـي والأمريـكي في أعـمال الإنقـاذ والإغاثـة الإنسـانية والمنـاورات العسـكرية والطبيـة المشـتركة ضمـن آليـات الاجتـماع الموسـع عـلى مسـتوى وزراء دفـاع دول الآسـيان المنعقـد في برونـاي. وبالتـالي حققـت العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة نمـوًا ناجحًـا، الأمـر الـذي لم يسـاهم فقـط في تعزيـز الثقـة الاسـتراتيجية المتبادلـة بـين البلديـن، بـل قـد وفـر فضـاءً جديـدًا وقـوةً أكـبر للتعـاون تدفـع بتوسـيع وتطويـر العلاقـات بـين البلديـن بصفـة عامـة.

ويُعـد التواصـل والتنسـيق بـين البلديـن حـول القضيـة النوويـة الكوريـة نقطـة مضيئـة أخـرى في العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة خـلال عام 2013. فبعـد أن أجرت كوريا الشـمالية تجربتهـا النووية الثالثة في فبرايـر عـام 2013، اتخـذت الصـين إجـراءات إيجابيـة لمنع كوريا الشـمالية من دفع مشروعهـا النووي، ودعـت إلى اسـتئناف المحادثـات السداسـية، انطلاقًـا مـن حرصهـا عـلى منـع الانتشـار النـووي وحفاظًـا عـلى السـلم والاسـتقرار في المنطقـة. كـما عـزز الجانبـان الصينـي والأمريـكي التواصـل والتنسـيق فيـما بينهـما فيـما يخـص هـذه القضيـة. وفي ظل الجهـود المشـتركة بـين الصين والولايـات المتحدة، مـرر مجلس الأمـن في شـهر مـارس قـرارًا جديـدًا بفـرض العقوبـات عـلى كوريـا الشـمالية. وخـلال لقائـه مـع الرئيس الأمريـكي في ولايـة كاليفورنيـا في شـهر يونيـو، شرح الرئيـس شي جين بينـغ بصدق وعمـق موقف الجانب

الصيني من معالجة القضية النووية الكورية، مما قد جعل الجانب الأمريكي يتعرّف على الموقف الصيني بشكل أفضل. كما حافظ المسئولون الصينيون والأمريكيون على اتصالات ومشاورات عميقة حول القضية النووية الكورية والأوضاع في شبه الجزيرة الكورية. وعلى الرغم من أنه لم يتم استئناف المحادثات السداسية في عام 2013، إلا أن التعاون بين الصين والولايات المتحدة حول القضية النووية الكورية قد ساهم في كبح مشروع كوريا النووي، والحفاظ على السلم والاستقرار في شبه الجزيرة الكورية. ويعكس الموقف الصيني حيال القضية الكورية مدى جدية الصين حيال حماية الاستقرار في المنطقة والحفاظ على المنظومة الدولية لمنع الانتشار النووي.

وفي ظل المبادرة والإيجابية والإقدام والطموح الذي تميزت به الدبلوماسية الصينية عام 2013، عززت الصين والولايات المتحدة الأمريكية من الاتصال فيما بينهما حول قضايا الشرق الأوسط. وفي العشرين من يونيو عقد الطرفان الصيني والأمريكي الجولة الثانية من المباحثات على مستوى نائبي الوزراء حول قضايا الشرق الأوسط على هامش الحوار الاستراتيجي والاقتصادي الصيني الأمريكي المنعقد في واشنطن. وتبادل الطرفان وجهات النظر حول الأوضاع في منطقة الشرق الأوسط، والعملية السلمية في سوريا وإيران، بالإضافة إلى قضية أمن الطاقة. واتفق الطرفان على الحفاظ على التواصل والتنسيق فيما بينهما حول شئون منطقة الشرق الأوسط، وبذل الجهود المشتركة لتحقيق السلم والاستقرار في المنطقة. وخلال لقاء الرئيس شي مع الرئيس أوباما في سان بطرسبرج في شهر سبتمبر2013، عرض الجانب الصيني موقفه ومبادئه حيال القضية السورية، وأكد على ضرورة الالتزام بحماية القوانين الدولية والقواعد الأساسية في العلاقات الدولية، وحظر استخدام الأسلحة الكيميائية، كما أكد على أن الحل السياسي هو السبيل الأمثل، فالقوة لن تستطيع حل المشكلة بشكل جذري. وساهم الجانب الصيني في طرح حل للأزمة السورية يقوم على "إرساء السلام في مقابل حظر الأسلحة الكيميائية". وفي شهر ديسمبر، بادر الجانب الصيني قبل زيارة وزير الخارجية الصيني الأولى إلى الشرق الأوسط بالتشاور مع الجانب الأمريكي في كيفية دفع المحادثات الفلسطينية الإسرائيلية، وتبادل وزير الخارجية الصيني وانغ يي ووزير الخارجية الأمريكي جون كيري الآراء حيال هذه القضية عبر مكالمة هاتفية. وبالإضافة إلى ذلك، شارك الجانب الصيني بإيجابية في الوساطة الدبلوماسية حول القضية النووية الإيرانية، وشارك أيضًا في المحادثات (6+1)، للتوصل إلى اتفاقية حول القضية النووية الإيرانية في ظل الأوضاع الجديدة.

رابعًا: المشكلات والاحتكاكات

على الرغم من أن العلاقات الصينية الأمريكية قد شهدت تحسنًا في 2013، وتطورت بشكل مستقر بصفة عامة، فقد عجز الطرفان عن حل بعض القضايا المؤرقة. فعلى الصعيد الاقتصادي، لم تحقق الولايات المتحدة ما تطمح إليه من إنجازات لتوسيع سيطرتها على الصادرات التكنولوجية إلى الصين. وعلى الصعيد الأمني، ظلت الاستطلاعات الجوية الأمريكية في الصين كما هي، وفي نهاية عام 2013 وقعت مواجهات بين سفن حربية للبلدين في بحر الصين الجنوبي. كما استمرت الولايات المتحدة في تعزيز التعاون العسكري مع اليابان والفلبين، الأمر الذي صعَّد من حدة النزاعات في جزر دياويو ونان شا. وعلى الصعيد الدبلوماسي، ظلت الولايات المتحدة تستميل الدول المجاورة للصين، سعيًا لكبح قوة تأثير الصين في المنطقة. ولكن أكثر ما جذب انتباه العالم هو ذلك النزاع بين البلدين في قضايا أمن الإنترنت وبناء الصين منطقة دفاع جوي فوق بحر الصين الشرقي.

وتُعد قضية أمن الإنترنت من أبرز القضايا في العلاقات بين الصين والولايات المتحدة في عام 2013، بل كان لها تأثير دراميّ كبير. ففي السنوات الأخيرة، ظلت الولايات المتحدة تتهم الصين بالقيام بأعمال تجسس لسرقة معلومات عسكرية وتجارية سرية. وفي مطلع عام 2013، صعّدت الولايات المتحدة حكومةً وشعبًا من ضغوطها على الصين حول قضية أمن الإنترنت. وأصدرت شركة مانديانت الأمريكية للأمن الإلكتروني تقريرًا اتهمت فيه الجيش الصيني بشن هجمات إلكترونية واسعة النطاق على مؤسسات أمريكية، كما تناولت "نيويورك تايمز" هذه القضية أيضًا. وبعد ذلك وجّه طوماس دونيلون، مستشار الأمن القومي للرئيس الأمريكي، تنديدات شديدة اللهجة للحكومة الصينية، وطالب بضرورة انتباه الجانب الصيني إلى خطورة هذه القضية وما تسببه من مخاطر، وأن تقوم بالتحقيق ووقف مخترقي الشبكات الصينيين، وأشار إلى ضرورة وضع قواعد

تحكم الفضاء الإلكتروني وعقد حوار بنّاء ومباشر بين الطرفين في هذه القضية[1]. ثم في شهر مارس وإبريل من العام نفسه، زار كل من وزير المالية، ووزير الخارجية جون كيري، ورئيس هيئة الأركان المشتركة الأمريكية مارتن ديمبسي الصين، ما قد فرض ضغوطًا على الصين في قضية أمن الإنترنت. والجدير بالذكر أن قضية أمن الإنترنت كانت ضمن القضايا المثارة في اللقاء بين الرئيسين الصيني والأمريكي في ولاية كاليفورنيا. ومع الزيادة الملحوظة في أهمية قضية أمن الإنترنت بالنسبة للعلاقات الصينية الأمريكية، وافق الجانبان خلال زيارة جون كيري إلى الصين على تأسيس مجموعة عمل خاصة بقضايا الإنترنت ضمن إطار الحوار الأمني والاستراتيجي بين البلدين، ووافقا أيضًا على بدء الحوار حول هذه القضية.

وفي مطلع شهر يونيو، كشف إدوارد جوزيف سنودن، الموظف السابق في وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي آي إيه)، أن الولايات المتحدة تقوم بهجمات ومراقبات إلكترونية منذ فترة طويلة، وبعد هذا التصريح في وسائل الإعلام ذهب سنودن إلى هونغ كونغ. وبعد أن طلبت الحكومة الأمريكية من هونغ كونغ إعادته طالب بالذهاب إلى روسيا، وهناك حصل على موافقة ليكون لاجئًا فيها. لم تُظهر قضية سنودن حقيقة ما ادعته الولايات المتحدة طويلاً من اختراقات إلكترونية فحسب، بل غيرت أيضًا من مواقف الصين والولايات المتحدة الهجومية والدفاعية حول قضية أمن الإنترنت. فقد أظهر ما كشفه سنودن للعالم كله أن الولايات المتحدة الأمريكية "دولة متجسسة"، ولم يكشف ذلك استغلال واشنطن لتميزها التكنولوجي وسيطرتها على العالم فحسب، بل كشف أيضًا نفاق الحكومة الأمريكية، لأن الجانب الأمريكي ظل يتهم الصين بالقيام بهجمات إلكترونية على الولايات المتحدة وكأنها ضحية لمخترقي الشبكات الصينيين، ولكن سنودن كشف أن الولايات المتحدة هي المخترق الأكبر في العالم بأكمله. بصفة عامة، يمكننا أن نقول إن الجانب الصيني قد عالج قضية سنودن بشكل صحيح. فأولاً، لم تعتقل الصين سنودن، تجنبًا لأن تصبح قضية إعلامية أمريكية ضخمة تؤثر سلبًا على المدى البعيد في العلاقات الصينية الأمريكية، وفي الوقت نفسه لم تعده إلى الولايات المتحدة كما طلبت

1- Remarks by Tom Donilon, National Security Advisor to the President: "The United States and the Asia-Pacific in 2013", The Asia Society, NewYork, March 11, 2013, http://www. Whitehouse.gov/the-press-office/2013/03/11/remarks-tom-donilon-national-security-advisory-presidentunited-states-a.

الحكومة الأمريكية؛ لأن هذا سوف يضر بصورة الصين دوليًا وداخليًا، بل أرسلته إلى روسيا، فمن جانب تخلصت الصين من "قضية مثيرة للجدل"، وفي الوقت نفسه حافظت على أمن سنودن. ثانيًا، استغلت الصين ما كشفه سنودن من أن الولايات المتحدة تقوم بهجمات إلكترونية على الصين لتبدأ بالتفاوض معها، كما كشفت في وسائل الإعلام الرسمية ما تقوم به الولايات المتحدة من تجسس وسرقة لمعلومات سرية، ما قد غير موقف الصين السلبي في قضية أمن الإنترنت طوال السنوات الأخيرة. ثالثًا، خلال الاجتماع الأول لفريق عمل الإنترنت الصيني الأمريكي الذي عُقد قبل الجولة الخامسة من الحوار الاستراتيجي والاقتصادي بعد قضية سنودن بفترة وجيزة، اقترح الجانب الصيني أن يقوم الجانبان بإجراءات على أرض الواقع، وأن يعززا من الحوار حول القواعد الدولية التي تحكم الفضاء الإلكتروني، وأن يدفعا بالتنسيق والتعاون بين مراكز عمليات طوارئ الإنترنت في البلدين، ما سوف يقلل من الاتهامات التي يوجهها كل طرف للآخر في قضية أمن الإنترنت، ويحول هذه القضية إلى فضاء جديد للتعاون بين البلدين، ما يعكس موقف الصين الإيجابي حيال تنمية العلاقات الصينية الأمريكية.

وبعد إعلان وزارة الدفاع الصينية عن بناء منطقة دفاع جوي فوق بحر الصين الشرقي في نوفمبر عام 2013، لم تعترف الولايات المتحدة بذلك في البداية، وأرسلت طائرتي قصف من طراز B-52 إلى منطقة الدفاع الجوي التي أعلنتها الصين، وتحالفت مع حلفائها في المنطقة مثل اليابان وأستراليا وكوريا وغيرها لفرض ضغوط على الصين. ولكن بعد فشل هذه الضغوط، دعت إدارة أوباما الطائرات المدنية الأمريكية للرضوخ إلى طلبات منطقة الدفاع الجوي الصينية، وأن تقدم للجانب الصيني خطط طيرانها. وبعد أن أعلنت وزارة الدفاع الصينية بناء منطقة دفاع جوي فوق بحر الصين الشرقي، زار نائب الرئيس الأمريكي جو بايدن منطقة شرق آسيا. أما في اليابان، فقد دعا الجانب الياباني إلى تحالف أمريكي ياباني في شكل بيان مشترك لمطالبة الصين بإلغاء منطقة الدفاع الجوي، ولكن رفض الجانب الأمريكي هذا الاقتراح، واكتفت الولايات المتحدة بتصريحها "بعدم الموافقة" على بناء الصين لمنطقة الدفاع الجوي. وفي خلال زيارته، تحدث جو بايدن عن قضية منطقة الدفاع الجوي الصينية، وفي المقابل شرح له الرئيس شي جين بينغ مواقف ومبادئ الصين حول القضايا النووية. ولكن في مواجهة إصرار الصين على موقفها، لم يجد بايدن ما يفعله سوى أن يدعو الجانب الصيني إلى معالجة هذه القضية بمرونة وحذر، وأن

تعـزز الصـين مـن اتصالاتهـا مـع الـدول المجـاورة، وتبنـي آليـات لمعالجـة الأزمـات، لتجنـب أي اشـتباكات مفاجئـة أو أخطـار نتيجـة لأحـكام خاطئـة.

يمكننـا تلخيـص موقـف الصـين مـن معالجـة قضيـة سـنودن وموقـف الولايـات المتحـدة في مواجهـة بنـاء الصـين لمنطقـة الدفـاع الجـوي في الآتي: أولًا، تجنـب المواجهـة. فلـم تعتقـل الصـين سـنودن، ولم تطالـب كذلـك الولايـات المتحـدة الصين بالرجـوع عـن منطقـة الدفـاع الجـوي، فقـد تـرك كل طـرف مسـاحة للطـرف الآخـر دون أن يتعـدى حـدوده. ثانيًـا، وضـع مجمـل العلاقـة الصينيـة الأمريكيـة في الاعتبـار. فلـم يكـن رد الفعـل الصينـي حـادًا تجـاه مـا كشـفه سـنودن مـن هجـمات إلكترونيـة أمريكيـة عـلى الصـين، بـل دعـت إلى التعـاون الحقيقـي بـين البلديـن خـلال لقـاء مجموعـة عمـل الإنترنـت الصينيـة الأمريكيـة، مـما يعكـس موقـف الصـين الإيجـابي ونظرتهـا إلى مسـتقبل العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة. كـما أن الولايـات المتحـدة لم توافـق عـلى مقـترح اليابـان بالتحالـف المشـترك لفـرض الضغـوط عـلى الصـين حيـال قضيـة منطقـة الدفـاع الجـوي الصينيـة، بـل اكتفـت بـأن تدعـو الصـين إلى الحفـاظ عـلى ضبـط النفـس خـلال إدارتهـا لمنطقـة الدفـاع الجـوي، مـما يعنـي أن الولايـات المتحـدة تنظـر إلى علاقتهـا مـع الصـين برؤيـة واسـعة. وهـو مـا يعكـس مـدى اهتـمام كلا الطرفـين بعلاقاتهـما الثنائيـة، وقدرتهـما عـلى معالجـة أي خلافـات بينهـما بشـكل ناضـج.

فمـن الطبيعـي أن تتطـور المشـكلات والخلافـات بـين الصـين والولايـات المتحـدة؛ نظـرًا لأن هنـاك اختلافـات هائلـة في العلاقـات بـين البلديـن (عـلى مسـتوى المفاهيـم والمصالـح)، ولكـن إذا اسـتطاع الطرفـان معالجـة هـذه الخلافـات دون المواجهـة، وأن يضعـا مسـتقبل العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة نصـب أعينهـما، فسـوف يسـتطيعان معالجـة هـذه الخلافـات بشـكل إيجـابي، مـما قـد يسـاعد في تجنـب أيـة انتكاسـات قـد تصيـب العلاقـات بـين البلديـن.

خامسًا: التطلع إلى بناء نمط جديد من العلاقاتبين الصين والولايات المتحدة

في عـام 2013، توصلـت كل مـن الصـين والولايـات المتحـدة إلى تفاهـمات مشـتركة حـول هـدف بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى، مـما أضفـى مفاهيـم جديـدة عـلى العلاقـات الثنائيـة بـين البلديـن، وشـهدت العلاقـات إجـراءات ونقاطًـا مضيئـة جديـدة في مجـال التعـاون. وفي المرحلـة المقبلـة، يجـب عـلى الطرفـين دفـع هـذه الإنجـازات بإيجابيـة أكـثر، لإثـراء مفاهيـم ذلـك النمـط الجديـد مـن العلاقـات بـين البلديـن. فالصـين باعتبارهـا الدولـة المقترحـة لبنـاء ذلـك النمـط الجديـد مـن العلاقـات، عليهـا أن تقـوم بدفـع هـذه العمليـة وتطويرهـا اعتـمادًا عـلى بعـض الإجـراءات، سـنلخصها فيـما يـلي:

أولًا: اقـتراح ضرورة أن تتبنـى الصـين والولايـات المتحـدة أفـكارًا وإجـراءات جديـدة في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. يجـب أن تؤكـد الصـين في علاقتهـا مـع الولايـات المتحـدة عـلى ضرورة تطويـر الطرفـين لذلـك النمـط الجديـد مـن العلاقـات بـين البلديـن، وذلـك أولًا مـن خـلال سـعي كلا البلديـن للتحـول إلى نمـط جديـد مـن الـدول الكـبرى، ثـم الالتـزام بمواقـف منفتحـة في إنجـاز ذلـك (دون النظـر إلى تنميـة الـدول الأخـرى مـن منظـور المجمـوع الصفـري)، وأيضًـا مـن خـلال تقبـل الأفـكار الجديـدة (عـدم التشـبث بالمفاهيـم القديمـة، ومواكبـة متطلبـات العـصر عنـد معالجـة العلاقـات الثنائيـة والقضايـا الإقليميـة)، واتخـاذ إجـراءات إيجابيـة (بعـث برسـائل إيجابيـة وتحقيـق التفاعـل الطيـب مـع الطـرف الآخـر مـن خـلال إجـراءات بنّـاءة).

وإذا نظرنــا إلى رؤيــة كلا الطرفــين حيــال السياســة الدوليــة، فســنجد أن الصــين قــد حققــت نموهــا السريــع خــلال فــترة شــهدت تطــورًا سريعًــا للعولمــة الاقتصاديــة في أعقــاب الحــرب البــاردة وفي ظــل تعميــق التعــاون الــدولي، وبالتــالي فإنــه مــن الســهل عــلى الصــين أن تتقبــل مفاهيــم مثــل التنميــة الســلمية والتعــاون والفــوز المشــترك، كــما أنهــا تســتفيد مــن الأخطــاء الاســتراتيجية التــي ارتكبتهــا الــدول الكــبرى عــلى مــدار التاريــخ، وتأمــل ســلوك طريــق تنمــويّ جديــد باعتبارهــا دولــة كــبرى جديــدة. أمــا في الولايــات المتحــدة، فالوضــع مختلــف. فقــد اســتغلت الولايــات المتحــدة الحــرب العالميــة الثانيــة لتحتــل الســاحة العالميــة، كــما أسســت بالفعــل هيــكلًا لســلطتها العالميــة

مـن خـلال الحـرب البـاردة. واهتـم الفكـر الاسـتراتيجي في واشـنطن بالوسـائل العسـكرية والعنـصر الجيوسـياسي، فتطلعـت الولايـات المتحـدة لتحقيـق التميـز العسـكري، وكانـت مولعـة بالسـلطة والسياسـة، وتعـودت عـلى مفهـوم المجمـوع الصفـري، ولكـن هـذا كلـه لا يتوافـق مـع الأوضـاع الجديـدة في السياسـة الدوليـة في القـرن الحـادي والعشريـن؛ وبالتـالي مـا كان ليخـدم هـدف بنـاء نمـط جديـد للعلاقـات بـين الـدول الكـبرى بـين الصـين والولايـات المتحـدة. ولذلـك كان عـلى الصـين توسـيع نطـاق عملهـا مـع الولايـات المتحـدة، فترشـدها مفهوميًـا، وتقـدم لهـا نمـاذج إيجابيـة تطبيقيًـا، حتـى تسـاعد الولايـات المتحـدة في التخلـص مـن أعبائهـا التاريخيـة، والتغلـب عـلى جمودهـا الاسـتراتيجي، والانضـمام إلى ركـب "التطـور المشـترك" مـع الصـين.

ثانيًـا: طـرح رؤيـة الصـين حـول منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. نظـرًا إلى قلـق الولايـات المتحـدة مـن أن تسـتغل الصـين قوتهـا المتناميـة في توسـيع مصالحهـا في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، بـل حتـى السـعي لإقصـاء الولايـات المتحـدة أو تحديهـا؛ لذلـك ينبغـي عـلى الصـين في المقابـل أن توضـح هـدف سياسـتها في المنطقـة، ألا وهـو دفـع بنـاء كيـان مشـترك للتعـاون في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، وخصائـص هـذا الكيـان المشـترك كالآتي: السـعي إلى مصالـح مشـتركة لتحقـق التنميـة، والاهتـمام بتـوازن المصالـح (احـترام المصالـح الجوهريـة والشرعيـة للطـرف الآخـر)، ووضـع قواعـد مشـتركة تلتـزم بالعـدل والمسـاواة، والتعـاون في بنـاء آليـات إقليميـة منفتحـة ومتسـامحة.

ثالثًـا: محاولـة وضـع قواعـد مشـتركة. لقـد أكـدت حكومـة الرئيـس أوبامـا عـلى أهميـة احـترام قوانـين السياسـة الدوليـة، في محاولـة للسـيطرة عـلى حقـوق وضـع هـذه القواعـد وترسـيخ مكانـة الولايـات المتحـدة الرائـدة في ظـل انخفـاض قـوة الدولـة الأمريكيـة. وتُعـد منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ فضـاءً مهـمًا بالنسـبة للولايـات المتحـدة تسـتطيع أن تضـع فيـه قواعـد اقتصاديـة وأمنيـة جديـدة، مسـتهدفةً القـوة الصينيـة المتزايـدة. ومـن الممكـن أن تسـتغل الصـين هـذه الرغبـة الأمريكيـة لتعـرب عـن رغبتهـا هـي الأخـرى في وضـع قواعـد مشـتركة، تسـتطيع مـن خلالهـا تقييـد أعـمال الولايـات المتحـدة في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. ونـضرب عـلى سـبيل المثـال القواعـد التاليـة:

(1) سـعي الطرفـين إلى توسـيع التعـاون بينهـما وتقديـم إسـهامات أكـبر في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، عمـلًا عـلى تحقيـق السـلم والاسـتقرار والحوكمـة الرشـيدة في

المنطقة.

(2) إبلاغ كل طرف الآخر بالأنشطة الدبلوماسية التي يقوم بها في المناطق المحيطة للطرف الآخر، حيث تبلغ الولايات المتحدة الصين بعلاقاتها مع الدول المجاورة للصين، وتبلغ الصين الولايات المتحدة بعلاقاتها مع دول أمريكا الشمالية واللاتينية.

(3) عدم بث الفتنة والتفرقة، وعدم شن الهجمات الماكرة أو الإساءة للطرف الآخر أمام الدول الأخرى.

(4) يجب على كل طرف إعلام الآخر قبل القيام بأي مناورات عسكرية في المنطقة الغربية من المحيط الهادئ، وإن كانت المناورات متعددة الأطراف يجب دعوة الطرف الآخر لإرسال من يقوم بالمراقبة.

(5) في حالة قيام أحد الحلفاء أو الشركاء بأعمال استفزازية للطرف الآخر، يجب النصح بوقفها وعدم اقتناص الفرصة لتحقيق المصلحة.

رابعًا: تأسيس مشروع تجريبي لتطوير ذلك النمط الجديد من العلاقات بين الدول الكبرى. وهنا يجب جمع القضايا المهمة المشتركة، واعتبار قضايا مثل قضية العلاقات العسكرية بين البلدين، والقضية النووية الكورية، والقضايا الأمنية مجالات ذات أولوية مشتركة. كما أن تعاون الطرفين بشكل فعال في هذه القضايا، سوف يساهم في تعزيز الثقة المتبادلة، وتوسيع نطاق التعاون، ودفع تطوير العلاقات الصينية الأمريكية.

وفي السنوات الأخيرة، شعرت الولايات المتحدة بالقلق من نمو القوة العسكرية الصينية، ومن أن توسع القوات البحرية الصينية من نطاق أنشطتها. وعلى الجانب الآخر، شعرت الصين بالقلق من أن تستغل الولايات المتحدة استراتيجية إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ لكبح الصين، مما سوف يصعّد التنافس العسكري بين البلدين. ولكن إذا نظرنا إلى الأمر بنظرة موضوعية، فسنجد أنه على الرغم من أن كل دولة تقيّد الأخرى على المستوى العسكري، لكن قد يتسبب ذلك في تطوير علاقة عسكرية قائمة على الخصومة. وعلى الرغم من أن كل طرف ينظر إلى الآخر على أنه عدو وهمي ويُعد له خطة للحرب، إلا أن كل طرف يحاول تجنب النزاعات العسكرية المباشرة مع

الآخر. وبالإضافة إلى ذلك يقوم الطرفان بتوسيع التعاون بينهما في المجالات الأمنية غير التقليدية. وعلى الرغم من أن العلاقات الاستراتيجية بين البلدين تتأثر بعناصر سياسة وعسكرية واقتصادية وغيرها، فإن العلاقات العسكرية تلعب دورًا مهمًا ومميزًا. وبالتالي فإن المهام الرئيسية التي يتحملها الطرفان لتطوير العلاقات بين جيشي البلدين تكمن في بحث سبل لتعزيز الاتصال والثقة المتبادلة وتوسيع التعاون بين الجيشين، والتقليل من التأثيرات السلبية على العلاقات الاستراتيجية بين الطرفين بسبب شك كل طرف في الآخر على مستوى القضايا الأمنية، بالإضافة إلى تعزيز آليات للتعاون بين الجيشين.

يُعد نزع السلاح النووي وتحقيق السلم والاستقرار في شبه الجزيرة الكورية كلها أهدافًا تتفق مع مصالح كل من الصين والولايات المتحدة، ولكن في عصر حكم كيم جونغ يون، يجب أن تدفع الدولتان كوريا الشمالية لتغيير سياساتها الداخلية والخارجية، بحيث تتحول السياسات الداخلية إلى التنمية الاقتصادية وتحسين مستوى معيشة الشعب، وتتحول السياسات الخارجية إلى توسيع التعاون مع المجتمع الدولي وتحسين العلاقات مع الدول ذات الصلة. وبعد التجربة النووية الكورية الثالثة، عززت الصين والولايات المتحدة من تنسيقهما وتعاونهما حول القضية الكورية. ونظرًا إلى أن الولايات المتحدة تهتم بالقضية النووية الكورية؛ لذا ينبغي على الصين أن تُعلم الولايات المتحدة بأن عملية نزع السلاح النووي من كورية الشمالية عملية ستستمر لفترة طويلة، ولن يتم تحقيق نزع السلاح النووي إلا إذا حوّلت كوريا الشمالية من سياساتها الداخلية والخارجية. وبالتالي ينبغي على الصين والولايات المتحدة استغلال المشاورات بينهما حول منطقة آسيا والمحيط الهادئ والحوار الاستراتيجي والاقتصادي وغيرها من القنوات الأخرى، لدفع كوريا الشمالية لتحويل سياساتها الداخلية والخارجية بما يخدم هدف نزع السلاح النووي وتحقيق السلم والاستقرار في شبه الجزيرة الكورية.

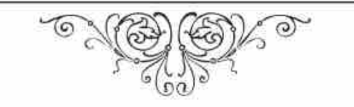
يشمل الأمن البحري أمن الملاحة، والإغاثة البحرية، وحل النزاعات البحرية عبر الوسائل السلمية. وتتمتع كل من الصين والولايات المتحدة بمصالح مشتركة في هذه القضايا (مثل أمن الملاحة والإغاثة البحرية) بينما نجد أيضًا خلافات بينهما (على سبيل المثال النزاعات حول جزر دياويو والنزاعات في بحر الصين الجنوبي). ويمكن أن تقوم الدولتان بدفع التعاون بين الجيشين والجهات المدنية فيما يتعلق بالأمن الملاحي والإغاثة

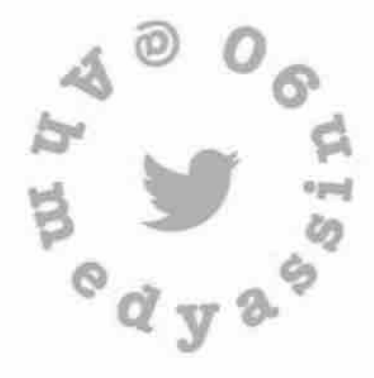
البحريـة، وأن يظهـرا رغبـة في تقديـم الإسـهامات في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. أمـا عـلى مسـتوى النزاعـات البحريـة، فيجـب عـلى الصـين تقديـم الأدلـة التاريخيـة والقانونيـة، وأن تؤكـد الصـين عـلى رغبتهـا في حـل هـذه النزاعـات بالوسـائل السـلمية. أمـا فيـما يتعلـق بالأفعـال الاسـتفزازية مـن اليابـان والفلبـين وفيتنـام، فينبغـي أن تتقـدم بهـا الصـين فـورًا إلى الولايـات المتحـدة وتدعوهـا إلى التأثـير في هـذه الـدول ودعوتهـا إلى ضبـط النفـس. وعـلى الجانـب الآخـر، ينبغـي عـلى الصـين مهاجمـة توجـه الولايـات المتحـدة للتعـاون مـع اليابـان أو الفلبـين أو فيتنـام بشـكل دائـم، وتوضـح أن هـذه التصرفـات لـن تكـون في صالـح حمايـة الأمـن في المنطقـة أو حـل النزاعـات بالوسـائل السـلمية، بـل سـتضر العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة.

تـم نـشر هـذه الدراسـة في العـدد الرابـع مـن مجلـة جامعـة فـودان العلميـة للعلـوم الاجتماعيـة لعـام 2014.

استعادة الصين رؤيتها الإقليمية حول دول الجوار وتبني أنظمة جديدة

جانغ يون لينغ




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: استطاعت الصين على مدار التاريخ الطويل تأسيس أنظمة وعلاقات مستقرة مع الدول المجاورة لها، ولكن انهارت هذه العلاقات التقليدية وأنظمتها مع التدهور الذي شهدته الصين في العصر الحديث. ثم استعادت الصين هذه العلاقات بصورة تدريجية مع تأسيس جمهورية الصين الشعبية، التي أنهت مائة عام من التراجع في تاريخ الصين. ولكن نظرًا لما تعرضت له الصين من قيود مختلفة لفترات طويلة؛ ظلت عاجزة عن وضع مفهوم إقليمي يقوم على أساس العلاقات مع دول الجوار. وبعد انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، وخاصةً بعد انتهاء الحرب الباردة، اتخذت الصين إجراءات جديدة لتطبيع العلاقات مع الدول المجاورة بشكل تدريجي، كما أسست علاقات اقتصادية وثيقة معها، واستغلت قوتها المتنامية وتأثيرها المتزايد لدفع العلاقات الإقليمية للتطور نحو الاتجاه السليم، وقامت بتعديل الأنظمة القديمة وبناء أنظمة جديدة لتحقيق الأمن والتنمية المحلية. ولم يكن هدف الصين من بناء هذه الأنظمة السعي إلى الهيمنة، أو بناء دائرة نفوذ تكون هي مركزها، بل كانت تتطلع إلى بناء بيئة جغرافية شاملة تنعم بالاستقرار والسلم والتعاون والتنمية. وعلى هذا الأساس، بدأت الصين تستعيد مفاهيمها الإقليمية حول الدول المجاورة، وأصبحت فكرة بناء مجتمع يجمعه مصير مشترك ركيزةً مهمةً للصين نحو بناء علاقات وأنظمة جديدة مع الدول المجاورة. وحتى نستطيع التعرف على التغيرات التي طرأت على علاقات الصين مع الدول المجاورة وأنظمتها مع المناطق المحيطة، ينبغي أن نتعرف على المسيرة التاريخية الصينية المتقلبة الطويلة ونتناولها بالدراسة.

الكلمات المفتاحية: دبلوماسية دول الجوار؛ الأنظمة الإقليمية؛ الرؤية الإقليمية؛ مجتمع يجمعه مصير مشترك.

الباحث: جانغ يون لينغ، عضو اللجنة الأكاديمية بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية، رئيس قسم الدراسات الدولية، ورئيس الجمعية الصينية لدراسات آسيا والباسيفيك.

يحيط بالصين عدد كبير من الدول المجاورة، وتلتقي هذه الدول مع الصين على مساحات شاسعة من المناطق التي تمتد برًا وبحرًا. ولذلك، لطالما كانت الصين تتميز بعلاقات جغرافية متميزة مع الدول المجاورة، شكلت مفاهيم إقليمية محورها المناطق

المجاورة للصين، وساهمت في بناء علاقات وأنظمة فريدة للتعايش الإقليمي مع هذه المناطق.

ولكن مع تحول الصين في العصور الحديثة من حالة القوة إلى الضعف، عانت من اضطرابات داخلية واعتداءات خارجية، أدت إلى تدهور العلاقات والأنظمة التي أسستها الصين مع الدول المجاورة على مدار التاريخ. ولكن مع ميلاد الصين الجديدة انتهت الاضطرابات الداخلية، وبدأت الصين تسير على طريق تحقيق وحدة البلاد والنهضة للأمة الصينية. إلا أنه بسبب الحرب الباردة وغيرها من العوامل المعقدة الأخرى، مرت الصين بصعوبات كبيرة فيما يتعلق ببناء العلاقات والأنظمة مع الدول المجاورة.

إجمالًا، يمكننا القول بأنه مع تغير البيئة والعناصر الداخلية والخارجية، بدأت الصين تستعيد مفاهيمها الإقليمية حيال الدول المجاورة بشكل تدريجي، وبادرت تدريجيًّا بتأسيس علاقات وبناء أنظمة جديدة مع هذه الدول. سوف ينطلق هذا البحث من الدراسة التاريخية للمفاهيم الإقليمية الصينية، لتحليل كيفية استعادة الصين مفاهيمها الإقليمية حول الدول المجاورة، والتعرف على مراحل وخصائص بناء العلاقات والأنظمة الإقليمية الجديدة، وطرح استراتيجيات جديدة وبناء دعائم استراتيجية مع الدول المجاورة وتأسيس مجتمع يجمعه مصير مشترك في ظل الأوضاع الجديدة.

أولًا: علاقات الصين بدول الجوار على مدار التاريخ

تُعد الصين دولة كبرى تتمتع بحضارة تمتد لآلاف السنين. وعلى مدار تاريخها الطويل، وضعت الصين سلسلة من المفاهيم والقواعد والوسائل الدبلوماسية الفريدة. وطبقًا للأبحاث، يرجع أصل مفهوم "رؤية العالم" في الصين إلى المفاهيم والأنظمة التي وضعتها قومية خوا شيا الصينية القديمة، والتي تعايشت جنبًا إلى جنب مع عدد كبير من العشائر والقبائل المجاورة، وطورت علاقات تقوم على الاتصالات المتبادلة معها، وكانت قومية خوا شيا المتقدمة هي مركز هذه العلاقات على مدار فترات طويلة من التاريخ. ثم بعد أن وحّدت أسرة تشين الصين، اتسع نطاق إقليم قومية خوا شيا، مما عزز من الثقافة والأنظمة المركزية لهذه القومية بشكل أكبر[1].

وبدأ اتصال الصين بالخارج يتطور منذ بداية أسرة خان، فبدأت الصين تتواصل شرقًا مع شبه الجزيرة الكورية، وليوتشو (جزر ريوكيو حاليًا)، والجزر اليابانية؛ أما غربًا، فمرت الصين بممر خشى، وشقت طريق الحرير القديم لتمتد اتصالاتها إلى آسيا الوسطى والبحر الأبيض المتوسط؛ أما جنوبًا، فلم تمتد الاتصالات الصينية إلى منطقة جنوب شرق آسيا بأكملها فحسب، بل طوّرت الصين كذلك من علاقاتها التجارية مع جميع دول جنوب آسيا وحتى الدول العربية والإفريقية من خلال طريق الحرير البحري[2]. ومع

1- خه فانغ تشوان: "حول نظام خوا يي"، "المجلة العلمية لجامعة بكين (الفلسفة والعلوم الاجتماعية)"، عدد6، 1998، ص31.
نظام خوا يي: هو نظام دولي قديم، طبقته الصين لفترات طويلة في شرق وجنوبي شرق القارة الآسيوية. يتخذ هذا النظام القديم من الصين (المشار إليها بـ"خوا") مركزًا للعالم نظرًا لتفوقها الثقافي والاقتصادي والعلمي، وبالتالي كانت القوميات والعشائر الأجنبية (المشار إليها بـ"يي") تقدم فروض الطاعة والولاء لإمبراطور الصين باعتبار الصين هي المركز المتحضر الوحيد في العالم (المترجمة).

2- على الرغم مما قام به البحار الصيني تشنغ خه برحلاته البحرية السبع الشهيرة خلال فترة أسرة مينغ، ما قد مهد الطريق إلى العلاقات الخارجية الصينية، فقد ظلت التجارة البحرية مع الدول الأجنبية محرمة لفترات طويلة، ويعود ذلك إلى أسباب معقدة، أهمها هي التهديدات الأمنية البحرية. ويعتقد مارتن جاك أن أحد أسباب تحريم التجارة البحرية في ذلك الوقت هو حرص الإمبراطور على الحفاظ على هيمنته، حيث كانت الثقافة الصينية متفوقة على البربر (مسمى يطلق على القبائل الأجنبية والأقليات في الصين القديمة). انظر:
Martin Jacques, When China Rules the World: The Rise of the Middle Kingdom and the End of the Western World, London: Allen Lane, 2009, p.78.

ذلـك، ظلـت التوسـعات الصينيـة تعتمـد عـلى المناطـق المحيطـة والمجـاورة بشـكل أسـاسي، فلـم تفعـل الصـين كـما فعلـت الـدول الغربيـة في العصـور الحديثـة، حيـث قامـت ببنـاء المسـتعمرات في جميـع أنحـاء العـالم سـعيًا لتوسـيع دوائـر نفوذهـا.

وعـلى مـدار فـترات طويلـة مـن التواصـل، أسسـت الصـين علاقـات معقـدة ومتنوعـة مـع الـدول والمناطـق المجـاورة لهـا، وانضمـت بعـض هـذه الـدول إلى نظـام قوميـة خـوا شـيا الصينيـة ودفعـت الجزيـة للصـين. وعـلى الرغـم مـن أن معظـم الـدول المجـاورة لم تنضـم إلى هـذا النظـام، إلا أنهـا حاولـت قـدر المسـتطاع الحفـاظ عـلى علاقـات صداقـة مـع الصـين، مـما سـاهم في بنـاء علاقـات مسـتقرة مـع دول الجـوار[1].

وبمـا أن الصـين كانـت أقـوى دولـة في المنطقـة؛ لـذا كان مـن الطبيعـي أن تنظـر إلى العـالم الخارجـي وتعالـج علاقاتهـا معـه بكونهـا مركـزه، ولذلـك أسسـت "نظـام خـوا يـي" الفريـد للتعامـل مـع دول الجـوار. وعمـلاً عـلى بنـاء وحمايـة هـذا النظـام الفريـد، قامـت الصـين بحمايـة مكانتهـا السـامية مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى حرصـت عـلى عـدم التدخـل في الشـئون الداخليـة للـدول الأخـرى عـلى أسـاس مبـدأ "الانسـجام رغـم الاختـلاف"، كـما فعّلـت أنظمـة مرنـة للحصـول عـلى الجزيـة مـن الـدول التابعـة لهـا؛ ذلـك لأن الصـين كانـت تسـعى لفـرض النظـام وليـس الحصـول عـلى الجزيـة، الأمـر الـذي يتفـق مـع مقولـة إمبراطـور أسرة تشـينغ إن "السـلطة في البـلاد تحقـق الأمـن للقوميـة الصينيـة والقوميـات الأجنبيـة عـلى قـدم المسـاواة دون تفريـق"[2]. وعـلى الرغـم مـن أن الصـين قـد فعّلـت عـلى مـدار تاريخهـا الطويـل "سياسـة الترغيـب والترهيـب" في علاقاتهـا مـع الـدول المجـاورة، إلا أنـه يمكننـا أن نقـول بصفـة عامـة إن الصـين قـد طبقـت سياسـة "التقريـب والتسـامح مـع الجـوار" إلى حـد كبـير[3].

وبمـا أن الصـين تعيـش في بيئـة معقـدة وسـط عـدد كبـير مـن الـدول المجـاورة؛ لـذا قامـت

1- طبقًا للأبحاث، كان عدد الدول التابعة للصين التي تدفع لها الجزية عشر دول فقط وصولًا إلى أكثر الفترات قوة وازدهارًا في أسرة تشينغ. انظر: تسوي بي، "دراسة حول تاريخ العلاقات الدولية في شمال شرق آسيا"، تشانغ تشوين، دار نشر جامعة دونغ بي للمعلمين، 1992، ص28، نقلًا عن: تشانغ شياو مينغ، "التطور التاريخي للعلاقات بين الصين والدول المجاورة: الأنماط والمراحل"، "دراسات في السياسة الدولية"، عدد1، 2006، ص59.

2- نقلًا عن خه فانغ تشوان، "حول نظام خوا يي"، "المجلة العلمية لجامعة بكين (الفلسفة والعلوم الاجتماعية)"، عدد6، 1998، ص37.

3- تشانغ شياو مينغ، "التطور التاريخي للعلاقات بين الصين والدول المجاورة: الأنماط والمراحل"، "دراسات في السياسة الدولية"، عدد1، 2006، ص60.

تدريجيًّا بتطوير منظومة قواعد كاملة تحكم علاقاتها مع هذه الدول على مدار تواصلها الطويل مع هذه الدول[1]. وقد استرشدت هذه المنظومة بالتسلسل الهرمي الكونفوشي لبناء إطار "مركزي- حدودي" مستقر[2]. ويُعتقد أن هذه المنظومة مبنية على ضمانتين أساسيتين: (1) أن الصين تتمتع بقوة اقتصادية ساحقة. (2) أن تضمن الصين الأمن للمناطق المجاورة[3]. وبالتالي، مع تطور الصين، تطور اتساع تغطية وعمق تأثير هذه المنظومة الإقليمية التي تتخذ من الصين مركزًا لها.

وبطبيعة الحال فإن التاريخ لا يستمر على حال واحد؛ ولذلك تعرضت مكانة الصين المركزية إلى تحديات وضربات من الخارج، كما اندلعت بين الحين والآخر الصراعات والحروب ضد بعض الدول والقبائل المجاورة. ولكن بصفة عامة، استطاعت الصين الحفاظ على قوتها، ولم تتعرض مكانتها الريادية إلى تحديات جذرية. بمعنى آخر، لم تتدخل أي قوى خارجية في أنظمة العلاقات الإقليمية التي كانت الصين مركزًا لها. ولذلك ظلت العلاقات بين الصين والدول المجاورة على مدار فترات طويلة من التاريخ تظهر بشكل أساسي في شكل تفاعلات إقليمية داخلية[4].

وكان لتراكم هذه العلاقات الإقليمية وتطورها لفترات طويلة أهمية كبيرة في تشكيل مفاهيم الصين الإقليمية حيال الدول المجاورة. ويمكننا أن نلخص هذه الأهمية في ثلاثة جوانب أساسية: أولًا: الرؤية الجغرافية الإقليمية، حيث تُعتبر المناطق المجاورة هي القاعدة الأساسية. ثانيًا: تُعتبر المناطق المجاورة مناطق مصيرية لتحقيق المصالح الصينية. ثالثًا: الإسهام في وضع قواعد وأعراف للتعامل مع الدول والمناطق المجاورة. فجوهر مقولة" السلطة في البلاد تحقق الأمن للقومية الصينية والقوميات الأجنبية على قدم المساواة دون

1- يسمي بعض الباحثين هذه المنظومة باسم "منظومة حكم إمبراطورية السماء". انظر خوانغ جي ليان، "دراسة حول منظومة طقوس إمبراطورية السماء"، بكين، دار نشر جامعة الشعب الصينية، 1992.

2- يعتقد بعض الباحثين أن نظام خوا نظامٌ يقوم على العلاقات الاقتصادية بشكل أساسي، حيث إنه إطار منظومي تعتمد فيه الدول من المنطقة الواحدة أو المناطق المختلفة على القيام بتبادلات تجارية تعود بالنفع لجميع الأطراف. وهنا تلجأ الصين إلى القوة الناعمة وليس القوة الصلبة. انظر: خان دونغ يو، "إطار نظام خوا يي في شرق آسيا وتفاصيل تفككه"، "المجلة العلمية لجامعة دونغ بي للمعلمين (الفلسفة والعلوم الاجتماعية)"، عدد1، 2008، ص46.

3- الباحث الياباني تاكيشي هاماشيتا هو صاحب هذا الرأي. نقلًا عن خان دونغ يو، "إطار نظام خوا يي في شرق آسيا وتفاصيل تفككه"، "المجلة العلمية لجامعة دونغ بي للمعلمين (الفلسفة والعلوم الاجتماعية)"، عدد1، 2008، ص46.

4- تشانغ شياو مينغ، "التطور التاريخي للعلاقات بين الصين والدول المجاورة: الأنماط والمراحل"، "دراسات في السياسة الدولية"، عدد1، 2006، ص59.

تفريق" هو تحمل المسئولية تجاه الدول المجاورة المرتبطة بالصين ارتباطًا وثيقًا[1].

ولكن مع حلول منتصف القرن التاسع عشر، انهار هذا النوع من الأنظمة بين الصين والدول المجاورة. أولًا، بسبب تراجع الصين تدريجيًّا؛ ثانيًا، قيام أقوى العظمى الغربية بالتوسع شرقًا، كما أنها تدخلت في شئون الصين والدول المجاورة لها. ورضخت الصين أمام توسعات القوى العظمى الغربية واعتداءاتها، وأُجبرت على توقيع سلسلة من المعاهدات التي مست سيادة البلاد وأهانتها، كما دفعت التعويضات، وتنازلت عن بعض الأراضي، كما احتُلت معظم دول الجوار وتحولت إلى مستعمرات للقوى العظمى. واحتل جيش تحالف الدول العظمى الثماني مدينة بكين، فتحطمت السلطة الصينية، وخضعت الدول المجاورة للاستعمار، وانقطعت علاقات الصين المباشرة معها. وهكذا تفككت تلك الأنظمة الإقليمية التي كانت الصين مركزًا لها.

وفي نهاية القرن التاسع عشر، قامت اليابان الناهضة بتوجيه تحديات مباشرة للصين، وقامت بالاعتداء على الصين واحتلال أراضيها، واستولت على ليوتشو (جزر ريوكيو حاليًّا)، كما احتلت كوريا الشمالية، ما جعل الصين تفقد ما تبقى لها من "كرامة كدولة كبرى". وخلال مائة عام منذ بداية حرب الأفيون في 1840 حتى هزيمة اليابان في عام 1945، شهدت الصين والمناطق المجاورة لها تغيرات هائلة، حيث فقدت الصين قدراتها الذاتية، وفقدت أيضًا العلاقات الطبيعية والبيئة التي كانت تتمتع بها في المنطقة. وفي ظل هذه الأوضاع، تحطمت المفاهيم الإقليمية الصينية التقليدية، وتحولت المناطق المحيطة إلى مصادر لكوارث تهدد أمن الصين وبقاءها ومصالحها.

وبعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية في عام 1949، انتهت الاضطرابات الداخلية، وتوقفت الصين عن التراجع. ولكن مرت الصين بتعديلات معقدة في علاقاتها مع الدول المجاورة. فنظرًا لتعقد الأوضاع، ظلت علاقات الصين مع الدول المجاورة علاقات سلبية لفترات طويلة. وفي معظم الأحوال، كانت العوامل الخارجية هي التي تحدد خصائص وطبيعة علاقات الصين بالدول المجاورة، وبالتالي ظلت الصين في موقف سلبي. وحاولت

1- في الحقيقة ليس المقصود بالقواعد والأعراف هنا تلك المعاهدات المكتوبة على الورق، بل معظمها تفاهمات ضمنية واتفاقات سرية. ويعتقد جوزيف ناي أن المقصود بالقوة الناعمة هو القدرة على التأثير في الآخر وإقناعه. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نقول إن الصين تلجأ إلى القوة الناعمة بشكل كبير. للمزيد عن القوة الناعمة، انظر:

Joseph S .Nye ,Jr ,.Soft Power :The Means to Success in the World of Politics ,New York :Public Affairs,2004 , pp.5-6.

الصين الجديدة بذل الجهود لتغيير ذلك الوضع السلبي، ودفع تطوير علاقات جديدة؛ فعلى سبيل المثال، طرحت الصين في خمسينيات القرن العشرين مع كل من ميانمار والهند "المبادئ الخمسة للتعايش السلمي". وكان جوهر هذه المبادئ هو حماية سيادة الدول، وعدم التدخل في السياسة الداخلية، والحفاظ على علاقات الصداقة، وكانت تسعى بشكل أساسي إلى بيئة مستقرة وسلمية تحفظ بقاء الدول وتنميتها. والجدير بالذكر أن هذه المبادئ الصينية حملت مفاهيم جديدة؛ فتخلصت الصين من مفهوم "الصين الكبرى"، وغيرت من مفاهيمها التقليدية، وبدأت تدعو إلى المساواة والتعايش السلمي مع باقي الدول. ولكن في ظل الحرب الباردة وانفصال الصين عن الاتحاد السوفيتي، تعقدت العلاقات بين الصين والدول المجاورة بشكل كبير، ولم يتم تطبيق مبادئ التعايش السلمي بالشكل الجيد.

بعد تطبيق سياسة الإصلاح والانفتاح، ظهرت أكبر التحولات في العلاقات بين الصين والدول المجاورة. فلما كانت سياسة الإصلاح والانفتاح تتطلب بيئة سياسة خارجية مستقرة وسلمية، وبيئة اقتصادية تقوم على الانفتاح والتعاون؛ اتخذت الصين إجراءات إيجابية، وبدأت تدفع بتحسين علاقاتها مع الدول المجاورة، وتعزيز تنمية العلاقات الاقتصادية بينها وبين تلك الدول.

وبعد انتهاء الحرب الباردة، شهدت الأوضاع في المناطق المجاورة للصين تغيرات كبيرة، الأمر الذي ساعد على تهيئة بيئة ومناخ سياسي جيد لتحسين علاقات الصين من الدول المجاورة من ناحية، ومن الناحية الأخرى، أدت سياسات التنمية المنفتحة التي اتخذتها جميع الدول إلى توفير بيئة جيدة لتطوير العلاقات الاقتصادية بين الصين والدول المجاورة بشكل أوسع. وبالتالي شهدت علاقات الصين مع الدول المجاورة تغيرات جديدة كليًا: أولًا، قامت الصين بتطبيع علاقاتها مع جميع الدول المجاورة. ثانيًا، أسست الصين علاقات اقتصادية وتجارية وثيقة مع الدول المجاورة، وأصبحت من أهم الشركاء الاستراتيجيين لتلك الدول. وتُعد هذه التغيرات تحولات تاريخية هائلة في العصر الحديث، ساعدت الصين على استعادة وعيها الإقليمي تدريجيًا. ولكن بالتأكيد لم ولن يعود إلى ما كان عليه خلال تطبيق "نظام خوا يي" القديم، وإنما قام على أساس مفاهيم جديدة وبناء حديث يتناسب مع الأوضاع الجديدة.

ثانيًا: تأسيس علاقات وأنظمة جديدة مع الدول المجاورة

بدأت الصين في ظل الأوضاع الجديدة في الوقت الراهن بتطوير علاقاتها مع الدول المجاورة، وتأسيس علاقات وأنظمة مع المناطق المحيطة. ولكن لا تزال الصين في مرحلة النهضة، فعلى الرغم من أنها تُعتبر أكبر الدول الأسيوية من حيث حجم الاقتصاد، فلا يزال من الصعب اعتبارها أقوى دولة. وعلى الرغم أيضًا من أن قوة الصين تنمو بشكل كبير، لم تتزعزع مكانة الولايات المتحدة المهيمنة. كما أن الصين لم تؤسس "قوة اقتصادية ساحقة رائدة"، ولا تستطيع تقديم ضمانات أمنية للدول المجاورة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن ظروف الدول المجاورة معقدة، وهناك تنافس بين مختلف القوى. ولذلك لا تزال الصين تقوم بتشكيل وعيها حول الدول المجاورة، الذي سوف ينتظم ويتضح تدريجيًّا مع الوقت. ومن ثم يجب على الصين أن تلعب دورًا مؤثرًا وترفع من قوة تأثيرها في المنطقة سعيًا لبناء هياكل وأطر لعلاقاتها بتلك الدول المجاورة.

1. اتحاد الآسيان "حقل تجارب" لبناء علاقات جديدة:

تلتقي الصين بمنطقة جنوب شرق آسيا وترتبطان معًا برًّا وبحرًا. وبعد الحرب العالمية الثانية، تخلصت دول جنوب شرق آسيا من الاستعمار واستقلت واحدةً تلو الأخرى، ولكن علاقاتها مع الصين شهدت تحولات معقدة. ولذلك سلكت الصين "طريقًا مزدوجًا" لبناء علاقات جديدة مع دول المنطقة: فمن ناحية اتخذت الصين من تطوير العلاقات الثنائية مع جميع دول جنوب شرق آسيا قاعدةً أساسيةً، ومن ناحية أخرى عملت على الاستغلال الأمثل لاتحاد دول جنوب شرق آسيا كمنبر لتأسيس علاقات جديدة شاملة في المنطقة، ويُعد السعي في ذلك الجانب تجربةً مهمةً جدًّا أمام بناء الصين لعلاقات وأنظمة جديدة مع الدول المجاورة.

وعلى مدار التاريخ، حافظت الصين على علاقات طيبة مع دول جنوب شرق آسيا. ولكن في العصور الحديثة، تعرضت هذه المنطقة للاستعمار والتفكيك، مما غير من

طبيعة علاقات الصين مع هذه الدول، وتلاشت تمامًا العلاقات التقليدية التي كانت تربط بينهما. وبعد تأسيس الصين الجديدة، بدأت الصين إعادة بناء العلاقات الثنائية مع دول المنطقة، ولكن تأثرت بالكثير من العناصر التي جعلت هذه العملية مليئة بالصعوبات. ففي الخمسينيات حتى بداية الستينيات من القرن العشرين، أسست الصين علاقات دبلوماسية مع فيتنام وإندونيسيا وميانمار وكمبوديا ولاوس. ولكن بعد أن شهدت إندونيسيا اضطرابات سياسية في الستينيات وبدأت معاداة الصين، انقطعت العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين. وبعد أن طبقت فيتنام سياسة التوسع في السبعينيات، انقطعت العلاقات الدبلوماسية أيضًا بين البلدين واندلعت الحرب، كما تدهورت العلاقات أيضًا مع لاوس في تلك الفترة. وبالإضافة إلى ذلك، شهدت السياسة الداخلية في كمبوديا تغيرات هائلة، ما أدى إلى انتكاسات هائلة في العلاقات الثنائية بين البلدين في فترة السبعينيات حتى الثمانينيات. ثم قامت كل من ماليزيا والفلبين وتايلاند بعد ذلك بتأسيس علاقات دبلوماسية مع الصين في فترة السبعينيات، وكانت علاقات مستقرة لم تتعرض لأية انتكاسات. وأسست بعد ذلك كل من سنغافورة وبروناي علاقات دبلوماسية مع الصين في التسعينيات، وفي تلك الفترة أيضًا عادت العلاقات مع فيتنام وإندونيسيا ولاوس إلى طبيعتها. وبالتالي يمكن القول بأن تطبيع العلاقات بين الصين ودول اتحاد دول جنوب شرق آسيا لم يتم إلا في أوائل التسعينيات. إلا أن العلاقات بعد ذلك لم تكن سلسة تمامًا، فعلى سبيل المثال توترت العلاقات بين الصين وفيتنام والفلبين بسبب النزاعات في بحر الصين الجنوبي، ولكن على الأقل لم تشهد تقلبات هائلة كتلك التي مرت بها من قبل.

أتاح تأسيس وتطوير اتحاد دول جنوب شرق آسيا (اتحاد الآسيان) منبرًا جديدًا للصين أمام تطوير علاقاتها مع دول المنطقة. فمنذ تأسيسه حتى تطوره، كان اتحاد الآسيان انعكاسًا للمكاسب التنموية الشاملة في المنطقة، فلم تشهد المنطقة في تاريخها علاقات من الحوار والتعاون بهذا الشكل إلا من خلال هذا الاتحاد[1].

وفي بداية تأسيس اتحاد الآسيان، ظهرت أفكار قوية مناهضة للشيوعية، وإن كانت الصين في ذلك الوقت تحافظ على اتصالاتها مع الأحزاب الشيوعية في بعض دول جنوب

1- دليل واضح على ذلك، اعتراف جميع الدول بشرعية اتحاد دول جنوب شرق آسيا (الآسيان) القانونية، كما بدأت العديد من الدول إرسال سفرائها إلى هذه المنطقة، وتطوير علاقاتها مع الاتحاد.

شرق آسيا التي كانت من مؤيديها[1]. ولكن مع تغير الأوضاع، وجدت الصين واتحاد الآسيان نقاط التقاء جديدة بين مصالحهما. فمن جانب الصين، بادرت الصين بالتخلي عن السياسات المؤيدة للثورة الشيوعية في دول جنوب شرق آسيا، ودعمت الاستقرار والسلم والتنمية والتعاون في المنطقة. ومن جانب اتحاد الآسيان، وضع الاتحاد مسألة تحقيق السلم في منطقة جنوب شرق آسيا في المقام الأول، وسعى إلى استغلال التعاون في المنطقة لحل النزاعات والصراعات، ومقاومة سياسة التوسع الفيتنامية. وهكذا وجدت كل من الصين واتحاد دول الآسيان (لم تكن فيتنام عضوًا فيه بعد) نقاطًا مشتركة للتعاون تتفق فيها مصالحهما، فكلاهما يسعى إلى كبح توسع فيتنام والدفع بعجلة السلام في المنطقة[2].

وبعد التوسع الذي شهده الآسيان وانضمام فيتنام، اعتبرت الصين اتحاد الآسيان منظمةً إقليميةً يمكنها بناء علاقات جديدة معها. ودفع ظهور هذا الوضع الجديد الصين إلى تطوير علاقات الحوار والشراكة مع اتحاد الآسيان بشكل إيجابي[3]. فشاركت الصين بإيجابية في الحوار (10+1) و(10+3) اللذين دعا إليهما اتحاد الآسيان، وكانت الصين أول من وقّع "اتفاقية الصداقة والتعاون في جنوب شرق آسيا"، وكانت أيضًا أول من دعا إلى بناء منطقة تجارة حرة وعلاقات شراكة استراتيجية مع الاتحاد، كما وقّعت أيضًا على "الإعلان المتعلق بتصرف الأطراف في منطقة بحر الصين الجنوبي" بهدف تحقيق الاستقرار في قضية بحر الصين الجنوبي. ومن الواضح أن الصين تسعى إلى استغلال اتحاد الآسيان باعتباره آلية للتعاون الإقليمي في بناء علاقات إقليمية جغرافية جديدة مع

1- ASEAN Declaration, http://en.wikipedia.org/wiki/ASEAN_Declaration, 10-11-2014 :تاريخ الاطلاع والتحميل

2- لقد أثرت هذه الفترة على رؤية الصين حيال اتحاد الآسيان؛ فحافظت الصين على موقفها المؤيد لاتحاد الآسيان حتى بعد انضمام فيتنام، واستمرت في تعزيز وتحسين علاقاتها مع الاتحاد، وأيدت تحالفاته. فبصفة عامة يمكننا أن نقول إن صانعي القرارات الصينيين لا يعتقدون أن اتحاد دول جنوب شرق آسيا يمثل تهديدًا للصين. للمزيد من التحليلات في هذا الشأن، انظر: تساو يون خوا، "العلاقات بين الصين واتحاد الآسيان في ظل التغيرات"، "دراسات حول جنوب شرق آسيا"، عدد5، 1995، ص14-11.

3- في عام 1997، عُقد أول لقاء غير رسمي بين قادة الصين وقادة دول اتحاد الآسيان، حيث تأسست "علاقات حسن الجوار والثقة المتبادلة والشراكة"، وتم الاتفاق على أن "اتحاد وازدهار دول اتحاد الآسيان هو قوة مهمة تدفع تحقيق السلم والتنمية في آسيا". انظر: جيانغ تسه مين، "كلمة في المركز الثقافي التايلندي حول تعزيز حسن الجوار والصداقة لبناء مستقبل مجيد"، http://www. people.com.cn/item/ldhd/Jiangzm/1999/jianghua/jh0014.html (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).

دول جنـوب شرق آسـيا. وفي ظـل تصاعـد النزاعـات في بحـر الصـين الجنـوبي، طرحـت الصـين مفهـوم "التفكـير المـزدوج"، بحيـث تقـوم الـدول المتنازعـة عـلى السـيادة بحـل النزاعـات عـبر المحادثـات، في حـين يعتمـد تحقيـق الاسـتقرار في بحـر الصـين الجنـوبي والمنطقـة بأكملهـا عـلى التعـاون مـع اتحـاد الآسـيان. وهـو مـا يعكـس الـدور الإيجـابي الـذي تلعبـه الصـين في اتحـاد الآسـيان باعتبـاره منظمـة للتعـاون الإقليمـي، واهتمامهـا الخـاص ببنـاء علاقـات وأنظمـة للتعـاون مـع الـدول المجـاورة[1].

وبالرغـم مـن أن الصـين اسـتطاعت تحقيـق تطـورات غـير مسـبوقة في علاقاتهـا مـع اتحـاد الآسـيان، واسـتوعبت مـدى أهميـة "بنـاء العلاقـات الإقليميـة"، إلا أن بنـاء الصـين لعلاقاتهـا مـع اتحـاد الآسـيان وخاصـةً بنـاء الأنظمـة الإقليميـة لم يكـن سلسًـا. فـأولًا، كان اتحـاد الآسـيان يطبـق دبلوماسـية التـوازن مـع الـدول الكـبرى، وبالتـالي لم يرغـب الاتحـاد الاقـتراب مـن الصـين كثـيرًا، فتشـير دبلوماسـية التـوازن مـع الـدول الكـبرى إلى اسـتغلال اتحـاد الآسـيان لباقـي الـدول الكـبرى في تحقيـق التـوازن مـع الصـين. ثانيًـا، هنـاك نزاعـات بـين الصـين وبعـض أعضـاء اتحـاد الآسـيان في بحـر الصـين الجنـوبي، وعـادةً مـا تتحـول هـذه النزاعـات إلى عوامـل مهمـة وراء تنافـر العلاقـات تجـاه الصـين. وعـلى الرغـم مـن أن الصـين عقـدت محادثـات مـع اتحـاد الآسـيان حـول بنـاء منطقـة تجـارة حـرة، إلا أن الاتحـاد لا يرغـب في تأسـيس منظمـة تعـاون إقليميـة موحـدة مـع الصـين، فيحـرص الاتحـاد عـلى الحفـاظ عـلى الاسـتقلالية والمبـادرة كـشرط أسـاسي لتطويـر علاقاتـه مـع الصـين. وتُعتـبر منطقـة التجـارة الحـرة بـين الصـين واتحـاد الآسـيان آليـة وظيفيـة، تركـز عـلى دفـع الانفتـاح عـلى أسـواق الطرفـين وتعزيـز التعـاون الاقتصـادي بينهـما. فمـن وجهـة نظـر دول جنـوب شرق آسـيا، يُعـد اتحـاد الآسـيان كيانًـا شـاملًا، تسـتغل هـذه الـدول مـن خلالـه قوتهـا الجماعيـة للتعامـل مـع الصـين، مـما يحقـق "التـوازن" مـع قـوة الدولـة الصينيـة الكـبرى. أمـا مـن وجهـة نظـر الصـين، فإنـه إذا لم يتحـول اتحـاد الآسـيان إلى "قاعـدة معاديـة للصـين"، وظـل قاعـدة "تدعـو إلى الاسـتقرار والنهضـة"، فـإن الصـين سـوف تحـترم مكانتـه المركزيـة ودوره القيـادي في التعـاون الإقليمـي. وعـلى الرغـم مـن أنـه لا تـزال هنـاك مشـكلات كثـيرة بـين الصـين ودول اتحـاد الآسـيان، وخاصـةً النزاعـات عـلى سـيادة الأراضي

1- نرى أن مفهوم "التفكير المزدوج" لمعالجة قضايا بحر الصين الجنوبي هو امتداد لمبدأ "الاستراتيجية المزدوجة" التي دعت إليها الصين لتطوير علاقاتها مع دول جنوب شرق آسيا. انظر: وانغ يي، "معالجة قضايا بحر الصين الجنوبي بالتفكير المزدوج"، http//:www.fmprc.gov.cn/mfa_chn/zyxw/602251_tll81457.shtml.(10-11-2014 :تاريخ الاطلاع والتحميل)

والمياه الإقليمية، فإن الحكومة الصينية لا تزال تعتبر تطوير العلاقات مع اتحاد الآسيان "اتجاهًا رئيسيًّا له الأسبقية" في الدبلوماسية الصينية، ولا تزال "لديها ثقة" في مستقبل هذه العلاقات[1].

فبالنسبة للصين، يعني الانضمام لاتحاد الآسيان الحصول على منبر جديد لتطوير العلاقات مع دول جنوب شرق آسيا. ولذلك تهتم الصين بمكانة اتحاد الآسيان ودوره بصفة عامة، وتسعى إيجابيًّا لتطوير العلاقات معه، فهي تعتبره دعامةً لتطوير علاقات الصداقة والتعاون، ودعامةً استراتيجيةً مهمةً لتوسيع مصالحها وحماية الأمن في المنطقة. وعلى مستوى بناء العلاقات والأنظمة الإقليمية، تُعتبر منطقة اتحاد دول جنوب شرق آسيا هي المنطقة الوحيدة القادرة على بناء كيان مشترك على المستوى الاقتصادي والأمني والاجتماعي والثقافي. وبالتالي فإن من البديهي أن تهتم الصين بمكانة ودور اتحاد الآسيان من هذا المنطلق. فمهما واجهت الصين من انتكاسات، كانت تحافظ على بذل الجهود حتى لا يتدهور ما تتمتع به من قواعد للصداقة والتعاون. فعلى سبيل المثال، عندما تصاعدت النزاعات في بحر الصين الجنوبي عام 2013، بادرت الصين بطرح فكرة تأسيس نسخة محدثة من منطقة التجارة الحرة، وبناء مجتمع يجمعه مصير مشترك مع اتحاد الآسيان، كما استمرت في المحادثات لوضع قواعد للسلوك تحكم النزاعات في بحر الصين الجنوبي، كما وقّعت معاهدات للصداقة وحسن الجوار، وهو ما يثبت أن استراتيجية الصين حيال اتحاد الآسيان تهدف إلى تنمية طويلة المدى[2]. ومن هذا المنطلق، يُعتبر اتحاد الآسيان بالنسبة للصين "حقلاً للتجارب" لبناء علاقات وأنظمة جديدة مع الدول المجاورة.

---

1 انظر: وانغ يي، "معالجة قضايا بحر الصين الجنوبي بالتفكير المزدوج"،http ://www.fmprc.gov.cn/mfa_chn/zyxw_602251/ tl181457.shtml (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10). "وانغ يي يتحدث عن قضايا بحر الصين الجنوبي: لا يجب على الدول المعنية أن تخطئ في تقدير الأوضاع، لا نريد تكرار الأخطاء"، http://www.chinanews.com/gn/2013/08-02/5118348.shtml، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).

2- يعتقد بعض الباحثين أنه ينبغي على الصين أن تصنع لنفسها دولًا محورية واستراتيجية. وتُعد إندونيسيا هي الأصلح لذلك في اتحاد الآسيان. يعتقد الباحث أن بناء دول محورية واستراتيجية لا يحتاج إلى بناء تحالفات جديدة، وإنما يعني بناء علاقات تعاون وثقة ودعم متبادل تقوم على أساس المصالح الاستراتيجية. انظر: تشو فانغ يين، "كيف تبني الصين دولًا محورية واستراتيجية؟"، "جريدة فنغ خوانغ الأسبوعية"،

http//:www.ifengweekly.com/detil.php?id=943=، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-16).16-11-2014،943

2. الاهتمام بالتعاون مع دول شرق آسيا والعمل على تعديل هذا التعاون:

تتمتع منطقة شرق آسيا بأهمية جغرافية فريدة وسط المناطق المحيطة بالصين، وتتمتع الصين بمفهوم إقليمي واضح حيال نمط الحوار "10+3"[1]. ومنذ دعوة اتحاد الآسيان كلًا من الصين واليابان وكوريا إلى الحوار في عام 1997، كان موقف الصين إيجابيًّا للغاية منذ اللحظة الأولى. ويرجع ذلك إلى اهتمام الصين الشديد باتحاد الآسيان هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى، يرجع إلى إدراك الصين لـ"ذاتية منطقة شرق آسيا"؛ فجغرافيًّا تمثل منطقة شرق آسيا إقليمًا مترابطًا بالنسبة للصين، يشمل كلًا من مناطق شمال شرق آسيا وجنوب شرق آسيا. وبالتالي تدفع الصين التعاون في المنطقة بكل جدية وواقعية. فعلى سبيل المثال، دعت الصين خلال حوار القادة "10+3" في عام 1998 إلى بناء آلية للتعاون تحت مسئولية البنك المركزي ووزارات المالية. وبعد ذلك، دعت الصين إلى إصدار "بيان مشترك حول التعاون في شرق آسيا"، ودعم دراسات "مجموعة رؤية شرق آسيا"، كما بادرت بتنظيم وإعداد دراسة جدوى حول منطقة التجارة الحرة في المنطقة، ودعمت أيضًا "مبادرة شيانغ ماي" التي تهدف إلى التعاون المالي والنقدي، وشجعت المشاركة المتعددة الأطراف في آليات تبادل العملة في ظل إطار هذه المبادرة، وبناء صندوق احتياطي من النقد الأجنبي في شرق آسيا، وتأسيس مكتب اقتصادي للمنطقة، على أن تتولى الصين رئاسة الدورة الأولى.

ومن الواضح أن منطقة شرق آسيا تتمتع بمكانة كبيرة وأهمية خاصة بالنسبة للصين؛ لما تمثله من أهمية استراتيجية ومكاسب إقليمية جغرافية[2]. وبعد انتهاج الصين سياسة الإصلاح والانفتاح، قامت بدايةً بتطوير المناطق الساحلية لتصبح مراكز اقتصادية.

1- في الحقيقة، يقوم مفهوم الصين الإقليمي والجغرافي حول منطقة شرق آسيا على دول اتحاد الآسيان العشرة، وكوريا الشمالية والجنوبية، واليابان، ومنغوليا.

2- يعرّف مارتن جاك منطقة شرق آسيا بأنها "الفناء الخلفي للصين"، ويعتقد أنه حتى نتعرف على معنى النهضة الصينية بالنسبة للعالم، يجب أن تكون شرق آسيا هي نقطة انطلاقنا. فالتعرف على كيفية قيام الصين بالنهضة في منطقة شرق آسيا، وكيفية استغلال سلطتها المتزايدة في المنطقة، يمثل مؤشرًا مهمًا بالنسبة لدول العالم الكبرى تساعدها على معالجة أمورها. ولكن تشبيه الباحث منطقة شرق آسيا بـ"الفناء الخلفي" من السهل أن يؤدي إلى الخلط. فالصين ليست لديها القوة ولا الاستعداد للهيمنة على منطقة شرق آسيا، كما أن المنطقة لا تمثل علاقات الصين الإقليمية الجغرافية بأكملها. وبالتالي إذا أصبحت شرق آسيا "الفناء الخلفي"، فسوف يؤدي ذلك إلى وقوع الصين في "أزمة إقليمية للنهضة". انظر:

World: The Rise of the Middle Kingdom, and the End of the Western World, the Rules China When ,Jacques Martin .p.273

وبالتالي تمثل المناطق من شمال شرق آسيا وحتى جنوب شرق آسيا أهميةً كبيرةً جدًّا للتنمية الصينية ومصالحها العامة. وعلى الرغم من أن الصين تدفع التعاون في هذه المنطقة لأسباب اقتصادية في المقام الأول، لكن المنطقة تمثل أهمية سياسية واستراتيجية كبيرة جدًّا بالنسبة للصين؛ ولذلك تأمل الصين دفع تطوير الأطر العامة والهياكل التنظيمية للتعاون في المنطقة[1].

كما يُعد تغير العلاقات في منطقة شرق آسيا واختلاف موازين القوة مرآة لتراجع الصين في العصر الحديث، فقد جُردت الصين من مصالحها، وتم الاعتداء عليها، كما عانت المنطقة من ويلات الحروب. ولكن بعد انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، بدأت الصين تنفتح على العالم من هذه المنطقة أيضًا، وأسست أسواقًا ومنابر لتنميتها الاقتصادية (في مجالات التجارة والاستثمار والخدمات). ولكن واجهت الصين ثلاثة عراقيل كبرى أمام بناء التعاون في شرق آسيا. أولًا: تنافس القوى، وينعكس هذا على التنافس بين "اليابان المتحفظة" و"الصين الصاعدة". فتخشى اليابان أن تحصل الصين على قوة تأثير قيادية؛ ولذلك تسعى بكل ما في وسعها لعرقلة مشروعات التعاون التي تسعى لها الصين في المنطقة، كما تقوم في الوقت نفسه باستمالة عدد أكبر من الدول لموازنة قوة الصين والتخفيف من "الأزمة الإقليمية في شرق آسيا"[2]. ثانيًا: يتمسك اتحاد الآسيان بمكانة مركزية. فعلى الرغم من أن الاتحاد يأمل في توسيع مصالحه بالاستعانة بأطر تعاون إقليمية أكبر، لكنه في الوقت نفسه يرفض الانصهار في آليات إقليمية أخرى. ولذلك يتمسك الاتحاد ببناء آليات للحوار والتعاون في شكل "اتحاد الآسيان +..."، ما يعكس حذر الاتحاد حيال تأسيس منظومة في المنطقة. ثالثًا: التدخل الأمريكي. انطلاقًا من قلق الولايات المتحدة من استبعادها من آليات التعاون في شرق آسيا أو تعرض مكانتها الريادية للضرر، تسعى الولايات المتحدة إلى بناء آليات إقليمية بقيادتها (مثل اتفاق الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية عبر المحيط الهادئ TPP)، كما تدفع بتوسيع آليات

1- تشانغ يون لينغ، "البحث في النزعة الإقليمية لمنطقة شرق آسيا"، "منطقة آسيا والمحيط الهادئ المعاصرة"، عدد12، 2004، ص5.

2- تُعتبر اليابان "دولة كبرى قيادية متحفظة" في شرق آسيا على المستوى الاقتصادي، وتتميز بمكانة متميزة من حيث قوتها الاقتصادية وقدراتها التكنولوجية ومشاركتها الاستثمارية والتجارية. وبالتالي فإن قلق اليابان من حلول الصين محلها القيادي هو مجرد "خوف استراتيجي". وفي الحقيقة، تعتبر اليابان منطقة شرق آسيا "منطقة كبرى"، كما أن اليابان دولة مكونة من جزر؛ ولذلك تختلف حدودها الإقليمية عن الصين كثيرًا.

الحوار في المنطقة، وتشارك بشكل مباشر في بعضها (قمة دول شرق آسيا)، مما يزيد من قدرة تأثيرها على التعاون في المنطقة.

تواجه عملية التعاون في شرق آسيا التي تعتمد على الشكل (10+3) العديد من الصعوبات؛ نظرًا لتعدد أدوار القوى المختلفة، مما أدى إلى ظهور آليات مختلفة متعددة المستويات، وهذا يختلف كثيرًا عن تخطيط الصين في البداية حيال المفهوم الإقليمي والاستراتيجي لمنطقة شرق آسيا[1]. وقد أجبرت هذه الظروف الصين على إعادة النظر في تعاونها الإقليمي بالمنطقة وتحديد سياساتها من جديد. وانطلاقًا من المصالح الإقليمية العامة، فإن الصين لن تتخلى بالطبع عن سعيها لدفع التعاون في منطقة شرق آسيا، ولكنها قامت بتعديل نقاط تركيزها ووسائلها التي تستخدمها، فعلى سبيل المثال ركزت على البناء الوظيفي البراجماتي بدلًا من البناء المنظومي الشامل.

ومع اهتمام الصين المتزايد بالعلاقات والأنظمة الإقليمية في المناطق المجاورة بشكل شامل، تغير مفهوم الصين واستراتيجياتها حول منطقة شرق آسيا، حيث اعتبرت المنطقة جزءًا من مجمل المنطقة الجغرافية المحيطة الواسعة. وانطلاقًا من هذه الرؤية الواسعة، فإنه إذا "لم تنجح العلاقات في منطقة شرق آسيا، يمكن دفع التعاون في مناطق أخرى". وبالتالي بدأت الصين تتجاوز مفاهيمها الإقليمية التي كانت تعتبر منطقة شرق آسيا "مركزًا"، وبدأت بناء علاقات وأنظمة إقليمية طبقًا لمفاهيم واستراتيجيات جديدة حول المناطق الجغرافية المحيطة الشاسعة.

3. بناء فضاء إقليمي منسجم في منطقة آسيا والمحيط الهادئ:

طبقًا للمفاهيم الإقليمية الصينية، تُعتبر منطقة آسيا والمحيط الهادئ مفهومًا جديدًا. وقد تحولت منطقة آسيا والمحيط الهادئ إلى منطقة موحدة، بداية نظرًا للتبادلات

1- ذكر البحث أن الهيكل المثالي للتعاون الإقليمي هو الحصول على إطار موحد للتعاون يجمع بين منطقة شرق آسيا والولايات المتحدة الأمريكية، من خلال بناء "علاقات في المحيط الهادئ" في ظل أطر للعلاقات بين شرق آسيا وشمال أمريكا، ما يشبه "العلاقات في المحيط الأطلسي" التي تقوم على علاقات التعاون بين أوروبا والولايات المتحدة. لأن الحقائق قد أثبتت أنه "ليس من الواقعي إقصاء الولايات المتحدة خارج آليات التعاون في شرق آسيا". انظر: تشانغ يون لينغ، "البحث في النزعة الإقليمية لمنطقة شرق آسيا"، "منطقة آسيا والمحيط الهادئ المعاصرة"، عدد12، 2004، ص7-6. تشانغ يون لينغ، "التغيرات الجديدة في البيئة المحيطة للصين وسياسات المواجهة"، "الجبهة الفكرية"، عدد1، 2012، ص3-2.

الاقتصادية، وثانيًا للتواصل الأمني. فمن ناحية التبادل الاقتصادي، توفر منطقة آسيا والمحيط الهادئ فضاءً ضخمًا للانفتاح على الخارج، حيث تُعتبر سوقًا رئيسيةً للتجارة الخارجية الصينية، ومصدرًا رئيسيًّا للاستثمارات الأجنبية. أما من ناحية التواصل الأمني، فتُعتبر منطقة آسيا والمحيط الهادئ منطقة مهمة للصين أمنيًّا واستراتيجيًّا، وخاصةً لأنها تتطلب معالجة ذلك النمط الجديد للعلاقات بين الدول الكبرى بين الصين الناهضة والولايات المتحدة المهيمنة. ولذلك فإن دمج منطقة آسيا والمحيط الهادئ في منطقة واحدة يتيح الفرصة للمشاركة الاقتصادية الصينية، ويوفر أيضًا أمام الصين فضاءً لمعالجة علاقاتها السياسية والأمنية.

كما يُعد منتدى التعاون الاقتصادي لدول آسيا والمحيط الهادئ (الأبيك) منبرًا رئيسيًّا أمام المشاركة الاقتصادية الصينية. وهناك سببان رئيسيان وراء طلب الصين الانضمام إلى منتدى الأبيك: أولًا، أن انضمام الصين إلى منظمة التجارة العالمية ليس عملية سهلة؛ لذا تأمل الصين بانضمامها إلى الأبيك أن يذلل ذلك العقبات أمام انضمامها لمنظمة التجارة العالمية. ثانيًا، فرض الغرب عقوبات على الصين في عام 1989 بسبب الاضطرابات السياسية في البلاد؛ لذلك تأمل الصين من خلال الانضمام إلى الأبيك إظهار عزم الصين على الانفتاح على الخارج، مما يساعدها على تجاوز هذه العقوبات. وانطلاقًا من هذا المعنى، نجد أن مفهوم الصين وتعريفها الإقليمي للأبيك ليس قويًّا، إذ يستند بشكل أساسي على الاعتبارات والمصالح الاقتصادية، كما تتخذه الصين كساحة للتدريب على الانضمام لمنظمة التجارة العالمية. ولكن الأبيك يفعّل ما يُعرف بـ"أسلوب الأبيك"، الذي ينادي بالاستقلالية والتطوع وتوافق الآراء، ما يُعتبر مناسبًا جدًّا بالنسبة للصين. فقد ظلت الصين لفترات طويلة لا تؤيد الدفع القوى للانفتاح على الأسواق، بل فضلت التقدم بانتظام خطوة بخطوة. فعلى سبيل المثال، ظلت الصين محافظة على موقفها عندما طرحت كندا في عام 2004 مبادرة تأسيس منطقة تجارة حرة في منطقة آسيا والمحيط الهادئ (FTAAP)، وعندما طرحت الولايات المتحدة رسميًّا إنشاء هذه المنطقة في عام 2006. ولكن عندما بدأت الولايات المتحدة المحادثات وكانت أول الموقعين على اتفاق الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية عبر المحيط الهادئ وقامت بإقصاء الصين من هذا الاتفاق، قامت الصين بدفع بناء منطقة التجارة الحرة لآسيا والمحيط الهادئ (FTAAP). وفي عام 2014، أشرفت الصين على سلسلة من مؤتمرات الأبيك، ونجحت في تحويل عملية

بنـاء منطقـة التجـارة الحـرة لآسـيا والمحيـط الهـادئ إلى رؤيـة مشـتركة[1]. الجديـر بالذكـر أن إدراج عمليـة إنشـاء منطقـة التجـارة الحـرة لآسـيا والمحيـط الهـادئ ينـدرج ضمـن جـدول أعـمال الأبيـك تحـولاً في مفهـوم الصـين الإقليمـي حـول المنطقـة.

بالرغـم مـن أن الأبيـك منظمـة اقتصاديـة تضـع دفـع انفتـاح الأسـواق في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ وافتتـاح مجـالات التعـاون الاقتصـادي والتقنـي عـلى رأس جـدول أعمالهـا، لكـن للأبيـك أهميـة سياسـية قويـة؛ لأن مـا تقدمـه مـن فـرص للحـوار وأطـر للتعـاون قـد تحـول إلى فضـاء للأنشـطة الدبلوماسـية. فعـلى سـبيل المثـال، عندما شـهدت العلاقـات الصينية الأمريكية انتكاسـات في تسـعينيات القـرن العشريـن، اسـتطاع منتـدى الأبيـك توفـير فـرص لمعالجـة تـأزم العلاقـات مـن خـلال مؤتمـرات عـلى مسـتوى القـادة والـوزراء، رغـم توتـر العلاقـات الشـديد. وتُعتـبر الولايـات المتحـدة الأمريكيـة أكـثر الـدول المؤثـرة في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، خاصـةً في المجـال الأمنـي؛ لذلـك لـن تصبـح الصـين جـزءًا مـن الأنظمـة التـي تقودهـا الولايـات المتحـدة. ومـن ثـم، لا تقـف الصـين في موقـف المبـادرة في بنـاء العلاقـات والأنظمـة في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. ولكـن نظـرًا إلى أن الصـين تحتـاج إلى بيئـة مسـتقرة وسـلمية حتـى تسـتطيع تحقيـق النهضـة؛ لـذا تُعتـبر معالجـة العلاقـات مـع الولايـات المتحـدة أمـرًا في غايـة الأهميـة بالنسـبة لهـا. وبالتـالي فـإن الاسـتراتيجية الأساسـية التـي تتبناهـا الصـين في المنطقـة هـي السـعي إلى توسـيع الفضـاء الأمنـي والاسـتراتيجي، حتـى يسـتوعب المحيـط الهـادئ "كلتـا الدولتـين الصينيـة والأمريكيـة"[2]. وانطلاقًـا مـن هـذا المعنـى، يمثـل الأبيـك منـبراً آخـر مهـماً بالنسـبة للصـين لمعالجـة علاقاتهـا المعقـدة مـع الـدول الكـبرى[3].

تتعامـل الأوسـاط الأكاديميـة مـع منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ بشـكل مختلـف. فيعتقـد بعـض الباحثـين أن اسـتراتيجية الصـين الأساسـية في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ تتمثـل في بنـاء تـوازن اسـتراتيجي بـين قـوى الـدول الكـبرى، بحيـث تسـتغل الصـين تـوازن القـوى في

1- لم تكن الصين وحدها التي فعلت ذلك، فقد تم إعادة طرح بناء منطقة التجارة الحرة لآسيا والمحيط الهادئ خلال المؤتمر غير الرسمي لقادة الأبيك المنعقد في اليابان عام 2010، ولم تكن قد قررت اليابان حينئذ الانضمام إلى اتفاق الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية عبر المحيط الهادئ (TPP).

2- "القيادة الصينية والأمريكية توافقان على بناء نمط جديد للعلاقات بين الدول الكبرى: عدم النزاع أو المواجهة"، http://news.ifeng.com/mainland/special/xjpmzzx/content-3/detail_2013_06/09/26267547_0.shtml، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-9-25).

3- تهتم الصين دومًا بما تقدمه منابر التعاون الإقليمي من فرص للقاءات الثنائية؛ لذلك تستغل فترة انعقاد مؤتمر الأبيك للقيام بلقاءات ثنائية مع قادة الدول.

تحقيـق الاسـتقرار لبيئتهـا الخارجيـة[1]. في حـين يـرى آخـرون أن الصـين لهـا مصالـح كبـيرة جـدًا في هـذه المنطقـة؛ ولذلـك عليهـا أن تلعـب دورًا مهـمًا في معالجـة الشـئون المحليـة، وتقديـم مفاهيـم توجيهيـة ونمـاذج مقنعـة. وبالتـالي يجـب عـلى الاسـتراتيجيات الصينيـة في المنطقـة لعـب أدوار مهمـة عـلى جميـع المسـتويات[2]. وتـرى مجموعـة ثالثـة مـن الباحثـين أنـه بمـا أن الصـين تقـع في مركـز منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ المتناميـة؛ فهـي بالتـالي مركـز جـذاب و"دولـة مركزيـة جغرافيًـا" في المنطقـة[3]. ولكـن طبقًـا للمفاهيـم الإقليميـة الجغرافيـة الصينيـة، مـن الصعـب جـدًا أن تتحـول منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ إلى منطقـة مركزهـا الدولـة الصينيـة. فعـلى الرغـم مـن أن منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ نقطـة التقـاء مصالـح الصـين الجغرافيـة، وتُعتـبر أيضًـا مركـزًا لمعالجـة العلاقـات بـين الـدول الكـبرى، لكـن يصعـب عـلى الصـين تحقيـق أهدافهـا مـن خـلال بنـاء أنظمـة إقليميـة. ومـع ذلـك لا تـزال الصـين تسـعى إلى الاسـتغلال الأمثـل لهـذا المنـبر الإقليمـي مـن أجـل تحقيـق مصالحهـا الاقتصاديـة والاسـتراتيجية، واسـتغلال الأنظمـة الإقليميـة لتوسـيع هـذه الاسـتراتيجيات والمصالـح.

4. تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون وبداية مرحلة جديدة:

قبـل انتهـاء الحـرب البـاردة، اقتـصرت العلاقـات بـين الصـين وآسـيا الوسـطى عـلى العلاقـات الثنائيــة بــين الصــين والاتحــاد الســوفيتي. ولكــن بعــد تفــكك الاتحــاد الســوفيتي، تحولــت العلاقـات إلى علاقـات إقليميـة بـين عـدد مـن الـدول المسـتقلة، الأمـر الـذي سـاعد عـلى تعقيـد العلاقـات في المنطقـة، فأصبحـت هنـاك حاجـة لمعالجـة العلاقـات الثنائيـة ومعالجـة العلاقـات الإقليميـة. لذلـك أسسـت الصـين علاقـات جديـدة للشراكـة والتعـاون الاسـتراتيجي مـع روسـيا وطبّعــت العلاقــات معهــا. وبعدمــا حصلــت دول آســيا الوســطى الخمــس عــلى اســتقلالها، ســعت الصــين سريعًــا إلى تأســيس علاقــات دبلوماســية معهــا وقامــت بترســيم الحــدود بينهــا وبــين تلــك الــدول بعــد فــترة وجيــزة جــدًا. وبالتــالي أصبحــت العلاقــات بــين الصــين وروســيا

1- انظر: جياو بينغ، "تحقيق توازن القوى في منطقة آسيا والمحيط الهادئ: مستقبل الاستراتيجيات الصينية"، "منتدى جيانغ خان"، عدد4، 2014، ص108.

2- انظر: وو شين بوا، "الاستراتيجية الصينية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ في حاجة ملحة إلى أفكار جديدة"، "صحيفة الشرق الصباحية"، 2012-11-21.

3- انظر: جو تينغ تشانغ، "حول مكانة الصين المركزية في منطقة آسيا والمحيط الهادئ"، "منتدى الاقتصاد والسياسة العالمية"، عدد1، 2010، ص77.

وآسيا الوسطى تتمتع بخصائص العلاقات الثنائية والثلاثية وكذلك خصائص العلاقات الإقليمية. ولكن أدى ذلك إلى تشابك العلاقات، فلو كانت هناك آلية إقليمية للتعاون، لكان من الممكن وضع القضايا ذات الاهتمام المشترك داخل إطار إقليمي واحد، ما يسهل من عملية المعالجة. فخلال فترة الاتحاد السوفيتي، كانت آسيا الوسطى تُعتبر منطقة داخلية فرعية، أما اليوم فقد أصبحت منطقة دولية مستقلة، لها أهمية خاصة ومليئة بالمتغيرات[1].

وتُعتبر منظمة شنغهاي للتعاون أول منظمة للتعاون الإقليمي تدعو الصين إلى تأسيسها[2]، كما تُعتبر آلية للتشاور ومعالجة العلاقات الدبلوماسية في أعقاب تفكك الاتحاد السوفيتي، تقوم أساسًا على العلاقات بين الصين وروسيا ودول آسيا الوسطى المستقلة عن الاتحاد السوفيتي. ومن خلال هذه الآلية، أسست الصين علاقات جديدة تقوم على التعاون والثقة المتبادلة مع روسيا وبعض دول آسيا الوسطى. والجدير بالذكر هنا أن الاستعانة ببناء آليات للتعاون الإقليمي لتطوير العلاقات بين الصين والعديد من الدول، كما أن استغلال وظيفة منظمات التعاون الإقليمية لخلق بيئة إقليمية للتنمية والأمن، كلها تحولات جديدة في مفاهيم الصين الإقليمية بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية.

استطاعت منظمة شنغهاي للتعاون الجمع بين الدول المختلفة؛ لأن الصين وروسيا ودول آسيا الوسطى تمكنت من العثور على نقطة التقاء وتعاون، وهي تحقيق الأمن المشترك[3]. وعلى الرغم من أن منظمة شنغهاي للتعاون تتخذ من الأمن محورًا رئيسيًا، فإنها تتميز بآليات أمنية تختلف عن تلك التي بين الولايات المتحدة وأوروبا. فلا تسعى منظمة شنغهاي للتعاون إلى التحالفات أو التوسعات العسكرية، بل تسعى إلى تحقيق

1- يمثل استقرار المناطق الشمالية الغربية أهمية كبيرة بالنسبة للصين. وبالتالي يرى البعض أن قلق الصين ينبع من أن تفكك الاتحاد السوفيتي قد يجعل آسيا الوسطى تتحول إلى منطقة نشطة استراتيجيًا، ما قد يجذب قوى عديدة للتدخل. انظر: وانغ جيا يين، "آسيا الوسطى والصين بعد تفكك الاتحاد السوفيتي"، دراسات في السياسة الدولية"، عدد1، 1995، ص23.

2- يُعد أبرز دليل على تجاوز الصين المفهوم الإقليمي الجغرافي الذي يعتبر منطقة شرق آسيا "مركزًا" هو بناء منظمة شنغهاي للتعاون. في عام 1966، وقّعت الصين وروسيا وثلاث دول من آسيا الوسطى (كازاخستان وقرغيزستان وطاجيكستان) "اتفاقية حول تعزيز الثقة في المجال العسكري على المناطق الحدودية". ثم في عام 2001 انضمت أوزبكستان. وعلى هذا الأساس قررت هذه الدول الستة تأسيس منظمة إقليمية رسمية، ألا وهي منظمة شنغهاي للتعاون.

3- تواجه جميع الدول تهديدات من ثلاثة أنواع من القوى (الإرهابية والانفصالية والمتطرفة)، ويتميز نشاط هذه القوى على القدرة الانتشار خارج نطاق الدولة.

التعاون في المجال الأمني وخلق بيئة تساعد على الاستقرار والتنمية السلمية على أساس المساواة والتشاور. ويُعتبر هذا النوع من التعاون "خيارًا محايدًا آخر خارج نطاق الأنظمة الحالية"، وتنعكس وظيفته الأساسية في معالجة القضايا الأمنية ذات الاهتمام المشترك لدى جميع الدول الأعضاء، كما أنه يسعى إلى المحافظة على توازن الأمن في منطقة أوراسيا[1]. يُعتبر توقيع "معاهدة حسن الجوار والصداقة والتعاون طويلة المدى بين دول أعضاء منظمة شنغهاي للتعاون "إنجازًا كبيرًا، وتُعتبر أيضًا أول معاهدة جماعية توقع عليها الصين مع أعضاء في منظمة إقليمية.

كما لا يقتصر اهتمام الصين بآسيا الوسطى على المجال الأمني فحسب، بل تهتم أيضًا بتطوير العلاقات بصفة عامة، وخاصةً دفع التعاون من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية. وبالتالي طرحت الصين مجموعة من المبادرات، مثل بناء منطقة تجارة حرة، وبنك للتنمية لمنظمة شنغهاي للتعاون، وتأسيس نادٍ للطاقة، وآليات للتعاون في مجال الأمن الغذائي، وبناء شبكات للبنية التحتية. ولكن لم تستجب دول آسيا الوسطى وروسيا بشكل إيجابي وفوري لبعض المبادرات الصينية، وكان ذلك نابعًا من قلقها حيال نية الصين الحقيقة. فعلى سبيل المثال، كانت دول آسيا الوسطى قلقةً من أن يتسبب بناء منطقة تجارة حرة في احتكار الصين للسوق إن انفتحت هذه الدول على السوق الصينية بشكل تام. وكانت قلقةً أيضًا من أن تقود الصين بنك التنمية لمنظمة شنغهاي للتعاون، وتستخدمه لتمويل الأنشطة الصينية في هذه المنطقة، وكانت روسيا بصفة خاصة قلقة من قيادة الصين لمنطقة آسيا الوسطى، وأن تجرد روسيا من مصالحها التقليدية[2]. ومع ذلك حققت منظمة شنغهاي للتعاون إنجازات عديدة في المجال الاقتصادي. ونظرًا لأهمية منطقة آسيا الوسطى، ثابرت الصين على فتح مجالات للتعاون الإقليمي، ففي عام 2013، طرحت فكرة بناء الحزام الاقتصادي لطريق الحرير، لدفع التعاون الاقتصادي الشامل

1- انظر: فنغ يو جيون، "تعريف الاستراتيجيات وتوجهات التنمية في منظمة شنغهاي للتعاون"، "العلاقات الدولية الحديثة، عدد11، 2006، ص14- 16.

2- طرحت الصين بناء بنك التنمية لمنظمة شنغهاي للتعاون في عام 2010. ومن التطورات الجديدة التي تم تحقيقها مؤخرًا، ذلك الإعلان الذي تم إصداره في اجتماع قادة منظمة شنغهاي للتعاون المنعقد في سبتمبر 2014، حيث تم إدراج إنشاء صندوق للتنمية وبنك للتنمية تابعين لمنظمة شنغهاي للتعاون في جدول أعمال المنظمة. انظر: http://news. 163. com/14/0913/03/A60B010400014SEH.html، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-10-15).

في المنطقة، وبناء منطقة موسعة للتنمية الاقتصادية[1].

كما يعد تطوير منظمة شنغهاي للتعاون معجزة في حد ذاته. ويعود ذلك إلى الأسباب التالية: أولًا: تمتع الصين برؤية واستراتيجية إقليمية واضحة. ثانيًا: هناك تفاهمات مشتركة بين الصين وروسيا ودول آسيا الوسطى، أهمهما تلك التفاهمات الاستراتيجية التي توصلت إليها الصين وروسيا. ثالثًا: ليس هناك تدخلات خارجية من الدول الكبرى بشكل مباشر. وعلى الرغم من أن لم نجاح منظمة شنغهاي للتعاون يكن متوقعًا، إلا أن تطور المنظمة قد فاق التوقعات. وفي الوقت الراهن تتزايد قوة المنظمة وتتسع وظائفها، كما أن هناك استعدادات لضم أعضاء جدد.

من هنا يتضح لنا أن الصين قد دفعت بتأسيس منظمة شنغهاي للتعاون بهدف تأسيس منظمة إقليمية جديدة تعتمد عليها لبناء بيئة سلمية تدعو إلى التعاون والتنمية في غرب آسيا. ومع اتساع نطاق منظمة شنغهاي للتعاون وتوسع وظائفها، يصبح لها قوة تأثير أكبر، تساعد على الرفع من قوة تأثير الصين في المناطق الغربية. وعلى مدار التاريخ، اعتمد التواصل بين غرب الصين والخارج على طريق الحرير القديم، حيث كان يمتد من آسيا الوسطى إلى غرب آسيا وأوروبا. ولكن اليوم قد اكتسبت الصين فضاءً أوسع مع تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون والحزام الاقتصادي لطريق الحرير، ما سوف يساعدها على تحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية والأمنية. وبما أن غرب الصين هو أقل المناطق استقرارًا، حيث تواجه تحديات أمنية جديدة (قوى التطرف والانفصال)، بالتالي تسعى الصين إلى بناء آليات طويلة المدى لتحقيق الاستقرار والتنمية والسيطرة في غرب البلاد، وذلك من خلال استراتيجيات شاملة مثل منظمة شنغهاي للتعاون.

1- على سبيل المثال، طرحت الصين توقيع "اتفاقية بين حكومات الدول الأعضاء في منظمة شنغهاي للتعاون حول تسهيل النقل الدولي"، وشق ممر للنقل من بحر البلطيق إلى المحيط الهادئ، ومن آسيا الوسطى حتى المحيط الهندي والخليج العربي. انظر: "كلمة الرئيس شي جين بينغ خلال قمة منظمة شنغهاي للتعاون"، 2013-9-14، http://news.xinhuanet.com/mrdx/2013-09/14/c_132719882.htm، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-10-15).

5. السعي لتجاوز "الأزمة في شمال شرق آسيا":

تتمتع منطقة شمال شرق آسيا بمكانة مميزة بين المناطق المجاورة للصين. وتُعد هذه المنطقة غاية في الأهمية بالنسبة للصين من جميع الزوايا. فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، أسست الصين علاقات دبلوماسية مع الاتحاد السوفيتي (جزء من شمال شرق آسيا) ومنغوليا وكوريا الشمالية، ولكن تدهورت العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ومنغوليا فيما بعد. وفي سبعينيات القرن العشرين طبّعت الصين العلاقات مع اليابان. وبعد الحرب الباردة، أسست الصين علاقات دبلوماسية مع كوريا الجنوبية، وطبّعت العلاقات مع روسيا وأيضًا منغوليا. وعلى مستوى العلاقات الثنائية، قامت الصين بتطبيع العلاقات مع جميع دول شمال شرق آسيا. ولكن كانت هذه المنطقة تعاني من الانفصال، ولم تلتئم الجروح التاريخية والتصدعات التي خلفتها الحرب العالمية الثانية، ووقعت العلاقات الصينية اليابانية في "منافسة استراتيجية"، كما تأثرت العلاقات الصينية الكورية بعلاقات الجزيرة الكورية الشمالية والجنوبية، وأيضًا تأثرت بالعلاقات الأمريكية الكورية، وبالتالي كانت ظروف هذه المنطقة ظروفًا خاصة وسط ما يشهده العالم من مراحل للإصلاح.

وسعت الصين لحل قضية كوريا النووية، ومعالجة العلاقات في شمال شرق آسيا، والبحث في قضية السلام الدائم من خلال بناء آليات للمحادثات السداسية، ولكن لم تستطيع هذه الآليات العمل وتراجعت في وسط الطريق بسبب تعقد العلاقات. وكانت هذه هي المرة الأولى في ظل الظروف الجديدة التي تسعى فيها الصين إلى بناء أطر جديدة للتعاون والعلاقات الإقليمية في منطقة شمال شرق آسيا من المنظور الإقليمي[1]. ولكن أثبتت الحقائق أن الصين لا تتمتع بالقوة الكافية التي تمكّنها من لعب أدوار قيادية في المنطقة، كما تفتقر إلى الدعم والدفع المشترك من باقي الدول. لأن الولايات المتحدة وحلفاءها من اليابان وكوريا الجنوبية قاموا فيما بينهم ببناء آليات ثلاثية للتنسيق ضمن إطار المحادثات السداسية، حفاظًا على الاتحاد والمصالح المشتركة التي تجمعهم. وبالرغم من أن كوريا الشمالية والصين تتمتعان بعلاقات تقليدية، إلا أن الأهداف الاستراتيجية

1- يعتقد بعض الباحثين أن هدف الاستراتيجيات الصينية في منطقة شمال شرق آسيا هو حماية استقرار المنطقة، ما يتطلب بناء منظومة تعاون جديدة كليًا، وإعادة تشكيل الأوضاع السياسة في المنطقة، والمساهمة في حل قضية كوريا الشمالية النووية بصفة خاصة. انظر: جين تشيانغ يي، "عن الاستراتيجيات الإقليمية الصينية في منطقة شمال شرق آسيا"، "المجلة العلمية لجامعة يان بيان (العلوم الاجتماعية)" عدد2، 2004، ص34.

لـكل منهـما مختلفـة. أمـا روسـيا فهـي دخيـل لا يسـتطيع المشـاركة بشـكل عميـق. وبالتـالي في ظـل هـذه الظـروف، نجـد أن دور الصـين كـ"وسـيط" يجعـل مـن الصعـب عليهـا أن تلعـب دورًا مهـمًّا أو قياديًّـا في المنطقـة.

كـما تسـبب امتـلاك كوريـا الشـمالية للسـلاح النـووي في تغيـير هيـكل وطبيعـة العلاقـات في منطقـة شـمال شرق آسـيا، وأدى إلى تدمـير أسـس آليـات التعـاون في المنطقـة. ويكمـن جوهـر القضيـة النوويـة الكوريـة في العلاقـات الأمريكيـة الكوريـة وأهـداف الولايـات المتحـدة مـن مصالحهـا واسـتراتيجياتها في شـبه الجزيـرة الكوريـة. وبالتـالي فإنـه إذا لم تقـم كوريـا الشـمالية بتغيـيرات كبـيرة، فلـن تقبلهـا الولايـات المتحـدة ولـن تعـدل مـن سياسـاتها تجاههـا. والسـبب الأسـاسي وراء عـدم ثقـة كوريـا الشـمالية في المحادثـات السداسـية هـي أن هـذه المحادثـات تهـدف بصـورة أساسـية إلى حـل القضيـة النوويـة الكوريـة وليـس إلى توفـير بيئـة تضمـن بقـاء كوريـا الشـمالية وتنميتهـا. وبالتـالي فـإن أكـبر اهتمامـات كوريـا الشـمالية هـي معالجـة علاقاتهـا مـع الولايـات المتحـدة، ودفعهـا لتغيـير سياسـاتها حيالهـا. ومـن الواضـح أن هـذه القضايـا يصعـب حلهـا اعتـمادًا عـلى آليـات للتعـاون الإقليمـي فحسـب. فعـلى الرغـم مـن أن كوريـا الشـمالية اليـوم لا تريـد التسـاهل والعـودة إلى آليـات المحادثـات السداسـية، لكـن الأطـراف الأخـرى أعربـت عـن أنـه يجـب حمايـة الاتفاقيـات التـي يتـم التوصـل إليهـا في إطـار هـذه المحادثـات. لكـن لا تـزال هنـاك حاجـة لتحسـين العلاقـات الثنائيـة وخاصـةً تعديـل السياسـات الأمريكيـة حتـى يمكـن حـل القضيـة النوويـة الكوريـة وتحقيـق السـلام الدائـم في شـبه الجزيـرة الكوريـة. ولذلـك فـإن الاسـتراتيجيات الصينيـة لبنـاء علاقـات وأنظمـة إقليميـة جديـدة في منطقـة شـمال شرق آسـيا تحتـاج إلى أفـكار جديـدة.

تقـوم آليـات التعـاون بـين الصـين واليابـان وكوريـا عـلى أسـاس المصالـح الاقتصاديـة، وتأمـل الصـين أن تتخـذ هـذه الآليـات قنـوات رئيسـية لتجـاوز "الأزمـة الإقليميـة" في منطقـة شـمال شرق آسـيا. ونظـرًا لحساسـية العلاقـات الصينيـة واليابانيـة والكوريـة، مـع الأخـذ في الاعتبـار إطـار الحـوار "10+3" تحـت إشراف اتحـاد الآسـيان؛ كانـت الصـين شـديدة الحـرص في البدايـة حيـال اللقـاء الـذي تـم في إطـار الحـوار "10+3" بـين قـادة الـدول الثلاثـة عـام 1999، وحـاول المسـئولون قـدر المسـتطاع تخفيـف المغـزى السـياسي مـن هـذا اللقـاء. ولكـن تخلّـت الصـين فيـما بعـد عـن تأييدهـا لـه، مـا قـد أعـاد آليـات الحـوار بـين الـدول الثلاثـة تحـت إطـار "10+3" إلى

طبيعتها، وتأسست آليات لعقد قمم بين الدول الثلاثة مستقلة عن إطار "10+3"، كما تم تأسيس أمانة عامة، ودفع عملية بناء منطقة تجارة حرة بين الدول الثلاثة. وقد عكس موقف الصين الإيجابي حيال التعاون الصيني والياباني والكوري مدى اهتمامها بمنطقة شمال شرق آسيا[1]. فعلى سبيل المثال، نظرًا لاختلاف مستويات التنمية، كانت الصين هي أكثر الأطراف التي واجهت صعوبات خلال المحادثات بين الصين واليابان وكوريا حول بناء منطقة تجارة حرة، ومع ذلك كانت مواقف الصين أكثر إيجابية من اليابان وكوريا الشمالية. فاعتبرت الصين بناء منطقة تجارية حرة بين الصين واليابان وكوريا استراتيجية مواجهة إيجابية في مواجهة دفع الولايات المتحدة المتواصل لاتفاق الشراكة الاقتصادية الاستراتيجية عبر المحيط الهادئ (TPP)، وبناء منطقة التجارة الحرة في شرق آسيا في ظل إطار"10+3"، وبالتالي كانت الصين تأمل من خلال منطقة التجارة الحرة بين الصين واليابان وكوريا دفع عملية بناء منطقة تجارة حرة أخرى في شرق آسيا، لمواجهة تحديات اتفاق الشراكة (TPP). ومع ذلك، كان السبب وراء افتقار التعاون بين الصين واليابان وكوريا هو العلاقات السياسية غير المستقرة. ففي الوقت الذي بدأت تظهر فيه بوادر طيبة للتعاون بين الصين واليابان وكوريا، أدى تدهور العلاقات الصينية اليابانية والكورية اليابانية إلى دخول التعاون في أزمة، فتوقفت أعمال القمة، وتراجعت اللقاءات بين القيادة العليا، وعجزت الدول الثلاث عن دفع مشاريع التعاون، وعلى الرغم من أن المحادثات كانت حول بناء منطقة التجارة مستمرة، لكن كان من الصعب ألَّا تتأثر بالأوضاع السياسية[2].

كما تواجه الصين مشكلات سياسية في منطقة شمال شرق آسيا، وهو ما يعكس أن جميع الأطراف التي تسعى إلى بناء آليات للتعاون الإقليمي في المنطقة تفتقر إلى التفاهمات المشتركة. وقد طرح العديد من المتخصصين أفكارًا مختلفةً حول التعاون في شمال شرق

1- طبقًا لدراسة استقصائية تمت ليلة اللقاء الثاني بين قادة الصين واليابان وكوريا، وصلت نسبة الصينيين الذي كانوا يأملون أن تلعب الصين دورًا مهمًا في هذا اللقاء إلى 91.8%. انظر: "90% من مستخدمي الإنترنت يأملون أن تلعب الصين دورًا مهمًا في القمة المنعقدة بين الصين واليابان وكوريا"، http://newS. qq. com/a/20091010/000408. htm، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-2).

2- يعتقد بعض الباحثين أنه لا يمكن فصل التعاون الصيني الياباني الكوري عن الدعم السياسي، وبالتالي فإن التخطيط لمنطقة التجارة الحرة سوف يتأثر بالأوضاع السياسية. انظر: خاي يانغ، "التكامل بين منطقة التجارة الحرة والأوضاع السياسية - تخطيط وتطبيق الاستراتيجية الصينية اليابانية الكورية لبناء منطقة التجارة الحرة"، "منتدى شمال شرق آسيا"، عدد6، 2011، ص39.

آسـيا، يُعـد أفضلهـا هـو بنـاء كيـان مشـترك في المنطقـة. ولكـن هنـاك سلسـلة مـن العراقيـل التـي يمكـن أن تعـوق بنـاء هـذا الكيـان[1]. وعـلى الرغـم مـن أن الصـين تركـز خـلال سـعيها لبنـاء آليـات للتعـاون في منطقـة شـمال شرق آسـيا عـلى البنـاء الوظيفـي البراجـماتي، فقـد واجهـت مـع ذلـك عراقيـل هائلـة. مـا يعكـس أن رأب التصدعـات الإقليميـة في منطقـة شـمال شرق آسـيا سـيحتاج إلى وقـت أطـول، وبالإضافـة إلى ذلـك تحتـاج الصـين إلى اسـتراتيجيات متشـعبة حتـى تسـتطيع بنـاء علاقـات وأنظمـة إقليميـة في المنطقـة[2].

6. البحث عن مصالح إقليمية مشتركة مع دول جنوب آسيا:

تتمتـع منطقـة جنـوب آسـيا بأهميـة واضحة طبقًـا للمفاهيـم الإقليميـة الصينية حيـال دول الجوار. ويمكـن تنـاول ذلـك مـن الجوانـب التاليـة: أولًا: بمـا أن الهنـد دولة كـبرى ناميـة وناهضة؛ لذا فـإن الصين تحتـاج إلى بنـاء نمـط جديـد مـن العلاقات مع الـدول الكـبرى النامية. ثانيًـا: يمثل المحيط الهنـدي أهمية متناميـة بالنسـبة للصـين، وبالتـالي تحتـاج الصـين إلى بنـاء قنـوات بحريـة للانفتـاح والتعـاون. وتتناسـب منطقـة جنـوب آسـيا مـع المصالـح الصينيـة؛ لمـا تتميـز بـه مـن اسـتقرار وانفتـاح وتنميـة وصداقـة. ولكـن عـلى مسـتوى العلاقـات الثنائيـة، عـلى الرغـم مـن أن الصـين طبّعـت العلاقـات مـع جميـع دول جنـوب آسـيا منـذ زمـن طويـل، فـإن هنـاك تباينـات كبـيرة في هيـاكل هـذه العلاقـات. فالعلاقـات بـين الصـين والهنـد عـلى سـبيل المثـال معقـدة ومتغـيرة بسـبب النزاعـات بـين البلديـن عـلى سـيادة بعـض الأرضي، في حـين أن العلاقـات بـين الصـين وباكسـتان هـي علاقـات التعـاون والشراكـة في كل الأجـواء، كـما حققـت الصـين تطـورات جديـدة في العلاقـات مـع سـيريلانكا وبنغلاديـش ونيبـال. وبالنسـبة للهند

-1 لقد طرح عدد كبير من الباحثين في كوريا الجنوبية فكرة بناء كيان مشترك في منطقة شمال شرق آسيا، ولكن يعتقد البعض أنه يمكن اعتبار فكرة بناء ذلك الكيان المشترك هدف مستقبلي، فلا يزال الوقت مبكرًا على ذلك في الظروف الحالية. انظر: "رئيس اللجنة المالية للتبادل الدولي الكوري رن شنغ جيون: كيان إقليمي مشترك في منطقة شمال شرق آسيا"
، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).httP//:theory.people .com.cn/GB.9733517/html،

-2 كان أحد التطورات المهمة في2014-9-11، حيث تم اللقاء التاريخي بين قادة الصين ومنغوليا وروسيا، وتم الاتفاق على تطبيع الحوار بين الأطراف وبناء آليات للتعاون. وفي أثناء اللقاء طرح الرئيس الصيني شي جين بينغ بناء ممر اقتصادي بين الصين ومنغوليا وروسيا، الأمر الذي لاقى تأييد من منغوليا. والجدير بالذكر أنه قد تم الدعوة لهذا اللقاء من قبل منغوليا التي تفعل استراتيجية "البلد الثالث". ما يعكس أنه لن يعتمد التعاون الإقليمي في شمال شرق آسيا على التعاون الثلاثي بين الصين واليابان وكوريا فقط. الأمر الذي يعطي الصين المبادرة لدفع بناء أنظمة إقليمية جديدة في شمال شرق آسيا. للمزيد انظر: "الرئيس شي جين بينغ يقترح تأسيس ممر اقتصادي بين الصين ومنغوليا وروسيا"
، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).http//:news.ifeng.com/a.0_20140912/41951795/shtml،

يُعد تعزيز الصين لعلاقاتها مع باقي دول جنوب آسيا أمرًا حساسًا للغاية. فالصين والهند بينهما نزاعات على سيادة بعض الأراضي، كما أن كل دولة تنافس الأخرى على تحقيق النهضة. وإذا أخذنا في الاعتبار المصالح الاستراتيجية، نجد أن العلاقات المميزة بين الصين وباكستان لا تجعل الهند سعيدة. خاصةً أن حذر الهند الاستراتيجي حيال الصين يزداد في ظل نموها الاقتصادي السريع والارتفاع الكبير في قوتها الشاملة. وبالتالي يُعتبر تجاوز أزمة العلاقات بين الصين والهند، وتوسيع العلاقات مع باقي منطقة جنوب آسيا، اختبارًا للعلاقات والأنظمة الإقليمية الصينية في المنطقة.

يُعد الهيكل المثالي للعلاقات في المنطقة هو بناء أطر وآليات تعاون بين الصين ومنطقة جنوب آسيا ككل[1]. وقد تم تأسيس منظمة إقليمية في منطقة جنوب آسيا، ألا وهي رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، بالإضافة إلى منطقة للتجارة الحرة. وتأمل الصين بناء علاقات تعاون مع الرابطة، وقد حصلت على الدعم بالفعل من باكستان وبنغلاديش وغيرها من الدول الأعضاء، بينما رفضت الهند. ولكن في ظل دعم كبير من الدول الأعضاء، تم قبول الصين واليابان (أصرت الهند على انضمام اليابان) كأعضاء مراقبين في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي. ولكن إذا تطلعنا إلى المستقبل البعيد، فسنجد أن انضمام الصين إلى الرابطة مستحيل تقريبًا، فالصين نفسها لن تفكر في الانضمام، وبالتالي فإن الطريقة المثلى هي تأسيس آلية للتعاون من خلال الحوار (1+8) (برعاية الصين) أو (8+1) (برعاية الرابطة)[2].

تتمتع العلاقات بين الصين وباقي دول جنوب آسيا بآفاق هائلة للتنمية. ولذلك تحتاج كل الدول إلى تعزيز التعاون الاقتصادي مع الصين للإسراع من التنمية الاقتصادية، وركوب قطار التنمية الصيني. وفي الحقيقة، فإن النمو السريع في العلاقات الاقتصادية الثنائية والتعاون في مجالات عديدة أخرى بين الصين وباقي دول جنوب آسيا، يدفع الهند إلى اتخاذ إجراءات إيجابية حيال الصين، ما يدفعها إلى توطيد علاقاتها مع دول جنوب آسيا

-1 يعتقد بعض الباحثين أن النماذج الثنائية ستعجز عن تغطية الملامح الكاملة للعلاقات بين الصين وجنوب آسيا؛ ولذلك يجب بناء آليات للتعاون متعددة الأطراف. انظر: لونغ شينغ تشون، "مناقشة آليات ومراحل التعاون متعدد الأطراف بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، "دراسات حول جنوب آسيا"، عدد4، 2009، ص2.

2 انظر: لونغ شنغ تشون، "مناقشة آليات ومراحل التعاون متعدد الأطراف بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، "دراسات حول جنوب آسيا"، عدد4، 2009، ص3.

مـن ناحيـة، وتطويـر علاقاتهـا مـع الصـين أيضًـا بشـكل إيجـابي مـن ناحيـة أخـرى. وفي سـبتمبر عـام 2014، زار الرئيـس الصينـي شي جـين بينـغ الهنـد، وتوصـل إلى العديـد مـن التفاهـمات المهمـة مـع رئيـس وزراء الهنـد الجديـد نارينـدا مـودي، حيـث اتفقـا عـلى "معالجـة العلاقـات الصينيـة الهنديـة مـن منظـور اسـتراتيجي عـام"، وقـررا تعميـق وتطويـر علاقـات الشراكـة بصفـة أساسـية، "وتوطيـد علاقـات شراكـة وتعـاون اسـتراتيجي تتطلـع إلى السـلم والازدهـار". حيـث إن توطيـد العلاقـات بـين الصـين والهنـد يسـاعد عـلى خلـق بيئـة جديـدة تسـهم في الدفـع إلى بنـاء آليـات للتعـاون بـين الصـين ومنطقـة جنـوب آسـيا[1]. فيجـب زيـادة المصالـح المشـتركة بـين الصـين ومنطقـة جنـوب آسـيا، فبتكثيف العلاقـات فقـط ستسـتطيع الصـين تدريجيًـا بنـاء علاقـات وآليـات إقليميـة جديـدة تدعـم العلاقـات بينهـا وبـين دول المنطقـة.

خلاصـة القـول، فإنـه يتضـح لنـا مـن مشـاركة الصـين الإقليميـة وممارسـاتها، أن الصـين تقـوم بتعديـلات في وعيهـا الإقليمـي طبقًـا لتطـور الأوضـاع في المنطقـة وأحـوال التنميـة الصينيـة. والواضـح أن المشـاركة الصينيـة شـهدت تحـولاً مـن مفهومهـا الـذي اعتـبر شرق آسـيا مركـزًا للعلاقـات، إلى التخطيـط والبنـاء الشـامل للعلاقـات في المناطـق المجـاورة ككل، بمعنـى آخـر استعادت الصـين رؤيتهـا الإقليميـة السـابقة تدريجيًـا، ألا وهـي التركيـز عـلى تأسـيس علاقـات بـين الصـين والـدول المجـاورة بصفـة عامـة. عـلى الرغـم مـن أن المناطـق المجـاورة شـهدت انقسـامًا لمـرات عديـدة، وفي كل مـرة كانـت هـذه المناطـق تتمتـع بخصائـص وأطـر مختلفـة للعلاقـات، لكـن بالنسـبة للصـين تُعتـبر هـذه المناطـق دولاً مجـاورة مترابطـة مثـل سلاسـل الجبـال والأنهـار، وقـد خلفـت تاريخًـا طويـلاً ومصالـح مشـتركة لا يمكـن التخـلي عنهـا، فـكل هـذه الـدول والمناطـق ترتبـط اقتصاديًـا وسياسـيًا وأمنيًـا واجتماعيًـا وثقافيًـا، وبالتـالي تعتـبر منطقـة إقليميـة شـاملة. ويمثـل هـذا التوجـه مفهومًـا إقليميًـا قديمًـا عـادت إليـه الصـين في ظـل الظـروف الجديـدة في العـصر الحديـث.

1- "البيان المشترك بين جمهورية الصين الشعبية وجمهورية الهند حول توطيد علاقات الشراكة بين البلدين"، http://news.xinhua-net.com/world/2014-09/19/c_m2555977.htm (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).

ثالثًا: تأسيس كيان يجمعه مصير مشترك

قال الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة عُقدت في عام 2013 بشأن العمل الدبلوماسي مع الدول المجاورة: "تمثل الدول المجاورة أهمية استراتيجية كبرى للصين سواء من حيث الموقع الجغرافي أو البيئة الطبيعية أو العلاقات المتبادلة. وبالتالي فإن معالجة القضايا مع الدول المجاورة يتطلب رؤية شاملة ومتنوعة وعابرة للزمن"، كما "يجب فتح مجالات للتعاون مع الدول المجاورة على أساس مبدأ تحقيق المنفعة والمصالح المتبادلة، ويجب أيضًا صناعة شبكات مترابطة للمصالح المشتركة، ما يجعل المصالح المشتركة للطرفين تنصهر وترتفع إلى مستوى أعلى، كما يجب أن نسمح للدول المجاورة بأن تستفيد من التنمية الصينية، وأن تحصل الصين أيضًا على النفع والدعم من التنمية المشتركة مع الدول المجاورة"، "ويجب غرس بذور مفهوم بناء كيان يجمعه مصير مشترك مع الدول المجاورة"[1]. ويثبت هذا المفهوم الجديد الذي صرحت به القيادة الصينية حول الدبلوماسية مع الدول المجاورة أن الصين بدأت تنظر إلى الدول المجاورة وتتعامل معها وتعرفها على أنها كيان شامل[2].

ونظرًا لما تتميز به الصين من عدد كبير من الدول المجاورة، وما تتمتع به من علاقات وأوضاع جغرافية مميزة؛ تُعتبر المناطق المجاورة للصين نقطة تركيز مهمة أمامها لحماية حقوقها ومصالحها، وهي أيضًا الخيار الأهم للعب دورها كدولة كبرى، كما أنها نقطة قوة ودعامة استراتيجية مهمة بالنسبة للصين لرفع مكانتها الدولية. وبالتالي فإن اعتبار المناطق المحيطة دعامة استراتيجية مهمة للصين حتى تستطيع سلوك طريقها كدولة كبرى وعظمى، وبناء كيان يجمعه مصير مشترك يدفع بالتنمية والأمن المشترك، مفهوم جديد في علاقات الصين مع الدول المجاورة. ما يعني أن المناطق المحيطة لم تعد مصدرًا

1- "شي جين بينغ: لنغرس بذور الوعي لبناء كيان يجمعه مصير مشترك في الدول المجاورة"، -http://news.xinhuanet.com/2013 10/25/c_117878944.htm، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).

2- يعتقد بعض الباحثين أن المبادرة لبناء كيان يجمعه مصير مشترك تعكس توجه الصين الدبلوماسي حيال الدول المجاورة. انظر: ليو تشن مين، "التمسك بالتعاون والفوز المشترك والمشاركة في بناء مجتمع يجمعه مصير مشترك في آسيا"، "دراسات في القضايا الدولية"، عدد2، 2014، ص3.

للتهديـدات الأمنيـة بالنسـبة للصـين، ولا أعبـاء مسـتمرة تعرقـل الصـين، وإنمـا هـي دعامـة للتنميـة والأمـن، وكيـان يجمعـه مصـير مشـترك مـا بـين آلام وأفـراح[1].

وحتـى تسـتطيع الصـين تحويـل التعـاون مـع المناطـق المحيطـة إلى دعامـة اسـتراتيجية تخـدم النهضـة الصينيـة، عليهـا أولاً تنميـة العلاقـات الثنائيـة، وتحقيـق الاسـتقرار للعلاقـات بصفـة عامـة، وتوسـيع علاقـات حسـن الجـوار. ثانيًـا، عـلي الصـين أن تتخـذ مـن آليـات التعـاون الإقليمـي منـبراً لبنـاء قاعـدة عامـة للمصالـح المشـتركة. ويتطلـب ذلـك تعميـق الاتصـالات المتبادلـة والوثيقـة وزيـادة الاعتـماد المتبـادل بـين الصـين والـدول المجـاورة عـلى المسـتوى الاقتصـادي، بحيـث تصبـح الصـين أكـبر الـشركاء التجاريـين لعـدد كبـير مـن الـدول المجـاورة، والعمـل عـلى توسـيع الاسـتثمارات الصينيـة في هـذه الـدول، مـا يضمـن بنـاء قاعـدة راسـخة للمصالـح المتبادلـة بـين الصـين والـدول المجـاورة. أمـا عـلى المسـتوى السـياسي والأمنـي، فينبغـي فتـح مجـالات للحـوار والتشـاور والتعـاون، وبنـاء آليـات جديـدة للأمـن عـلى أسـاس الأمـن المشـترك، مـن خـلال وضـع مختلـف الآليـات للتعـاون الإقليمـي.

وبعـد تأسـيس جمهوريـة الصـين الشـعبية، طرحـت الصـين والـدول المجـاورة المبـادئ الخمسـة للتعايـش السـلمي. وبعـد انتهـاج سياسـة الإصـلاح والانفتـاح، طرحـت الصـين سياسـة دبلوماسـية تقـوم عـلى "معاملـة دول الجـوار بمـودة واتخاذهـم شركاء"، وتمسـكت ببعـض المفاهيـم التوجيهيـة مثـل تحقيـق الأمـن والاسـتقرار والرخـاء لـدول الجـوار. ثـم في ظـل الظـروف الجديـدة، طرحـت الصـين مفاهيـم دبلوماسـية جديـدة تتمثـل في العلاقـة الحميمـة، والصـدق، وتحقيـق المنفعـة، والتسـامح، وبـادرت ببنـاء مجتمـع يجمعـه مصـير مشـترك ومصالـح مشـتركة مـع الـدول المجـاورة. وتجـدر الإشـارة هنـا إلى أن مفهـوم المجتمـع ذي المصـير المشـترك هـو أحـدث المفاهيـم الصينيـة حيـال الـدول المجـاورة، وقـد جـاء هـذا المفهـوم الجديـد نتيجـة لمراحـل تاريخيـة اسـتمرت مائـة عـام مـن بنـاء العلاقـات والأنظمـة مـع الـدول المجـاورة في ظـل الاهتـمام بتحقيـق النهضـة الصينيـة[2].

1- يعتقد بعض الباحثين أن الصين تتميز بدعامات استراتيجية مع الدول المجاورة. أولًا، تتمتع بعدد كبير من الدول المجاورة. ثانيًا، تتمتع بفضاء منفتح في منطقة آسيا والمحيط الهادئ. انظر: لي يونغ خوي، "بناء دعامات استراتيجية إيجابية مع الدول المجاورة، ورفع أجنحة النهضة الصينية"، "العلاقات الدولية في العصر الحديث"، عدد10، 2013، ص36.

2- طبقًا لمعرفة الباحث، مرّت الصين خلال العصر الحديث بمائة عام من التراجع، من عام 1840 حتى 1948. وبعد تأسيس الصين الجديدة، انتهت فترة التراجع، وبدأت مائة عام أخرى من النهضة، من عام 1949 حتى 2049. وطبقًا لهذا المفهوم الاستراتيجي الذي يقسم المسيرة التاريخية الصينية إلى مرحلتين، فإن من المتوقع أن تتحول الصين إلى دولة متقدمة بحلول عام 2050.

بصفة عامة، تُعتبر البيئة المجاورة الحالية هي الأقل تهديدًا بالنسبة للصين منذ تأسيس جمهورية الصين الشعبية، فلم تعد هناك دولة أو عدة دول تستطيع احتلال الصين، أو شن الحرب عليها، أو انتهاك مصالحها بصورة سافرة. فمعظم الدول اليوم تأمل في تطوير التعاون مع الصين، والسعي لحماية الاستقرار والسلم العام.

كما أن تحول الصين من الضعف إلى القوة قد أدى بالتأكيد إلى تعديلات عميقة في علاقاتها الإقليمية. فأولًا أدى تحول الصين إلى دولة قوية لزيادة مطالبها نحو تحقيق مصالحها الذاتية، والسعي لحماية وتوسيع فضاء هذه المصالح. ثانيًا، تسعى الولايات المتحدة التي تتمتع بمكانة ريادية إلى استغلال جميع السبل للوقاية من النهضة الصينية وتقييدها بدرجة كبيرة، وقد لاحظنا أن عنصر الوقاية كان الأكثر وضوحًا في ظل الاستراتيجية الأمريكية بشقيها "الاحتكاك والوقاية". كما عززت الولايات المتحدة من تواجدها العسكري والاقتصادي في المناطق المجاورة للصين، وقيّدت من توسع الصين الاستراتيجي، من خلال استراتيجية العودة إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ، واستراتيجية إعادة التوازن في المنطقة. ثالثًا، اتخذت الدول المجاورة سياسة الحصار للتخفيف من التحديات التي تسببها النهضة الصينية السريعة. وعلى الرغم من أن سياسات المواجهة تختلف من دولة إلى أخرى، لكن كلها تلجأ إلى الاعتماد على سياسة "اليدين": يد تسعى لتنمية العلاقات مع الصين، وأخرى ترفع من حذرها تجاه الصين، خاصة اليابان التي تُعتبر دولة كبرى قوية، يجمعها والصين "تنافس استراتيجي"، ومن ناحية أخرى بينهما نزاعات على سيادة بعض الأراضي والمياه الإقليمية، ما يفرض ضغوطًا على الصين؛ ومن ثم كان عليها أن توازن كيفية مواجهة الصين القوية، فصبت تركيزها الاستراتيجي على السعي إلى منع نمو الصين، و"الاعتداء" على مصالحها.

في ظل هذه الظروف، ظهرت أوضاع متوترة جديدة في المناطق المجاورة للصين، حيث شهد بحر الصين الشرقي والجنوبي تناقضات عنيفة، ولاح خطر نشوب نزاعات مسلحة. وبلا شك قد صعّدت بعض التناقضات من المخاطر التي أثرت بشكل سلبي على البيئة المحيطة بالصين، ومع ذلك كانت الصين قادرة على السيطرة على الوضع بصفة عامة. والجدير بالذكر أن الفترة الحالية هي أكثر الفترات التي استطاعت فيها الصين السيطرة على الأوضاع المحيطة منذ العصر الحديث. فمع ارتفاع قوة الدولة، أصبح في مقدور الصين

الاعتماد على سعيها الذاتي في تغيير توجه الأوضاع والحد من تدهورها، كما استطاعت استغلال قوتها المتنامية وتأثيرها المتزايد لدفع العلاقات الإقليمية للتطور في اتجاه سليم، والقيام بتعديلات في الأنظمة القديمة لبناء أنظمة أمنية وتنموية محلية جديدة. ولم يكن هدف الصين من بناء هذه الأنظمة السعي إلى الهيمنة، أو بناء دائرة نفوذ تكون هي مركزها، بل كانت تتطلع إلى بناء بيئة إقليمية شاملة مستقرة وسلمية تدعو إلى التعاون والتنمية، وتساعد على تحقيق حلم النهضة الصينية.

وبالنسبة لدولة ترتبط بعدد كبير من الدول المجاورة مثل الصين، ينبغي عليها أن تسعى إلى لعب دور ريادي، وأن يكون لها قوة تأثير مهمة في منابر للتعاون تتجاوز العلاقات الثنائية. ويُعد بناء آليات إقليمية للتعاون تطورًا جديدًا في علاقات الصين مع الدول المجاورة. فحتى يومنا هذا، أسست الصين آليات للحوار والتعاون مع جميع الدول المجاورة المعنيّة سواء في الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب. على سبيل المثال، أسست الصين آليات للتعاون مع اتحاد الآسيان، من بينها بناء مناطق تجارة حرة، كما دعت إلى التعاون من خلال الحوار السياسي والأمني في ظل إطار علاقات الشراكة الاستراتيجية. وتم أيضًا تأسيس منظمة شنغهاي للتعاون، التي تُعد آلية للتعاون الإقليمي بين الصين وروسيا ودول آسيا الوسطى، تركز بشكل أساسي على التعاون في المجال الأمني، كما تمتد أيضًا إلى مجالات أخرى منها الاقتصاد والتجارة والطاقة وبناء البنية التحتية. والجدير بالذكر هنا أن قوة إقناع وتأثير منظمة شنغهاي للتعاون ترتفع، ما يجعلها منبرًا مهمًا لبناء علاقات وأنظمة أمنية جديدة في المنطقة. أما في منطقة شمال شرق آسيا، فنجد آليات التعاون الإقليمية أكثر ضعفًا؛ نظرًا لبعض الأسباب المعقدة. فقد توقفت المحادثات السداسية التي تهدف إلى حل القضية النووية الكورية، وكذلك تُعد آليات التعاون الثلاثي بين الصين واليابان وكوريا شبه متوقفة. ولكن إذا تطلعنا إلى المستقبل، فسوف نجد أن استئناف المحادثات السداسية ليس أمرًا مستحيلًا، كما أن استئناف أعمال القمة الصينية اليابانية والكورية مسألة وقت فحسب. وفي جنوب آسيا، نجد الصين عضوًا مراقبًا في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، ولكن لم تؤسس أطرًا للحوار والتعاون مع هذه الرابطة بعد. ولكن بالنظر إلى المستقبل، سنجد أن تأسيس آليات للحوار والتعاون بين الصين ورابطة جنوب آسيا بما في ذلك بناء منطقة تجارة حرة ليس أمرًا مستحيلًا.

إجمالًا لما سبق، فإن بناء أطر للحوار والتعاون مع المناطق المجاورة الفرعية قد غير

مـن هيـكل العلاقـات بـين الصـين والـدول المجـاورة الـذي اعتمـد عـلى العلاقـات الثنائيـة فقـط، وأيضًـا قـد عـزز مـن آليـات تحقيـق التـوازن وتوسـيع المصالـح العامـة في المنطقـة، مـا سـاعد عـلى بنـاء علاقـات وأنظمـة جديـدة في المناطـق المحيطـة للصـين.

يُعـد بنـاء كيـان يجمعـه مصـير ومصالـح مشـتركة دعامـةً اسـتراتيجيةً مهمـةً للصـين في المناطـق المجـاورة لهـا. ويعتمـد بنـاء ذلـك الكيـان عـلى إطاريـن أساسـيين للتعـاون: أولًا، إطـار يتطلـع لتنميـة التعـاون، يقـوم ببنـاء آليـات لتنميـة التعـاون والانفتـاح بـين الصـين والـدول المجـاورة، ويؤسـس أسـواقًا كـبرى للانفتـاح والتعـاون، ويبنـي شـبكات للتواصـل، تسـمح للـدول المجـاورة الاسـتفادة مـن القـوة الاقتصاديـة الصينيـة المتناميـة، وتوسـع مـن انفتاحهـا عـلى السـوق الصينيـة واعتمادهـا عليهـا. ثانيًـا، إطـار يتطلـع إلى تأمـين التعـاون، يقـوم عـلى بنـاء آليـات للحـوار والتشـاور والتعـاون الأمنـي بـين الصـين والـدول المجـاورة، ويعمـل عـلى بنـاء آليـات للتعـاون تقـوم عـلى أسـاس الأمـن المشـترك وتحمـل المسـئوليات المشـتركة، ويعالـج النزاعـات بـروح تدعـو إلى التعـاون وتهـدف إلى تحقيـق الأمـن المشـترك، كـما يقلـل مـن خطـر نشـوب الاشـتباكات بـين الأطـراف[1].

اكتسـبت شـبكات تواصـل الصـين مع الـدول المجـاورة مكانـةً ودورًا مميـزًا بفضل الاتصـال الجغرافي. وتمثـل شـبكات التواصـل هـذه شريانًـا مهـمًا في جسـد ذلـك الكيـان ذي المصـير المشـترك، فبدونـه لـن يسـتطيع البقـاء أو أداء وظيفتـه. ومـن ثـم تكتسـب عمليـة بنـاء شـبكات للاتصـال مكانـةً جوهريـةً في تعميـق انفتـاح الصـين عـلى أسـواق الـدول المجـاورة أو تطويـر التعـاون معهـا. وفي عـام 2013، طرحـت الصـين المبـادرة الجديـدة لبنـاء "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" وطريـق الحريـر البحـري للقـرن الحـادي والعشريـن. يتخـذ "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" مـن التطويـر والانفتـاح محـورًا أساسـيًا في أراضي منطقـة غـرب الصـين، كـما يقـوم بتوسـيع فضـاء إقليمـي ضخـم يمتـد إلى الغـرب، ويؤسـس مناطـق اقتصاديـة منفتحـة وشاسـعة للتعـاون تمتـد مـن آسـيا الوسـطى حتـى أوروبـا. أمـا "طريـق الحريـر البحـري للقـرن الحـادي والعشريـن" فيهـدف إلى بنـاء قنـوات بحريـة ضخمـة للتعـاون والانفتـاح، وخلـق قـوة دفـع جديـدة تدعـم التعـاون والتنميـة الاقتصاديـة بـين الـدول السـاحلية.

1- يلخص ليو تشن مين مفهوم المجتمع ذي المصير المشترك في الآتي: كيان يقوم على التنمية السلمية بشكل أساسي، ويحافظ على بيئة أمنية من خلال دفع التعاون وبناء الثقة المتبادلة، ويسعى إلى دفع بناء آليات التعاون بالتسامح والانفتاح، ويسعى إلى توسيع التفاهمات المشتركة من خلال تبادل المعارف الثقافية، والعمل يدًا واحدةً وقلبًا واحدًا لتعزيز أواصر ومشاعر الصداقة. إن مفهوم بناء مجتمع يجمعه مصير مشترك هو مشروع منظومي شامل يضم المجال السياسي والاقتصادي والأمني والاجتماعي والثقافي. انظر: "التمسك بالتعاون والفوز المشترك للمشاركة في بناء المجتمع ذي المصير المشترك في آسيا"، "دراسات حول القضايا الدولية"، عدد2، 2014، ص4-3.

وتدعو مبادرة "الحزام والطريق" إلى مفاهيم تنموية وأمنية وثقافية جديدة، قد استعانت بروح التواصل لتحقيق المصالح والفوز المشترك التي دعا لها طريق الحرير القديم، وتأثرت أيضًا "بالحضارة البحرية" التي افتتحها البحار الصيني تشنغ خه في رحلاته السبع الشهيرة، ما ساعد هذه المبادرة على التنمية البرية وبناء أنظمة بحرية جديدة. وبالتالي لا تقتصر مبادرة "الحزام والطريق" على منطقة أو شكل أو دول مشاركة معينة، وإنما يكمن جوهرها في الانفتاح. وبالتالي يمكن أن نقول انطلاقًا من هذا المعنى إن مبادرة الحزام والطريق هي استراتيجية إقليمية تهدف للتوجه إلى العالم.

يحتاج دعم الاستراتيجيات مع الدول الجوار إلى القوة الناعمة. وتكمن القوة الناعمة الصينية في قدرتها على التأثير بنجاحها التنموي، وتكمن أيضًا في القيم التقليدية الثقافية والفكرية التي تدعو إلى الانسجام رغم الاختلاف والتسامح والاحتواء. أما القوة الناعمة الغربية فتؤكد على تميز وريادة القيم والثقافة الغربية، في حين تدعو الصين إلى تنوع القيم والثقافات، وتؤكد على الاحترام المتبادل وتبادل المعرفة. وعلى الرغم من أن الصين اليوم تعيش في العصر الحديث، إلا أنها تهتم بتوارث الموروثات التاريخية والحضارية، حتى تستطيع أن تحتل مكانة ثقافية ريادية في المستقبل.

تعتمد أوروبا في بنائها لكيان مشترك على بناء الأنظمة، في حين يختلف ذلك عن الكيان المشترك الذي تسعى الصين إلى بنائه مع الدول المجاورة، حيث يمثل هذا الكيان مفهومًا يدعو للتكافل، وعلاقات قائمة على المنفعة المتبادلة، وبالتالي فإنه في إطار الانفتاح والتعاون يتميز بالتنوع وتعدد المستويات[1]. يقوم الكيان الذي يجمعه مصير مشترك وسط علاقات متداخلة ومعقدة، ويعتمد بناؤه على تعاون مشترك يدعو للمصلحة المشتركة[2]. إن الخصائص المميزة للكيان ذي المصير المشترك هو مشاركة ثمار التنمية،

1- يعتقد بعض الباحثين أن دفع بناء كيان إقليمي منفتح هو أفضل خيار أمام بناء الصين لعلاقات وأنظمة جديدة مع الدول المجاورة. انظر: تشانغ شياو مينغ، "التطور التاريخي للعلاقات بين الصين والدول المجاورة: الأنماط والمراحل"، "دراسات في السياسة الدولية"، عدد1، 2006، ص71.

2- طبقًا لتعريفات الباحثين من الغرب، يعتمد النظام الدولي على الجمع بين ثلاثة أنواع من القوى: قوة توزيع السلطة، وقوة بناء الأنظمة، وقوة تحديد السلوكيات المعيارية. ولكن النزعة الإقليمية تدعو إلى تنمية مفاهيم جماعية ومنظومية تتجاوز الدولة الواحدة. وبالتالي يُعتبر الكيان الذي يجمعه مصير مشترك الذي تدعو إليه الصين نموذجًا جديدًا. ترجع التعريفات حول الأنظمة أو المناطق الإقليمية إلى المرجع الآتي: Robert Cox, "State, Social Force and World Order" in Robert 0. Keohane, ed., Neorealism and its critics, New York: Columbia University Press, 1986, pp.204-254. يعتقد منغ خونغ خوا أن بناء الأنظمة الإقليمية يعتمد على السعي إلى المصالح المشتركة أو تحمل المسئوليات المشتركة وبناء نزعة إقليمية منفتحة وأنظمة إقليمية للتعاون والأمن. انظر: منغ خونغ خوا، "المنطق وراء بناء الأنظمة الإقليمية"، "الاقتصاد والسياسة العالمية"، عدد7، 2014، ص23-20.

وتحقيق الانسجام والتعايش والتعاون والأمن بين شعوب الدول، مع ربط الحلم الصيني المتمثل في تحقيق نهضة الأمة الصينية بأحلام شعوب الدول الأخرى[1]. وربما يرتبط هذا مع ما نادت به الصين من قبل، من عالم منسجم وبيئة محيطة منسجمة[2].

إن استعادة الصين لمفهومها الإقليمي والجغرافي وأيضًا بناؤها للأنظمة الإقليمية، بالتأكيد قد مر بمسيرة تاريخية طويلة، ما تطلب اعترافًا من الدول المجاورة وتأييدًا منها. ولكن تحقيق هذا "الانسجام" و"الاتحاد" في عالمنا الحالي المتغير والمعقد ليس أمرًا سهلًا، يتطلب دراسة زمنية وتجارب تاريخية. فهناك تباين واضح في قدر اعتراف الدول المجاورة بالنهضة الصينية، وهناك أيضًا العديد من الشكوك حولها[3]. وفي الواقع، هذا ليس أمرًا مستغربًا، فلقد حدثت النهضة الصينية سريعًا؛ وبالتالي فإن تفاوت إدراك العالم والمناطق المحيطة للإنجازات الصينية الجديدة أمر يتطلب وقتًا طويلًا وتطبيقات عديدة لدراسته.

-1 يحاول الرئيس شي جين بينغ خلال زيارته خارج البلاد الجمع بين الحلم الصيني والحلم الأمريكي والكوري وحلم منطقة آسيا والمحيط الهادئ، ما يعكس انفتاحه ورغبته في التعاون. على سبيل المثال "الحلم الصيني يشبه الحلم الأمريكي"، http:/news.xinhuanet.com/world/2013-06/09/c_124836150. htm، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10). "التقاء الحلم الصيني والحلم الكوري"، http://paper.people.com. cn/rmrb/html/2014-07/03/nw.D110000renmrb_20140703_203.htm، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10). "تمنيات بالنهضة المشتركة للحلم الصيني وحلم منطقة آسيا والمحيط الهادئ"، http//news.xinhuanet.com/comments/2014-ll/14/c_1113241826.htm، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).

-2 لقد طرح المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني مفهوم "الكيان البشري ذي المصير المشترك"، حيث أشار إلى أن البشرية كلها تعيش في كوكب واحد، وتتعايش جميع الدول في عالم واحد، ولذلك ينبغي أن نعزز من وعي البشرية حيال ذلك الكيان ذي المصير المشترك. انظر: هو جين تاو، "التمسك الثابت بطريق الاشتراكية ذات الطابع الصيني والنضال من أجل تحقيق بناء مجتمع رغيد الحياة - تقرير المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني"، http://www.xj.xinhuanet.com/2012-11/19/c_113722546_11.htm، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-10).

-3 طبقًا لدراسة استقصائية دولية قامت بها "جلوبال تايمز" في عام 2013، فإن معرفة الدول المجاورة للصين أكثر سلبية من الدول البعيدة. نقلًا عن تشن سونغ تشوان، تشن دي تشانغ، "تحديات القوة الناعمة وسياسات المواجهة أمام استراتيجيات الصين حيال الدول المجاورة"، "العالم المعاصر"، عدد9، 2014، ص16.

رابعًا: الخاتمة

ترى الدراسة أنه منذ انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، وخاصة بعد دخول القرن الحادي والعشرين، شهدت العلاقات بين الصين والدول المجاورة ثلاثة تحولات مهمة، نلخصها فيما يلي:

أولًا: تحولت الصين من دعوة الدول الأخرى إلى قبولها كـ"دولة تدعو إلى الإصلاح والانفتاح"، إلى "دولة ترتفع قوتها الشاملة بشكل سريع". فعلى سبيل المثال، كان أكثر ما تهتم به الدول الأجنبية في الفترات السابقة، هو التعرف على الإصلاحات الداخلية في الصين وأوضاعها السياسية والاجتماعية، وكانت هذه الدول تأمل التعرف على الأوضاع الداخلية للصين حتى تستطيع معرفة تغيرات السياسات الصينية. ثم بعد ذلك أصبح أكثر ما يتم تناوله هو السياسات الخارجية الصينية، وكيفية استغلال الصين لقوتها المتنامية، وطريقها التنموي في المستقبل.

ثانيًا: تحولت الصين من السلبية في مواجهة الضغوط أو الضربات الخارجية إلى المبادرة بخلق بيئة جديدة ووضع آليات وأنظمة للعلاقات مع غيرها من الدول. على سبيل المثال، كان أكثر ما تهتم به الصين في اتصالها مع الخارج في الفترات السابقة هو المشاركة، وكيفية مواجهة الضغوط من الخارج. ثم بعد ذلك تحولت الصين إلى المبادرة في طرح مشاريع ومبادرات صينية، وتقديم الدعم المالي الملموس لهذه المشاريع.

ثالثًا: تحولت العلاقات بين الصين والدول المجاورة من البساطة إلى التعقيد. ويظهر ذلك التعقيد في ثلاثة جوانب: أولًا، أصبح تأثير الدولة الصينية تأثيرًا شاملًا يضم المجال الاقتصادي والسياسي والأمني والثقافي. ثانيًا، أصبح اهتمام الدول المجاورة بالعلاقات مع الصين أكثر تعقيدًا، فلم تعد هذه الدول تهتم بالمصالح فحسب، بل أصبحت تأخذ في الاعتبار أيضًا التأثيرات الشاملة للعلاقات. ثالثًا، أسست الدول المجاورة والقوى الخارجية هياكل متعددة لمواجهة القوة الصينية المتصاعدة، وبالتالي لم تتوقف العلاقات بين الصين والدول المجاورة على العلاقات الثنائية فحسب، بل جمعت بين العلاقات الثنائية والعلاقات متعددة الأطراف. وفي ظل هذه الظروف، واجهت الصين ثلاثة تحديات أمام استعادة مفهومها الإقليمي حيال الدول المجاورة وبناء علاقات وأنظمة جديدة مع هذه الدول، سوف نتناولها فيما يلي:

التحدي الأول: كيفية تقويم العلاقات مع الدول المجاورة. على الرغم من أن هياكل العلاقات بين الصين والدول المجاورة في العصور الحديثة قد شهدت تغيرات جذرية عما كانت عليه على مدار التاريخ القديم، فلا يزال هناك العديد من الاتصالات والموروثات التاريخية، وعادةً ما يتحول هذا التداخل التاريخي للعلاقات والتحولات المعاصرة إلى نقاط اختلاف في العلاقات بين الصين والدول المجاورة في الوقت الراهن. ولذلك ينبغي على الصين أن تسعى للتوصل إلى تفاهمات مشتركة حول "المشاركة التاريخية" مع الدول المجاورة[1]. وبالإضافة إلى ذلك، هناك خلافات معقدة ترجع إلى العصر الحديث، وخاصةً تلك الجروح التاريخية التي خلفتها الاعتداءات اليابانية. ونظرًا إلى أن هناك عددًا من الشخصيات السياسية اليابانية التي تنكر التاريخ، أصبح التاريخ عقبة أمام تطوير العلاقات بين البلدين. وخاصةً أن المصالحات التاريخية قد تشابكت مع تحول موازين القوى الصينية واليابانية، ما قد صعب من تقويم هذه العلاقات بشكل أكبر.

التحدي الثاني: تأسيس علاقات وأنظمة متسامحة تقبلها جميع الأطراف. إن استعادة الصين لمفاهيمها الإقليمية حيال الدول المجاورة يُعتبر تحولًا حتميًّا لنظرية المعرفة الصينية حيال المناطق الإقليمية الجغرافية، وهي أيضًا نتيجة حتمية للنهضة الصينية. ولكن يجب على الصين بناء علاقات وأنظمة جديدة استنادًا إلى مفهوم "الصين والمناطق المجاورة"، مع الأخذ في الاعتبار الأوضاع الراهنة والأطر المعقدة للعلاقات. فالصين الناهضة اليوم مختلفة عن الصين القديمة، والدول المجاورة اليوم تختلف أيضًا عن الماضي. وبالتالي فإن المفاهيم الإقليمية التي تستعيدها الصين اليوم لها إطار جغرافي ولكن منفتحة في الوقت نفسه. وفي ظل هذا الإطار، تسعى الصين إلى لعب أكبر دور ممكن للسيطرة على مجمل الأوضاع من ناحية، ومن الناحية الأخرى يجب أن تلقى الإنجازات الصينية قبولًا من الدول المجاورة. وبالتالي فإن بناء مثل هذه العلاقات والأنظمة عملية تتطلب من الصين لعب دور قوي، وتتطلب قبول الدول المجاورة "الصين القوية".

التحدي الثالث: تحديد هوية الصين. كانت الصين في الماضي دولة كبرى، ثم تدهورت في العصور الحديثة، والآن تسير نحو النهضة. وبالتالي فإن المعالجة السليمة لما فقدته

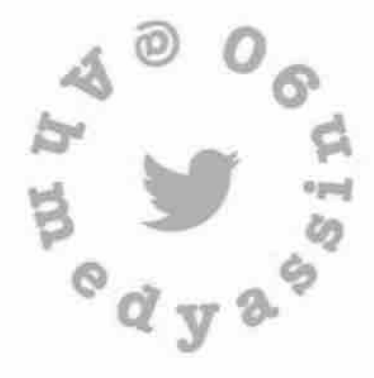
1- من أمثلة ذلك النزاع بين الصين وكوريا حول غوغوريو، والخلافات التاريخية بين الصين ومنغوليا. بعد تأسيس الصين الجديدة، تغيرت السياسات الخارجية الصينية نظرًا لتعقد الأوضاع وتماشيًا مع طبيعة الدولة الصينية حينئذ، ما قد خلف العديد من "التأثيرات الجانبية"، التي تتطلب من الصين والدول المجاورة معاملتها بالاحتواء والتطلع إلى المستقبل حتى يمكن التخلص منها. وبالتالي فإن تطبيق السياسة الصينية الجديدة التي تدعو إلى العلاقة الحميمة والصدق وتحقيق المنفعة، وبناء الواجهة الجديدة للصين، أمور تحتاج إلى وقت، وتتطلب الجهود المثابرة من الصين.

الصين وما تسعى لاستعادته، أمر يحتاج للقوة وأيضًا الحكمة. تُعتبر القوة أساس تحقيق النهضة، ولكن إذا اعتمدت الصين على القوة فحسب، فسوف تكرر الأخطاء التاريخية التي ارتكبتها الدول الكبرى، أي الاستخدام الغاشم للقوة، واللجوء إليها في توسيع البلاد أو السعي إلى الهيمنة. وبالتالي فإن هناك حاجة إلى الحكمة إلى جانب القوة؛ لأن العلاقات بين الدول معقدة، وهناك خلافات عديدة، وفي بعض الأحيان تتعرض البلاد للمخاطر، ولكن توظيف الحكمة يمكن أن يجنب البلاد الاشتباكات ويحقق الفوز المشترك. ولذلك قطعت الصين سلسلة من العهود على نفسها، فقررت التمسك بالسير على طريق التنمية السلمية، وعدم سلوك طريق النهضة التقليدي، وعدم التطلع إلى الهيمنة، والسعي إلى حل النزاعات بالوسائل السلمية. ولم تقطع أي من الدول الكبرى هذه العهود على نفسها، في حين كانت الصين لديها الجرأة، واستطاعت الوفاء بها، بثقتها في نفسها وعزيمتها القوية.

مرت الصين في العصر الحديث بمائة عام من التراجع. أما اليوم فقد دخلت مائة عام أخرى من النهضة. وعندما نستعيد التحولات الهائلة التي شهدتها الصين خلال مائة عام من التراجع، لا يجب أن نتذكر ما تعرضنا له من آلام فحسب، بل علينا أن نستفيد من الدروس التي تعلمناها من تجاربنا وتجارب الدول الأخرى. فالعهود التي قطعتها الصين على نفسها هي تلخيص لكل دروس الماضي المستفادة. ولقد أكد الرئيس شي خلال ندوة حول العمل الدبلوماسي مع الدول المجاورة "أن السياسة العامة في الدبلوماسية مع دول الجوار هي معاملة دول الجوار بمودة، واتخاذهم شركاء للدولة، والحفاظ على حسن الجوار مع تحقيق الأمن والرخاء لهذه الدول، وإبراز مفاهيم العلاقة الحميمة، والصدق، وتحقيق المنفعة، والتسامح". "ينبغي علينا أن نعامل الدول المجاورة بصدق، حتى نكسب عددًا أكبر من الأصدقاء والشركاء". "علينا أن نسمح للدول المجاورة أن تستفيد من التنمية الصينية، وأن نحصل أيضًا على الاستفادة والدعم من التنمية المشتركة مع الدول المجاورة". "علينا أن ندعو إلى التسامح، وندفع بالتعاون الإقليمي بصدر رحب ومواقف إيجابية"[1]. ولكن تحقيق هذه الأهداف ليس أمرًا يسيرًا في مواجهة الأوضاع والعلاقات المعقدة، ولكن بالمثابرة قد نحقق نتائج تفوق التوقعات.

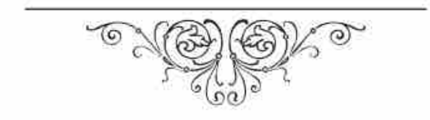
تم نشر هذه الدراسة في العدد الأول من "مجلة الاقتصاد والسياسة الدولية" لعام 2015.

1- شي جين بينغ، "خطاب الرئيس شي جين بينغ خلال ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول العمل الدبلوماسي مع الدول المجاورة"، http://politics.people.com.cn/n/2013/1025/cl024- 23332318. html، (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2014-11-5).


@Ahmedyassin90

التوجه اليميني في اليابان والتوجهات الفكرية والقضايا الاستراتيجية في العلاقات الصينية اليابانية

شي ين خونغ





ملخص الدراسة: عجّلت اليابان من توجهها اليميني السياسي بعد عودة الحزب الليبرالي الديمقراطي إلى السلطة. وقد ساهمت التعديلات الدستورية اليابانية، والطرح الجديد للدبلوماسية الموجهة بالقيم الإنسانية، ورفع الحظر المفروض على حق الدفاع الجماعي عن النفس، بالإضافة إلى التصريحات والأفعال الاستفزازية اليابانية المتكررة خاصةً حول قضية جزر دياويو وغيرها من القضايا التاريخية، ساهمت جميعها بلا استثناء في تصعيد توتر الأوضاع في المنطقة واحتدام المواجهة في العلاقات الصينية اليابانية. ومع ذلك، من المرجّح أن تستمر العلاقات الصينية اليابانية على حالة تجمع بين النزاع والتعاون معًا. فبالنظر إلى مجمل العلاقات بين البلدين على المدى البعيد، سنجد أن هناك احتمالية لتطور هذه العلاقات نحو مسار طبيعي. وصحيحٌ أن زيارات شينزو آبي لضريح ياسوكوني وتحديه للعدالة العالمية، قوبلت بانتقادات واسعة من المجتمع الدولي، لكن على الجانب الآخر قد وفرت فرصة استراتيجية مهمة أمام الصين للحصول على حقها في المبادرة الدبلوماسية، الأمر الذي يتطلب منها الانتباه إلى توسيع الجهود الدبلوماسية ذات الصلة بما يتناسب مع الأوضاع الجديدة، إلى جانب الحفاظ على الموقف الصيني حيال النزاع في قضيتي جزر دياويو وبحر الصين الشرقي.

الكلمات المفتاحية: التوجه اليميني السياسي الياباني، العلاقات الصينية اليابانية، التوجهات الفكرية، قضية جزر دياويو، ضريح ياسوكوني.

الباحث: شي ين خونغ، أستاذ بكلية العلاقات الدولية بجامعة الشعب الصينية.

في عام 2005، قام رئيس الوزراء الياباني جونيتشيرو كويزومي بزيارات متكررة إلى ضريح ياسوكوني وتقديم القرابين لعدد من مجرمي الحرب من الدرجة أ في الحرب العالمية الثانية، ما أدخل العلاقات الصينية اليابانية في أزمة خطيرة تُعتبر الأولى من نوعها على مدار سنوات عديدة. وبعد اندلاع المواجهات العنيفة بين البلدين حول قضية جزر دياويو في سبتمبر عام 2010 وفي سبتمبر عام 2012، وبعد زيارة رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي لضريح ياسوكوني بعد مرور عام على توليه السلطة، ظلّت قضية زيارة الضريح الياباني على رأس الصعوبات الأزلية في جدول أعمال العلاقات الخارجية الصينية.

وفي ظل التعاظم المتزايد لقوى الجناح اليميني الياباني، وتأثير هذا التوجه اليميني في المشاعر القومية والرأي العام الياباني في الوقت الراهن، يسعى شينزو آبي إلى تطبيق سياسات عامة تهدف إلى تغيير الأحكام التاريخية المعروفة، ودفع التعديلات الدستورية الراديكالية، وتعزيز المقاومة العسكرية ضد الصين. ومن هنا يمكن أن نتنبأ بأن تلك الخطورة الكامنة في العلاقات الصينية اليابانية سوف تمتد لفترات طويلة، بل يمكن حتى أن يتم تصعيدها بشكل أكبر، ما يحمل آفاقًا مظلمة أمام العلاقات بين البلدين.

وإذا نظرنا إلى التوجهات الثلاثة الكبرى في السياسات الخارجية الصينية التي تدعو إلى "الانتباه إلى الأوضاع الداخلية والخارجية معًا" تحت لواء الدبلوماسية الشاملة، ودبلوماسية دول الجوار، ودبلوماسية الدول الكبرى، وإذا أخذنا في الاعتبار رؤية الصين للتحول إلى دولة عظمى عالميًّا تتمتع بفضاء دبلوماسي أرحب ومكانة دولية أعلى، فسنجد أنه لا مفر من أن تتحكم تلك الصعوبات التي تواجهها الصين في علاقاتها مع اليابان بدرجة كبيرة في أجندة العلاقات الصينية الخارجية. وعلى الرغم من أن في ذلك نفعًا عظيمًا للنزاع ضد اليابان، لكنه لا يخلو ذلك من المساوئ، منها على سبيل المثال السلبية الفعلية والكامنة في المجال الدبلوماسي، بالإضافة إلى عدد من المخاطر الاستراتيجية والسياسية ذات الصلة. وحتى تستطيع الصين التخفيف من حدة هذه المساوئ وحتى تقليلها بشكل نهائي، عليها متابعة وإعادة النظر وأيضًا القيام بالتعديلات المناسبة في بعض التوجهات الفكرية الحالية حيال القضايا اليابانية والعلاقات الصينية اليابانية، ثم التأمل والتخطيط، وأيضًا تطبيق بعض الإصلاحات في الاستراتيجيات والسياسات الصينية حيال اليابان، منها على وجه الخصوص ما يرتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بضخامة المصالح الصينية الأساسية، وحداثة وديناميكية وتعقُّد العديد من الأوضاع ذات الصلة، ما يرفع من أهمية وقيمة القيام بهذه التعديلات والإصلاحات.

أولًا: التوجه اليميني السياسي في اليابان وتعديل الاستراتيجيات اليابانية حيال الصين

في ديسمبر عام 2012، تم انتخاب شينزو آبي من جديد رئيسًا لوزراء اليابان، فعاد الحزب الليبرالي الديمقراطي إلى السلطة من جديد بعد مدة استمرت ثلاث سنوات. وبعد توليه السلطة، دعا شينزو آبي إلى تعديل الدستور السلمي، ورفع الحظر المفروض على حق الدفاع الجماعي عن النفس، كما استبعد ذلك الطرح الذي يؤمن بأنه "لا حسم للاعتداءات والحروب". وتحولت السياسة اليابانية إلى التوجهات اليمينية بشكل حاد بعد زيارات رئيس الوزراء إلى ضريح ياسوكوني، ما قد أثار قلق المجتمع الدولي. وبالتأكيد يؤثر التوجه اليميني السياسي في اليابان على مكانة اليابان الدولية واستقرار حكم شينزو آبي، كما يؤثر على تغير الأوضاع الدولية والأحوال السياسية الداخلية اليابانية على ما تقوم به اليابان من تعديلات في استراتيجياتها حيال الصين.

(1) تغير الأوضاع الدولية والتوجه اليميني السياسي في اليابان:

مما لا يدع مجالًا للشك، أن التوجهات القومية واليمينية في اليابان تتزايد في الوقت الراهن، ما يدفعنا إلى دراسة التوجه اليميني السياسي في اليابان بشكل دقيق للإجابة على بعض الأسئلة: أولًا: ما هي الدرجة التي وصل لها ذلك التوجه في الوقت الحالي؟ ثانيًا: ما هي أسبابه، وهل هناك أسباب فردية ليس لها علاقة بالصين؟ ثالثًا: ما هي خصائصه؟ رابعًا: ما هي السياسات المضادة التي يجب أن نتخذها في مواجهة ذلك التوجه؟ وهنا نقول إنه يمكن تقسيم هذه السياسات إلى سياسات يتم تطبيقها في الوقت الراهن، وسياسات أخرى تمتد على المدى المتوسط حتى البعيد.

وإذا نظرنا إلى التوجهات العالمية بشكل عام، فسنجد أن اليابان ستتحول دون أدنى شك، إلى "دولة طبيعية" في ظل الأوضاع السياسية والاقتصادية الدولية الحالية، وبالإضافة إلى ذلك، لقد تصاعد هذا التوجه بشكل متزايد منذ أكثر من عشرين عامًا، بصرف النظر عن مدى مصداقية السياسة اليابانية المعروفة باسم "أبينومكس". وإلى

جانب ذلك، لطالما كانت اليابان تسعى في الماضي إلى النهضة بالتجارة والرفع من مكانتها الدولية، وكانت استراتيجياتها العامة تهدف إلى تطوير اقتصاد عالمي. ولكن منذ تسعينيات القرن العشرين، شهد الاقتصاد الياباني ركودًا لفترات طويلة، وظل تأثير اقتصادها الدولي وأنماطها التنموية يتراجع، وبالتالي بدأت التساؤلات حول تأثير قواها الناعمة على المستوى العالمي. الأمر الذي عرقل اليابان بشكل كبير بعد أن كانت تعتمد على الاقتصاد كعنصر أساسي للرفع من مكانتها كدولة كبرى، وخاصة بعد أن تجاوز إجمالي الناتج المحلي الصيني نظيره في اليابان، أيقنت اليابان بأن من الممكن أن تظل تتسع الفجوة بين الصين واليابان في المجال الاقتصادي بشكل متزايد. في الواقع، لقد اعتمدت اليابان في فترات طويلة بعد الحرب على تأثيرها في المجال الاقتصادي والتجاري والتكنولوجي للرفع من مكانتها كدولة كبرى، وقد وصلت إلى هدفها هذا إلى حد معقول. ففي بداية ثمانينيات القرن العشرين، وصلت مكانة اليابان الدولية إلى أعلى مستوياتها. ولكن بحلول منتصف الثمانينيات وخاصة فترة التسعينيات، انكمش الاقتصاد الياباني، وبالتالي انخفض تأثيرها الدولي ومكانتها الاقتصادية بشكل سريع.

وخلال هذه المرحلة، شهدت اليابان خلال سعيها للوصول إلى مكانتها كدولة كبرى تغيرين أساسيين. أولًا: لم تتخلَّ عن سعيها لتحقيق أهدافها كدولة كبرى. ثانيًا: زاد إلحاحها للرفع من مكانتها كدولة اقتصادية كبرى حتى بعد التعرض للإخفاقات. فقد تزايدت الصعوبات أمام اليابان للرفع من مكانتها اعتمادًا على الاقتصاد كعنصر أساسي؛ لأن تأثيرات الأوضاع الداخلية والخارجية بدأت تظهر تدريجيًّا، وخاصةً التأثيرات السلبية التي خلفتها الأنظمة الدولية في أعقاب الحرب الباردة، كما تسارعت ظاهرة شيخوخة السكان في البلاد، وانكشفت التأثيرات السلبية للأنظمة السياسية والاقتصادية، ولاحظنا الجمود في الهياكل والأنظمة. ما دفع اليابان إلى السعي لرفع مكانتها تدريجيًّا انطلاقًا من المستوى السياسي والأمني وحتى العسكري.

إذا نظرنا إلى توجهات التنمية اليابانية، فسنجد أن التحول اليميني السياسي سوف يمثل أحد التوجهات العامة للتنمية في اليابان خلال السنوات الخمس إلى العشر القادمة، وتكمن أسباب ذلك في الآتي: أولًا: انكماش الاقتصاد الياباني في السنوات العشرة الأخيرة، ما قد تسبب في القلق والتوتر والتردد لدى الشعب الياباني، وأثّر بشكل كبير في كبريائه.

ثانيًـا: النهضـة الصينيـة، التـي تشـعر اليابـان أنهـا حقيقـة يصعـب تقبلهـا إلا بعـد مـرور الوقـت. وفي ظـل هـذه التغـيرات، بـدأت اليابـان تتعامـل مـع الصـين عـلى أنهـا خصـم، بـل حتـى عـدو وهمـي.

تُعـد النهضـة الصينيـة تهديـدًا كبـيرًا بالنسـبة لليابـان، فلطالمـا كانـت اليابـان تلجـأ إلى النزعـة السـلمية، ولكـن اليـوم أصبـح اسـتخدام الأسـلحة الخفيفـة غـير مجـدٍ تمامًـا، مـا يتطلـب تطويـرًا في المجـال العسـكري. وعـلى الرغـم مـن أن اليابـان تعتمـد عـلى الولايـات المتحـدة، فـإن تحولهـا العسـكري مقيـد بالدسـتور، وتفتقـر إلى الاسـتراتيجيات الشـاملة في هـذا المجـال. وبصفـة عامـة، يتطلـب تطبيـق الاستراتيجيات إلى علاقـات مـن الحـوار تسـعى إلى التهدئـة، الأمـر الـذي يُعـد ضرورة دبلوماسـية. ولكـن في ظـل الصعوبـات الراهنـة، يحـاول القـادة اليابانيـون الذيـن يقـودون السياسـات الخارجيـة اليابانيـة تحويـل اسـتراتيجيات الدولـة الدبلوماسـية. وبعـد فشـل الحـزب الديمقراطـي، كان مـن المرجـح أن تصعـد إصلاحـات يابانيـة أكـثر يمينيـة، تُعـد نتيجـة للتحـول اليمينـي السـياسي وتحفـظ التوجهـات الاجتماعيـة في اليابـان. ويُقصـد بتحـول الاسـتراتيجيات الدبلوماسـية اليابانيـة، إعـادة طـرح نـوع مـن الدبلوماسـية الموجهـة بالقيـم الإنسـانية. وعـلى الرغـم مـن أن اليابـان أكـدت عـلى ضرورة السـلم بعـد انتهـاء الحـرب، لكـن لا يمكـن اعتبـار ذلـك ضمـن إطـار الدبلوماسـية الموجهـة بالقيـم الإنسـانية، فاليـوم ينصـبُّ الاهتـمام عـلى البيئـة، في حـين فقـدت السـلمية قـوة تأثيرهـا. وبالتـالي بالنسـبة لليابانيـين، لم تـأتِ السـلمية أو الليبراليـة بـأي نفـع عـلى اليابـان، بـل عـلى العكـس جعلـت اليابـان أكـثر ضعفًـا.

تحولـت الأوضـاع الدوليـة وموازيـن السـلطة والنفـوذ الحاليـة، وهـو أمـر جـلي للغايـة دون أدنى شـك. أولًا: عندمـا ننظـر إلى المسـتوى الـدولي، نجـد نهضـة وتعاظـم مكانـة الصـين عـلى مـدار أكـثر مـن عشريـن عامًـا، في مقابـل تراجـع الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. وفي وسـط المواجهـات السياسـية والأمنيـة بـين الصـين واليابـان، تعهـدت الولايـات المتحـدة بتأمـين اليابـان، الأمـر الـذي جـذب اهتـمام اليابـان بشـكل عميـق.

تقـوم الولايـات المتحـدة في الوقـت الراهـن بتعديـل تواجدهـا الاسـتراتيجي والريـادي في غـرب المحيـط الهـادئ، كـما تقـوم بنقـل قواعدهـا العسـكرية إلى جزيـرة غـوام وغيرهـا مـن المناطـق الأخـرى. وهنـا يمكـن أن نفـترض جـدلًا أنـه مـع تطـور القـوة العسـكرية الاسـتراتيجية الصينيـة، مـن الممكـن أن تنسـحب الولايـات المتحـدة مـن منطقـة غـرب المحيـط الهـادئ، ولكـن

حينئذ سوف تتساءل طوكيو بالتأكيد هل ستخاطر الولايات المتحدة لحماية اليابان؟ هذه ربما قضية هيكلية، تُعد أقل تقلبًا من الأوضاع المحيطة. فعلى سبيل المثال، هناك الأوضاع الخارجية وخاصةً تلك المتعلقة بأنشطة الدولة الدبلوماسية، والتي تلعب الصين دورًا مهمًا فيها. فبعد حادث تصادم السفن بالقرب من جزر دياويو في سبتمبر عام 2010 و"شراء اليابان جزر دياويو" في سبتمبر عام 2012، انضمت الحكومة الصينية بل والشعب الصيني كله إلى حركة الدفاع عن جزر دياويو. ما جعل اليابان تشعر بالخوف الشديد، وبدأت تروّج بقوة شديدة لـ"نظرية التهديد الصينية"، وحاولت توسيع نطاقها وصولًا إلى شبه الجزيرة الكورية. وعلى الرغم من أن اليابان كانت تنوي تحسين علاقاتها مع كوريا الجنوبية، لكن بعد أن تقلدت باك غن السلطة تدهورت العلاقات اليابانية الكورية بشكل حاد بسبب النزاع على سيادة بعض الأراضي وغيرها من القضايا التاريخية، وذلك بالإضافة إلى القضية النووية الكورية. وعلى الرغم من أن اليابان تتبع الولايات المتحدة، وتمثل أيضًا أهمية كبيرة بالنسبة للولايات المتحدة، حيث تُعتبر أهم حليف عسكري لها على مستوى العالم، إلا أن الصين تمثل أهمية أكبر على مستويات عدة. ومن ثم، فكلما كانت تعهدات الولايات المتحدة لليابان جوفاء، زاد خوف اليابان أكثر.

ولا تزال استراتيجية "إعادة التوازن تجاه منطقة آسيا والمحيط الهادئ" الأمريكية تلعب دورًا مشجعًا وجذابًا بالنسبة لليابان. وذلك بالتأكيد إلى جانب الدور المهم الذي تلعبه منطقة جنوب شرق آسيا، حيث تتنازع اليابان مع الصين على بحر الصين الشرقي، وتتنازع بعض دول جنوب شرق آسيا مع الصين على بحر الصين الجنوبي؛ ولذلك كان من الطبيعي أن تعزز اليابان من اتصالاتها في منطقة جنوب شرق آسيا. وفوق هذا، رغم ما تتمتع به الصين والهند من مجالات للتعاون، هناك أيضًا بعض التناقضات العميقة بين البلدين.

ثانيًا: يُعد التراجع عن التوجهات المسيطرة بشكل عام على المستويات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية داخل اليابان، هو الأطول منذ تسعينيات القرن التاسع عشر ومنذ إصلاحات ميجي، ما تسبب في عدم استقرار الأوضاع السياسية اليابانية، وضعف فاعلية السياسات الخارجية، وزيادة ما تواجهه اليابان من صعوبات. كما أن الحالة النفسية المهيمنة على اليابان هي الإحباط، وفقدان الثقة بالنفس، وعدم التطلع إلى المستقبل.

(2) تعديل اليابان لاستراتيجياتها حيال الصين:

في ظـل تغـير الأوضـاع الدوليـة والتوجـه اليمينـي السـياسي داخـل اليابـان، أصبحـت اليابـان في حاجـة إلى تغيـير اسـتراتيجياتها حيـال الصـين، وتشـمل الاسـتراتيجيات اليابانيـة هـذه بعـض الجوانـب الأساسـية نذكرهـا فيـما يـلي:

أولًا: المواجهـة عـلى المسـتوى السـياسي والأمنـي مـع تعظيـم الفائـدة عـلى المسـتوى الاقتصـادي. فلطالمـا كانـت اليابـان تعتـبر علاقاتهـا مـع الصـين مـن أهـم علاقاتهـا الثنائيـة، وإن كانـت لهـذه العلاقـات مسـتويات مختلفـة. فعندمـا تؤسـس اليابـان علاقـات اسـتراتيجية متبادلـة المنفعـة مـع الصـين، تقصـد "تبـادل المنفعـة" بشـكل أسـاسي في المجـال الاقتصـادي؛ نظـرًا لمـا تمثلـه المصلحـة الاقتصاديـة مـن أهميـة كبـيرة بالنسـبة لليابـان. وبالتـالي لاحظنـا المواجهـة بـين البلديـن في المجـال السـياسي والأمنـي، في حـين وجدنـا تبـادل المنفعـة والتعـاون في المجـال الاقتصـادي. واليـوم ينبغـي عـلى اليابـان أن تتمسـك بمبـدأ "الفصـل بـين السياسـة والاقتصـاد"، وتواصـل السـعي إلى فوائـد ماديـة أكـبر مـن الصـين، وهـذا يفسر السـبب وراء ابتعـاد اليابـان عـن القيـام بمواجهـات شـاملة ضـد الصـين؛ لأن هـذا النـوع مـن المواجهـات سـوف يؤثـر حتـمًا عـلى العلاقـات الاقتصاديـة بـين البلديـن، وهـو أمـر غـير مرغـوب فيـه بالنسـبة لليابـان.

وإذا نظرنـا إلى السياسـات اليابانيـة، سـنجد أن شـينزو آبي قـام بتعديـل ترتيـب أولويـات هـذه السياسـات، فتحولـت أولويـة اليابـان مـن تحقيـق الاسـتقرار مـع كل مـن الولايـات المتحـدة والصين، إلى إيـلاء أولويـة أكـبر للـدول المجـاورة، خاصـةً بعـد تدهـور العلاقـات بـين الصـين واليابـان، وتشـمل هـذه الـدول: دول جنـوب شرق آسـيا، ودول الآسـيان، بالإضافـة إلى الهنـد وأسـتراليا. وأصبحـت التوجهـات الفكريـة الأساسـية في اليابـان تدعـو إلى تحسـين العلاقـات مـع الولايـات المتحـدة والـدول المجـاورة عـلى حـد سـواء، وتحسـين العلاقـات مـع الصـين بعـد الحصـول عـلى رأسـمال سـياسي ملمـوس. ولذلـك تقـوم اليابـان الآن بتعزيـز تحالفاتهـا مـع الولايـات المتحـدة، أمـلًا في اسـتغلال هـذا التحالـف لتقييـد وكبـح الصـين.

ثانيًـا: بنـاء "شـبكة لتطويـق الصـين". أي التعـاون مـع الـدول المجـاورة للصـين لبنـاء شـبكة لحصارهـا، والاسـتغلال الأمثـل لهـذه الـدول لإثـارة القلـق حـول التنميـة الصينيـة في السـنوات الأخـيرة، الأمـر الـذي يخـدم المصلحـة اليابانيـة.

ثالثًا: المغالاة في تصوير "نظرية التهديد الصينية"، واختراق المناطق المحظورة. تتحدى اليابان الصين في قضية جزر دياويو وغيرها من القضايا التاريخية، والجدير بالذكر أنها هي التي تريد خلق هذا المناخ من التحديات، بحيث تعتبر الصين خصمًا وعدوًّا ووهميًّا لها، كما تبالغ في تصوير "نظرية التهديد الصينية" لخلق ضغوط خارجية أمام الصين. ولطالما كانت اليابان ماهرة في ذلك على مدار التاريخ. ويعتقد القادة اليابانيون أن التحديات الحالية التي تواجهها العلاقات اليابانية الصينية تتيح فرصة طيبة أمام اليابان لتحرير نفسها، فيمكنها استغلال هذه الفرصة لتعزيز تحالفاتها مع الولايات المتحدة، وتجاوز قيود بعض القواعد والأنظمة في الدستور الياباني. كما يمكن لليابان أن تستغل الفرصة للعب دور أكبر في المجتمع الدولي وتعزيز وجودها، مما يساعدها على المشاركة الإيجابية في وضع الأنظمة في المنطقة، والامتداد إلى مناطق أخرى أبعد، مثل الشرق الأوسط ودول إفريقيا.

ثانيًا: قضية جزر دياويو والاستراتيجيات الصينية حيال اليابان:

على الصين ألا تقوم بتضخيم الدور الاستراتيجي الذي تلعبه السياسات الخارجية اليابانية. فأولًا: إذا لم تكن لدولة ما سياسات خارجية مستقلة، فسوف يحد هذا من دورها الاستراتيجي، وعلى الرغم من أنه لا يمكن إنكار وجود بعض المشكلات في السياسات الصينية حيال اليابان، لكنها تتمتع بدور استراتيجي قوي. ثانيًا: إن الدور الاستراتيجي الذي تلعبه السياسات الخارجية الصينية يتفوق على السياسات اليابانية. ثالثًا: إن القضايا الأساسية التي تواجهها الصين تمتد إلى جوانب خارجية عديدة، ما يتطلب رؤية شاملة، والقدرة على الموازنة بين الإيجابيات والسلبيات؛ ولذلك تظل مقيدة بالقرارات والسياسات الدبلوماسية. ولكن يختلف هذا تمامًا عند اليابان، فاليابان تعتبر الصين الآن عدوًا لها. ولذلك، على الرغم من أن الدور الاستراتيجي للسياسات الخارجية اليابانية في أعقاب الحرب لا تُعد قويةً على مستوى التطبيق سواء في المجال الفكري أو مجال وضع الأنظمة والسياسات، فإن مهامها مركزة، حيث تركز سياساتها الخارجية بشكل أساسي على مواجهة الصين، وهو ما يعزز ما تدعو له من استراتيجيات وسياسات.

إن الاستراتيجيات الصينية حيال اليابان فيما يتعلق بقضية جزر دياويو استراتيجيات سليمة. ولكن على المدى القصير، تبدو النزاعات بين الصين واليابان حول جزر دياويو بدون حلول جذرية، وهو ما يتطلب من الصين، على المدى البعيد، أن تتأمل سياساتها حيال اليابان بشكل استراتيجي، بما في ذلك سياساتها حيال قضية جزر دياويو.

تمسكت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في ندوتها حول العمل الدبلوماسي مع الدول المجاورة[1] بضرورة الاهتمام بالدول المجاورة، واعتبار الدبلوماسية مع هذه الدول في نفس قدر أهمية العلاقات مع الولايات المتحدة. فإذا لم تستطع الصين بناء

-1 عُقدت ندوة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي حول العمل الدبلوماسي مع الدول المجاورة بالعاصمة بكين في الرابع والعشرين والخامس والعشرين من أكتوبر عام 2013. وتُعد هذه الندوة من اللقاءات المهمة التي تعقدها اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني حول الأعمال الدبلوماسية مع الدول المجاورة في ظل الأوضاع الجديدة. وقد ألقى الرئيس شي جين بينغ كلمة مهمة خلال هذه الندوة.

علاقـات جيـدة مـع الـدول المجـاورة، فلـن تسـتطيع بنـاء علاقـات جيـدة مـع الولايـات المتحـدة. والجديـر بالذكـر هنـا أن العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة قـد شـهدت جمـودًا كبـيرًا في عـام 2001 وفي عـام 2012، وكانـت نصـف الأسـباب تعـود إلى مشـكلات مـع الـدول المجـاورة، عـلى سـبيل المثـال قضيـة بحـر الصـين الشرقـي، وقضيـة بحـر الصـين الجنـوبي، والقضيـة النوويـة الكوريـة. ولذلـك قـام القـادة الصينيـون بزيـارات متعـددة للـدول والمناطـق المجـاورة، عمـلاً عـلى إنعـاش العلاقـات مـع هذه الـدول، مـا قـد حسَّـن هـذه العلاقـات بشـكل واضـح. ويعـود هـدف اهتـمام الصـين بالدبلوماسـية مـع الـدول المجـاورة إلى إنعـاش التنميـة الاقتصاديـة الصينيـة مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى سـعيًا إلى خلـق بيئـة اسـتراتيجية تجـبر الولايـات المتحـدة عـلى توفـير الفضـاء الاسـتراتيجي الـذي تسـتحقه الصين. وبالتأكيـد لا ننكـر أن هنـاك هدفًـا آخـر مـن تحسـين العلاقـات مـع الـدول المجـاورة، ألا وهـو عـزل اليابـان والفلبـين، وإن كنـا نعتـبر ذلـك تكتيـكًا وليـس هدفًـا عامًّـا. فالهـدف العـام هـو الحصـول عـلى ظـروف خارجيـة طيبـة تسـاعد عـلى تحقيـق الإصـلاح والتنميـة والاسـتقرار في البـلاد، وحمايـة سـيادة الدولـة وأمنهـا ومكاسـبها التنمويـة، وحمايـة السـلم والاسـتقرار العالمـي، ودفـع التنميـة المشـتركة[1].

عندمـا نشـبّه قضيـة جـزر دياويـو بالحـرب، سـنجد أنهـا أقـرب إلى حملـة لهـا مراحلهـا المختلفـة سـواء مـن الناحيـة الموضوعيـة أو الذاتيـة، فهنـاك حملـة أولى وثانيـة وثالثة.. ومـن ثم لقد تجـاوز النزاع عـلى جـزر دياويـو المسـتويات العاديـة للـصراع، فهـي حملـة لهـا حتميتهـا. ولكـن عندمـا شُـنت هـذه الحملـة في العـاشر مـن سـبتمبر عـام 2012، لم تكن الصين مسـتعدة بالشـكل الكافي، فاسـتطاع إيشـيهارا شـنتارو خـداع العامـة، وجـاء قـرار يوشـيهيكو نـودا المفاجـئ بــ"شراء جـزر دياويـو". وتختلـف هـذه الحملـة عـن حملـة خـواي خـاي (Campaign Huaihai)، حيـث كانـت بدايتهـا مفاجئـة وهجوميـة. وعـلى الرغـم مـن أن أهـداف هـذه الحملـة، وطبيعـة الـصراع فيهـا، ومراحلهـا تتسـق مـع التوجهـات التاريخيـة الصينيـة العامـة، لكنهـا لم تخـلُ مـن بعـض العنـاصر العرضيـة وعنـاصر أخـرى غير نابعـة كليًّا مـن تخطيطنـا الاسـتراتيجي الـذي يدعـو إلى المبـادرة والإيجابيـة. لقـد مـر أكـثر مـن عـام عـلى إعـلان اليابـان "شراء جـزر دياويـو"، ولكـن هنـاك مشـكلة واضحـة، فهـذه الحملـة إلى جانـب اسـتراتيجياتنا

1- انظر: "خلق بيئة مجاورة طيبة تساعد على التنمية في الدولة وتحقيق فائدة أكبر للدول المجاورة"، "صحيفة الشعب اليومية"، 25-10-2013.

مـع دول الجـوار كلهـا لأهـداف حربيـة، تتمتـع بالتنسـيق في بعـض الجوانـب، بينـما لا يوجـد تنسـيق في جوانـب أخـرى. فكيـف يجـب التعامـل مـع غيـاب هـذا التنسـيق؟ بمعنـى آخـر، إذا أخذنـا في الاعتبـار العنـصر الفجـائي لهـذه الحملـة، مـا هـي فوائدهـا وعيوبهـا؟

وقـد أكـدت اللجنـة المركزيـة للحـزب الشـيوعي الصينـي في ندوتهـا حـول العمـل الدبلومـاسي مـع الـدول المجـاورة عـلى ضرورة الانتبـاه إلى الوضـع بشـكل شـامل، والسـعي للسـيطرة ومعالجـة المخاطـر، وتعزيـز العلاقـات مـع دول الجـوار. وظلـت الاسـتراتيجيات العامـة المتبعـة مـع الـدول المجـاورة بـدءًا مـن عـصر دينـغ شـياو بينـغ حتـى المؤتمـر الوطنـي السـادس عـشر للحـزب الشـيوعي الصينـي متسـقةً وموحـدةً، مـا يختلـف عـن اسـتراتيجياتنا العامـة اليـوم، التـي لا تخلـو مـن بعـض المواطـن غـير المتسـقة. وعـلى الرغـم مـن أن نزاعنـا عـلى جـزر دياويـو حقـق إنجـازات كبـيرة كان لا بـد منهـا، لكـن قـد تسـبب ذلـك في "تقييـد" كل مـن الصـين واليابـان. ولذلـك يجـب علينـا أن نقـوم بمعالجـة غيـاب التنسـيق الملحـوظ بـين الحملـة التـي نشـنها عـلى جـزر دياويـو وأهدافنـا الحربيـة، وعلينـا أن نضـع اسـتراتيجية عامـة للعمـل الدبلومـاسي مـع دول الجـوار، وتحقيـق الاتسـاق الداخـلي.

يجـب عـلى الصـين، عاجـلًا أو آجـلًا، إعـلان موقفهـا أمـام اليابـان بـل حتـى العـالم بأكملـه، إعـلان يـشرح موقـف الصـين حيـال اليابـان في ظـل رؤيـة بعيـدة المـدى. وهـذا أمـر في غايـة الأهميـة، لا يحتمـل التقديـم أو التأخـير؛ لأن الـدول الأجنبيـة تدّعـي أن الصـين "غامضـة"، مـا يقلقهـا مـن الدولـة الصينيـة. ولذلـك يجـب أن توضـح الصـين لليابـان مـا هـي الظـروف التـي يمكـن أن تتقبـل فيهـا اليابـان كـ"دولـة طبيعيـة"، والعكـس صحيـح أيضًـا، يجـب أن نسـتوضح مـا هـي الصـين العظيمـة التـي تتطلـع لهـا الأمـة اليابانيـة. وهنـا يجـب أن نخاطـب اليابـان التـي تعتمـد عـلى الولايـات المتحـدة ونسـألها: هـل يمكـن الاعتـماد عـلى الولايـات المتحـدة بشـكل كامـل عـلى المـدى البعيـد؟

ترجـع الاتصـالات بـين الصـين واليابـان لتاريـخ بعيـد، وأكـثر مـا يميزهـا هـو التعقيـد. عندمـا كانـت الصـين تعالـج الشـئون اليابانيـة في المـاضي، كانـت أحيانًـا تحقـق الإنجـازات الكـبرى بشـكل تدريجـي. أمـا في ظـل المواجهـة الصينيـة اليابانيـة الحاليـة، فقـد تخلـت حكومـات بعـض المناطـق في الصـين بالفعـل عـن التفاعـل والتواصـل مـع اليابـان. ولكـن إن أمعنّـا النظـر في التاريـخ، سـنجد أنـه عـلى الرغـم مـما خاضـه كل مـن مـاو تـسي تونـغ وشـو إن لاي مـن حـروب

امتـدت لسـنوات عديـدة ضـد اليابـان، إلا أنهـما عمـلا في الشـأن اليابـاني بشـكل جـاد للغايـة. فـإن قلنـا إن الصـين قـد توقفـت عـن العمـل العـام في الشـئون اليابانيـة بسـبب مـا تواجهـه مـن صعوبـات، إذن لـن تسـتطيع الصـين تحقيـق أي شيء أبـدًا. وهـذا ليـس أمـرًا يخـص اليابـان فحسـب، بـل هـو توجـه عـام مـع الـدول الأخـرى، عـلى سـبيل المثـال ميانمـار ومنغوليـا (ذهـب الرئيـس الأمريـكي خـلال السـنوات العـشر الأخـيرة إلى منغوليـا مـرة واحـدة، وزارهـا نائـب رئيـس مجلـس الدولـة مرتـين). وبالتـالي نقـول إن نجـاح أو فشـل الصـين في بعـض الأمـور يتوقـف إلى حـد كبـير عـلى مـدى الجديـة في العمـل. فـلا ننـسى أن عـدد سـكان الصـين يبلـغ مليـارًا وثلاثمائـة مليـون نسـمة؛ لذلـك لا يمكـن أن نعتمـد عـلى الحكومـة فحسـب.

علينـا أن نسـتكمل مسـيرة الوطنيـين العظـماء أمثـال مـاو تـسي تونـغ وشـو إن لاي. فعـلى مـدار التاريـخ الطويـل، كان الاسـتراتيجيون المتميـزون والـدول الناجحـة تتمتـع بالخطـط والاسـتراتيجيات والقـدرة عـلى توحيـد الشـعوب. ولقـد قامـت الصـين بتعزيـز الاتصـال مـع اليابـان عـلى مسـتوى بعـض المجـالات والمناطـق والمؤسسـات والأفـراد، مـما كان لـه دور واضـح يجـب أن نثابـر عليـه. لقـد ترعرعـت بعـض البـذور التـي زرعتهـا الصـين في ثمانينيـات القـرن العشريـن، بينـما لم تَنْـمُ الأخـرى بـل تعفنـت مـع حلـول التسـعينيات، ثـم فقـدت فاعليتهـا تمامًـا وتأثـرت بعنـاصر عديـدة مـع تقلـد القيـادة اليمينيـة السـلطة في اليابـان. ومـع ذلـك، علينـا المثابـرة عـلى غـرس بـذور الأمـل لإحـداث التغيـير ولـو تدريجيًـا كقطـرات الميـاه التـي تحفـر الصخـر.

ثالثًا: التوجهات الفكرية والقضايا الاستراتيجية في المواجهات الصينية اليابانية

تعود المواجهات التي أثارها النزاع على جزر دياويو بين الصين واليابان إلى جانبين اثنين: أولاً: النمو المستمر للقوة العسكرية الصينية، وهذا ما تتفق معه الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا. ثانيًا: اتجهت اليابان بعد الحرب إلى النزعة السلمية والليبرالية الدولية، وظل اليابانيون متأثرين لفترات طويلة بتيار النزعة السلمية، وبالتالي لم يكن من الوارد نسيانه تمامًا. ولكن كان اليابانيون يشعرون أن اليابان قد سلكت بعد الحرب الطريق الصحيح، الذي جعل الدولة تعيش حياة أفضل، ولكن لم يشعر اليابانيون بالطمأنينة والأمن الحقيقيين، كما لم تستطع اليابان الحفاظ على مكانتها المتميزة في القارة الآسيوية سواء على المستوى الاقتصادي أو الدبلوماسي. بل في الواقع، شكك اليابانيون كثيرًا في التعهدات الأمريكية بالأمن، وبالنسبة لبعض اليابانيين، ظلت الصين هي وحدها التي تهدد الأمن الياباني، وهذا يختلف عن الماضي كثيرًا.

إذا استرجعنا النزاعات على جزر دياويو، سنجد أنه على الرغم مما لجأت إليه الصين من استراتيجيات سليمة لمعالجة هذه القضية خاصةً بعد نشوب المواجهات بين البلدين، إلا أن هناك بعض التيارات السائدة والتوجهات الفكرية التي يجدر إعادة تأملها.

أولًا: ينبغي أن تنتبه الصين إلى الدور المؤثر الذي تلعبه البيئة الخارجية. ويعود هذا الدور المؤثر إلى الجوانب التالية: (1) الولايات المتحدة الأمريكية في المقام الأول، وإن كان أصبح للصين الناهضة أيضًا دور مؤثر هائل على الدول المجاورة. (2) أن اليابان دولة ضعيفة التأثير، كما يصعب فيها التخلص من الاختلافات أو الوصول إلى تفاهمات مشتركة، ولكن الصين لا تنتبه إلى هذا الأمر بالشكل الكافي. (3) أن الحرب عملية تفاعلية، حيث يؤثر تصرف كل طرف على تصرف الطرف الآخر، وبالتالي يجدر الاهتمام بالتفاعل بين الصين واليابان. (4) فيما يتعلق بالقوى المحركة والقيود المؤثرة على الأوضاع السياسية في البلاد، نجد الصين لا تتناول الظروف ذات الصلة بالشكل الكافي. كما أن الأوضاع الداخلية الصينية معقدة جدًا، ما يتطلب قيودًا داخلية تحكم استراتيجياتها، والقدرة

على العمل وسط بيئة من التناقضات. (5) تهتم الصين بالقوة بشكل كبير جدًا، خاصة القوة الصلبة، أما القوة الناعمة فلا تهتم بها كثيرًا خاصةً على الصعيد الدبلوماسي. وعلى الرغم من أن إجمالي الناتج المحلي الصيني تجاوز اليابان، فالصين سجلت نقاطًا قليلة من حيث تطبيقها للقوة الناعمة تجاه اليابان على المستوى الدبلوماسي. بالإضافة إلى ذلك، لا تتمتع الصين بتميز جغرافي كبير، وعلى الرغم من أنها تتميز بزخم أفضل للتنمية مقارنةً باليابان، لكن الصين دولة ضخمة، ما قد يسهل من تشتت التنمية الاستراتيجية فيها، وبالتالي تواجه الصين صعوبات أكبر مقارنةً باليابان من حيث الاستعداد الاستراتيجي.

فيما يتعلق بالقضية اليابانية، عادةً ما يفتقر الكثيرون إلى "المنظور الأدبي"[1]، وخاصةً ذلك المنظور المطلوب للتعرف على الجانب النفسي للقومية اليابانية في الوقت الراهن، حيث يكون الاعتماد بصفة خاصة على الدراسات والأبحاث والمفاهيم والتصورات ذات الطابع الصيني. وهذه التوجهات الفكرية التي تفتقر إلى "المنظور الأدبي" الواسع، لا تنتبه إلى الدور المؤثر الذي تلعبه البيئة العصرية والتاريخية على العنصر النفسي. ويمكننا تلخيص هذه البيئة في الآتي: (1) توجهات الدولة اليابانية وأوضاعها الداخلية والخارجية في ظل الأوضاع السياسة والاقتصادية العالمية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى السنوات الأخيرة. (2) وضع اليابان ومكانتها الحرجة في ظل التغير الحاد للأوضاع السياسية والاقتصادية العالمية. وفيما يتعلق بالجانب النفسي للقومية اليابانية بسبب هذه البيئة وتغيراتها، يمكننا إيجازه في سؤالين اثنين يدوران في أذهان جميع اليابانيين تقريبًا، ألا وهما: كيف تؤثر توجهات الدولة اليابانية وأوضاعها الداخلية والخارجية على اليابانيين؟ وهل يمكن لليابانيين الاستمرار في التكيف مع الأوضاع التي تتطلبها الأمة اليابانية بحسب تصورهم؟

1- "من بين الوسائل الفكرية والأساليب البحثية الأساسية التي يتم اتباعها في دراسة القضايا الدولية، هناك أسلوب "المنظور الأدبي" الواسع... إن الشئون الإنسانية تعتمد على الإنسان في المقام الأول، حيث يلعب الإنسان الذي يتميز بخصائص اجتماعية ونفسية معقدة دورًا أساسيًا، وبالتالي فإن مفهوم الشئون الإنسانية عند القوميات والدول يقوم على طبيعة الملايين من الأشخاص والاتصالات المتشابكة والمتغيرة فيما بينهم، وربما يتفق ذلك مع مقولة المؤرخ الصيني سي ما تشيان 'بالبحث المتعمق في العلاقة بين الطبيعة والإنسان، وفهم ما طرأ من تغيرات منذ العصور القديمة حتى اليوم، يمكن أن يصل الفرد إلى فلسفة خاصة به'. وطبقًا لهذه المقولة، توصف الشئون الإنسانية بأنها بعيدة عن التقيد الكامل بـ"القواعد": فالسلوك البشري والعلاقات البشرية دقيقة للغاية وغامضة ومتغيرة ويصعب التكهن بها. وبالتالي، بدون أسلوب المنظور الأدبي الواسع، من يجرؤ على التصريح بالاقتراب من حقيقة وأسرار هذه الأمور؟" انظر: شي ين خونغ، "أسلوب المنظور الأدبي والتعريف بالروح الأمريكية"، "مجلة جيانغ خاي العلمية"، عدد4، 2014، ص24.

بحسـب وجهـات نظـر العديـد مـن اليابانيـين، خـلال أكـثر مـن سـتين عامًـا بعـد انتهـاء الحـرب العالميـة الثانيـة، أي حيـث ذاع صيـت الأنظمـة الاقتصاديـة الليبراليـة الدوليـة والقـوة الأمريكيـة، اتبعـت اليابـان توجهـات تسـعى إلى النزعـة السـلمية والرخـاء التجـاري بالاعتـماد عـلى مبـدأ "بنـاء الدولـة اسـتنادًا إلى التجـارة"[1]، واهتمـت خارجيًـا بالدعـوة إلى حمايـة البيئـة، وتفعيـل المسـاعدات الإنمائيـة، وبـدأت نـشر الثقافـة اليابانيـة، والسـعي إلى قـوة ناعمـة دوليـة، ولكـن تُـرى كيـف أثـر ذلـك في نهايـة المطـاف عـلى اليابانيـين؟ نجيـب بـأن اليابانيـين يواجهـون اليـوم بعـض الأوضـاع والتوجهـات الرئيسـية، نذكـر منهـا مـا يـلي: تراجـع الاقتصـاد عـلى مـدار أكـثر مـن عشريـن عامًـا، وانكـماش الأسـواق التجاريـة العالميـة بشـكل كبـير، وتراجـع القـوة الأمريكيـة بشـكل ملحـوظ، وتزعـزع مصداقية الحمايـة الأمريكيـة لليابـان، وتدهـور البيئـة العسـكرية اليابانيـة (وفـوق هـذا لقـد صعّـدت مكانـة اليابانيـين التبعيـة بعـد الحـرب مـن تعصبهـم وتشـككهم)، وانخفـاض مكانـة اليابـان الدوليـة انخفاضًـا ملحوظًـا، في حـين ارتفعـت القـوة الاقتصاديـة والعسـكرية الصينيـة وارتفـع تأثيرهـا الـدولي. وفـوق هـذا كلـه، مـن المتوقـع أن تصبـح هـذه الأوضـاع والتوجهـات قضايـا بنيويـة ممتـدة وليسـت مجـرد قضايـا ظرفيـة مؤقتـة. وبالتـالي فإنـه مـن السـهل جـدًا في ظـل هـذه الظـروف أن يسـتمع اليابانيـون ويتقبلـوا إرشـادات وتشـجيعات الجنـاح اليمينـي، ومـن السـهل أيضًـا أن يبـدءوا التفكـير في قبـول تغيـير توجهـات الدولـة اليابانيـة طبقًـا لرغبـات الجنـاح اليمينـي.

وفي نفـس السـياق، هنـاك نقطتـان مهمتـان جـدًّا مـن بـين التوجهـات الفكريـة الصينيـة التـي تسـتحق التأمـل: النقطـة الأولى هـي صعوبـة الوصـول إلى تفاهـمات مشـتركة حـول خطـورة تزايـد التوجـه اليمينـي والديمقراطـي والعسـكري لليابـان كـ"دولـة طبيعيـة" (تتمتـع بحقـوق الـدول الكبرى). ويُقصـد بـ"الصعوبـة" هنـا قبـول عـدد كبـير مـن اليابانيـين توجهـات الدولـة الجديـدة التـي يشـجعها الجنـاح اليمينـي بعـد العيـش أكـثر مـن سـتين عامًـا في نمـط للحيـاة مـن أبـرز خصائصـه الليبراليـة والنزعـة السـلمية والفرديـة، كـما أنـه في ظـل نهضـة وتعاظـم الدولـة الصينيـة، وانكـماش القـوة الأمريكيـة، والتزعـزع التدريجـي لمصداقيـة الحمايـة العسـكرية الأمريكيـة، تكـون هنـاك الحاجـة إلى تحفيـزات أمنيـة خطـيرة، تـأتي أولًا مـن الجانـب العسـكري البحـري والجـوي ومـا يُعـرف بـ"المجـال البحـري".

1- Richard Rosecrance, The Rise of Trading State: Commerce and Conquest in the Modern World, New York: Basic Books, 1985.

أما النقطـة الثانيـة فهـي تتعـارض بشـكل أكـبر مـع المنطق، ففـي ظـل القضايـا اليابانيـة والعلاقات الصينيـة اليابانيـة في الوقـت الراهـن، نـسي الكثـيرون الطبيعـة التفاعليـة وآليـات التفاعـل التـي تتميـز بهـا السياسـة الدوليـة، الأمـر الـذي قـد أكـد عليـه كارل فـون كلاوز فيتـز كطبيعـة أصليـة في الحـروب بعـد بحثـه ودراسـته لهـذا المجـال. وتجـدر الإشـارة هنـا إلى أن معظـم الـدول الكـبرى تؤمـن، بخـلاف الصـين واليابـان، بـأن المواجهـات الصينيـة اليابانيـة التـي اسـتمرت لسـنوات عديـدة، وخاصـةً تلـك التـي اندلعـت منـذ سـبتمبر عـام 2012، قـد أثارتهـا في البدايـة الحكومـة والقـوى اليمينيـة اليابانيـة، بمعنـى آخـر كانـت بسـبب التصرفـات الاسـتفزازية التـي قامـت بهـا اليابـان محاولـةً تغيـير الواقـع، وبالتـالي فـإن تصعيدهـا وزيادتهـا واسـتمرارها يرجـع إلى التفاعـل بـين الصـين واليابـان. فعلينـا أن ننتبـه إلى هـذه النقطـة جيـدًا عنـد بنـاء توجهاتنـا الفكريـة وصياغـة اسـتراتيجياتنا وسياسـاتنا، كـما ينبغـي علينـا أن نسـعى قـدر المسـتطاع إلى إقنـاع والتأثـير في معظـم دول العـالم اسـتنادًا إلى مبادئنـا ومصالحنـا الشرعيـة.

وبالإضافـة إلى ذلـك، هنـاك توجهـان آخـران ينبغـي أن ندرجهـما بـين التوجهـات الفكريـة التـي ينبغـي تعديلهـا. أولًا: هنـاك العديـد ممـن يتابعـون ويناقشـون تغـير الأوضـاع السياسـية الداخليـة وراء المواجهـات الصينيـة اليابانيـة مـن جانـب واحـد، حيـث يتابعـون ويناقشـون الجانـب اليابـاني ويغفلـون الأوضـاع الداخليـة الصينيـة. تُعـد نهضـة الـروح القوميـة بصـورة قويـة مـن الخصائـص التـي تتميـز بهـا الصـين في الوقـت الراهـن، التـي تضفـي قـوة جديـدة عـلى الصـين ليـس في الحـاضر فقـط بـل في المسـتقبل أيضًـا، ولكنهـا مـن الناحيـة الأخـرى تزيـد مـن الصعوبـات التـي تواجههـا الصـين. والأمـر الـذي يرتبـط بذلـك ارتباطًـا وثيقًـا هـو التطـور السريـع للإعـلام الصينـي وتنوعـه المتزايـد. وفـوق هـذا تتنـوع الجهـات والهيئـات الحكوميـة بشـكل متزايـد، وربمـا هـذا أمـر لا يرتبـط بقضيتنـا، إلا أنـه أصبـح هنـاك صعوبـات أكـبر مقارنـةً بالمـاضي أمـام توحيـد التوجهـات وتحقيـق التنسـيق الشـامل بـين الجهـات المختلفـة. وتظهـر هـذه الأمـور بصفـة خاصـة في السياسـات الخارجيـة الصينيـة المتعلقـة بالقضيـة اليابانيـة. ولذلـك ينبغـي أن نتأمـل ونقيّـم هـذه النقطـة جيـدًا، وإلا فلـن نتمكـن مـن معرفـة مـدى قـوة المواجهـات الصينيـة اليابانيـة، وسـوف يكـون مـن الصعـب تقديـر الجهـود الداخليـة المطلوبـة لمعالجـة الصعوبـات التـي تواجههـا العلاقـات الصينيـة اليابانيـة.

ثانيًا: يهتم الكثيرون بالقوة فقط، مما يعكس عدم الاستيعاب الواضح لمدى أهمية كل من القوة والصداقة والقدرة، تلك العناصر الثلاثة التي لا غنى عن أي منها لتحقيق إنجاز حقيقي، ولا نلاحظ ذلك على صعيد العلاقات مع اليابان فحسب، بل نجده في جميع الأنظمة الحاكمة للعلاقات الخارجية الصينية بصفة عامة. وبالإضافة إلى ذلك، نجد العديد يرددون مصطلح "القوة الناعمة" وإن كانوا لا يهتمون به اهتمامًا جادًّا خاصة على صعيد العلاقات الصينية اليابانية. فمنذ أن اندلعت المواجهة مرة أخرى بين الصين واليابان بسبب إعلان الحكومة اليابانية "تأميم" جزر دياويو بصفة غير قانونية في سبتمبر عام 2012، تساءلنا: هل تستمر الصين في التمسك بعملها المستمر والجاد مع الشعب الياباني؟ ولا نغفل أن التقصير في هذا الجانب يرتبط بقضية فكرية أخرى، فكم تجاهلنا ما تسببه اليابان من تعقيدات في الرأي العام والسياسات باعتبارها دولة ذات نظام ليبرالي ديمقراطي.

فقد تحدى رئيس الوزراء الياباني شينزو آبي العدالة العالمية بزياراته إلى ضريح ياسوكوني، وقد صعّد ذلك أيضًا من المواجهات الصينية اليابانية والكورية اليابانية، وقد قوبل بالتنديد الدولي الواسع وانتقاد الرأي العام العالمي من قِبل حكومات جميع الدول الكبرى، من بينها الولايات المتحدة الأمريكية. أما بالنسبة للصين، فقد وفر ذلك فرصة استراتيجية (أو على الأقل تكتيكية) مهمة. منذ أن اندلعت المواجهات الجديدة بين الصين واليابان في سبتمبر عام 2012، "تشاركت" البلدان في حق "المبادرة بالقتال" على المستويات العسكرية وشبه العسكرية وأيضًا الدبلوماسية. ولكن تغير اليوم هذا الوضع بعد زيارات شينزو آبي إلى ضريح ياسوكوني، فأصبح حق المبادرة الدبلوماسية الآن للصين. وبالتالي ينبغي الآن في ظل هذه الظروف الجديدة التمسك بالنزاع على جزر دياويو وأيضًا بحر الصين الشرقي، إلى جانب استغلال الوسائل المواتية والوقت المناسب للقيام بالتعديلات في هذه المبادرة الصينية، مع الانتباه بشكل أكبر للجهود الدبلوماسية والتصريحات ذات الصلة التي قد برزت بشكل كبير في الفترات الأخيرة. الأمر الذي يستوجب العمل طبقًا للتوجهات الفكرية والوسائل التطبيقية المعروفة عند دنغ شياو بينغ، أي الانتباه إلى البيئة المحيطة والفاعلية الحقيقية والنتائج الملموسة، بالإضافة إلى الاهتمام وبذل الجهود الكبيرة لتوسيع قدر اعتراف وتقبل المجتمع الدولي والرأي العام بالأوضاع والتصريحات الدبلوماسية الصينية ذات الصلة. وينبغي في هذا السياق الابتعاد عن الانغماس فيما هو

عادي أو بدائي، وتجنب محادثة الذات دون الانتباه إلى تحقيق النتائج.

في ظل الظروف الجديدة، يتوجب على الصين القيام ببعض التعديلات المناسبة في استراتيجياتها وسياساتها حول النزاع الخاص بقضية جزر دياويو. ويتطلب ذلك إلقاء الضوء على سؤال مهم: ما هي الدوافع وراء "تعبئة" اليابان لثورتها على التاريخ، وقيامها بتعديلات دستورية راديكالية والمواجهات ضد الصين؟ إذا حاولنا الإجابة بالنظر إلى الفترة الأخيرة، فسنجد أن هذه الدوافع الأساسية تعود إلى تصرفات شينزو آبي و"الضغوط الخارجية" الصينية. والمقصود بهذه "الضغوط الخارجية" الصينية هو النزاع الصيني ضد اليابان، الذي يجب أن يغير تركيزه، وهذا ما حدث بالفعل، حيث يركز من الآن فصاعدًا على منع تصرفات شينزو آبي وما تثيره من ضجة داخل البلاد وخارجها في الفترة القادمة، والسعي قدر المستطاع لعزل شينزو آبي بدرجة كبيرة كما نجحت الصين منذ عدة سنوات في عزل جونيتشيرو كويزومي بعد زياراته المتكررة لضريح ياسوكوني. ويعتمد ذلك في الحقيقة على ما تتطلبه الظروف وما تقدمه من تسهيلات للتخفيف من "الدوافع الصينية" المذكورة سلفًا بالدرجة والوسيلة المناسبة.

وبالتالي، ينبغي على الصين الآن أن تقوم بالآتي:

(1) إعادة الملاحة حول جزر دياويو المعلنة السيادة إلى حالتها الطبيعية، وتعديلها بالشكل المناسب، مع المنع الصارم للاشتباكات العسكرية بين الصين واليابان فوق بحر الصين الشرقي.

(2) المرونة والتوقف المؤقت عن التفعيل "الكامل" لمنطقة الدفاع الجوي الصينية فوق بحر الصين الشرقي، خاصةً تلك القواعد المتعلقة بالطائرات المدنية الأجنبية.

(3) مواصلة الامتناع عن عقد لقاءات صينية يابانية رفيعة المستوى مع شينزو آبي، مع محاولة استعادة الاتصالات الدبلوماسية الصينية اليابانية رفيعة المستوى التي ظلت متوقفة منذ صيف عام 2013، ما يساعد على تجنب تصعيد المواجهات بين البلدين إلى

اشتباكات عسكرية[1].

(4) الإعلان الصريح عن المنشآت العسكرية الصينية، فهذا الأمر لا يؤثر على العلاقات مع اليابان فحسب بل يؤثر أيضًا على الوضع العام للدبلوماسية والعلاقات الصينية الأمريكية. فكيف يمكن كبح التصعيد الخطير لـ"نظرية التهديد العسكرية الصينية" قدر المستطاع وتحويلها إلى منافسة عسكرية واستراتيجية جادة؟ أو بمعنى آخر، كيف يمكن تحقيق التوازن بين آمال الشعب الصيني نحو تعزيز القوة العسكرية أو الأنشطة العسكرية الاستراتيجية الصينية والمتطلبات الدبلوماسية الاستراتيجية الصينية المعقدة؟[2].

(5) استغلال قلق الولايات المتحدة الاستراتيجي من تراجع شينزو آبي، لتغيير موقف الولايات المتحدة الأصلي الذي كان متعاطفًا ومنحازًا لليابان (كما ظهر في بيان وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في 18 يناير 2013[3]، في محاولة للإسهام في منع أو حتى كبح تراجع اليابان في القضايا التاريخية وتعديلاتها الدستورية الراديكالية.

1- تُعد السيطرة على المواجهات وتجنب تصعيدها إلى اشتباكات عسكرية مسألة غاية في الأهمية. قبل ثلاثة أسابيع من زيارة شينزو آبي ضريح ياسوكوني، كتب الباحث مخاطبًا أحد الباحثين الأجانب في بريد إليكتروني الآتي: "لا يمكن حل هذا النزاع ولا حتى في المستقبل البعيد، وبالتالي فإن السيطرة على المواجهات الصينية الأمريكية وتجنب تصعيدها إلى اشتباكات عسكرية هي المهمة الواقعية الوحيدة القابلة للتحقيق أمام كل من بكين وطوكيو وواشنطن. ولكن هذه المهمة ليست بالسهلة، إذا أخذنا في الاعتبار الدوافع الداخلية والخارجية، والعداء والمواجهات الصينية اليابانية الخطيرة الحالية، والخطر المتزايد لاندلاع الصراعات بين البلدين". "ولهذه الأسباب، نجد أن هذه العواصم الثلاث قد تقوم بتعزيز الوعي نحو محاولة السيطرة على المواجهات. ولكن مع الأسف، نظرًا للغياب التام للاتصالات على المستوى الدبلوماسي والدفاعي، والتأثر بالرأي العام القابل للاشتعال، لن تسير الجهود للسيطرة على المواجهات على قدم المساواة بين طرفي المواجهة". "المستقبل القريب غير معلوم، ولكن مصالح منع الاشتباكات العسكرية كبيرة جدًا بالنسبة لكل من اليابان والصين والولايات المتحدة. فما هي هذه المصالح؟ القدر المحدود من السلم بين دولتين كبريين في شرق آسيا وحتى بين الصين والولايات المتحدة، بالإضافة إلى أن لكل من الحكومة الصينية واليابانية أولوياتها الاقتصادية والاجتماعية. ومن ثم فإن من الممكن الوصول إلى حالة من السلم البارد أو الحرب الباردة بين الصين واليابان في المستقبل القريب".

2- انظر: شي ين خونغ، "الأوضاع السياسية العالمية الحالية وأفق العلاقات الصينية الأمريكية"، "أبحاث استراتيجية"، عدد3، 2013، ص-9 .11

3- صرحت هيلاري كلينتون قائلة: "أشدد على سياسات الولايات المتحدة الأمريكية حول جزر سينكاكو (جزر دياويو) ومسئولياتنا المتفق عليها بحسب المعاهدات. كما صرحت قبل ذلك أكثر من مرة، أنه على الرغم من أن الولايات المتحدة لم تعلن عن موقفها حيال قضية السيادة على هذه الجزر (جزر دياويو)، ولكننا نعترف بأنها تخضع للإدارة والسيطرة اليابانية، ونرفض أية تصرفات فردية تسعى للإضرار بالإدارة والسيطرة اليابانية. انظر:

"Hillary Rodham Clinton, "Remarks With Japanese Foreign Minister Fumio Kishida After Their Meeting", Secretary of State, Washington D.C., January 18 2013, http://www. State.gov/secretary/20092013clinton/rm/2013/01/203050.htm

تجدر الإشارة هنا إلى نقطة مهمة، وهي أن الأزمة الدولية الخطيرة التي سقط فيها شينزو آبي بسبب زياراته إلى ضريح ياسوكوني نسبية، يمكن أن نعتبرها مؤقتة؛ لأنه يمكن أن يعدلها، فعلى الرغم من أن شينزو آبي يعتمد على الجناح اليميني، إلا أن آبي واليمين الياباني وحتى العالم بأكمله أصبح يعتمد بشكل غير مسبوق على الولايات المتحدة على المستويين الاستراتيجي والدبلوماسي. وفي الواقع، فإن أكبر الصعوبات الدبلوماسية أمام شينزو آبي هي رد الفعل المتوقع من المجتمع الدولي حيال ما يحلم به من تعديلات دستورية راديكالية مستقبلية. وبالإضافة إلى ذلك، تتسبب المواجهات في بحر الصين الشرقي في ردود أفعال دولية طويلة المدى حيال الصين؛ لأنه في ظل ارتفاع القوة العسكرية الصينية على المدى المتوسط والطويل، ونهضة المشاعر القومية لدي الشعب الصيني، سوف تقوم الصين عاجلاً أو آجلاً بذلك العمل التاريخي الضخم الذي ظل يثير قلق الولايات المتحدة وشركائها الاستراتيجيين، ألا وهو التوسع المحدود للصين في الفضاء الاستراتيجي المسلّم به بالنسبة لها خارج مجالها البحري الضيق. ولذلك لا ينبغي المبالغة في تقدير الظروف الدبلوماسية المتميزة التي تمتعت الصين بها فجأة أو "جلبتها" لها زيارات شينزو آبي إلى ضريح ياسوكوني.

رابعًا: تطلعات حول العلاقات الصينية اليابانية

تحتل اليابان مكانة مهمة للغاية داخل الدبلوماسية الصينية؛ لما تتمتع به من هوية مزدوجة، فهي دولة كبرى تحافظ على علاقات مع الصين من ناحية، وأيضًا من الدول المجاورة للصين من الناحية الأخرى. ومن هنا تظهر أهمية اليابان الكبيرة في الدبلوماسية الصينية. فرغم التناقضات والاحتكاكات المستمرة بين البلدين حتى عند محاولات الصين لمعالجة المواجهات بين الطرفين، لكن يجب أن ننتبه أيضًا إلى أن العلاقات الصينية اليابانية لا تقوم على التنافس فحسب، بل هناك أيضًا أنواع من التعاون. وفي ظل هذه الظروف، يجب على الصين أن تؤكد على أهمية الأوضاع الداخلية والخارجية معًا. صحيح أن الصين لديها أسواق، لكنها في حاجة إلى الاستفادة من اليابان أيضًا، فالصين تتمتع بفضاء كبير يمكن استغلاله، وإذا أرادت تحقيق "أهداف المئويتين"[1] خلال العقود القادمة ينبغي عليها تحقيق الاستقرار للعلاقات الصينية اليابانية واستغلالها بشكل سليم. وبالإضافة إلى ذلك، تُعد اليابان من الدولة المجاورة المهمة للغاية بالنسبة للصين، وبالتالي فإن تحقيق الاستقرار مع اليابان يساعد الصين بشكل كبير في عملها الدبلوماسي مع دول الجوار.

على خلفية ما ذكرناه سلفًا، يمكن للصين تطوير العلاقات الصينية اليابانية في المستقبل بالأخذ في الاعتبار بعض الجوانب الآتية:

أولًا: يجب استيعاب الوضع العام للعلاقات، والتزام الصبر، والسعي لخلق فرص لحل النزاعات على سيادة الأراضي من خلال المحادثات، والحفاظ على الفرص الاستراتيجية التي توفرها المرحلة. ويُعد حفاظ الصين على مفهوم واعٍ وشامل للوضع العام، مهمًا للغاية بالنسبة للصين في نزاعها مع اليابان، كما يجب أنْ تعالج الصين العلاقة بين مكاسبها التنموية ومكاسب حماية سيادة الدولة معالجةً جيدةً، حتى تدرك جيدًا أن المكاسب

1- "أهداف المئويتين" هي أهداف تم طرحها للمرة الأولى في المؤتمر الوطني الخامس عشر للحزب الشيوعي الصيني، ثم تم التأكيد عليها في المؤتمر الثامن عشر، وهي تضم الآتي: أولًا، مضاعفة إجمالي الناتج المحلي الصيني ومتوسط دخل الفرد في المدن والقرى عما كان عليه في عام 2010، وبناء مجتمع رغيد يعود بالنفع على أكثر من مليار مواطن بحلول عام 2020، الذي يصادف ذكرى مرور 100 عام على تأسيس الحزب الشيوعي الصيني. ثانيًا، بناء دولة اشتراكية حديثة تتمتع بالرخاء والديمقراطية والانسجام الحضاري بحلول منتصف القرن الحادي والعشرين، الذي يصادف ذكرى مرور 100 عام أيضًا على تأسيس جمهورية الصين الشعبية.

التنموية تمثل أهم المكاسب الأساسية للدولة. ولكن التصلب الشديد في قضية السيادة يجعل من المستحيل أن تصل كل من الصين واليابان إلى حلول للنزاعات بين البلدين حول سيادة الأراضي على جزر دياويو على المدى القصير. ولذلك يجب علينا أن نضع أهدافًا بعيدة المدى، ونسعى لخلق فرص للمحادثات، وأن نمد هذه العملية لمزيد من الوقت.

من الواضح أن اليابان تستغل قضية السيادة كدافع لعرقلة التنمية الصينية. ولذلك يجب أن تواجه الصين ذلك بهدوء، وأن تستعد للمقاومة على أسس مبررة. كما ينبغي على الصين التمييز الصارم بين طبيعة التصريحات والأفعال اليابانية الاستفزازية، وأن تتحرى الحذر الشديد والدراسة الدقيقة حول القضايا المبدئية المتعلقة بالسيادة. فعادةً ما يستغل المسئولون السياسيون اليابانيون الأساليب اللغوية في استفزاز الصين، وبالتالي أحيانًا ما تكون الوسيلة المثلى للرد هي المعالجة الباردة. تتميز الصين بوضع جيد فيما يتعلق بقضية جزر دياويو، ويمكنها أن تحقق الاستقرار للوضع الراهن إذا استمرت على مبدأ "عدم إثارة النزاعات دون الخوف"، والتزمت الصبر، وحافظت على ما حققته من إنجازات، وتمسكت بالإجراءات الطبيعية لحماية السيادة وتطبيق القانون، وحافظت على منجزات المبادرة على المستوى الدبلوماسي. إن المرحلة التي تتشبث بها الصين الآن تمثل مكسبًا زمنيًا، فمسألة المحادثات المستقبلية بين الصين واليابان مسألة وقت، وبالتالي فإن استيعاب الوضع بصفة شاملة، وتجنب أية تصرفات فجائية، سوف يعود بالنفع للصين.

ثانيًا: يجب أن تقوم الصين بإسهامات في المجال الدبلوماسي مع الدول المجاورة. والحقيقة أن العلاقات بين الصين واليابان تعتمد على العلاقات الصينية الأمريكية. فالولايات المتحدة هي التي تصنع الظروف، وبما أنها صنعت هذا الوضع؛ فلا يمكن للصين أن تترقب منها أي شيء. ولكن علينا أن ننتبه إلى المخطط الاستراتيجي الأمريكي، فالولايات المتحدة تريد جعل الصين واليابان تنغمسان في نزاعات طويلة حتى تستطيع تحقيق هدفها المزدوج، ألا وهو تقييد الصين والسيطرة على اليابان من خلال استغلال محاولات كل طرف لاستنزاف الآخر. ولذلك ربما تختار الولايات المتحدة الوقوف إلى جانب اليابان في النزاع الصيني الياباني على سيادة الأراضي، وإن كان من المفروض أيضًا أن تهتم بالجانب الصيني. وعلى الرغم من أن هناك اختلافات هيكلية تبرز بشكل متزايد بين الصين والولايات المتحدة في الوقت الراهن، إلا أن الظروف مواتية لتأسيس نمط جديد

مـن العلاقـات بـين الـدول الكـبرى، فالولايـات المتحـدة تسـعى لتقييـد الصـين مـن ناحيـة، ومـن ناحيـة أخـرى هنـاك خـط أحمـر اسـتراتيجي واضـح جـدًّا يجنبهـا الدخـول في نزاعـات عسـكرية شـاملة ضـد الصـين. ولذلـك ينبغـي عـلى الصـين أن تعـزز مـن علاقـات التعـاون بينهـا والولايـات المتحـدة في مجـالات متعـددة، فتحسـين العلاقـات الصينيـة الأمريكيـة، يجنـب الصـين الخطـر اليابـاني. ولا ننـسى أن هنـاك مشـكلات بـين كوريـا واليابـان حـول السـيادة عـلى بعـض الأراضي أيضًـا، وأن هـذه النزاعـات اسـتمرت بـين البلديـن لفـترات طويلـة، وبالتـالي ينبغـي أن تفكـر الصـين في الاتحـاد مـع كوريـا لفـرض مزيـد مـن الضغـوط عـلى اليابـان.

ثالثًـا: عـلى المسـتوى العسـكري، لا يمكـن سـواء للصـين أو اليابـان إثـارة نزاعـات عسـكرية شـاملة في المرحلـة الحاليـة، ومـع ذلـك ينبغـي عـلى الصـين أن تسـتغل الوقـت لتقـوم باسـتعدادات جيـدة في مواجهـة النـزاع العسـكري ضـد اليابـان كوسـيلة لحـل النزاعـات عـلى سـيادة الأراضي بـين البلديـن. فعـلى سـبيل المثـال، ينبغـي عـلى الصـين أن تعـزز مـن قواهـا العسـكرية في مواجهـة النـزاع الحـالي عـلى بحـر الصـين الشرقـي؛ لأنـه لا يمكـن الاكتفـاء بالمقارنـة بـين القـوة العسـكرية لـدى الصـين واليابان فقـط، فهنـاك أيضًـا العنـصر الأمريـكي. وإذا قارنَّـا بـين القـوة الصينيـة واليابانيـة، سـنجد أن الصـين أقـل مـن اليابـان في بعـض المجـالات، فعـلى سـبيل المثـال تُعـد القـوة البحريـة الصينيـة وقـدرات المراقبـة الاسـتراتيجية عـن بعـد لديهـا أضعـف مـن تلـك التـي تملكهـا اليابـان. ولكـن تتميـز الصـين أيضًـا بنقـاط قـوة، فهـي أقـوى مـن اليابـان مـن حيـث القـدرة عـلى الهجـوم الاسـتراتيجي؛ لذلـك ينبغـي عليهـا أن تقـوم بالاسـتعداد الجـاد عـلى المسـتوى العسـكري.

إذا نظرنـا إلى مـا تطـورت إليـه الأوضـاع في الوقـت الراهـن، فسـنجد أن مـن المسـتحيل أن تعـود العلاقـات الصينيـة اليابانيـة إلى مـا كانـت عليـه في سـبعينيات القـرن العشريـن، ولا يجـب أن نتوهـم أنهـا يمكـن أن تعـود إلى وضعهـا في الثمانينيـات، حيـث كانـت العلاقـات تقـوم عـلى التعـاون الاقتصـادي بشـكل أسـاسي، فالعلاقـات الصينيـة اليابانيـة المسـتقبلية سـوف تكـون مزيجًـا مـن التعـاون والاحتـكاك، وربمـا تتغـير مـا بـين علاقـات تقـوم عـلى الاحتـكاك بشـكل أسـاسي والتعـاون بشـكل ثانـوي أو العكـس. وهنـاك بالتأكيـد فضـاء واسـع نسـبيًّا للتعـاون بـين البلديـن، عـلى سـبيل المثـال التعـاون الإقليمـي. ففـي عـام 2013، لاحظنـا بـوادر لارتفـاع التعـاون التجـاري بـين البلديـن. وبالتـالي فإنـه لا غنـى لليابـان عـن الصـين عـلى مسـتوى

التعاون الاقتصادي الثنائي، ولكن لا ينبغي أن تتوهم الصين أن التعاون يمكن أن يعود إلى ما كان عليه في الماضي. الأمر الذي يتطلب من الصين تغيير مفاهيمها، فلا يجب عليها أن تواجه الواقع الحالي استنادًا إلى مفاهيمها القديمة، بل ينبغي عليها استيعاب الوضع الجديد جيدًا، ثم البحث عن فكر جديد يتناسب مع المرحلة، يتحول من الاهتمام بعلاقات الصداقة قديمًا إلى الاهتمام بالمصلحة، فيجب أن تصبح الصين أكثر واقعية، وأن تتحول إلى الاهتمام بالمصلحة والتنمية، والتفكير في "الفصل بين السياسة والاقتصاد".

إذا تطلعنا إلى مستقبل العلاقات الصينية اليابانية، فسوف نلاحظ بعض التوجهات المتوقعة: (1) سوف يستمر ذلك المزيج من النزاع والتعاون في العلاقات بين الصين واليابان، وإن كان للنزاع النصيب الأكبر. (2) من المتوقع أن تتجه العلاقات الصينية اليابانية نحو التهدئة، ولكن ذلك في حالة توفر الفرصة المناسبة وبعض الظروف المحددة. ولا يمثل "النزاع على الجزر" مجمل العلاقات الصينية اليابانية، فإذا نظرنا إلى العلاقات بين البلدين بشكل شامل، سنجد أنه هناك احتمالية لعودة العلاقات بين البلدين إلى مسارها الطبيعي. كما أنه على المستوى البعيد، لن تستطيع النزاعات التأثير على مجمل العلاقات الصينية الأمريكية في ظل جهود البلدين على المستوى الدبلوماسي والمستويات الأخرى. وبالإضافة إلى ذلك، فإن احتمالية نشوب الصراعات بين البلدين وخاصةً الصراعات العسكرية ليست كبيرة.

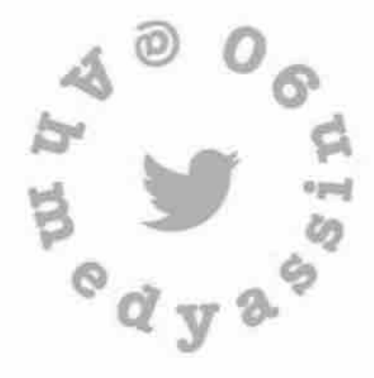
والجدير بالاهتمام أن السنوات القليلة الماضية قد شهدت بعض الأحداث الحساسة، على سبيل المثال، صادف عام 2014 الذكرى المائة والعشرين لاندلاع الحرب اليابانية الصينية الأولى، كما صادف عام 2015 مرور سبعين عامًا على انتصار الصين واستسلام اليابان في حرب المقاومة ضد اليابان، كما سوف تُقام الانتخابات البرلمانية اليابانية في عام 2016. ومن المتوقع خلال السنوات الثلاث المقبلة أن تستغل اليابان بعض الفرص للعمل على عرقلة التنمية الصينية. كما أنه لن يتغير التوجه اليميني السياسي الياباني، ولن تتوقف خطوات اليابان نحو التعديلات الدستورية. ولم تعد قضية ضريح ياسوكوني قضية تاريخية فحسب، بل أصبحت ورقة تستغلها اليابان لعرقلة التنمية الصينية.

ومن الناحية الأخرى، لن يتغير هدف اليابان لأن تصبح "دولة طبيعية" من خلال تدمير الأنظمة الدولية في أعقاب الحرب، كما أنها لن تتوقف عن عرقلة التنمية السلمية الصينية،

ولـن تتخـلى عـن تطلعاتهـا لأن تقـود القـارة الآسـيوية بالاعتـماد عـلى الولايـات المتحـدة، بـل لأن تصبـح دولـة كـبرى عالميًّـا عـلى المسـتويين السـياسي والعسـكري، ولـن تتوقـف عـن محاولاتهـا لبنـاء "شـبكة لتطويـق الصـين" اعتـمادًا عـلى دول منطقـة جنـوب شرق آسـيا والهنـد وأسـتراليا.

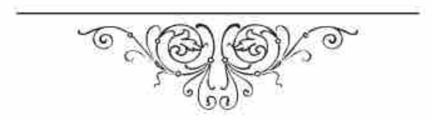
أمـا في المجـال العسـكري، فيتمثـل هـدف اليابـان الأسـاسي في بنـاء قـوة عسـكرية تتوافـق مـع قوتها الاقتصاديـة، وتسـتطيع أن تضمـن مصالحهـا عالميًّـا، وأن تكـون منافسًـا مكافئًـا للصـين. وبالتـالي فـإن مـن المتوقـع أن تقـوم اليابـان بتعديـل "دليـل الدفـاع والتعـاون اليابـاني الأمريـكي"، وتقـوم برفـع الحظر عـلى حـق الدفـاع الجماعـي عـن النفـس، وتحويل قـوى الدفـاع الجماعـي إلى "جيـش للدفـاع الوطني"، والاسـتعداد بالقـوة الصلبـة لتلبيـة معايـير القـوى الكـبرى. وعـلى مسـتوى البنـاء العسـكري، سـوف تسـعى اليابـان لتعزيـز دور الثـورة المعلوماتيـة، والتسـلح بالأسـلحة الثقيلـة والأسـلحة المسـتخدمة عـن بعـد. وعـلى الرغـم مـن أن اليابـان قـد تتعـرض لبعـض الصعوبـات والعراقيـل عـلى مسـتوى مـا تتمتـع بـه مـن أسـلحة هجوميـة اسـتراتيجية، فإنهـا سـوف تبـذل الجهـود الكبـيرة في مجـال بنـاء القـوة التقليديـة، حتـى تنمـي قـوة عسـكرية مواكبـة للعـصر. ولقـد قامـت اليابـان بإجـراءات مهمـة عديـدة خـلال السـنوات الأخـيرة خاصـة في الحـروب المشـتركة، ولا تـزال بعـض الاسـتعدادات الملموسـة قيـد التنفيـذ، الأمـر الـذي يتطلـب مـن الصـين الحـذر الشـديد.

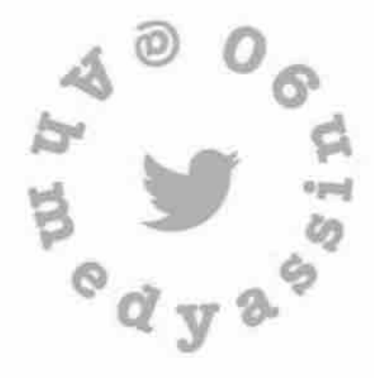
تم نشر هذه الدراسة في العدد الثاني من "المجلة العلمية اليابانية" لعام 2014.


@Ahmedyassin90

القضية الحدودية بين الصين والهند: دراسة تحليلية من منظور نظرية الألعاب

سوي شين مين




@Ahmedyassin90

ملخـص الدراسـة: تعـد التفاعـلات بـين الصـين والهنـد في المناطـق الحدوديـة نوعًـا مـن الألعـاب الديناميكيـة. والحقيقـة هـي أن الأوضـاع الحدوديـة التـي قـد تبـدو متشـابهة أو متقاربـة، تحمـل في مكنوناتهـا توازنـات اسـتراتيجية مختلفـة تشـمل الآتي: التـوازن الاسـتراتيجي الخالـص (pure equilibrium) في نمـوذج "الصقـر والحمامـة"، والتـوازن المختلـط (equilibrium mixed) في استراتيجية "العـين بالعـين"، والتـوازن الترابطـي (equilibrium correlated) في ظـل آليـات التنسـيق. ويظهـر "التأثـير الامتـدادي" بشـكل واضـح في اللعبـة الحدوديـة بـين الصـين والهنـد، والـذي عمـل عـلى كبـح تصاعـد التوتـر أو انتشـار الأزمـات الحدوديـة. ولكـن نظـرًا للتبايـن الواضـح بـين الصـين والهنـد حيـال القضيـة الحدوديـة، والافتقـار إلى الثقـة المتبادلـة، وتأثـير الأوضـاع السياسـية الداخليـة في كلا البلديـن، يصبـح مـن الصعـب وصـول البلديـن إلى حـل مناسـب بشـأن النزاعـات الحدوديـة في المسـتقبل القريـب، حيـث ستشـهد المناطـق الحدوديـة بـين الصـين والهنـد أزمـات جزئيـة في ظـل التواجـد المسـلح لـدى البلديـن. وإذا توسـعنا في العلاقـات الصينيـة الهنديـة بشـكل شـامل، فسـنجد أن التعـاون التنافـسي في ظـل نمـوذج الألعـاب غـير التعاونيـة سـوف يصبـح مـن أهـم الخصائـص التـي تتميـز بهـا العلاقـات الثنائيـة بـين البلديـن.

الكلـمات المفتاحيـة: العلاقـات الصينيـة الهنديـة؛ النزاعـات الحدوديـة؛ التفاعـل الاسـتراتيجي؛ التوازنـات.

الباحـث: سـوي شـين مـين، أسـتاذ بكليـة الحقـوق والعلـوم السياسـية بجامعـة تشـونغ يـوان للتكنولوجيـا، وأسـتاذ زائـر بقسـم العلـوم السياسـية بجامعـة فرجينيـا الأمريكيـة.

عـادةً مـا ترجـع الأزمـات الأمنيـة بـين طرفـين مـا إلى غيـاب الثقـة المتبادلـة بينهـما، والصعوبـة التـي يواجههـا كل طـرف في التأكـد مـن النيـة الحقيقيـة وراء أفعـال الطـرف الآخـر، وبالتـالي عـادةً مـا ينظـر أحـد الطرفـين إلى الإجـراءات الدفاعيـة عنـد الآخـر عـلى أنهـا إجـراءات هجوميـة ضـده[1]. ولا تخلـو الأزمـات الأمنيـة والنزاعـات الحدوديـة بـين الصـين والهنـد مـن هـذه المعضلـة. فعـلى الرغـم مـن أن الدولتـين اتخذتـا تدابـير رقابيـة في المناطـق الحدوديـة منـذ تسـعينيات

1- See: Robert Jervis,"Cooperation under the Security Dilemma", World Politics, Vol. 30. No. 2, 1978, pp.167 -214.

القــرن العشريــن، كــما يتمتــع صانعــو القــرارات مــن الطرفــين بــرؤى سياســية اســتطاعت أن تمنــع النزاعــات الحدوديــة عــن التأثــير في مجــالات التعــاون الأخــرى والإضرار بتطــور العلاقــات الثنائيــة بــين البلديــن، إلا أن القضيــة الحدوديــة كانــت أحــد العنــاصر المتوتــرة في العلاقــات بــين البلديــن، كــما أنهــا غالبًــا مــا تشــهد الخلــل بــل حتــى "الأزمــات" مــع تقلــب الأوضــاع السياســية الداخليــة في الهنــد[1].

وســتحاول هــذه الدراســة الإجابــة عــن الأســئلة الآتيــة: بمــا أن الأنــواع المختلفــة مــن التفاعــل بــين الدول ترتبــط بعنــاصر مختلفــة تشــمل تحديــد المصالــح، واختيــار الاســتراتيجيات، والقــدرة عــلى المســاومة، وبنــاء الثقــة، وتبــادل المعلومــات، إذن فــأي منهــا ســتنطبق عــلى التفاعــل بــين الصــين والهنــد في لعبــة النــزاع الحــدودي؟ ومــا هــو الــدور الــذي تلعبــه الآليــات أو التدابــير الرقابيــة المطبقــة في المناطــق الحدوديــة بــين الصــين والهنــد؟ وكيــف يمكــن تقييــم أفــق المحادثــات الصينيــة الهنديــة حــول القضيــة الحدوديــة؟ ســوف تســعى الدراســة لتحليــل مــا ســبق مــن منظــور نظريــة الألعــاب غــير التعاونيــة.

1- تحولت "النزاعات" إلى سمة طبيعية من سمات التفاعل بين الصين والهند في المناطق الحدودية بسبب المفارقات بين البلدين حيال القضية الحدودية. وتشير كلمتا "خلل" و"الأزمات" هنا إلى درجة وطبيعة تصاعد النزاع بين الطرفين. وعلى هذا الأساس، يمكننا أن نقول إنه من السهل أن تثير الأوضاع السياسية والإعلامية الهندية ذلك الخلل أو الأزمات على الحدود الصينية الهندية.

أولًا: النماذج التطبيقية في لعبة النزاع الحدودي بين الصين والهند

على الرغم من أن اللاعبين في الألعاب غير التعاونية يفتقرون إلى اتفاقيات أو منظمات ملزمة ومقيدة، فإن التفاعل بين أطراف اللعبة والاستراتيجيات والحركات التي يقوم بها كل لاعب يؤثر في نتيجة اللعبة، حيث يقيّم كل لاعب نتيجة اللعبة بشكل مختلف، ويختار استراتيجيته طبقًا لحركات الطرف الآخر. وبالتالي يصبح التأثير المتبادل للاستراتيجيات جوهر تحليل نظرية الألعاب، حيث يتم مراقبة القرارات والتوازنات وراء تصرفات صانعي القرارات، أي دراسة علاقة التأثير المتبادلة بين القرارات والحركات في اللعبة[1]. وسوف نستند إلى الفرضيات التالية لتحليل اللعبة الحدودية بين الصين والهند:

فرضية 1: يمكن أن تلجأ كل من الصين والهند إلى استراتيجيتين في مواجهة النزاع الحدودي بينهما، إما اختيار تعبئة الجيوش (mobilization، نشير إليها بالحرف M) أو تسريح الجيوش (demobilization، نشير إليها بالحرف D)، ونستبعد هنا حالة عدم الاحتكاك أو الحوار بين الطرفين في حال لجوئهما معًا إلى استراتيجية تسريح الجيوش (أي الحفاظ على البيئة الحالية الخالية من الألعاب). وإذا لجأ أحدهما إلى تعبئة الجيوش (ما يعني الدخول إلى المناطق المتنازع عليها بين الصين والهند)، فسوف ترتفع احتمالية وقوع أزمات بل حتى حروب حدودية بين البلدين، بينما ستنخفض إمكانية عقد معاهدات حدودية لفصل الأراضي المتنازع عليها بشكل سلمي. وفي حال قرر الطرفان تعبئة الجيوش على حد سواء، فسوف تكون محصلة المكاسب المتوقعة بالنسبة لكل منهما، وفي حال قررا تسريح الجيوش، سترتفع احتمالية حل النزاعات الحدودية عن طريق المحادثات السلمية، وبالتالي تكون محصلة المكاسب المتوقعة بالنسبة للطرفين b موجبة. أما إذا قرر أحد الطرفين تعبئة الجيوش والدخول إلى الأراضي المتنازع عليها، بينما قرر الطرف الآخر تسريح الجيوش، وفشل هو نفسه أو أي طرف ثالث في إقناع الطرف الأول بالانسحاب من الأراضي المتنازع عليها، فستصبح محصلة المكاسب المتوقعة بالنسبة للطرف الذي طبق

1- هذا ما يعرّفه كل من توماس شيلينغ وروبرت أومان بـ"نظرية القرار التفاعلي".

استراتيجية تعبئة الجيوش a، وتصبح محصلة المكاسب المتوقعة بالنسبة للطرف الذي اختار تسريح الجيوش c. وسوف تحلل هذه الدراسة مختلف التوازنات الاستراتيجية المتوقعة.

فرضية 2: عندما تقوم كل من الصين والهند بتقدير مكاسب اختيارهما لاستراتيجية حدودية معينة، سيأخذان في الاعتبار مدى قدرة الاستراتيجية على حل النزاعات الحدودية والتأثير الامتدادي على الوضع الحدودي، أي أنهما سيميلان إلى خيار استراتيجي قابل للتنفيذ ويأخذ في الاعتبار عوامل الخصم. ومن المتوقع في هذه الحالة أن تؤثر دالة المكاسب على استراتيجية كل طرف في معالجة الأراضي المتنازع عليها. فمن ناحية نستبعد ما يتوقعه بعض المحللين الأجانب من نشوب حرب باردة في القارة الآسيوية[1] بسبب النزاعات الحدودية بين الصين والهند تشبه الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي. ومن ناحية أخرى يضعف إلحاح الطرفين لحل القضية الحدودية، بعبارة أخرى، لا تعتبر الدولتان حل النزاعات الحدودية مهمةً عاجلةً. ويجب عند اختيار استراتيجية حدودية معينة الأخذ في الاعتبار عوامل الامتداد على المستوى المكاني وتأثير التأخير على المستوى الزماني (نشير إلهما في البحث بمصطلح عوامل الخصم[2] وهي ثلاثة عناصر أساسية: المكسب الاقتصادي (مشار إليه بالحرف d)، المكسب الأمني (متضمنًا الأمن الداخلي، مشار إليه بالحرف e) والمكانة الدولية (مشار إليها بالحرف f). ويعتمد التفاعل بين الصين والهند في المناطق الحدودية على المقارنة بين دالة المكاسب على مستوى الأراضي وعوامل الخصم لاستراتيجية معينة (M/D). إذا كان $a > d + e + f$، فستتجه الدول المعنية إلى تعبئة الجيوش. أما إذا كان b أو$c \geq d+e+f$، فستتجه الدول المعنية إلى تسريح

-1 Bruce Sterling "The New Cold War: India and China are Picking up Where the US and Soviet Union Left off", Wired, May 2003. http://www.wired.com/wired/archive/ 11.05/view.html? pg= 4; Jyoti Thottam "China vs. India: Will Rivalry Lead to War?" Time, November 2, 2009. http://www.time.com/time/magazine/article/0,9171, 1931739,00.html; Jeremy Kahn "Why India Fears China", Newsweek ,October 19, 2009. http://www.newsweek.com/id/217088; Jeremy Page, "Tension Grows between China and India as Asia Slips into Cold War", The Times, November 12, 2009. http:// www.timesonline.co.uk/tol/news/world/asia/article6913250.ece

-2 قمنا هنا بتعديل بسيط لـ"عوامل الخصم" المستخدمة في نظرية الألعاب (التي كانت تشير إلى درجة الصبر وقدرة التحمل وبعد النظر لدى اللاعبين): حيث تختلف الأراضي عن العملات لأنها لا تنخفض قيمتها بشكل مطلق، فلا يمكن أن تقل قيمة قطعة من الأرض مع انقضاء الزمن؛ ولذلك يعتمد صبر وقدرة تحمل الدول الأطراف في النزاع على دالات شاملة للربح والخسارة تشمل مجالات أخرى خارج مسألة الحصول على الأراضي (التوسع الزمني)، فهي تشمل المجال الاقتصادي والأمني والمكانة الدولية، وكلما ارتفعت قيم الدالة، يعني ذلك ارتفاع عوامل الخصم، وانخفاض مكسب الحصول على الأراضي.

الجيوش، وستكون النتيجة إما التوصل إلى اتفاقية لفصل الأراضي من خلال المحادثات، أو الحفاظ على السلم البارد وسط التواجد المسلح للطرفين في المناطق الحدودية المتنازع عليها.

D	M	
a,c	0,0	M
b,b	c,a	D

جدول 1: اللعبة بين الصين والهند في المناطق الحدودية المتنازع عليها

لقد استخدمنا مصفوفة ثنائية لشرح "لعبة تعبئة الجيوش" ودالة المكاسب لكل من الصين والهند في المناطق الحدودية المتنازع عليها. إذا اختارت الهند إحدى الاستراتيجيات من الأعمدة الموضحة في الجدول 1، واختارت الصين إحدى الاستراتيجيات الموضحة في صفوف نفس الجدول، فسوف تكون المكاسب الهندية هي الأعلى.

إذا كان $0< c< b< a$، إذن نظريًّا يصبح من الوارد أن تظهر جميع أنواع مصفوفات المكاسب، أي نجد توازنين استراتيجيين خالصين وتوازنًا مختلطًا واحدًا، ومن الواضح أن احتمال الحرب (M, M) هو أسوأ النتائج، وهو الذي يرتبط بنموذج "الصقر والحمامة". أما إذا كان $c<0<b< a$، فسيظهر نموذج "معضلة السجينين"، وهنا يلقى خيار الحرب ترحيبًا أكبر من تعبئة الهند الجيوش وتسريح الصين الجيوش وتعرضها للإهانة، وبالتالي يصبح الخيار M هو الاستراتيجية المهيمنة عند كل من الصين والهند. أما إذا كان $0 < b< c< a$ وأخذنا في الاعتبار عوامل الخصم غير المرتبطة بعامل الأرض، فستصل اللعبة إلى "طريق مسدود"، وعلى الرغم من أن الهزيمة أو الحفاظ على الوضع الراهن للنزاعات تمثل خيارًا أفضل من فصل الأراضي المتنازع عليها بشكل سلمي، لكن يظل أيضًا خيار M هو الاستراتيجية المهيمنة لدى الطرفين. وبالتالي تتوقف النتائج التي تصل إليها اللعبة بين الصين والهند في المناطق الحدودية المتنازع عليها على استيعاب كلا الطرفين عوامل الخصم في المراحل المختلفة، وحسابهما للمكاسب والفوائد المحتملة من كل استراتيجية. ومن الواضح تطبيقيًّا أن التوازنات الاستراتيجية الخالصة والتوازنات المختلطة لن تستطيع حل النزاعات الصينية الهندية بشكل فعّال، ويعود هذا من جانب

إلى تعقد القضية الحدودية وتوتر وحساسية العلاقات الصينية الهندية، ويتصل من جانب آخر بشكل وثيق بصعوبة التواصل المعلوماتي ووجود أزمة ثقة بين البلدين. ولكن مع وضع آليات تعزز بالثقة والتواصل والحوار بين البلدين فيما يتعلق بالمناطق الحدودية منذ التسعينيات، بدأ يتشكل تدريجيًا نوع من التوازن الترابطي (equilibrium correlated)[1] في اللعبة الحدودية بين الصين والهند، وسوف يتناوله البحث بشكل مفصل فيما بعد.

1- طرح روبرت أومان مفهوم التوازن (equilibrium correlated) للمرة الأولى في عام 1976. وفي توازن ناش يُعتبر اللاعبون فاعلين مستقلين، وقد أثبت أومان هذه الحقيقة: إذا اختار اللاعبون التحرك طبقًا لقواعد معينة اتفقوا عليها أو إشارات مشتركة لاحظوها، يظهر التوازن، وبالتالي تعود الفائدة على جميع اللاعبين.

ثانيًا: الخيارات الاستراتيجية في اللعبة الحدودية الصينية الهندية وطرق تقدير مكاسبها

مـرت الألعـاب الديناميكيـة الصينيـة الهنديـة في المناطـق الحدوديـة بأربـع مراحـل مـع تغـير البيئـة المحيطـة: الأولى منـذ بدايـة تأسـيس الجمهوريتـين حتـى التمـرد المسـلح مـن القـوى الرجعيـة العليـا بالتبـت في مـارس عـام 1959، والثانيـة منـذ عـام 1959 حتـى نشـوب الحـرب الحدوديـة في عـام 1962، والثالثـة كانـت منـذ انتهـاء الحـرب الحدوديـة حتـى بدايـة التسـعينيات، والرابعـة منـذ توقيـع البلديـن اتفاقيـة حـول الحفـاظ عـلى السـلم والأمـن في منطقـة خـط السـيطرة الفعليـة حتـى يومنـا هـذا. وتتميـز كل مرحلـة بتفاعـلات مختلفـة عـن المراحـل الأخـرى. إن امتـداد النزاعـات الحدوديـة بـين الصـين والهنـد لأكـثر مـن سـتين عامًـا دون الوصـول إلى حلـول، يـدل عـلى أن جميـع الاسـتراتيجيات المسـتخدمة في اللعبـة إمـا غـير فعالـة أو ضعيفـة الفاعليـة. وإذا نظرنـا إلى المراحـل المختلفـة، فسـيظهر لنـا جليًـا تطـور التفاعـل بـين الصـين والهنـد في المناطـق الحدوديـة، فلاحظنـا التحـول مـن المواجهـة والنـزاع بـل حتـى الحـرب إلى السـلم البـارد، ثـم التحـول إلى الحـوار والمحادثـات في ظـل توفـر المعلومـات الكاملـة، ولاحظنـا تعديـل الهنـد الواضـح في اسـتراتيجياتها وتصرفاتهـا. وإذا نظرنـا إلى الاسـتراتيجيات المختلفـة، فسـنجد التحـول مـن التـوازن الاسـتراتيجي الخالـص إلى التـوازن الاسـتراتيجي المختلـط، ثـم التطـور إلى التـوازن الاسـتراتيجي الترابطـي في ظـل آليـات للحـوار والتنسـيق.

المرحلـة الأولى: وهـي منـذ مطلـع عـام 1950 حتـى مـارس عـام 1959، حيـث كان مركـز التفاعـل والاسـتراتيجيات في المناطـق الحدوديـة مركـزًا عـلى المناطـق الشرقيـة: كانـت الهنـد تسـيطر عـلى المنطقـة الشـمالية مـن الخطـوط الحدوديـة التقليديـة والأراضي الصينيـة (المشـار

إليها بـ"الأراضي المتنازع عليها")[1] جنوبي خط مكماهون، وكانت السمات المميزة لهذه المرحلة تعبئة الهند الجيوش لضم الأراضي المتنازع عليها، بينما كانت الصين تقف ساكنة، وكان توازن ناش الاستراتيجي الخالص (c,a) هو أكثر الخيارات العقلانية في اللعبة الحدودية بالنسبة للطرفين. ويمكننا تحليل هذا التوازن الاستراتيجي الخالص كالآتي:

في ظل الظروف التاريخية الخاصة، استطاعت "الاتفاقية الخاصة بالعلاقات التجارية والمواصلات بين منطقة التبت الصينية والهند"، والتعاون بين الصين والهند سواء في قضية "تبادل أسرى الحرب في كوريا الشمالية" أو مؤتمر باندونج، إخفاء الخلافات بين البلدين على سيادة الأراضي بشكل مؤقت؛ لأن العلاقات الصينية الهندية كانت في حالة من الصداقة "الوهمية" بسبب سوء الفهم بين الطرفين. فأولًا كان الأمن التقليدي يعد من أولويات الجانب الصيني، وكانت الصين ترى أن الاتجاهات الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية أهم نقاط تركيز استراتيجياتها، في حين لم يُدرج الخط الجنوبي الغربي ضمن أولويات الصين قط. بعبارة أخرى، لم تمثل الهند تهديدًا أمنيًّا بالنسبة للصين. ثانيًا، كان موقف الصين في القضية الحدودية ثابتًا، فعلى الرغم من أنها لم تعترف بشرعية "خط مكماهون"، إلا أنها لم تتعدَّ هذا الخط ولم تدخل إلى "المناطق المتنازع عليها"، بل انتظرت الفرصة السانحة لحل المشكلات التي خلفتها القضية الحدودية عن طريق المحادثات السلمية. أما على الصعيد الهندي، فقد قامت النخبة السياسية بوضع "نظرية الحتمية التاريخية الحدودية" من خلال المزج بين المفاهيم التاريخية للقومية الهندية ومفاهيم الدولة الحديثة، كما توارثوا الميراث الاستعماري، وكانوا يعتقدون أن "الحدود التاريخية" ليست في حاجة إلى المحادثات بين الدول المعنية لتعيينها، فيكفي أن تعلن إحدى الحكومات

1- نستخدم هنا تعبير "الأراضي المتنازع عليها" فقط لسهولة التعبير، فهذا ليس اعترافًا من الباحث بأن الأراضي الصينية التي التهمتها الهند تدريجيًا والتي تخضع لإدارة الحكومة التبتية الصينية وتقع بين جنوبي خط مكماهون وشمالي الخط الحدودي التقليدي، هي "أراض متنازع عليها". لقد قام الباحث الأمريكي ستيفين هوفمان بدراسة تحليلية عميقة حول التطور التاريخي للنزاعات بين الصين والهند على الأراضي الشرقية في بحث بعنوان "إعادة التأمل في العلاقة بين التبت والصراع الحدودي الصيني الهندي"، ويعتقد هذا الباحث أن الحكومة الإنجليزية والهندية حاولتا عزل الحكومة المركزية الصينية عن الشئون الحدودية الهندية التبتية، ولكن بعد أن أدركا خطأ هذا وعدم شرعيته، مثل كلًا من إنجلترا والهند السير هنري مكماهون في مؤتمر سيملا وقاما بعرض خرائط مختلفة لمزيد من المراوغة. وبعد أن استقلت الهند، استمرت على السياسة الإنجليزية، ويُعد هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى سوء الفهم بين الطرفين على المناطق الحدودية.

See Steven A.Hoffmann" ,Rethinking the Linkage between Tibet and the China - India Border Conflict :A Realist Approach ,"Journal of Cold War Studies ,Vol ,18.No ,3.Summer ,2006 pp.165-194.

الشرعية خطًا معينًا ليصبح خطًا حدوديًا[1]. كما ترى الهند أن الاتفاقية التي تم توقيعها بين الصين والهند في عام 1954 أدت إلى تخليها عن امتيازاتها التي توارثتها عن الحكومة الإنجليزية الهندية في التبت؛ لذلك يجب على الصين تعويضًا عن ذلك أن تتقبل المطالب الحدودية التي تدعو لها الهند. ونظرًا إلى أن الصين تضع نقاط تركيز استراتيجياتها في الاتجاهين الشمالي الشرقي والجنوبي الشرقي؛ بالتالي فإن التداخل الاقتصادي والتجاري بين البلدين ضئيل، كما أن تطلعات الصين حيال الفاعلية الاقتصادية من اللعبة في المنطقة الحدودية غير مرتفعة. وبالإضافة إلى ذلك، لم تلقَ الهند أي معارضة من الصين حيال رؤيتها لمكانتها كدولة كبرى واستكشافها للأراضي في المنطقة بخطوات صغيرة سريعة؛ لذلك لا تعتقد الهند أن الصين ستبالغ في ردة فعلها حيال تغلغلها في المناطق الحدودية، وبالتالي لن تنشب الحرب بين البلدين. ومن ثم فإن العائد الاقتصادي d في اللعبة بين الصين والهند في المناطق المتنازع عليها يكاد لا يُذكر. أما فيما يخص العائد الأمني e، فقد توارثت الهند سياسة "المستويات الثلاثة للحدود الاستراتيجية" في الاتجاه الشمالي الشرقي خلال فترة الحكومة الإنجليزية الهندية، وكان مد سيطرة الهند إلى "خط مكماهون" يعد من استراتيجياتها الثابتة، أما الصين فلم تنتبه إلى اللعبة على الحدود الصينية الهندية؛ نظرًا لعدم إدراكها للتهديد الأمني من الاتجاه الجنوبي الغربي. حتى إن البعض يبالغ ويقول إن" الهند لم تثر اهتمام الصين، ولذلك لم تكن لها مكانة مهمة ضمن الأجندة الأمنية الدبلوماسية الصينية"[2]. أما فيما يتعلق بالقوة الناعمة، أي المكانة الدولية f، فقد كانت الهند تعتبر نفسها ناطقًا بلسان الصين في الأمم المتحدة ومؤتمر باندونج؛ نظرًا لما تلعبه من دور مستقل في الساحة السياسة الدولية، خاصةً وأن الهند قد اكتسبت مكانةً دوليةً متميزةً خلال حرب كوريا الشمالية والمحادثات حول الشئون الإندونيسية في جنيف، ما كان له تأثير تمهيديّ لـ"فترة وفاق" قصيرة بالنسبة للعلاقات الصينية الهندية[3]. وربطت الهند بين رد الفعل الصيني واعترافها بمكانة الهند كدولة كبرى،

1- قام نيفيل ماكسويل في بحثه بعنوان "استرجاع النزاعات الحدودية بين الصين والهند" بتحليل موجز حول الروح القومية و"الحدود التاريخية" الهندية لدى كل من ألاستر لامب وستيفين هوفمان وأشوتوش فارشني. انظر: (مرجع إنجليزي) نيفيل ماكسويل، "استرجاع النزاعات الحدودية بين الصين والهند" الجزء الأول، (ترجمة تشنغ جينغ يان)، "دراسات حول جنوب آسيا"، عدد1، 2000، ص29-27.

2- William H.Overholt, Asia, America, and the transformation of Geopolitics (New York: Cambridge University Press and RAND, 2008), p.198.

3- Jaswant Singh, Defending India (New York: St. Martin's Press INC., 1999), pp.162-171.

مـما شـكل عنـصرًا تحفيزيًّـا لاتخاذهـا اسـتراتيجيات تعزيزيـة في المناطـق الحدوديـة الصينيـة الهنديـة. وقـدرت الحكومـة الصينيـة كثـيرًا ذلـك التقديـر والاعـتراف مـن الهنـد، التـي تُعـد دولـة مسـتقلة جديـدة بقيـادة غـير اشـتراكية. وموضوعيًّـا قـد أدى السـعي إلى تفـادي النزاعـات، إلى ترسـيخ اعـتراف الهنـد بمكانتهـا كدولـة كـبرى (بمـا في ذلـك سـوء الفهـم بـين البلديـن في القضيـة الحدوديـة). وبالتـالي فـإن القـدرة عـلى تحقيـق تطلعـات الهنـد حـول العائـد في مجالاتهـا الثلاثـة الكـبرى، أي f + e + a، وإصرارهـا عـلى الحصـول عـلى "الأراضي المتنـازع عليهـا" قـد تحـول إلى اسـتراتيجية مهيمنـة بالنسـبة للهنـد.

المرحلـة الثانيـة: بـدءًا مـن مـارس عـام 1959 حتـى أكتوبـر عـام 1962، حيـث شـهدت الاسـتراتيجيات والتفاعـلات الصينيـة الهنديـة في المناطـق الحدوديـة نوعًـا مـن التوازنـات الاسـتراتيجية المختلطـة. وكانـت هـذه المرحلـة بدايـة تصاعـد النزاعـات والحـروب الحدوديـة، وبدايـة التسـليح الجـزئي والمواجهـات في المناطـق الحدوديـة بعـد الحـرب، وظهـرت بـوادر السـلم البـارد في العلاقـات الثنائيـة. وفي عـام 1959، تسـببت نزاعـات لانـغ جيـو ونزاعـات مضيـق كونـغ كا في ظهـور النزاعـات الحدوديـة بـين الصـين والهنـد، وفي ذلـك الوقـت شـهد نطـاق "الأراضي المتنـازع عليهـا" المتسـببة في النزاعـات بعـض التغـيرات، التـي كانـت نتيجـة لتجـاوز الهنـد لخـط السـيطرة الفعليـة بـين الطرفـين وصـولًا إلى الجانـب الصينـي[1]، وبهـذا الشـكل تخطـت الهنـد الخـط الأحمـر الصينـي عندمـا تجـاوزت "خـط مكماهـون" لضـم المزيـد مـن الأراضي الصينيـة. وبالتـالي لم تعـد الصـين تتشـبث بأسـاليبها "السـلبية" عـلى المسـتوى الاسـتراتيجي لتجنـب نشـوب النزاعـات، بـل اعتـبرت الاسـتراتيجية الهنديـة اسـتراتيجية لـرد الفعـل العشـوائي تتطلـب هجـمات "عقابيـة" عنـد اللـزوم. وهنـاك احتـمالان في القضيـة الحدوديـة الصينيـة الهنديـة بحسـب نظريـة الألعـاب، الاحتـمال الأول هـو الحـوار والمحادثـات، أمـا الثـاني فهـو التعبئـة (للاشـتباكات بـل حتـى الحـرب)، ونشـير إليهـما بالنتائـج (0,0) و(b,b). ولكـن نظـرًا إلى أن الهنـد تتمسـك بـ"الحـدود التاريخيـة"، وترفـض أي شـكل مـن المحادثـات وتطبـق "سياسـة الامتـداد"؛ فقـد أصبـح الخيـار (0,0) هـو النتيجـة العقلانيـة

-1 وبحلول صيف عام 1959، تخللت الهند إلى الجانب الصيني من خط السيطرة الفعلية للمناطق المتنازع عليها بين البلدين، وأسست أكثر من ستين نقطة تفتيش على الأقل، أربع وثلاثون منها كانت تقع شمالي "خط مكماهون"، لتعلن الهند بذلك سيطرتها على هذه المناطق. في حين اعتبرت الصين كل هذا دلائل حقيقية على ما تنفذه الهند من مخططات توسعية في منطقة التبت.
See Nadeem Shafiq" India versus China :A Review of the Aksai Chin Border Dispute ,"Journal of Political Studies, Vol ,18 .No ,2011 ,2 .pp.223- 207.

الوحيـدة في التـوازن المختلـط. وكان مـن الطبيعـي أن تغـير الصـين مـا كانـت تتمسـك بـه مـن اسـتراتيجيات في مواجهـة "سياسـة الامتـداد" الهنديـة عـلى خطـي الحـدود الشرقـي والغـربي، وتغلغلهـا إلى الجانـب الصينـي مـن خـط السـيطرة الفعليـة بـين البلديـن. كـما أن تواطـؤ القـوى الرجعيـة العليـا بالتبـت مـع الداخـل والخـارج في مـارس عـام 1959 للتحريـض عـلى التمـرد، ونفـي الـدالاي لامـا إلى الهنـد حيـث أسـس "حكومـة المنفـى"، وموقـف الحكومـة الهنديـة[1]، والتحريـض والدعـم مـن القـوى الدوليـة المعاديـة للصـين للقـوى "الانفصاليـة بالتبـت"[2]، كل هـذا قـد جعـل الصـين تعيـد تقييـم الأوضـاع الأمنيـة عـلى طـول خـط الحـدود الجنوبيـة الغربيـة. وبالتـالي دفعـت النزاعـات الحدوديـة والتقييـم الجديـد للأوضـاع الأمنيـة الصـين لتعديـل اسـتراتيجياتها وأنماطهـا السـلوكية في اللعبـة بالمناطـق الحدوديـة بـين الصـين والهنـد[3]. نسـتخدم هنـا الحـرف P للإشـارة إلى احتماليـة نشـوب الحـرب الحدوديـة بـين الصـين والهنـد في ظـل "سياسـة الامتـداد" الهنديـة، وبالتـالي فـإن احتماليـة نشـوب الحـرب بحسـب تـوازن نـاش كالآتي:

$P = (b - a) / (b - a + c)$[4]، وبمـا أن الربـح والخسـارة في الأراضي المتنـازع عليهـا

1- Steven A. Hoffmann, "Rethinking the Linkage between Tibet and the China - India Border Conflict: A Realist Approach," p.182.

2- J.Kenneth Knaus, Orphans of the Cold War: America and the Tibetan Struggle for Survival (New York: Public Affairs/Perseus Books Group, 1999), pp.107-111,118 —119,126 —131,135–136,139-140,142-168,186 -188.

3- في السادس من مايو عام 1959، نشرت "صحيفة الشعب اليومية" افتتاحية بعنوان "الثورة في التبت وفلسفة جواهر لال نهرو"، ما عدل البوادر الأولى للأوضاع. وفي إبريل عام 1960، فشلت محاولة شو إن لاي خلال زيارته إلى نيودلهي عقد محادثات لحل النزاعات الحدودية بين الصين والهند، وقرر الجانب الصيني بعد ذلك تغيير استراتيجياته وأنماطه السلوكية حيال هذه القضية. وأصدر الزعيم ماو تسي تونغ توجيهاته إلى الجهات المعنية ("لن نستسلم، ولكن يجب أن نبذل الجهود لتجنب إراقة الدماء. وفي ظل هذا التشابك، يجب أن نحرص على تواجدنا المسلح طويل الأمد"، انظر فريق تأريخ معركة الهجوم الدفاعي على الحدود الصينية الهندية، "تاريخ معركة الهجوم الدفاعي على الحدود الصينية الهندية"، بكين، دار نشر العلوم العسكرية، 1994، ص134) كما ألقى شو إن لاي كلمة مهمة حول هذه القضية (إن الهند مخطئة، اعتقدت أن بإمكانها هزيمتنا، ولكننا حافظنا على ضبط النفس والتسامح فدخلت خطة خطوة.. وظنت أنها ستفعل نفس الشيء في المناطق الشرقية. لقد أخطئوا التقدير عندما ظنوا أننا سوف نظل نتعرض للهجوم"، انظر: "السجل التاريخي للأنشطة الدبلوماسية لشو إن لاي"، تحرير غرفة أبحاث الشئون التاريخية الدبلوماسية التابعة لوزارة الخارجية لجمهورية الصين الشعبية، بكين، دار نشر المعارف العالمية، 1993، ص344-343). وتعكس توجيهات ماو تسي تونغ وكلمة شو إن لاي تحول الموقف الصيني من السعي لتجنب الاشتباكات وحلها بالطرق السلمية إلى بناء نقاط تفتيش متشابكة والقيام بمواجهات مسلحة وهجمات تلقن الهند دروسًا.

4- يُعد هذا نموذجًا مبسطًا لاحتمال نشوب الحرب. إذا جمعنا التفاعلات المختلفة على الحدود الصينية الهندية، يمكننا أن نعتبر نموذج تعبئة الجيوش في توازن ناش نموذجًا لاحتمالية نشوب الحرب. بالتأكيد لا تعني "التعبئة" بالضرورة "نشوب الحرب"، ولكن نظرًا إلى أن الصين والهند تفتقران إلى قواعد مقيدة، وأن الطرفين يستبعدان استراتيجية "التخاذل"، بالتالي فإن تعبئة أحد الطرفين (استراتيجية الامتداد الهندية) تعني نشوب الحرب.

يخضع لمنطق "الفائز يستفيد والخاسر يتحمل الخسارة"؛ بالتالي فإن قام الجانب الصيني بتسريح جيوشه في مواجهة "سياسة الامتداد" الهندية، لن يتسبب ذلك في خسارة أكبر للأراضي الصينية فحسب، بل سيتدهور الوضع الأمني الصيني (المشار إليه بالحرف e، بما في ذلك الأمن الداخلي)، كما ستتعرض مكانة الصين الدولية (f) لخسائر كبيرة. وبالتالي كلما انخفضت قيمة العائد c عند الصين، ارتفعت احتمالية الحرب P، وإذا تجاوزت تحركات الهند الحدود المعروفة، فسوف يؤدي هذا إلى نشوب اشتباكات وحروب حدودية لا مناص منها بين البلدين.

المرحلة الثالثة: منذ عام 1963 حتى عام 1992، حيث أدت الاستراتيجيات والتحركات والتفاعلات في المناطق الحدودية إلى نوع من السلم البارد في ظل توازنات رادعة. لقد أنهت الحرب الحدودية في أكتوبر عام 1962 "سياسة الامتداد" الهندية، مما أعاد الوضع في المناطق الحدودية الصينية الهندية إلى وضعها ما قبل الأزمة بشكل جزئي. وخلال هذه المرحلة، شهد عام 1967 اشتباكين صغيري النطاق في ناثولا (Nathula) ومضيق تشولا (Chola)[1]، وفي عام 1987 شهد وادي سانغ دولو مواجهات وأزمات، وفي نهايات عام عام 1981 تم عقد محادثات حول القضية الحدودية على مستوى نائبي وزيري الخارجية، ولكن لم تغير كل هذه الأحداث في الهيكل الأساسي للتوازن الاستراتيجي المختلط، بل سهل بعض التعهدات الخاصة من الحل السلمي في المناطق الحدودية الصينية الهندية. إن موقف الصين حيال النزاعات الحدودية بين البلدين واضح وثابت، فتصر الصين على أنه لم يتم ترسيم الحدود بين البلدين من قبل، وعلى الرغم من أن الصين لا تعترف بـ"خط مكماهون" إلا أنها مع ذلك لم تتجاوز هذا الخط للدخول إلى الأراضي التي تدعو إلى سيادتها، ما يعكس تعهدات الصين الصادقة حيال هذه القضية، وتمسكها باستراتيجية "رد الفعل" وبالتالي يحق للصين شن هجمات انتقامية على الهند لتجاوزها خط السيطرة الفعلية وتخللها إلى جانب الأراضي الصينية، ويُدعى هذا الهجوم الانتقامي بحرب الهجوم الدفاعي الحدودي، وقد أجبر إصرار الصين على الهجوم وقدراتها الصادقة الهند على

1- Jaswant Singh, Defending India, p.143.

توخـي الحـذر[1]. وبعـد انتهـاء الحـرب الحدوديـة، عدلـت الهنـد مـن مفهومهـا الخاطـئ الـذي جعلهـا تظـن "أن الصـين سـوف تشـن الحـرب ضـد الهنـد تحـت أي ظـرف"، وبالتـالي أنهـت الهنـد "سياسـة الامتـداد"، وعـادت الأوضـاع بـين البلديـن في المناطـق الحدوديـة بشـكل جـزئي إلى مـا كانـت عليـه قبـل الأزمـة حيـث "الاشـتباكات والاحتـكاكات بـين الحـين والآخـر، مـع الحفـاظ عـلى المواجهـات السـلمية بصفـة عامـة". ولكـن في ظـل غيـاب الثقـة المتبادلـة، أصبحـت سياسـة "هاويـة الحـرب" هـي حلقـة الاتصـال المشـتركة (point focal) بـين البلديـن. ومصفوفـة العائـد الثنائيـة موضحـة في الجـدول رقم 2. (تختـار الهنـد مـن الاسـتراتيجيات الموضحـة في أعمـدة الجـدول، ويمثـل الرقـم الأول مـن كل مجموعـة مـن الإحداثيـات عائـد الجانـب الهنـدي). وهنـا التوازنـان الاسـتراتيجيان المختلطـان (حـرب، حـرب) و(سـلم، سـلم) كلاهـما نتيجتـان واردتـان، وعائـد الفائز في اللعبـة المفـردة يكـون (4,0) >(3,3) >(1,1)، أمـا إذا كان اللاعبـان متعقلـين تمامًـا فمـن المحتمـل أن يصـلا إلى أسـوأ النتائـج وهـي (1,1). ولكـن طبقًا لتجـارب البلديـن السـابقة في اللعبـة الحدوديـة، وإذا أخذنـا في الاعتبـار تأثـير عوامـل الخصـم (d, e, f) عـلى المسـتويين الزمنـي والمـكاني، وتكلفـة تطبيـق أي سـلوك انتقامـي، سـنجد أن كلًّا مـن الهنـد والصين سـوف تختـار الاسـتراتيجية المختلطـة بشـكل عشـوائي دون اتفـاق مسـبق، وبالتـالي سـوف يراقـب كل طـرف تحـرك الآخـر الاسـتراتيجي قبـل إصـدار رد فعلـه، ويصبـح الخيـار القابـل للتطبيـق بالنسـبة لصانعـي القـرارات في البلديـن هـو تصعيـد مسـتوى النزاعـات بشـكل تدريجـي وتجنب سياسـة "هاوية الحـرب"؛ ولذلـك حافظـت الصـين والهند على سـلمية المواجهـات في المناطـق الحدودية، وكانـت التوازن الاسـتراتيجي (3,3). وتُعـد أزمـة وادي سـانغ دولـو في عـام 1987 مثـالًا عـلى "سياسـة الهاويـة" الصينيـة الهنديـة. حيـث قامـت الهنـد بعـد أن أعـادت تقييـم الوضـع الأمنـي في بدايـة الثمانينيـات بتعديـل "خطـة الحـرب الدفاعيـة" التـي كانـت تطبقهـا حيـال الصـين، كـما مـررت خطـة عسـكرية جديـدة تهـدف إلى الإسراع مـن نـشر القـوات في منطقـة خـط السـيطرة الفعليـة. ومنـذ عـام 1983 واظبـت الهنـد عـلى إرسـال فـرق اسـتخباراتية كل صيـف للدخـول إلى المناطـق الحساسـة في وادي سـانغ دولـو

1- قدم توماس شيلينغ شرحًا دقيقًا وعميقًا حول هذا الأمر في دراسة له بعنوان "مقالة عن المساومة"، أشار فيها إلى أن قدرة أحد أطراف اللعبة على تقييد نفسه تحمل في مكنونها إشارة تهديد حقيقية، كما أن القدرة على الانتقام الحقيقي تجعل اللاعب في مكانة أفضل من القدرة على الهجوم للمقاومة.

See Thomas C. Schelling, "An Essay on Bargaining", The American Economic Review, Vol.46, No.3, June 1956, pp.281 -306.

شـمالي نهـر كيجـي لانـغ في الجانـب الصينـي مـن خـط السـيطرة الفعليـة، وذلـك للقيـام بأعـمال مراقبـة وجمـع معلومـات اسـتخباراتية، وأيضًـا بنـاء نقـاط تفتيـش مؤقتـة. اهتمـت الصـين مـن جانبهـا بذلـك كثـيرًا وقامـت ببنـاء نقـاط تفتيـش شـبه دائمـة بنفـس الطريقـة بعـد انسـحاب الهنـد. وفي مواجهـة مـا قامـت بـه الهنـد مـن منـاورات عسـكرية واسـعة النطـاق "عمليـات لوحـة الشـطرنج" ونشرهـا المتكـرر لقواتهـا في بدايـة عـام 1986، قامـت الصـين التـي كانـت تحافـظ عـلى أعـلى درجـات الحـذر بنـشر قواتهـا هـي الأخـرى بالقـرب مـن خـط السـيطرة الفعليـة، وأسسـت جبهتـين عسـكريتين للمواجهـة ومنـع الهنـد مـن ضـم مزيـد مـن الأراضي الصينيـة. وعـلى الجانـب الآخـر، قـام الجيـش الهنـدي بعمليـات صعَّـدت مـن الأزمـة، حيـث أصـدر الجيـش أمـرًا بشـن "عمليـة صقـر" في بدايـة عـام 1987، وأرسـل قـوات دعـم إلى الجبهـات عـلى سـفح جبـل تاقـلا، وقـام ببنـاء نقـاط تفتيـش أخـرى تهـدد نقـاط التفتيـش الصينيـة بشـكل مبـاشر[1]. كان رد فعـل الجانـب الصينـي عنيفًـا للغايـة، فعـزز مـن نـشر قواتـه، وكانـت الحـرب الحدوديـة عـلى وشـك الانفجـار. وفي نهايـة صيـف العـام نفسـه، أدت الاتصـالات الدبلوماسـية واللقـاءات بـين القيـادة العليـا لجيـشي البلديـن، وتقديـر كل دولـة لمكاسـبها وخسـائرها، وإطـلاق الصـين ردعهـا الحقيقـي[2]، إلى التهدئـة السريعـة للتوتـر عـلى الحـدود عـلى نحـو درامـي، وانسـحبت جيـوش البلديـن مـن حـدود بوتـان و"خـط مكماهـون" وبعـض المناطـق مـن وادي جبـل قـالا، وعـادت الحـدود عـلى طـول الخـط الشرقـي إلى كونهـا منطقـة غـير عسـكرية كـما كانـت قبـل الأزمـة، ووصلـت "سياسـة الهاويـة" إلى الدرجـة القصـوى.

1- انظر (مرجع إنجليزي): نيفيل ماكسويل، "استرجاع النزاعات الحدودية الصينية الهندية" (الجزء الثاني)، (ترجمة تشنغ جينغ يان)، "دراسات حول جنوب آسيا"، عدد2، 2000، ص39-38. إلى جانب إرسال القوات العسكرية، مرر البرلمان الهندي بما فيه مجلس الدولة ومجلس الشعب مشروع قانون يحوّل المناطق المعروفة باسم "المناطق الخاضعة للإدارة المباشرة المركزية الصينية" الواقعة بين الخط الحدودي التقليدي و"خط مكماهون" والتي ضمتها الهند إلى أراضيها، تحت مسمى "أروناجل برديش" (المنطقة الغربية من التبت الصينية)، ما يعني دعم احتلال الأراضي المتنازع عليها بصفة غير مشروعة.

2- خلال زيارة كل من وزير الدفاع الأمريكي كاسبر واينبرجر في أكتوبر عام 1986 ووزير الخارجية جورج برات شولتز في مارس عام 1987، أوضح دنغ شياو بينغ نية الجانب الصيني واستراتيجياته حيال الجانب الهندي، فالصين تحاول جاهدةً تجنب نشوب النزاعات والحرب، ولكن إذا استمرت الهند في احتلال الأراضي الصينية، فالصين مستعدة بشكل كامل للمواجهة. انظر (مرجع إنجليزي): نيفيل ماكسويل، "استرجاع النزاعات الحدودية الصينية الهندية" (الجزء الثاني)، (ترجمة تشنغ جينغ يان)، ص40.

	الحرب	السلم
الحرب	1,1	4,0
السلم	0,4	3,3

جدول رقم 2: مصفوفة العائد الثنائية في ظل التوازن الرادع

ثالثًا، التوازن في اللعبة الحدودية الصينية الهندية في ظل آليات التنسيق

سوف تظل مسألة التسليح والسلم سمةً طبيعيةً للمناطق الحدودية بين الصين والهند حتى الوصول إلى حل نهائي للقضية الحدودية، وستبقى صيغة (الوضع الراهن، الوضع الراهن) توازنا استراتيجيًا مهيمنًا صارمًا في النزاع الحدودي بين البلدين. وترجع أسباب ذلك إلى الآتي: أولًا: إن آليات التشاور والتنسيق التي تتمتع بفاعلية تنظيمية محددة، تجعل التفاعلات الصينية الهندية في المناطق الحدودية تتمتع بخصائص توازن ناش، ولكن هذا لا يستبعد أسباب فقد الثقة المتبادلة، ففي ظل حالة الأناركية الدولية، تصبح "الثقة" في نفس ندرة "السلطة"، وهو ما يتطلب من الصين والهند اللجوء إلى قدر كافٍ من الموارد الذاتية، أي اللجوء إلى قوة الدفاع للتخفيف من الشعور بانعدام الأمن أو التوجس والخوف. ثانيًا: إن استمرار المواجهات المتوترة بين الصين والهند ما هو إلا نوع من السلم باهظ التكلفة، كما أن توازن (الحرب، الحرب) غير قادر أيضًا على حل النزاعات الحدودية، بل يزيد من التكلفة التي تتحملها الأطراف. فحتى إذا حقق أحد الأطراف النصر المؤقت، سوف تنكمش قيمة العائد a، وإذا أخذنا في الاعتبار عوامل الخصم (d, e, f)، سوف نجد أن (0 ≥(a-c ، أي الخسارة أكبر من الربح. وإذا نظرنا إلى المكسب الاقتصادي (d)، فسنلاحظ أن حجم التجارة بين البلدين خلال السنوات الأخيرة حوالي سبعين مليار دولار أمريكي، وهناك جهود أن يتجاوز هذا الرقم حدود المائة مليار دولار عام 2015. وبما أن الدولتين عضوان في منظمة البريكس، فإنهما يرتبطان بمصالح مشتركة واسعة على مستوى القضايا العالمية والمجال الأمني، وبالتالي يُعد العائد الأمني الشامل (e) وتكلفة التعبئة/ الحرب الهائلة من العناصر المهمة التي يجب وضعها في الاعتبار أثناء التفاعل الحدودي بين البلدين. وبالإضافة إلى ذلك، يتعرض صانعو القرار في البلدين لمستويات مختلفة من معوقات النزعة الشعبوية، وبالتالي فإن الحفاظ على حالة التسليح والسلم الحالية في نهاية الأمر هي ثاني أفضل الاستراتيجيات المتاحة. فلقد اعترف المجتمع الدولي بمكانة كل من الصين والهند كدول كبرى صاعدة، ولكن إذا خاضت الدولتان الحرب (سواء كانت النتيجة هي النصر أو الخسارة)، فسوف يؤثر ذلك سلبًا على مكانتهما

الدوليـة (f). ثالثًـا: إن اللعبـة الديناميكيـة في الحـدود الصينيـة الهنديـة تتمتـع بالمعلومـات شـبه الكاملـة (أي أن كل طـرف يحـاول توضيـح سياسـاته للطـرف الآخـر)، وبالتـالي ينتظـر كل طـرف تحركات الآخـر حتـى يختـار أو يعـدل اسـتراتيجياته وتحركاتـه. وبالتـالي يـدرك محـرك اللعبـة أن اسـتراتيجيته وتحركاتـه تؤثـر عـلى اللاعـب الآخـر. رابعًـا: أثبتـت التجـارب التاريخيـة (اشـتباكان في عـام 1959، والحـرب الحدوديـة عـام 1962، واشـتباكات عـام 1967، وأزمـة عـام 1987) أن القـوة ليسـت هـي الحـل للنزاعـات الحدوديـة، فقـد تعلـم صانعـو القـرار في البلديـن مـن التاريـخ وتوصـل الطرفـان إلى تفاهـم مشـترك (المصالـح المشـتركة)؛ ولذلـك تتغـير الآن وسـائل التفاعـل في اللعبـة الحدوديـة الصينيـة الهنديـة. الجانـب الهنـدي عمـل في كتمـا`ن شـديد للتخلـص مـن أكـبر المعوقـات التـي خلفهـا جواهـر لال نهـرو لحـل النزاعـات الحدوديـة بـين البلديـن عـن طريـق المحادثـات، ألا وهـي مـد الهنـد قوتهـا إلى الأراضي التـي تنـادي بالسـيادة عليهـا اسـتنادًا إلى الحـدود المُعيّنـة بـين البلديـن، وبالتـالي رفـض الجانـب الهنـدي عقـد أيـة محادثـات حـول الوضـع الراهـن للحـدود وتوجهاتهـا إلا بعـد السـيطرة الكاملـة عليهـا[1]. وفي عـام 1988، مـرر الحـزب الهنـدي الحاكـم قـرارًا، ينـص عـلى ضرورة بحـث الهنـد عـن طريقـة لحـل النزاعـات الحدوديـة بمـا يتناسـب مـع "المصالـح المشـتركة" و"يحظـى بقبـول شـعبي البلديـن". وهـو مـا يعكـس أن التعديـلات التـي شـهدتها الهنـد حـول الحـدود بـين البلديـن بـدءًا مـن سياسـة الحـدود في حكومـة أنديـرا غانـدي حتـى فـترة حكومـة راجيـف غانـدي، في محلهـا.

بالإضافـة إلى ذلـك، أدركـت الصـين والهنـد حقيقـةً مهمـةً مـن خـلال المعالجـة بـين التفاعـل الصينـي الهنـدي في ظـل حالـة السـلم البـارد والمواجهـات والأزمـات الحدوديـة لعـام 1987، ألا وهـي أنـه يمكـن للبلديـن الحفـاظ عـلى السـلم الحـدودي إذا لم يتجـاوزا خـط السـيطرة الفعليـة عـلى المناطـق الحدوديـة. وقـد تأكـدت نقطـة الاتفـاق هـذه أكـثر مـن مـرة، وتحولـت تدريجيًـا إلى آليـة في الاتفاقيـات ذات الصلـة منـذ تسـعينيات القـرن العشريـن. وتشـمل هـذه الاتفاقيـات الآتي: "مجموعـة العمـل المشـترك للمحادثـات حـول القضيـة الحدوديـة" التـي بـدأ عملهـا في عـام 1988، و"الاتفاقيـة بـين حكومتـي جمهوريـة الصـين الشـعبية وجمهوريـة

1- خلال الأزمة الحدودية/ الحرب الحدودية بين الصين والهند من عام 1960 حتى 1962، لم يتدخل جواهر لال نهرو في الرأي العام أو تصرفات البرلمان، وكانت سياسته سلبية حيال النزاعات الحدودية. ثم مرر البرلمان الهندي قرارًا مطالبًا الحكومة بـ"استعادة" جميع الأراضي الهندية التي احتلتها الصين. بعبارة أخرى، تعني أية تسويات مع الصين التنازل عن الأراضي الهندية، ولكن الدستور لا يمنح الجهات التنفيذية سلطة التنازل عن الأراضي، وبالتالي فإن تنفيذ أية اتفاقيات حدودية تتطلب تعديلات في الدستور الهندي، وهذا صعب دون أدنى شك في ظل الظروف السياسية.

الهنـد حـول إجـراءات بنـاء الثقـة في المجـال العسـكري عـلى خـط السـيطرة الفعليـة للحـدود الصينيـة الهنديـة" لعـام 1993 و1996، و"آليـات التشـاور بـين الممثلـين الخاصـين بشـأن القضيـة الحدوديـة" لعـام 2003، و"الاتفاقيـة بـين حكومتـي جمهوريـة الصـين الشـعبية وجمهوريـة الهنـد حـول بنـاء آليات للتشـاور والتنسـيق بشـأن الشـئون الحدوديـة الصينيـة الهنديـة" لعـام 2012، و"اتفاقيـة التعـاون حـول الدفـاع الحـدودي" التـي وقعهـا رئيـس الـوزراء الهنـدي مانموهـان سـينغ خـلال زيارتـه إلى الصـين في عـام 2013، و"قواعـد السـلوك للمناطـق الحدوديـة" التـي لا تـزال قيـد الصياغـة[1].

في ظـل قواعـد التفاعـل والاتفاقيـات التـي ذكرناهـا سـلفًا، تحولـت اسـتراتيجية (المحادثـات، المحادثـات) بـين الصـين والهنـد تدريجيًـا مـن كونهـا توازنًـا اسـتراتيجيًا مختلطًـا إلى تـوازن اسـتراتيجي خالـص، وهـو مـا يوضـح أنـه عـلى الرغـم مـن أنهـا ليسـت معياريـة ودقيقـة لكنهـا تتميـز بخصائـص تـوازن نـاش. وكـما هـو موضـح في مصفوفـة العائـد الثنائيـة للتفاعـل الحـدودي الصينـي الهنـدي في ظـل التـوازن الاسـتراتيجي الترابطـي بالجـدول رقـم 3، نظـرًا للزيـادة الكبـيرة في عوامـل الخصـم (d, e, f)، تصبـح تكلفـة الاشـتباكات/الحرب أو المواجهـات المسـلحة عاليـة للغايـة، وحتـى إذا انخفضـت مكاسـب الرابـح انخفاضًـا كبـيرًا، تصبـح دالـة العائـد (3,3) هـي نتيجـة اللعبـة الحدوديـة بـين الصـين والهنـد، بينـما تنعـدم احتماليـة نشـوب الحـرب. فيمثـل خيـار الحـرب الحدوديـة بـين الطرفـين خسـارة أكـبر مـن الربـح، ومـع الارتفـاع التدريجـي لدرجـة الثقـة المتبادلـة بـين البلديـن، بالإضافـة إلى العلاقات الاقتصاديـة والتجاريـة والتبـادلات الإنسـانية والاتصـالات العسـكرية والتعـاون في بنـاء الأنظمـة وغيرهـا مـن العنـاصر، تنعـدم احتماليـة انـدلاع حـرب حدوديـة أخـرى بـين البلديـن. ولكـن يجـب أن تواجـه كل مـن الصـين والهنـد حقيقـة وجـود تباينـات حـول خـط السـيطرة الفعليـة واختلافـات حدوديـة بـين البلديـن؛ ولذلـك ينبغـي عـلى كلا الطرفـين الوقايـة مـن انـدلاع أيـة أحـداث مفاجئـة، وبالتـالي فـإن العلاقـات الصينيـة الهنديـة سـوف تظـل في حالـة تعايـش مسـلح لفـترات طويلـة، وسـوف تشـهد أزمـات متقطعـة بـين الحـين والآخـر[2].

1- يقوم المسئولون في القطاعات والجهات التابعة لوزارتي خارجية البلدين بالإشراف على آليات التشاور والتنسيق، وتتكون أيضًا من عدد من الدبلوماسيين والعسكريين، وتقوم بمعالجة القضايا المتعلقة بالحفاظ على السلم والأمن للمناطق الحدودية. وخلال اللقاء السابع عشر للممثلين الخاصين من الصين والهند في فبراير عام 2014، اقترحت الصين مناقشة مجموعة من "قواعد السلوك للمناطق الحدودية"، لتجنب ما تسببه التباينات وسوء الفهم بين الطرفين من أزمات أو اشتباكات حدودية.

2- Shashank Joshi, “China - India: Awkward Ascent”, Orbis, Fall 2011, pp.575 -576.

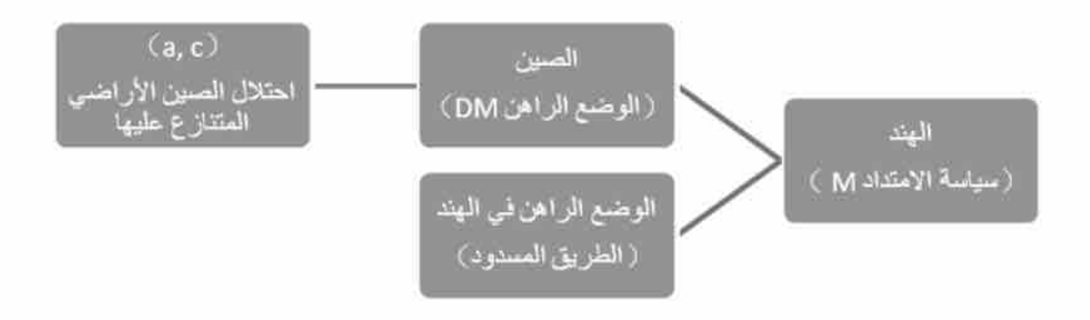
	الحرب	المحادثات
الحرب	0 0	1 4
المحادثات	1 ,4	3 ,3

جدول رقم 3: مصفوفة العائد الثنائية في ظل التوازن الترابطي

رابعًا: مناقشات وتأملات حول التفاعلات الصينية الهندية في اللعبة الحدودية

لقد توارثت جمهوريتا الصين والهند حديثتا النشأة "الخطوط الحدودية" المعروفة بالخطوط التقليدية بين البلدين، ولكنهما يفتقران إلى "الخطوط الحدودية" التي تمثل إحدى العلامات المميزة للدول الحديثة؛ ولذلك فإنه كان من المؤكد أن تنشب النزاعات حول الحدود بين الصين والهند اللتين تحترمان مبادئ الدول الحديثة في معالجة أمورهما. وبدأت النزاعات الحدودية بين الصين والهند منذ أن تلقت الهند الأوامر في فترة الحكومة الإنجليزية الهندية ببناء سياسية "المستويات الثلاثة من الحدود الاستراتيجية" في المنطقة الشمالية الشرقية، وبدأت تدريجيًّا تضم الأراضي الخاضعة لإدارة الحكومة المحلية في التبت الصينية بين الخط الحدودي التقليدي و"خط مكماهون". واستنادًا إلى المبادئ التوجيهية العامة التي ظلت الصين تتمسك بها لمعالجة النزاعات عن طريق تبادل المنفعة والمحادثات السلمية والحفاظ على الأوضاع الراهنة قبل التسوية لحل المشكلات التي خلفها التاريخ، أصبحت الاستراتيجيات الحدودية الهندية وتصرفاتها ذات الصلة منذ بداية خمسينيات القرن العشرين هي نقطة انطلاق اللعبة الصينية الهندية في المناطق الحدودية. وإذا استخدمنا مخططًا شجريًّا للعبة، فسوف يساعدنا ذلك على متابعة استراتيجيتي البلدين ووسائل تفاعلها في المناطق الحدودية بشكل أوضح.

في منتصف الخمسينيات، امتدت الهند في المنطقة الشرقية إلى بعض المناطق المهمة بالقرب من "خط مكماهون"، ولكن الجانب الصيني لم يصدر أي رد فعل واضح تجاه هذا الامتداد الهندي، ويمكننا أن نعتبر هذه "السلبية" نوعًا من استراتيجية التسريح أو الحفاظ على الوضع الراهن، وبالتالي كانت نتيجة اللعبة هي سيطرة الهند تدريجيًّا على "الأراضي المتنازع عليها" شمالي الخط الحدودي التقليدي وجنوبي "خط مكماهون"، وهي أراض خاضعة للإدارة المحلية التبتية، ومن ثم فإن (c,a) هي نتيجة الجولة الأولى من اللعبة الحدودية بين الصين والهند (انظر المخطط الشجري 4).



المخطط 4: المرحلة الأولى من اللعبة (1950-1958)

خرجـت النزاعـات الحدوديـة بـين الصـين والهنـد إلى العلـن في عـام 1959. ودعـا الجانـب الصينـي إلى المحادثـات لحـل النزاعـات الحدوديـة التـي سـببها عـدم ترسـيم الحـدود عـلى مـدار التاريـخ، ولكـن الجانـب الهنـدي رفـض أيـة محادثـات بدافـع مـن "الحـدود التاريخيـة" و"الحـدود العلميـة"، واسـتمرت في التغلغـل إلى الجانـب التابـع للصـين شـمالي "خـط مكماهـون"، واتخـذت مـن "خـط جونسـون- آلـدا" حـدودًا ثابتـة للمنطقـة الغربيـة، كـما قامـت بتعديـل الخرائـط القديمـة التـي أُصـدرت قبـل عـام 1950[1]، محاولـةً بذلـك احتـلال منطقـة أكسـاي تشـين الخاضعـة لـلإدارة الصينيـة. وقـام الجانـب الصينـي في ذلـك الحـين بتعديـل اسـتراتيجيته في اللعبـة الحدوديـة، حيـث اتخـذ سياسـة رد الفعـل العشـوائي، أي سياسـة "العـين بالعـين" (Tat for Tit)، وبالتـالي قوبلـت اسـتراتيجية "الامتـداد" الهنديـة بمواجهـة مـن الصـين، وهـو مـا رفـع مـن احتماليـة انـدلاع اشـتباكات بـل حتـى حـروب حدوديـة ارتفاعًـا كبـيرًا. ونظـرًا لارتبـاط أراضي البـلاد بالمصالـح الجوهريـة لهـذه الدولـة؛ لذلـك قامـت الصـين بتعديـل اسـتراتيجية لمواجهـة سياسـة "الامتـداد" الهنديـة.

وبالإضافـة إلى ذلـك، تـرى الدراسـة الآتي: لقـد أثـرت اسـتراتيجيات وتصرفـات الهنـد

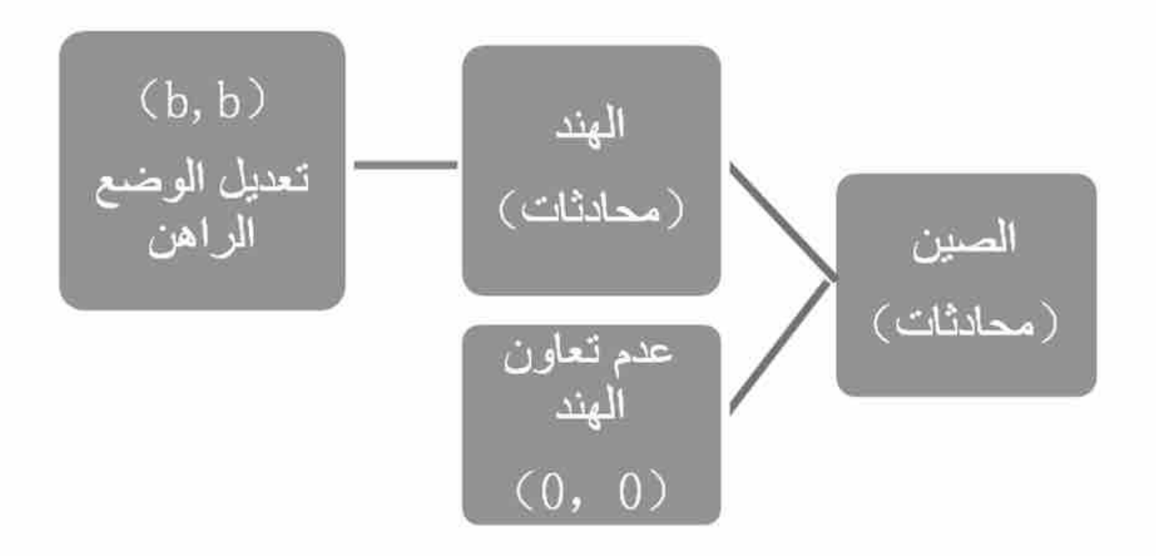
1- يعتقد الباحث الهندي عبد الغفور عبد المجيد نوراني أن اشتباكات أكساي تشين تعود إلى تفسير الهند للحدود غير المُعيّنة تاريخيًّا بشكل فردي، فقد أوضحت الخرائط المرفقة بالكتاب الأبيض للحكومة الهندية المنشور من قبل وزارة الداخلية الهندية بقيادة ساردار فالاباي باتل أنه لم يتم ترسيم الحدود الصينية الهندية الغربية.See Nadeem Shafiq "India versus China: A Review of the Aksai Chin Border Dispute," pp.211 -212; وتعليقًا على أمر جواهر لال نهرو في الأول من يوليو عام 1954 بتحويل الحدود غير المعينة في الخرائط القديمة إلى حدود ثابتة، قال نوراني: "هذا التعديل الفردي من الهند غير نافذ قانونيًا"،
http: //acorn.nationalinterest.in/2004/05/20/mcmahons-line-and-aksai-chin/

حيـال قضيـة التبـت بشـكل مبـاشر في تقييـم الجانـب الصينـي للوضـع الأمنـي وفهمـه لأهـداف الاسـتراتيجيات الهنديـة. وبعدمـا فشـلت القـوى الرجعيـة العليـا بالتبـت في التحريـض عـلى التمـرد في مـارس عـام 1959، فـر الـدالاي لامـا وغـيره إلى الهنـد حيـث منحتهـم "اللجـوء السـياسي"، وحصلـت العنـاصر الداعيـة إلى "انفصـال التبـت" في الهنـد عـلى الدعـم والتدريـب مـن القـوى الدوليـة المعاديـة للصـين (عـلى سـبيل المثـال سي آي إيـه)، مـما هـدد الاسـتقرار الاجتماعـي في التبـت وهـدد أيضًـا أمـن الصـين عـلى الخـط الجنـوبي الغـربي [1]. وفي الثـاني والعشريـن مـن مـارس عـام 1959 أرسـل جواهـر لال نهـرو خطابًـا إلى شـو إن لاي، طالبـه فيـه بمسـاحات كبـيرة مـن الأراضي وضـم الهنـد التدريجـي لـلأراضي الصينيـة. وبالتـالي فكـرت الصـين في تعديـل اسـتراتيجياتها، حيـث اسـتغلت امتـداد الهنـد القـاسي في النزاعـات الحدوديـة للقيـام بهجـمات عقابيـة محـدودة. ومـن ثـم كانـت النتيجـة الوحيـدة مـن مواجهـة الصـين لاسـتراتيجية الامتـداد الهنديـة باسـتراتيجية "العـين بالعـين" هـي تصعيـد الصراعـات الحدوديـة إلى الحـرب (انظـر المخطـط رقـم 5). ونظـرًا إلى أن الصـين كان تسـتهدف مـن وراء هـذا الإجـراء الدفـاع عـن أمـن أراضيهـا وليـس التوسـع؛ فقـد انسـحبت بعـد انتهـاء الحـرب الحدوديـة 20 كـم مـن موقعهـا عـلى خـط السـيطرة الفعليـة قبـل السـابع مـن نوفمـبر عـام 1959، حتـى ينفصـل جيشـا البلديـن وتعـود المناطـق الحدوديـة الصينيـة الهنديـة إلى حالـة المواجهـات السـلمية. واسـتمرت هـذه المواجهـات بـين البلديـن حتـى نهايـة الحـرب البـاردة، التـي كانـت مـن أهـم خصائـص المرحلـة الثالثـة مـن اللعبـة الحدوديـة بـين الصـين والهنـد، ولم تحقـق المحادثـات خـلال هـذه الفـترة أي تحسـنًا جوهريًـا في الوضـع الحـدودي أو العلاقـات البـاردة بـين البلديـن. وعـلى الرغـم مـن ذلـك، قدمـت المحادثـات الحدوديـة رسـالة مهمـة للغايـة، وهـي أن الهنـد بـدأت تعـدل مـن اسـتراتيجياتها الحدوديـة، فقـد غـيرت مـن "سياسـة النعامـة" التـي كانـت ترفـض أيـة محادثـات مـع الصـين حـول القضيـة الحدوديـة، الأمـر الـذي مهـد لتعديـل اسـتراتيجيات التفاعـل الصينـي الهنـدي في المناطـق الحدوديـة وتحسـين العلاقـات بـين البلديـن في المرحلـة التاليـة.

1- Kenneth Conboy and James Morrison, The CIA's Secret War in Tibet, (Lawrence: University Press of Kansas, 2002), pp.26 -28, 66-80, 89-91; A.Tom Grunfeld, The Making of Modern Tibet (New York: M.E. Sharpe Inc., 1996), pp. 151-165.

المخطط 5: المرحلة الثانية من اللعبة (بداية عام -1959 نهاية عام 1952)

بخلاف ما قبل تسعينيات القرن العشرين، تتميز التفاعلات الحدودية الصينية الهندية في الوقت الراهن بآليات محددة، وهذا نتيجة للجهود المشتركة بين الطرفين لتجنب نشوب الاشتباكات بسبب سوء الفهم من الطرفين. وبعد انتهاء المواجهات في وانغ دونغ (المعروفة في الهند بأزمة وادي سانغ دولو) التي بلغ فيها حجم القوات من الطرفين مائتي ألف جندي، استأنفت الصين والهند الحوار والمحادثات حول العديد من المجالات(). واستجابت الهند لاستراتيجيات الصين التي طالما دعت إلى المحادثات لحل النزاعات الحدودية، كما بدأت التفاعلات بين البلدين في المناطق الحدودية تتقيد بسلسلة من الاتفاقيات أو آليات التشاور، ما قد هيأ البيئة لحل النزاعات الحدودية بالوسائل السلمية، والوصول إلى النتيجة (b b) المربحة للطرفين. وتحولت الصين إلى الطرف الدافع في اللعبة، وكانت نقطة الانطلاق هي دعوات الصين للتمسك بالمحادثات والحوار لحل النزاعات الحدودية، وغيرت الهند من سياساتها الرافضة للمحادثات، وتقبلت الاقتراح الصيني للحوار، ليدخل البلدان في مرحلة من المحادثات الحدودية، وكانت أولى النتائج هي تنظيم ووضع قواعد للتفاعل بين الطرفين في المناطق الحدودية. ولكن في ظل المرحلة الحالية وحتى المراحل المستقبلية المتوسطة وطويلة الأمد، لن تستطيع اللعبة الديناميكية الحالية التي تتميز بخصائص التوازن الترابطي سوى دفع "تعديل الوضع الراهن"، أي الوصول إلى التعايش بين التسليح والسلم (كما هو موضح في المخطط 6)، مما يصعب توصل الصين والهند إلى اتفاقية حدودية يقبلها الطرفان. وتعود أسباب ذلك إلى الآتي:



المخطط 6: اللعبة الحدودية بين الصين والهند في المرحلة الحالية

أولًا: حكمت التجربة التاريخية والأوضاع الراهنة المعقدة على المحادثات الحدودية بين الصين والهند بأن تكون عملية مطولة. فتُعد "اتفاقية المبادئ التوجيهية السياسية بشأن حل القضية الحدودية"[1] الموقعة عام 2005 ما هي إلا خطوة أولى، وتعد الأسهل من "الخطوات الثلاث" لحل النزاعات الحدودية، فالخطوة الثانية هي الأصعب، حيث تتعلق بالعديد من التفاصيل الخاصة بـ"اتفاقية أطر حل القضية الحدودية"، التي تتطلب دون أدنى شك حوارًا ومشاورات طويلة الأمد. وبالإضافة إلى ذلك، لا يزال "خط السيطرة الفعلية" ما هو إلا مفهوم فقط، حيث لم تتوصل الصين والهند إلى تفاهمات مشتركة حيال هذا الخط، وفي الواقع هناك بعض المناطق التي تفتقر إلى خط سيطرة واضح؛ وبالتالي فإنه من الحتمي أن تكون هناك مواجهات واحتكاكات بين الصين والهند على الحدود. ومن ثم فإن من المهم للغاية تطبيق خط سيطرة فعلية معترف به من قبل الطرفين.

ثانيًا: هناك اختلافات كبيرة بين البلدين فيما يتعلق بنطاق "الأراضي المتنازع عليها"،

1- تتضمن الاتفاقية 11 نقطة مبدئية تشمل الآتي: عدم استخدام الطرفين القوة أو التهديد بالقوة، تجنبًا لأن تمتد النزاعات الحدودية إلى مجالات أخرى من العلاقات الثنائية. يتطلب تقسيم الحدود الأخذ في الاعتبار الحقائق التاريخية للطرفين، والمشاعر القومية، والصعوبات الفعلية، والمصالح المشروعة، وحساسية الأوضاع، والوضع الراهن على الحدود. ينبغي على الطرفين أن يحترما خط السيطرة الفعلية، ويعملا معًا على حماية السلم والاستقرار في المناطق الحدودية قبل التوصل إلى اتفاقيات حدودية نهائية.

فعلى سبيل المثال تقدم الهند مقترحات حول مسألة تعيين الحدود بين شينجيانغ وكشمير[1]، ولكن لا تقبل الصين أية مقترحات في هذا الشأن. كما أن هناك تباينًا كبيرًا في مواقف الطرفين فيما يتعلق بمسألة تعديل أو استبدال بعض الأراضي: حيث ترفض الهند تعديل أو استبدال الأماكن المأهولة بالسكان، وتمثل منطقة دا وانغ الواقعة تحت السيطرة الهندية أهمية كبيرة بالنسبة للصين نظرًا لولادة الدالاي لاما السادس تسانغيانغ غياتسو بها. تقليص ومعالجة هذه الخلافات يتطلب الابتكار والشجاعة والصبر والحكمة.

ثالثًا: تُعد قدرة البلدين على السيطرة الفعالة على القضية الحدودية بما لا يؤثر على مجالات التعاون الأخرى سيفًا ذا حدين. فمن ناحية تُعد حصانة للعلاقات الصينية الهندية ضد النزاعات الحدودية، ومن ناحية أخرى تقلل إلى حد كبير من إلحاح حل النزاعات الحدودية.

رابعًا: في ظل انعدام الثقة بين البلدين، لم تعد القضية الحدودية بين الصين والهند تنحصر في النطاق السياسي فحسب، بل ينبغي أن تأخذ أية اتفاقيات حدودية في الاعتبار مدى قبول شعبي البلدين لها، وخاصة أن للنزعة الشعبوية تأثيرًا على المحادثات والتفاعلات الحدودية، ما يرتبط بشرعية الحكومات ويتطلب الحرص من الطرفين.

خامسًا: تُعد الصين والهند دولتين كبيرتين ناهضتين بصورة سريعة؛ وبالتالي فإن الحفاظ على بيئة داخلية وخارجية سلمية ومستقرة وتحقيق أهداف التنمية، يمثل الأولوية الكبرى بالنسبة لهما مقارنة بحل الأزمات أو السيطرة على القضية الحدودية. وبالتالي فإنه في ظل غياب الثقة الكافية واستراتيجية فورية للتسوية وحل النزاعات الحدودية، يُعد الحفاظ على أقل قدر من المواجهة لتحقيق السلم والاستقرار في المناطق الحدودية هو الخيار الواقعي الذي لا مناص منه بالنسبة للطرفين.

1- Francine R. Frankel, "The Breakout of China - India Strategic Rivalry in Asia and the Indian Ocean", Journal of International Affairs, Spring/Summer 2011, Vol. 64, No. 2, p 3.

الخاتمة

على الرغم من ارتفاع حجم التجارة الثنائية بين الصين والهند ارتفاعًا كبيرًا في السنوات الأخيرة، ووجود آليات للاتصال، وتفاعلات طيبة بين البلدين في جميع المجالات، لا يزال الجانبان يفتقران إلى الثقة المتبادلة، وبالتالي سوف تواجه العلاقات الصينية الهندية التحديات على المدى الطويل. "فهناك علامات مشئومة حول نمو العلاقات في المستقبل، بالإضافة إلى عدم الشفافية في الشئون العسكرية، والضغائن التاريخية العالقة، ونشر المعلومات من مصادر متعددة، كل هذا صعَّد من الأزمة الأمنية بين الصين والهند، وتسبب في تشوهات والتواءات عميقة في النزاعات الحدودية بين البلدين، وظهر هذا بوضوح شديد في نيودلهي[1]. وفيما يتعلق بالتصريحات الحكومية الرسمية، لا يزال الغموض وانعدام الثقة المتبادلة، من الخصائص المهيمنة على مجتمعي البلدين[2]. ولكن لحسن الحظ يُعد موقف الحكومة الهندية أكثر حذرًا وعقلانيةً من الرأي العام ووسائل الإعلام، حيث تحافظ الهند على قنوات للحوار والمشاورات وتبادلات عسكرية بين القيادات العليا وخطط مشتركة للمناورات العسكرية مع الجانب الصيني، لتجنب التأثيرات السلبية الشبيهة بـ"حرب الرأي العام والإعلام" عام 2009، وتجنب تدهور وتصعيد أزمة "مواجهات الخيام" عام 2013.

ولكن نظرًا لوجود اتفاقيات وآليات للحوار والمشاورات تحكم التفاعل في المناطق الحدودية؛ فقد تجاوزت تقديرات الربح والخسارة في "الأراضي المتنازع عليها" نطاقها المعروف، حيث وصلت عوامل الخصم إلى مستوياتها الكافية، كما تصاعدت الخلافات بين

1- Shashank Joshi, "China - India: Awkward Ascent", p. 564.

2- Jonathan Holslag, "Progress, Perceptions and Peace in the Sino - Indian Relationship", East Asia, Vol. 26, No. 1, March 2009, pp. 41 -56; Andrew Shearer and Fergus Hanson, "Not Unpopular in China", The Indian National Interest Review, January 2010. http: //shashankjoshi. Files.wordpress.com/2011/02/sino—indian-relations-pdf.pdf

البلديـن حـول سـيادة الأراضي[1]؛ لذلـك سـتظل اللعبـة الحدوديـة بـين الصـين والهنـد عـلى وضـع التـوازن الترابطـي الحـالي لفـترة طويلـة، أي النـزاع دون التدمـير والمحادثـات دون النتائـج، كـما أنـه يمكـن أن تخفـف الإجـراءات لإدارة الأمـور الحدوديـة مـن القلـق الـذي يسـببه فقـدان الثقـة، ويحـول دون نشـوب الاشـتباكات أو الحـروب غـير المتوقعـة. ولكـن كل هـذا لـن يؤثـر تأثـيراً جوهريًـا عـلى مجـرى المحادثـات الحدوديـة. ولذلـك يمكـن أن تسـتمر حالـة التعايـش بـين التسـليح والسـلم في المناطـق الحدوديـة بأزمـات وحتـى نزاعـات جزئيـة ضعيفـة يمكـن السـيطرة عليهـا، أو أن تتعـرض لضغـوط مـن "التأثـير الامتـدادي" للنزاعـات الحدوديـة[2]. وإذا توسـعنا في العلاقـات الصينيـة الهنديـة بشـكل شـامل، فسـنجد أن التعـاون التنافـسي سـيصبح في ظـل نمـوذج الألعـاب غـير التعاونيـة مـن أهـم الخصائـص التـي تتميـز بهـا العلاقـات الثنائيـة بـين البلديـن.

تم نشر هذه الدراسة في العدد الرابع من "دورية دراسات جنوب آسيا" لعام 2014.

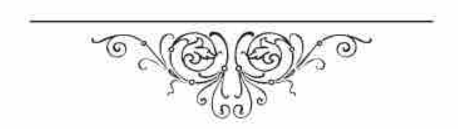
1- أيقن الجانب الهندي أن تباين مفاهيم البلدين حول الحدود قد تسبب في ظهور أحكام حول أعمال "الاحتلال" و"تجاوز الحدود". See "Chinese Incursions due to Different Perception: India", Express India, February 23, 2008. http://www.expressindia.com/latest-news/Chinese- incursions- due - to — different — perception-India/276320/; "Chinese Troops Have not Occupied Indian Territory, Says Armychief", Rediff News, February 23, 2010. http://news.rediff.com/interview/2010/feb/23/indian-territory-not-occupied-by-Chinese- troops. htm

2- في ظل ظروف معينة، تؤثر النزاعات الحدودية في التفاعل الصيني الهندي في المجالات الأخرى، فعلى سبيل المثال طلبت الهند في عام 2009 من بنك التنمية الآسيوي قرضًا بقيمة 2.9 مليار دولار أمريكي لبناء البنية التحتية، من بينها 60 مليون دولار لبناء مرافق للمياه في "أروناجل برديش" داخل "الأراضي المتنازع عليها" بين الصين والهند. وبعد أن تم رفض اقتراح الصين سليم النية (بحذف مشروع مرافق المياه من الخطة)، رفضت الصين القرض، فسحبت الهند خطتها. ومثال آخر الموجة التي أثارتها "التأشيرات المنفصلة" لعام 2011، حيث أوقفت الهند جميع التبادلات العسكرية بشكل مؤقت فيما عدا اللقاءات حول الشئون الحدودية.



العلاقات بين الصين ورابطة جنوب آسيا في ضوء الاستراتيجية الإقليمية الصينية: البناء والتحديات

يانغ سه لينغ



ملخص الدراسة: مع الارتفاع المتزايد للمكانة التي تحتلها منطقة جنوب آسيا داخل الاستراتيجية الإقليمية الصينية، أصبح هناك اهتمام متزايد ببناء علاقات تعاون بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي باعتبارها منظمة إقليمية للتعاون في المنطقة. ويمثل بناء علاقات إقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا أهميةً واضحةً. فمن ناحية، نجد أن معظم دول جنوب آسيا في حاجة إلى بناء علاقات تعاون شاملة مع الصين من خلال منبر إقليمي للتعاون وهو الرابطة. ومن ناحية أخرى، فإن الصين أيضًا على استعداد للمساهمة في بناء علاقات إقليمية مع الرابطة، انطلاقًا من حاجتها إلى تحقيق الأمن السياسي والتنمية الاقتصادية. ولكن نظرًا للمشكلات الداخلية في الرابطة والتأثر بالمفاهيم الجيوسياسية الموروثة، فإن بناء علاقات إقليمية بين الصين والرابطة ليس بالأمر اليسير، فهناك العديد من التحديات أمام اختيار السبيل المناسب لبناء هذه العلاقات الإقليمية.

الكلمات المفتاحية: الصين؛ الهند؛ رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي؛ العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي.

الباحث: يانغ سه لينغ، باحث بمعهد دراسات جنوب آسيا التابع للأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية بمقاطعة يونان.

منذ تسعينيات القرن العشرين، بدأت الصين توسع تدريجيًا نطاق وقوة مشاركتها في التعاون الأمني والاقتصادي في المنطقة، كما وضعت سياسات إقليمية شاملة استجابةً للنزعة الإقليمية في المناطق المحيطة[1]. ومن منظور النظرية البنائية، اتخذت الصين من التعاون الاقتصادي وسيلةً أساسيةً للتأسيس لصورة التنمية الصينية السلمية، كما نجحت في بناء علاقات مع بعض الدول المجاورة والمنظمات الإقليمية، مما أتاح لها الفرص لتحقيق التنمية الاقتصادية، وبالتالي يمكن أن نعتبر الصين مشاركًا و"فاعلًا" إيجابيًا في النزعة الإقليمية للعلاقات الدولية. ولكن على الرغم من ارتباط منطقة جنوب آسيا بمصالح الصين السياسية والاقتصادية والأمنية، لا تزال هذه المنطقة حلقةً ضعيفةً

1- سون شويه فنغ، تشن خان شي: "التأثير الاستراتيجي للسياسات الإقليمية الصينية"، "الاقتصاد والسياسة العالمية" 2006، عدد5، ص26.

داخـل الاسـتراتيجية الإقليميـة الصينيـة، خاصـةً وأن الصـين لم تؤسـس أيـة آليـات أو أنمـاط للتعـاون مـع رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي باعتبارهـا منظمـة مهمـة للتعـاون في المنطقـة، مـما قـد حـدّ بشـكل كبـير مـن نطـاق التعـاون بـين الصـين ومنطقـة جنـوب آسـيا. وبالتـالي فإنـه نظـرًا للارتبـاط الوثيـق بـين هـذه المنطقـة والاسـتقرار والتنميـة الصينيـة، تصبـح عمليـة بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي مـن خـلال منـبر للتعـاون وهـو تلـك الرابطـة، واحـدة مـن المشـكلات المهمـة التـي تتطلـب حلـولاً سريعـة في الوقـت الراهـن.

أولًا: مغزى بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي

نظريًّا نجد أن بناء المفاهيم في مجال العلاقات الدولية يتمتع بقدر من النرجسية، حيث يعتبر الفاعلون الدوليون أنفسهم مركزًا للعلاقات الدولية عند بناء علاقات مع غيرهم من الفاعلين. ولكن مع التغير المستمر في الأوضاع الدولية، وخاصةً مع نهضة الفاعلين الدوليين من الدول الأقل نماءً، والارتباط الوثيق بين تنمية العلاقات الجنوبية والشمالية، أصبحت الأنظار تتجه وبشكل متزايد إلى "التوجه العام" في بناء مفاهيم العلاقات الدولية. وانطلاقًا من هذا المنظور، ينبغي عند بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا الأخذ في الاعتبار المصالح الصينية من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب الانتباه إلى اهتمامات الدول الأعضاء في الرابطة. وبالنسبة للجانب الصيني نجد أن مغزى بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا يشمل الجوانب الآتية:

أولًا: هناك العديد من المشكلات الأمنية بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي على طول خط ممر واخان مرورًا بجبال كونلون ووصولًا إلى جبال الهيمالايا. ومما لا شك فيه، تُعد منطقة جنوب آسيا أكثر المناطق المجاورة للصين تعقيدًا من حيث الأوضاع والمشكلات الأمنية، وتشمل هذه المشكلات القضايا الحدودية، والمخدرات، والنزاع على موارد المياه، والقوى الانفصالية، والتطرف الديني، والقضية النووية. وبالتالي فقد تحولت كيفية إدارة وحل هذه القضايا السياسية والأمنية من الاعتبارات الاستراتيجية المهمة أمام الصين لبناء العلاقات الإقليمية بينها ورابطة جنوب آسيا. ولقد حققت الصين والدول الأعضاء في الرابطة إنجازات كبيرة في هذه القضايا بالفعل. فعلى سبيل المثال، على الرغم من أن المحادثات حول القضايا الحدودية بين الصين والهند وبوتان لم تحقق تقدمًا جوهريًّا، إلا أن هذه الدول توصلت إلى تفاهمات مشتركة ومبادئ تدعو إلى الحل السلمي، كما رسّخت الصين والهند سلسلة من آليات التعاون حول النزاع الحدودي والحفاظ على السلم والأمن على المناطق الحدودية. وفيما يتعلق بقضية المخدرات، قامت كل من الصين وباكستان وأفغانستان بعمليات مشتركة للقضاء على المخدرات وأسسوا آليات للحوار الثلاثي. كما قامت الدول الثلاث أيضًا بالتعاون لمواجهة قوى الإرهاب والانفصال

والتطرف الديني. وفيما يتعلق بالنزاعات على موارد المياه، توصلت كل من الصين والهند إلى اتفاقية تعاون تقوم الصين بموجبها بتقديم البيانات الهيدرولوجية حول نهر يارلونغ تسانغبو إلى الهند. وبالتأكيد لا تزال هناك حاجة إلى تعزيز التعاون حول قضايا أمنية أخرى، على سبيل المثال قضية الأمن النووي في جنوب آسيا. فكل من الهند وباكستان دولة نووية، إلا أن الدولتين منعزلتان عن الأنظمة الدولية لمنع انتشار السلاح النووي، بالإضافة إلى ذلك عادة ما تقوم الهند بتطوير سلاحها النووي بهدف مواجهة الصين، مما قد يؤثر بشكل سيئ في أمن المنطقة. وبالتالي فإنه انطلاقًا من هذا المنظور، نجد أن السيطرة على الخلافات الأمنية بين الصين وجنوب آسيا في النطاق الإقليمي، والبحث عن الحل الأمثل لهذه الخلافات، يمثل أهمية حقيقة بالنسبة للطرفين.

ثانيًا: تتميز رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي بمكانة ودور لا غنى عنهما أمام بناء "طريق الحرير البحري". ولقد قام العديد من الباحثين بدراسات حول ما يمثله المحيط الهندي الواقع على "طريق الحرير البحري" من أهمية بالنسبة للصين، وخاصةً دوره المؤثر على الأمن والتنمية الصينية في مجال التجارة والطاقة وتأمين القنوات البحرية. وتتميز بعض الدول الأعضاء في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي مثل بنغلاديش والهند وسيريلانكا وجزر المالديف وباكستان، بمواقع غاية في الأهمية على خط المحيط الهندي من مضيق ملقة حتى البحر الأحمر، وبالتالي فإن المعالجة السلمية لعلاقات التعاون مع هذه الدول تمثل أهمية كبيرة جدًا بالنسبة للصين لحماية مصالحها السياسية والأمنية على المحيط الهندي والدفع ببناء طريق الحرير البحري. ومن هنا يتضح لنا أن بناء وتطوير العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا له دور ومغزى مهم جدًا في حماية أمن القنوات البحرية الصينية.

ثالثًا: تمثل دول جنوب آسيا "قطبًا جديدًا" بالنسبة للنمو الاقتصادي الصيني؛ لما تتميز به هذه الدول من أسواق ضخمة وإمكانات هائلة للنمو الاقتصادي. وعلى الرغم من الإدانات المتكررة حول التنمية في رابطة جنوب آسيا ومناطق التجارة الحرة التابعة لها، فإن منطقة جنوب آسيا تتميز نظريًا بإمكانات هائلة للنمو الاقتصادي. فقد تجاوز إجمالي عدد سكان الدول الثماني في منطقة جنوب آسيا مليارًا وستمائة مليون نسمة، كما أن النمو الاقتصادي والنهضة الهندية السريعة قد أدهشت العالم بأسره. وبالإضافة

إلى ذلك، فإن قدرات الإنتاج والاستهلاك في منطقة جنوب آسيا في زيادة مستمرة. وعلى الرغم من أن توجهات التنمية الاقتصادية في المنطقة قد تراجعت خلال السنوات الأخيرة، إلا أن المنطقة لا تزال تتمتع بالظروف المواتية لتحقيق التنمية الاقتصادية السريعة، على سبيل المثال الموارد تميزها الطبيعية والعمالة الضخمة والرخيصة. ومع ذلك لا يزال هناك إمكانات ضخمة يمكن اكتشافها للتعاون بين الصين ودول جنوب آسيا، فلم يصل حجم التجارة بين الطرفين إلى حاجز المائة مليار دولار بعد، بينما تجاوز حجم التجارة بين الصين واتحاد الآسيان أربعمائة مليار دولار أمريكي. وبالتالي سوف يصبح السعي إلى اكتشاف إمكانات التعاون الاقتصادي والتجاري بين الصين ودول جنوب آسيا من أهم توجهات التعاون الاقتصادي الخارجي للصين في المستقبل، ومما لا شك فيه أن العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا سوف تقدم منبراً جيدًا لهذا التعاون.

رابعًا: تُعد منطقة جنوب آسيا معبراً مهماً للتنمية الصينية في غرب آسيا وإفريقيا وآسيا الوسطى، كما تُعد أيضًا جزءً مهماً في "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير الجديد". ولطالما كانت منطقة جنوب آسيا قناةً تجاريةً مهمةً تصل بين الشرق والغرب، حيث تقع في الساحل الشمالي للمحيط الهندي، وتلتقي إلى الشرق بدول اتحاد الآسيان والصين، وإلى الغرب بآسيا الوسطى، وتلتقي بالقارة الإفريقية شمالاً عبر البحار، وتلتقي من اتجاه الشمال الغربي بمركز موارد الطاقة على مستوى العالم، وهي غرب آسيا. بعبارة أخرى، تتمتع منطقة جنوب آسيا بتميز جغرافي بارز. والجدير بالذكر هنا أن طريق الحرير القديم في جنوب الصين ينطلق من يونان مروراً بميانمار وصولاً إلى آسام أو مانيبور بالهند، ثم مروراً بحوض نهر السند وصولاً أخيراً إلى أفغانستان، ثم التقى هذا الطريق بطريق الحرير لشمال الصين، وبالتالي أصبح يصل شرقًا إلى شيآن. من ثم فإن التعاون بين الصين وجنوب آسيا سوف يوسع من التعاون مع المناطق سالفة الذكر، وسوف يخدم متطلبات بناء "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير الجديد" من خلال بناء العلاقات الإقليمية مع رابطة جنوب آسيا.

وبالنسبة للدول الأعضاء في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، يمثل بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة أهميةً كبيرةً. والجدير بالذكر هنا أن العديد من الدول الأعضاء في الرابطة قد اهتمت خلال السنوات الأخيرة ببناء هوية للصين في المنطقة، وفي

ظل الجهود المشتركة بين الصين والدول الأعضاء، أصبحت الصين عضوًا مراقبًا في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي. ولكن تعجز هذه العضوية عن تلبية احتياجات التنمية والتعاون بين الدول الأعضاء والصين، وعلى هذا الأساس أبدت بعض الدول الأعضاء أملها في أن تصبح الصين دولة عضوًا وعقدت المناقشات حيال هذا الأمر[1]. ويعكس سعي الدول الأعضاء الإيجابي لبناء علاقات مع الصين مدى انتباههم إلى المغزى المهم لبناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة بالنسبة لهم، وسوف نلخص ذلك في الجوانب التالية:

أولًا: إن نجاح بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا يخدم تطور الرابطة نفسها. ولكن نظرًا لسوء الأوضاع السياسية والاقتصادية، تتعرض الرابطة لانتقادات واسعة من العالم الخارجي[2]، ولا تحظى إنجازاتها في المنطقة بأي اهتمام. ودليل واضح على ذلك هو أنه في عصرنا الحالي الذي يشهد تطورًا مستمرًّا لـ"النزعة الإقليمية الجديدة"، لاحظنا أنه لم تقم أية دولة كبرى أو منظمة ببناء أي شكل من مناطق التجارة الحرة مع رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، بل في الحقيقة تتجاهل بعض الدول الكبرى والمنظمات الإقليمية تواجد الرابطة. وانطلاقًا من هذا المفهوم، فإن بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة يلعب دورًا إيجابيًّا في تحسين مكانة الرابطة. ويرى الدكتور أشفاق خان، الأستاذ بجامعة باكستان الوطنية للعلوم والتكنولوجيا، أنه في حالة انضمام الصين إلى رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، سوف تحظى الرابطة بمزيد من الاحترام والاهتمام من المنظمات الإقليمية الأخرى[3]. ويعتقد الدكتور تشينتاماني ماهاباترا، الأستاذ بجامعة جواهر لال نهرو الهندية، أنه إذا تمت دعوة الصين للانضمام إلى رابطة جنوب آسيا، وكانت بكين أيضًا على الاستعداد لذلك، فسوف تتغير الملامح السياسية والاقتصادية للرابطة في المجتمع الدولي بشكل تام. فستنال هذه

1- Abiderda Md. Abdujjaher: "China as a SAARC Member: A Debate", http: //www.academia. edu /1855572 /china -as-a-SAARC-Member - A - Debate.

2- Shahab Zahid Ahmed and Stuti Bhatnagar, SAARC and Interstate Conflicts in South Asia: Prospects and Challenges for Regionalism, Pakistan Horizon, Volume 61, Number3, July 2005, p. 73.

3- Dr Ashfaque H Khan, "China and SAARC" Dec. 20, 2011, http://www.thenews.com. pk/TodaysPrintD etail.aspx? ID=83089&Cat=9.

الرابطـة الاحـترام نظـرًا لأنهـا تضـم أسرع كيانـين اقتصاديـين نمـوًا عـلى مسـتوى العـالم (أي الصـين والهنـد)، ولـن تصبـح أكـبر سـوق في العـالم فحسـب، بـل سـتتحول إلى كيـان قـوي يلعـب دورًا كبـيرًا في صناعـة القـرارات عـلى مسـتوى العـالم؛ نظـرًا لأنهـا تضـم ثـلاث دول تمتلـك السـلاح النـووي. وقـد أشـار الدكتـور تشـينتاماني ماهاباتـرا إلى أنـه لا يجـب اعتبـار الصـين دولـة كـبرى خـارج النطـاق الإقليمـي؛ لأن حدودهـا تتشـارك مـع سـبع دول مـن الـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا. ويعتقـد أيضًـا أنـه إذا دعمـت الهنـد الصـين لتصبـح دولـة عضـوًا في الرابطـة، فـإن هـذا يمكـن أن يخفـف مـن انعـدام الثقـة بـين البلديـن. وبالتـالي، إذا أصبحـت الصـين جـزءًا مـن الرابطـة، فسـوف تفشـل محـاولات الـدول المجـاورة لاسـتغلال الصـين ورقـة لمواجهـة الهنـد[1]. وفي الحقيقـة، إذا اسـتطاعت الصـين والرابطـة بنـاء العلاقـات الإقليميـة فيـما بينهـما، سـوف تسـتفيد الرابطـة بـلا شـك كثـيرًا مـن تجربـة التنميـة الصينيـة، وإذا كانـت الهنـد عـلى اسـتعداد لتقبـل الصـين داخـل إطـار الرابطـة، فسـوف تتخلـص الرابطـة مـن حالـة "الفشـل" المخجلـة، وتصبـح أحـد أقطـاب القـوة في المنطقـة، وتحظـى بالاعـتراف والتقديـر مـن قبـل العـالم الخارجـي.

ثانيًـا: يمثـل بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي أهميـةً كبـيرةً في تعزيـز المصالـح الاقتصاديـة للـدول الأعضـاء في الرابطـة. فعـلى المسـتوى الاقتصـادي، كانـت نتائـج التنميـة في رابطـة جنـوب آسـيا عـلى مـدار الثلاثـين عامًـا الماضيـة مخيبـةً للآمـال. وعـلى الرغـم مـن أن الرابطـة تمتلـك 22% مـن إجـمالي عـدد سـكان العـالم، و3.6% من إجـمالي مسـاحة الأرض، إلا أن إجـمالي الناتـج المحـلي للرابطـة يحتـل 2.5% فقـط مـن إجـمالي الناتـج العالمـي. كـما أن متوسـط دخـل الفـرد في دول الرابطـة لا يبلـغ 1000 دولار أمريـكي، أي لا يـزال في مسـتوى الأجور المتدنيـة. بالإضافة إلى ذلـك، يعـود 80% مـن إجـمالي الناتـج المحـلي للرابطـة إلى الهنـد، و10% لباكسـتان، و7% لبنغلاديـش، وتحتـل باقـي دول جنـوب آسـيا 3%[2]. وعـلى المسـتوى الأمنـي والسـياسي، تفتقـر الـدول الأعضـاء إلى الثقـة المتبادلـة، وتهتـم بشـكل أكـبر بتعزيـز علاقـات تجاريـة واسـتثمارية مـع دول خـارج المنطقـة،

1- Chintamani Mahapatra, “China in SAARC? To what Effect?: A Response”, Strategic Analysis, Vol. 35, No. 3, May 2011, pp.511 - 5 1 3 .

2- Dr Ashfaque H Khan , “China and SAARC”, Dec. 20 , 2011 , http :/ /www.thenews.com. pk/TodaysPrintD etail. aspx? ID=83089&Cat=9.

كـما تعـاني مـن التعريفـات الجمركيـة والحواجـز غـير الجمركيـة وغيرهـا مـن المشـكلات، التـي تُعتـبر الأسـباب الرئيسـية لتباطـؤ التنميـة في رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي خـلال أكـثر مـن عشريـن عامًـا ماضيـة[1]. وعـلى مـدار سـنوات عديـدة، ظـل حجـم الصـادرات مـن الهنـد إلى دول جنـوب آسـيا يحتـل 5% فقـط مـن إجـمالي حجـم التجـارة الخارجيـة في المنطقـة[2]. ولكـن في حالـة نجـاح العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين والرابطـة، سـوف يرتفـع إجـمالي عـدد السـكان في الصـين ودول الرابطـة ليقـترب مـن ثلاثـة مليـارات نسـمة، أي 40% مـن إجـمالي عـدد سـكان العـالم. وتُعتـبر الصـين ثـاني أكـبر كيـان اقتصـادي وأكـبر سـوق مسـتهلك عـلى مسـتوى العـالم، ويتجـاوز إجمالي عـدد سـكانها 1.3 مليار نسـمة، كـما أن القـدرة الاسـتهلاكية لهـذا الشـعب الكبـير في ارتفـاع مسـتمر. وعـلى هـذا الأسـاس، يعتقـد الباحثـون الباكسـتانيون أنـه إذا انضمـت الصـين إلى رابطة جنوب آسـيا للتعاون الإقليمي، فسـوف ترتفع مكانـة الرابطـة الاقتصاديـة في المجتمـع الـدولي، وبمـا أن الصـين تمكنـت مـن فـرض ضغـوط هائلـة عـلى منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ خـلال الركـود الاقتصـادي الـذي شـهده العـالم في عـام 2008؛ فبإمكانهـا بالتأكيـد أن تحقـق الفائـدة لمنطقـة جنـوب آسـيا الفقـيرة[3]. وبحسـب السـيد كـول حنيـف، الباحـث بمعهـد دراسـات السياسـات العامـة الباكسـتاني بإسـلام آبـاد، تمثـل التنميـة الاقتصاديـة الصينيـة أهميـة كبـيرة بالنسـبة لرابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي. فقـد لاحـظ أنـه في الفـترة بـين عـام 1979 و2011 وصـل متوسـط النمـو السـنوي لإجـمالي الناتـج المحـلي الصينـي 10%، وحقـق الاقتصـاد الصينـي نمـوًا يقـدّر بثلاثـة عـشر ضعفًـا، وتخلـص مئـات الآلاف مـن الصينيـين مـن حالـة الفقـر المدقـع. وتُعتـبر الصـين اليـوم أكـبر دولـة مصـدرة عـلى مسـتوى العـالم، وثـاني أكـبر دولة مسـتوردة ومسـتقبلة للاسـتثمار الأجنبـي المبـاشر، وكـما تُعـد أكـبر دولـة لديهـا احتياطـي مـن العملـة الأجنبيـة. ولذلـك فـإذا اقتنعـت رابطـة جنـوب آسـيا الفرصـة التاريخيـة السـانحة، وأيدت الصـين لتصبح دولـة عضوًا في الرابطة، فسـوف تحصـل الرابطـة عـلى مكاسـب سياسـية واقتصاديـة ضخمـة[4]. كـما أشـار الباحـث كـول حنيـف، فإنـه

1- Dr Ashfaque H Khan, "China and SAARC", Dec. 20, 2011.

2- Bikky Khosla, "SAARC region: Land of untapped opportunities", July 9, 2013, http:// www.smetimes.in/smetimes/editorial/2013/Jul/09/saarc-region-land-untapped- opportunities81261.html. Dr Ashfaque H Khan, "China and SAARC" , Dec. 20, 2011.

3- Dr Ashfaque H Khan, "China and SAARC", Dec. 20, 2011.

4- Col M Hanif (R), "China should he in SAARC", May 12, 2012, http:/ /pakobserver.net/detailnews.asp?id = 154901.

بما أن الصين تتمتع بموارد مالية ضخمة ولديها متخصصون تكنولوجيون، فبالتالي يمكنها الاستثمار في جنوب آسيا، ذلك الكيان الاقتصادي الذي يفتقر إلى الموارد ولكن يتمتع بالنشاط الكبير. وعلى الرغم من أن الصين قد أسست علاقات تجارية مع العديد من دول جنوب آسيا، لكن إن أصبحت الصين عضوًا في الرابطة، سوف تتجه إجراءات صناعة القرارات في الرابطة إلى المسار الصحيح، كما سوف يؤثر ذلك بشكل كبير ويلعب دورًا مهمًّا في تحقيق التنمية الاقتصادية والتكامل للرابطة. وبالتالي، إن انضمت الصين إلى الرابطة، سوف تصبح جزءًا من منطقة التجارة الحرة في جنوب آسيا، وسوف يتضاعف حجم التجارة بينها وجميع دول المنطقة عدة أضعاف. كما سوف تجذب دول جنوب آسيا استثمارات ضخمة من الصين، خاصةً في مجالات البنية التحتية، والزراعة، والصناعة، والعقارات، وتصنيع الآلات، والمجال المالي. وسوف تساهم الاستثمارات الصينية الواسعة في حل مشكلة العجز المالي لدى دول جنوب آسيا في المجالات السالفة الذكر، كما سوف تضع الحلول لمشكلة البطالة، وتحد من الفقر، وتحسن من مستوى معيشة شعوب منطقة جنوب آسيا[1].

ثالثًا: سيساعد بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا على إعادة بناء الأنظمة الإقليمية في المنطقة. ويأمل عدد كبير من الدول الأعضاء في الرابطة بناء العلاقات الإقليمية مع الصين من خلال انضمامها للرابطة؛ لأن هذا سوف يساعد على إعادة بناء الأنظمة الإقليمية في منطقة جنوب آسيا، ولعلنا نجد أن رأي الباحث كول حنيف من أهم الآراء في هذا الشأن، حيث يرى أنه إذا أصبحت الصين دولة عضوًا في رابطة جنوب آسيا، سوف يكون لها دور مهم في البيئة والأنظمة الإقليمية. فيمكن أن تتعلم دول جنوب آسيا كيفية حل النزاعات الثنائية عن طريق الحوار، وتطوير علاقات الصداقة والتعاون السياسي والاقتصادي استفادةً من الاستراتيجيات الصينية لتحقيق النهضة والتنمية السلمية. وعندما تصبح كل من الصين والهند دولًا أعضاء في الرابطة، سوف يصبح المناخ السياسي مناخًا منسجمًا، كما سوف تدعم الصين حل المشكلات الثنائية بين دول جنوب آسيا، على سبيل المثال قضية كشمير. كما أن انضمام الصين لمنتدى رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي سوف يساعد على تحسين العلاقات الصينية الهندية والهندية

1- Col M Hanif (R), “China should be in SAARC”, May 12, 2012.

الباكستانية، كما سوف يساعد على تخفيف قلق بعض دول جنوب آسيا الصغيرة حيال محاولات الهند نحو قيادة المنطقة. ويمثل هذا أيضًا مغزى إيجابيًا بالنسبة للهند؛ لأن التبادلات المتكررة مع منتدى رابطة جنوب آسيا، بما في ذلك الصين، سوف يساعد على التوصل إلى تفاهمات مشتركة وتعميق التكامل الاقتصادي، وتهيئة الظروف المناسبة لحل القضايا الحدودية بين الصين والهند. وبالإضافة إلى ذلك، سوف يساعد على إعادة إرساء السلم في أفغانستان. وفوق هذا، إذا أصبحت الصين دولة عضوًا في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، من الممكن أن يعزز هذا من مكانة الرابطة في المجتمع الدولي، كما يمكن أن تساعد الصين دول جنوب آسيا للحصول على دعم مادي من الأنظمة المالية الدولية. وانضمام الصين للرابطة سوف يساعد بشكل كبير على تنمية العلاقات السياسية والاقتصادية في منظمة شنغهاي للتعاون، كما أن قدرات الصين الاستثمارية سوف تساعد دول جنوب آسيا على بناء الطرق السريعة، والشبكات الكهربائية، وبناء أنابيب للنفط والغاز من آسيا الوسطى حتى جنوب آسيا، ما يعني أن الصين سوف تصبح جزءًا مهمًا في طريق الحرير الأمريكي الجديد[1].

تلخيصًا لما سبق، فإنه ليس هناك تناقض في مفهوم بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا بالنسبة للطرفين، فعلى المستوى السياسي والأمني، نجد أن الصين ورابطة جنوب آسيا في حاجة إلى منبر إقليمي يتمتع بأنظمة سليمة ويقوم بمعالجة والسيطرة على القضايا ذات الصلة، فمعالجة الخلافات وتجنب الاحتكاكات مطالب متفق عليها عند جميع الأطراف. وعلى مستوى المصالح الاقتصادية، ربما يحفز انضمام الصين طاقة النمو الاقتصادي في منطقة جنوب آسيا، كما أن تميز الصين في مجال الاستثمارات والتكنولوجيا والأسواق وغيرها من المجالات قد يمنح الأمل لأعضاء رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي. باختصار، نجد أن المصالح المشتركة بين الصين والرابطة، قد هيأت الظروف لبناء العلاقات الإقليمية، وقد أتاحت أيضًا إمكانات لنجاحها.

1- Col M Hanif (R) , “China should be in SAARC”, May 12 , 2012.

ثانيًا: جهود الصين لبناء العلاقات الإقليمية مع رابطة جنوب آسيا

بحسب النظرية البنائية عند أليكساندر وندت، فإن هوية الدولة ومصالحها ليست عناصر مسبقة، وإنما هي نتيجة للتفاعل بين الدول[1]. ويعتقد وندت أن الدولة هي فاعل له إرادة ووعي ذاتي، أي أن "الدولة إنسان"، وهي رؤية تؤثر على جوهر العلاقات الدولية[2]، وشريطة مهمة تضمن للدولة بناء أنظمتها الإقليمية. ويؤكد وندت أن النظرية الشمولية في النظرية البنائية، تشدد من حيث المنهجية على دور الجماعة على الفرد، وفي مجال العلاقات الدولية، تعكس دور الهياكل والأنظمة الدولية على الدول[3]. وانطلاقًا من هذا المفهوم، يمكننا تأمل مغزى رابطة جنوب آسيا بالنسبة للصين، وبناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة طبقًا لمفهوم المصلحة. وبالتأكيد، مع التغير المستمر في ممارسات الأنظمة الدولية، ليس بالضرورة أن تستطيع النظرية البنائية عند وندت تفسير بعض الظواهر الجديدة التي تظهر في النزعة الإقليمية تفسيرًا شاملًا. وطبقًا للأنطولوجيا البنائية عند وندت، فإن القوة المادية مهمة بلا شك، والإنسان فاعل له إرادة بطبيعته، ولكن يعتمد مفهوم القوة المادية والإرادة الإنسانية بدرجة كبيرة على بعض المفاهيم المشتركة[4]. وإذا تناولنا رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي من هذا المنظور، فسنجد أن من الصعب جدًّا أن تفسر لنا النظرية البنائية عند وندت ظروف تطور هذه الرابطة؛ لأنه صحيح تتمتع الرابطة بعناصر ثقافية[5]، ولكن هناك اختلافات هائلة على مستوى السلطة والمصالح، ما يصعّب على الرابطة تحقيق النتائج المتوقعة. وانطلاقًا من

1- (مرجع أمريكي) أليكساندر وندت: "النظريات الاجتماعية في السياسة الدولية"، ترجمة تشين يا تشينغ، دار نشر الشعب بشنغهاي، 2008، ص4.

2- المصدر السابق، ص194.

3- المصدر السابق، ص17.

4- المصدر السابق، ص 193.

5- تختلف الآراء حول هذه القضية؛ فطبقًا لآراء بعض الباحثين، إن الديانة الهندوسية والإسلامية ثقافتان مختلفتان تمامًا، حتى إن بعض الباحثين يعتقدون أن المسلمين من الهنود أشخاص أجانب. ولكن طبقًا لباحثين آخرين، فإن معظم المسلمين في الهند هنود غيروا ملتهم، وعلى الرغم من أنهم يدينون بالديانة الإسلامية إلا أنهم يحتفظون بأساليب الحياة الهندية. انظر: تشيو يونغ خوي: "لمحة عامة عن الديانة الهندوسية"، بكين، دار نشر العلوم الاجتماعية، 2012.

هـذا المنظـور، يمكـن أن تسـهل الثقافـة مـن تطـور النزعـة الإقليميـة، ولكـن لا يجـب اعتبـار الثقافـات (باختلافهـا) معوقًـا أمـام بنـاء العلاقـات الإقليميـة، فطبقًـا لعلـم الاجتـماع، يمكننـا بنـاء علاقـات صداقـة مـع الشـعوب الأجنبيـة رغـم اختـلاف الخلفيـات الثقافيـة. ونلاحـظ مـن تطبيقـات النزعـة الإقليميـة منـذ بدايـة القـرن الجديـد أن المصالـح والمفاهيـم المشـتركة قـد أصبحـت أساسًـا مهـمًا لبنـاء العلاقـات الإقليميـة وأنظمتهـا، وليسـت لهـا علاقـات واضحـة بالثقافـات والأنظمـة السياسـية. ولكـن فيـما يتعلـق ببنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا، عـادةً مـا يعتـبر بعـض الباحثـين مـن الـدول الأعضـاء في الرابطـة (الهنـد بشـكل أسـاسي) الثقافـة والأنظمـة السياسـية أعـذارًا لإقصـاء جهـود الصـين ومـا تلعبـه مـن أدوار.

ونحـن هنـا لا ننـوي الجـدال حـول مـا هـو المهـم في الأنطولوجيـا البنائيـة عند ونـدت، وإنمـا الهدف مـن تقديـم الأنطولوجيـا البنائيـة هـو الوصـول إلى إطـار تحليـلي يناقـش بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا. فـما هـي الجوانـب التـي قامـت الصـين ببنائهـا لأجـل تطويـر العلاقـات الإقليميـة مـع رابطـة جنـوب آسـيا؟ يمكننـا إجـمال ذلـك في الجوانـب التاليـة:

أولًا: بنـاء اتصـالات تاريخيـة وثقافيـة بـين الصـين ومنطقـة جنـوب آسـيا. فمنـذ تأسـيس جمهوريـة الصـين الشـعبية، حمـل فريـق مـن الباحثـين، عـلى رأسـه جـي شـيان لـين، عـلى عاتقهـم مهمـة تسـجيل تاريـخ التبـادلات الثقافيـة بـين الصـين والهنـد، ولا شـك أن هـذه الكتابـات قـد أعـادت الاتصـالات التاريخيـة والثقافيـة بـين البلديـن. وطبقًـا للنظريـة البنائيـة عنـد ونـدت، فقـد سـاهم ذلـك في بنـاء اتصـالات "معرفيـة موضوعيـة" بـين الصـين وشـبه القـارة الهنديـة. وتوضـح نتائـج النظريـة البنائيـة أنـه عـلى الرغـم مـن أن الصـين ومنطقـة جنـوب آسـيا تتبعـان منظومتـين مختلفتـين عـلى المسـتوى الثقـافي، إلا أن هاتـين الثقافتـين تتمتعـان بتبـادلات وثيقـة وعلاقـات مؤثـرة منـذ عـصر أسرة تشـين خـان الصينيـة. وبالتـالي فـإن بنـاء هـذه التبـادلات الثقافيـة والتاريخيـة يمثـل مغـزى واضحًـا لدفـع العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا؛ لمـا تخلقـه مـن منـاخ طيـب وأسـس ثقافيـة تدفـع ببنـاء هـذه العلاقـات. واسـتنادًا إلى هـذا التواصـل الثقـافي، قـام الباحثـون الهنـود بوضـع المفهـوم الإقليمـي (Chindia)، أي الكيـان الصينـي الهنـدي، بالتـالي إذا اسـترجعنا المفهـوم الجغـرافي التقليـدي للهنـد مـا قبـل الاسـتقلال، يصبـح "الكيـان الصينـي الهنـدي" (Chindia) قريبًـا جـدًا مـن النزعـة الإقليميـة

التي ندعو إلى بنائها بين الصين ورابطة جنوب آسيا.

ثانيًـا: بنـاء المصالـح "العامـة". لقـد تجنبنـا هنـا اسـتخدام مفهـوم المصالـح "المشـتركة"، ولجأنـا إلى مفهـوم المصالـح "العامـة" الـذي يُعـد مناسـبًا أكـثر للتعبـير عـن مواطـن تشـابه مصالـح جميـع الأطـراف في ظـل بنـاء العلاقـات الإقليميـة؛ لأن المصالـح مختلفـة بطبعهـا، ولذلـك فـإن اسـتخدام تعبـير مصالـح مشـتركة قـد يسـتبعد مـا يمكـن التوصـل إليـه مـن خـلال التسـوية أو التعـاون. وفيـما يتعلـق ببنـاء هـذه المصالـح "العامـة"، بذلـت الصـين جهـودًا كبـيرةً لبنـاء علاقـات تعـاون سياسـية وأمنيـة واقتصاديـة مـع دول جنـوب آسـيا. فعـلى المسـتوى السـياسي والأمنـي، حققـت الصـين نتائـج واضحـة مـع دول جنـوب آسـيا، فلـم تكتـفِ بحـل المشـكلات الحدوديـة مـع أفغانسـتان وباكسـتان ونيبـال وغيرهـا مـن الـدول فحسـب، بـل قامـت أيضًـا ببنـاء سلسـلة أنظمـة للتعـاون الثنـائي ووضعـت مبـادئ الحـل السـلمي لحـل المشـكلات الحدوديـة القائمـة مـع الهنـد وبوتـان. كـما قامـت أيضًـا ببنـاء آليـات مشـتركة للقضـاء عـلى بعـض المشـكلات الأمنيـة الأخـرى، عـلى سـبيل المثـال قضيتـا المخـدرات والإرهـاب. وعـلى مستوى التعـاون الاقتصـادي، نجحـت الصـين في بنـاء علاقـات اقتصاديـة ثنائيـة مـع الـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي، كـما أصبحـت الصـين أكـبر شريـك تجـاري لمعظـم هـذه الـدول، وحقـق حجـم التجـارة بـين الطرفـين نمـوًا سريعًـا، والجديـر بالذكـر أيضًـا أن الصـين قـد حققـت إنجـازات واضحـة في بنـاء أنظمـة للتعـاون الاقتصـادي الإقليمـي مـع دول جنـوب آسـيا، وينعكـس هـذا في منطقـة التجـارة الحـرة بـين الصـين والهنـد الجـاري تأسيسـها، وينعكـس أيضًـا في منطقـة التجـارة الحـرة التـي تـم إنشـاؤها مـع باكسـتان. ولم تضـع هـذه المسـاعي حجـر الأسـاس لبنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا فحسـب، بـل وفـرت أيضًـا الخـبرات لإنجـاز ذلـك.

ثالثًـا: بنـاء القواعـد والمبـادئ الدوليـة في ظـل المفاهيـم العامـة. ولقـد حققـت الصـين والـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا إنجـازات بـارزة في هـذا المجـال. فمـن ناحيـة، أسسـت الصـين مـع الـدول الأعضـاء مفاهيـم عامـةً حـول القضايـا الإقليميـة والعالميـة. عـلى سـبيل المثـال قـام الطرفـان بالدعـوة إلى الحفـاظ عـلى السـلم الإقليمـي والعالمـي، وبنـاء أنظمـة سياسـية واقتصاديـة جديـدة، وإصـلاح الأمـم المتحـدة، ونـزع السـلاح، وغيرهـا مـن القضايـا مـن خـلال بيانـات مشـتركة أو أشـكال أخـرى مـن المسـتندات. ومـن الناحيـة الأخـرى، فـإن المبـادئ الخمسـة

للتعايـش السـلمي التـي أسسـتها الصـين مـع الهنـد (كدولـة مـن دول جنـوب آسـيا) وميانمـار (كدولـة مـن دول جنـوب شرق آسـيا) قـد حظيـت باعـتراف واسـع مـن المجتمـع الـدولي، مـا قـد أثـرى وطـوّر مـن المبـادئ الأساسـية في القوانـين الدوليـة، ووضـع حجـر الأسـاس الفكـري لبنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا، حتـى أصبـح تطويـر العلاقـات الإقليميـة يلتـزم بـ"المبـادئ الخمسـة للتعايـش السـلمي".

وفي ضـوء مـا سـبق، يتضـح أن الصـين قـد قامـت بالدفـع المسـتمر والإيجـابي لبنـاء علاقـات مـع دول جنـوب آسـيا منـذ تأسـيس الصـين الجديـدة. ولكـن إذا نظرنـا نظـرةً موضوعيـة، فسـنجد أن جميـع المسـاعي سـالفة الذكـر تمـت بـين الصـين ودول جنـوب آسـيا، وكانـت معظمهـا ثنائيـة قبـل تسـعينيات القـرن العشريـن، وعـلى الرغـم مـن أنهـا قـد دفعـت تطـور العلاقـات الثنائيـة بـين الصـين ودول جنـوب آسـيا بشـكل كبـير، لكـن تظـل هـذه المسـاعي غـير متوافقـة مـع النزعـة الإقليميـة التـي تحتاجهـا هـذه الـدول والصـين. وفي ظـل الدفـع المسـتمر للتعـاون الإقليمـي بـين الصـين ودول جنـوب آسـيا اليـوم، يصبـح البحـث في كيفيـة بنـاء علاقـات بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا، وتحديـد هويـة الصـين أمـام هـذه الرابطـة، مـن القضايـا التـي يجـب وضـع الحلـول المناسـبة لهـا لبنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الجانبـين.

منـذ بدايـة القـرن الحـادي والعشريـن، بذلـت الصـين جهـودًا هائلة في ظل إطـار رابطة جنوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي. وفي خـلال القمـة الرابعـة عـشرة للرابطـة عـام 2007، تم قبـول الصين كدولـة مراقبة بتأييـد مـن نيبـال وبنغلاديـش وباكسـتان. وعـلى الرغـم مـن أن الهنـد كانـت ترفـض ذلـك في البدايـة، لكـن نظـرًا إلى رغبتهـا في انضـمام أفغانسـتان عضـوًا رسـميًّا اضطـرت للتنـازل. ولكـن وفي الوقت نفسـه، دعـت نيودلهـي سريعًـا كتدبـير مضـاد إلى جعـل كل مـن الولايـات المتحـدة وأسـتراليا واليابـان أعضـاء مراقبـين أيضًـا في الرابطـة[1]. الأمـر الـذي حظي باهتـمام كبير من الحكومـة الصينية في ذلـك العام، حيث أرسـلت وفـدًا عـلى رأسـه وزيـر الخارجيـة لي جـاو شـينغ للمشـاركة في أعـمال القمـة. وفي طريقـه إلى باكسـتان، صرح لي جـاو شـينغ بـأن رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي هـي أفضـل آليـات التعاون. وخـلال القمـة، طـرح ضرورة فتـح مجـالات للتعـاون داخـل إطـار الرابطـة. ولكن مـع الأسـف لم تتحقق

1- Ann Online "China for 'SAARC Plus One' summit", Nov.12, 2011, http://archive.thedailystar.net/newDesign/news-details,php?nid=209813.

هـذه الأمنيـة حتـى يومنـا هـذا. و خـلال القمـة السادسـة عـشرة للرابطـة عـام 2010، دعـت نيبـال التـي تتمتـع بعلاقـات سياسـية طيبـة مـع الصـين إلى انضـمام الصـين عضـوًا رسـميًّا في الرابطـة[1]. ولقـد حظـي هـذا الطـرح بدعـم العديـد مـن الـدول الأعضـاء، وإن كان قـد دار جـدال عنيـف بـين الباحثـين مـن دول الرابطـة حـول ضرورة جعـل الصـين عضـوًا رسـميًّا[2]. وعـلى الرغـم مـن دعـم العديـد مـن الأعضـاء لذلـك، إلا أن الهنـد اسـتغلت مبـدأ "الموافقـة بالإجـماع" لرفـض ذلـك الطـرح.

وخـلال القمـة السـابعة عـشرة لرابطـة جنـوب آسـيا في عـام 2011، طرحـت الصـين بنـاء آليـة التعـاون "8+1" بـين الصـين والرابطـة، عـلى غـرار نمـوذج التعـاون بـين الصـين واتحـاد الآسـيان، لأن الصـين تعتقـد أنـه مـا دامـت الظـروف غـير مواتيـة لتصبـح عضـوًا رسـميًّا في الرابطـة، فيمكنهـا أن تصبـح شريـكًا للحـوار في بدايـة الأمـر، ولكـن فشـل هـذا الطـرح بسـبب معارضـة الهنـد. وعـلى الجانـب الآخـر، كانـت باقـي الـدول الأعضـاء تـرى أنـه لا يجـب الاكتفـاء بالسـعي إلى مكانـة شريـك للحـوار في الرابطـة فحسـب؛ لأن الشراكـة لا تمنـح حـق التصويـت[3]، ولذلـك يجـب عـلى الصـين أن تصبـح عضـوًا رسـميًّا. وفي عـام 2013، أُعيـد فتـح النقـاش حـول عضويـة الصـين في رابطـة جنـوب آسـيا، وعقـد معهـد بنجلاديـش للدراسـات الدوليـة والاسـتراتيجية (BIISS) نـدوةً في دكا بعنـوان "الفـرص والتحديـات أمـام رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي في القـرن الحـادي والعشريـن"، حيـث تـم مناشـدة الـدول الأعضـاء في الرابطـة بمنـح العضويـة للصـين. وخـلال القمـة الثامنـة عـشرة في عـام 2013، أُعيـد فتـح قضيـة عضويـة الصـين في الرابطـة مـن جديـد، ولكـن جـاء الرفـض الهنـدي مـن جديـد. وعـلى الرغـم مـن قـوة مناشـدات الـدول الأعضـاء في الرابطـة حـول بنـاء العلاقـات الإقليميـة مـع الصـين، لكـن يبـدو أن الهنـد لا تـزال منغمسـة في ترديـد ذلـك "الكليشـيه" الـذي يؤمـن بـأن منطقـة جنـوب آسـيا هـي دائـرة نفـوذ الهنـد[4]. ولكـن تجـدر الإشـارة هنـا إلى أن الصـين تبـادر وتبحث

1- Col M Hanif (R), "China should be in SAARC", May12, 2012.

2- Abiderda Md. Abdujjaher, "China as a SAARC Member: A Debate", http://.www.academia.edu/1855572/china-as-a-SAARC-Member-A-Debate.

3- YubaNath Lamsal, "China's entry would benefit SAARC", http:// weeklymirror.com.np/index,php?action =news&id=1614.

4- Harsh V. Pant, "How China changes SAARC", Apr.28, 2010, http://www.livemint.com/Opinion/LiVvNJzjuBbnyokfBxxyaJ/How-China-changes-Saarc.html.

عـن السـبل لبنـاء العلاقـات الإقليميـة بينهـا وبـين رابطـة جنـوب آسـيا. فوفقًـا للمصـادر، لمحـت الصـين إلى الهنـد أنهـا سـوف تحصـل عـلى عضويـة رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي في مقابـل عضويـة الهنـد في منظمـة شـنغهاي للتعـاون[1]. ولكـن مـن الواضـح أن الهنـد لم تسـتجب لهـذا التلميـح. والسـبب الأسـاسي وراء ذلـك هـو أن الهنـد لا تـزال تعتـبر منطقـة جنـوب آسـيا دائـرة نفـوذ خاصـة بهـا، وبالتـالي لا تسـمح بتدخـل أي طـرف آخـر، فـما بالنـا بالصـين التـي تتعامـل معهـا بكثـير مـن الحـذر؟ وحتـى إن كان مسـموحًا لبعـض الـدول مثـل الولايـات المتحـدة واليابـان أن تصبـح أعضـاء مراقبـة، فـلا يـزال مـن الصعـب للغايـة حصـول هـذه الـدول عـلى عضويـة رسـمية في الرابطـة. وبالتـالي يتضـح لنـا في ضـوء مـا سـبق أن الهنـد تبـذل الجهـود لتجنـب الاحتـكاك الرسـمي بالصـين داخـل إطـار رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي، وهـو مـا يمثـل تحديًـا كبـيرًا أمـام بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين والرابطـة، ولكـن سـنوضح أدنـاه أن الصعوبـات في هـذا الطريـق لا تنحـصر عـلى الموقـف الهنـدي فحسـب.

1- http://www.2point61billion.com/news/2010/04/27/india-blocks- china-saarc- m embership-5479.html#sthash.iEC4e425.dpuf.

ثالثًا: التحديات التي تواجه بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا

نظريًـا، تتشـابه رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمي مـع اتحاد دول جنوب شرق آسيا (الآسـيان)، حيـث إن كلتيهـما منظمـة للتعـاون الإقليمـي. ولكـن في الواقـع توجـد بينهـما اختلافـات. فقـد قـام بعـض الباحثـين بأبحـاث متخصصـة حـول الاختلافـات بـين هاتـين المنظمتـين، وطبقًـا لنتائـج هـذه الأبحـاث، تختلـف المنظمتـان مـن حيـث دوافـع تأسـيس كل منهـما، وهياكلهـما الجغرافيـة، وأنظمتهـما التنظيميـة، بالإضافـة إلى الأدوار التـي تلعبهـا الـدول الكـبرى في كل منظمـة، والآراء والمفاهيـم المختلفـة لـكل منظمـة حيـال قضايـا الأمـن الإقليمـي[1]. ويمكننـا أن نقـول إن هـذه الاختلافـات هـي التـي أدت إلى عـدم ترحيـب المجتمـع الـدولي برابطـة جنـوب آسـيا، وتشـكك العـالم الخارجـي حيـال الأدوار التـي يمكـن أن تلعبهـا. وبصفـة عامـة، يمكننـا أن نقـول إن الصعوبـات التـي تعـوق بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا لا تقتـصر عـلى مشـكلات الرابطـة فحسـب، وإنمـا تعـود إلى عـدد مـن العنـاصر، منهـا اختـلاف الثقافـات والأنظمـة السياسـية، وهيمنـة الهنـد عـلى المنطقـة وحذرهـا مـن الصـين، بالإضافـة إلى أن العلاقـات بـين الصـين والرابطـة تفتقـر إلى الآليـات الواضحـة. وبالتأكيـد إذا نظرنـا إلى التطـور الجيوسـياسي في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، فسـنجد أن مـن المحتمـل أن تواجـه الصـين المنافسـة مـع الـدول الكـبرى خـارج المنطقـة أثنـاء بنائهـا للعلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا. وفيـما يـلي نـورد التحديـات والصعوبـات أمـام بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا:

التحـدي الأول: تأثـير اختـلاف الثقافـات والأنظمـة السياسـية عـلى بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا. طبقًـا لأطـر النظريـة الإقليميـة، تُعـد الثقافـات والأنظمـة السياسـية مـن العنـاصر المهمـة التـي تدفـع بتطـور العلاقـات الإقليميـة. وإذا تناولنـا الشـق الثقـافي، فسـنجد أن ثقافـة الصـين وثقافـات الـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا تنتمـي إلى منظومـات مختلفـة مـن الثقافـة الشرقيـة. وإذا أخذنـا الثقافـة الصينيـة والهنديـة نموذجًـا،

1- ما ينغ: "مقارنة بين اتحاد الآسيان ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، "مجلة المحيط الهادئ العلمية"، عدد5، 2005، ص30-22.

فسـنجد أن الباحثـين الصينيـين قـد أعربـوا عـن تعجبهـم الشـديد لمـدى تعقيـد وتناقـض وتنـوع "الطريـق الأبـدي" الهنـدي، ولكـن كانـوا عاجزيـن عـن فهـم لمـاذا اسـتطاع الباحثـون الهنـود العثـور عـلى مصـادر نظريـة لأفـكار العنـف واللاعنـف والزهـد والمجـون معًـا في "البهاغافادغيتـا". وعـلى الجانـب الآخـر، عجـز العديـد مـن الباحثـين الهنـود عـن فهـم مـا تؤمـن بـه الثقافـة الكونفوشـية، ولم يسـتوعبوا لمـاذا يعتـبر الصينيـون أنفسـهم لادينيـين. أمـا إذا تحدثنـا عـن الأنظمـة السياسـية، فسـنجد أن الهنـد بعـد اسـتقلالها عـادةً مـا تفتخـر بكونهـا "أكـبر دولـة ديمقراطيـة في العـالم"، في حـين تُعتـبر الصـين "أكـبر دولـة مركزيـة عـلى مسـتوى العـالم". وفي الحقيقـة، يُعـد اختـلاف الثقافـات والأنظمـة السياسـية بـين الصـين وجنـوب آسـيا أحـد الأسـباب وراء رفـض الباحثـين مـن بعـض الـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا لحصـول الصـين عـلى عضويـة الرابطـة. ويعتقـد مونيـس أحمـر، أسـتاذ العلاقـات الدوليـة بجامعـة كراتـشي الباكسـتانية، أنـه ليـس هنـاك ترابـط بـين ثقافـة الصـين وثقافـات دول جنـوب آسـيا؛ ولذلـك لا يمكـن للصـين أن تصبـح دولـة عضـوًا في الرابطـة. ويعتقـد سـوجيت دوتـا، الأسـتاذ في معهـد دراسـات وتحليـلات الدفـاع الهنـدي، أنـه "نظـرًا إلى أن الصـين أكـبر دولـة مركزيـة عـلى مسـتوى العـالم، إذن فانضمامهـا إلى رابطـة جنـوب آسـيا سـوف يعـرض العلاقـات الإقليميـة في المنطقـة للمخاطـر"[1]. ومـن هنـا يتضـح لنـا أن اختـلاف الثقافـات والأنظمـة السياسـية بـين الصـين ودول الرابطـة يمثـل معوقًـا مهـمًّا أمـام بنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الطرفـين.

التحـدي الثـاني: إن عيـوب الرابطـة الحرجـة في تخطيـط أنظمتهـا تُفقـد بنـاء العلاقـات الإقليمية بين الصـين والرابطـة قوتهـا المحركـة. نظـرًا للتناقضـات والمشـكلات السياسـية في المنطقـة، ظهـرت أعـراض الضعـف عـلى رابطـة جنـوب آسـيا منذ بداية تأسيسـها، وظهـرت عيوب حرجـة بصفة خاصـة في المبادئ التـي صاغتهـا. ويمكننـا أن نقـول إن ميثـاق رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي قـد عكـس مقاصـد الهنـد الاسـتراتيجية. فبحسـب مبـدأ "الموافقـة بالإجماع" في المـادة الأولى من الميثاق، يتم اتخـاذ القرارات في رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي بموافقـة مـن جميـع دول جنـوب آسـيا، وهـو مـا يعنـي أنـه يجـب أن يكـون هنـاك توافـق في آراء جميـع الأطـراف حتـى يمكن إجـازة قـرارات الرابطة. كـما أن باقي المبـادئ في الميثـاق مقيـدة للغايـة، مـما يضعـف مكانـة ودور الرابطة بشـكل هائـل. فعلى سـبيل المثال،

1- Abiderda Md. Abdujjaher; "China as a SAARC Member: A Debate", http://www. academia.edu/1855572/china-as-a-SAARC-Member-A-Debate.

تقـضي المـادة الثانيـة بـ"عـدم المداولـة في القضايـا الثنائيـة والمتنـازع عليهـا"، مـما يعكـس عجـز الرابطـة أمـام التناقضـات والمشـكلات الأمنيـة في المنطقـة. وهنـا يكمـن الاختـلاف البـارز بـين هـذه الرابطـة واتحـاد الآسـيان، فهـذا العجـز يجعـل مـن الصعـب أن تتحـول الرابطـة إلى منظمـة للتعـاون الإقليمـي تتمتـع بقـوة التأثـير عـلى الأوضـاع الدوليـة في المجتمـع الـدولي (مثـل اتحـاد الآسـيان). ويقـول الباحثـون مـن دول جنـوب آسـيا تعليقًـا عـلى ذلـك: "هـذا ليـس فقـط يُفقـد عمليـة التكامـل فاعليتهـا، بـل يجعـل رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي، ذلـك المنـبر الـذي تسـتطيع فيـه الـدول الأعضـاء مناقشـة القضايـا الثنائيـة اليوميـة بصـدق في بيئـة غـير رسـمية، عاجـزة عـن لعـب أي دور مؤثـر"[1]. وبالإضافـة إلى ذلـك، تُضعـف المادتـان الرابعـة والخامسـة مـن مكانـة الرابطـة بشـكل أكـبر، حيـث تقـضي المـادة الرابعـة بـأن التحالـف والتعـاون في منطقـة جنـوب آسـيا مـا هـو إلا اسـتكمال للتعـاون الثنـائي ومتعـدد الأطـراف، وتقـضي المـادة الخامسـة بأنـه لا يجـب عـلى هـذا التحالـف والتعـاون أن يتضـارب مـع واجبـات التعـاون الثنـائي ومتعـدد الأطـراف. وبالنسـبة للهنـد، تتوافـق مثـل هـذه المبـادئ مـع تنظيماتهـا الاسـتراتيجية في منطقـة جنـوب آسـيا. فكـما هـو معـروف للجميـع، لطالمـا حاولـت الهنـد منـذ اسـتقلالها السـيطرة عـلى الـدول الصغـيرة في جنـوب آسـيا، حتـى إنهـا لا تـزال حتـى يومنـا هـذا تسـيطر وتؤثـر في بعـض الـدول مثـل نيبـال وبوتـان، وبالتـالي تلبـي هـذه المبـادئ متطلبـات الهنـد الاسـتراتيجية لمعالجـة علاقاتهـا مـع دول جنـوب آسـيا السـابقة كـما يحلـو لهـا. وبالتأكيـد فـإن إدراج هـذه المبـادئ في ميثـاق الرابطـة يعكـس أن باقـي الـدول الأعضـاء أيضًـا لديهـا متطلبـات شـبيهة بالهنـد، فهـي عـلى سـبيل المثـال ترفـض التقيـد في ظـل أطـر الرابطـة. ولكـن أحيانًـا تجـرى الريـاح بمـا لا تشـتهي السـفن، فصحيـح أن بعـض الـدول مثـل سريلانـكا وبنغلاديـش قـد نالـت مـا كانـت تتمنـاه، ولكـن خابـت آمـال بعـض الـدول مثـل نيبـال وبوتـان حيـال التحـرر مـن الهنـد مـن خـلال التعـاون الإقليمـي في الرابطـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، أعربـت بعـض الـدول الصغـيرة في جنـوب آسـيا عـن عـدم رضاهـا حيـال مبـدأ الموافقـة بالإجـماع، مـبررةً أن هـذا المبـدأ يعـوق تعـاون الرابطـة في المجـال الاقتصـادي وغـيره مـن المجـالات[2]. وتظهـر كل هـذه العيـوب سـالفة الذكـر في عمليـة تطويـر مناطـق التجـارة الحـرة. فصحيـح أن هنـاك منطقـة تجـارة حـرة في الرابطـة،

1- باندي، "تعزيز عملية التكامل في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي وأدوار الأعضاء المراقبين ـــ رؤية نيبالية"، نقلًا عن لي تاو، رونغ ينغ: "توجهات تطور التعاون الإقليمي في جنوب آسيا ودراسات حول التعاون بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، مكتبة باشو التابعة لمجموعة سيتشوان للنشر بمقاطعة تشنغدو، 2009، ص83.

2- باندي، "تعزيز عملية التكامل في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي وأدوار الأعضاء المراقبين- رؤية نيبالية"، ص83.

ولكن لا يتجاوز مستوى الإعفاء الضريبي بين أعضائها 50%، وهي نسبة ضئيلة جدًا أمام نسبة 90% التي قد قررتها منظمة التجارة العالمية[1]. ومن ثم فإن عيوب الرابطة وقلة فاعليتها قد حدَّت بشكل كبير من تطور الرابطة والدور الذي تلعبه، ما يمكن أن يُضعف الدوافع وراء بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة.

التحدي الثالث: تُعد الهيمنة الإقليمية للهند وحذرها من الصين، من العراقيل المهمة أمام بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا. فتُعد الهند "قوة عظمى" في منطقة جنوب آسيا، وتعتبر نفسها المسيّر لجميع الشئون في المنطقة؛ ولذلك تنتبه كثيراً إلى كل التأثيرات التي تفرضها القوى الخارجية. ومنذ استقلال الهند حتى مطلع تسعينيات القرن الماضي، كانت الهند تعتمد بصورة أساسية على الوسائل العسكرية القوية لفرض هيمنتها على المنطقة، وخاصة في الفترة بين سبعينيات ونهاية ثمانينيات القرن العشرين، فقد شنت الهند سلسلة من العمليات للهيمنة على منطقة جنوب آسيا: حيث فككت باكستان، وضمت سيكيم، وقامت بمناورات عسكرية في تونغ دين، وأرسلت القوات إلى سيريلانكا وجزر المالديف. ولكن في النصف الثاني من ثمانينيات القرن العشرين، تغير شكل الهيمنة الإقليمية الهندية، حيث لجأت إلى التعاون الاقتصادي كوسيلة أساسية، في حين بقت أفكار الهيمنة كما هي في منطقة جنوب آسيا. وفي ظل هذه الأفكار، تعتقد الهند أن تحالف الصين مع باكستان سوف يكون أطول العوامل وأكثرها حسماً نحو كبح الهند، وبالإضافة إلى ذلك تضم الصين وباكستان باستمرار دول جنوب آسيا الأخرى للتحالف معها في كبح الهند. فقد انضمت بنغلاديش بالفعل، والآن تنضم نيبال وسيريلانكا، وقريبًا ستنضم بوتان. وبالتالي فإن استغلال الهند للوسائل الاقتصادية في عام 2013 لتغيير مسار الانتخابات في بوتان، يعكس إصرارها على الهيمنة على منطقة جنوب آسيا وحذرها من الصين. فقد كانت الاتصالات بين الحزب الحاكم السابق في بوتان والصين اتصالات "وثيقة"، كما أن رئيسي وزراء البلدين عقدا لقاءات تاريخية، ومن هنا نالت قضية عدم تأسيس العلاقات الدبلوماسية بين البلدين اهتمامًا عالميًا كبيرًا. إلا أنه

1- تقضي اتفاقية منطقة التجارة الحرة لرابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي بأنه يمكن لجميع دول جنوب آسيا الاحتفاظ بقوائم للسلع الحساسة (القوائم السلبية). وإذا أُدرجت سلعة في هذه القوائم، فلا ينطبق عليها العفو الضريبي المحدد من قبل منطقة جنوب آسيا للتجارة الحرة. ولكن يتسبب ذلك في مشكلة، وهي أن جميع دول جنوب آسيا ستقوم بإدراج صناعاتها الأساسية في قوائم حماية واسعة النطاق، فقد أدرجت بنغلاديش 65% من منتجاتها في قوائم حماية، والهند 38.4%، وجزر المالديف 74.5%، ونيبال 64%، وباكستان 17.2%، وسريلانكا 51.7%، ليصل متوسط الحماية إلى 52.6%.

خلال فترة الانتخابات عام 2013، قامت الهند بقطع الدعم عن الطاقة إلى بوتان، مما قد تسبب في اضطرابات اقتصادية واجتماعية، وهكذا غيّر حزب المعارضة الداعي إلى "الدفع الإيجابي لتطوير العلاقات مع الهند" من مسار السباق الانتخابي وحكم البلاد. وفي ظل هذه الأفكار والأنماط السلوكية، كان من الحتمي أن تحد الهند من دور الصين في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، ويمكننا أن نستشعر هذه الأفكار الهندية إذا استرجعنا تاريخ الصين كعضو مراقب في رابطة جنوب آسيا عام 2007. ففي الليلة السابقة لانعقاد القمة الثالثة عشرة لرابطة جنوب آسيا، رفضت الهند أن تصبح الصين شريكًا للحوار أو عضوًا مراقبًا في الرابطة، ولكنها في الوقت نفسه كانت تأمل في انضمام أفغانستان. وهنا طرحت نيبال أنه إذا انضمت أفغانستان فإنه ينبغي أن تُعيّن الصين عضوًا مراقبًا. وفي النهاية توصلت الدول الأعضاء في الرابطة إلى التسوية، حيث وافقت على انضمام أفغانستان، وقُبلت الصين وإيران عضوين مراقبين في الرابطة[1]. ويظهر لنا مما سبق أن الهند يسيطر عليها الحذر الشديد بشأن بناء العلاقات الإقليمية بين الصين وجنوب آسيا.

التحدي الرابع: افتقار الصين ورابطة جنوب آسيا إلى آليات واضحة للتعاون، يحد بشكل مباشر من بناء العلاقات الإقليمية بين الطرفين. فعلى الرغم من أن الصين أصبحت عضوًا مراقبًا في الرابطة منذ عام 2007، إلا أن الطرفين لا يزالان يفتقران إلى آليات واضحة من شأنها دفع التعاون بين الطرفين. وفي المرحلة الحالية، لا يزال التعاون يعتمد على العلاقات الثنائية مع الدول الأعضاء في الرابطة. وعلى العكس من ذلك، لقد تقدمت بعض الدول الكبرى خارج المنطقة وسبقت الصين. فعلى سبيل المثال، قام اتحاد الآسيان في نهاية تسعينيات القرن العشرين ببناء آليات للاتصال مع رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي في شكل اجتماعات على مستوى وزراء الخارجية. وأسست اليابان أيضًا "صندوقًا خاصًا بين اليابان ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي". وفي عام 2007، مثّل وزير الخارجية الصيني لي جاو شينغ الصين للمشاركة للمرة الأولى كدولة مراقبة في القمة الرابعة عشرة، حيث أعرب لي جاو شينغ عن رغبة الصين في تطوير العلاقات مع الرابطة، إيمانًا بأن الرابطة هي أفضل الآليات لتأسيس العلاقات. وفي ظل هذه الآلية طرح لي مجالات عدة للتعاون، من بينها: مكافحة الفقر، وتقديم المساعدات في الكوارث،

1- Qudssia Akhlaque, “India Opposes China's into SAARC”, http://www.dawn.com/ news/165250/india-opposes-china-s-entry-into-saarc.

والموارد البشرية، والطاقة. ولكن مرت سنوات عديدة ولا تزال الصين والرابطة تفتقران إلى آليات واضحة للتعاون، كما لا يزال التعاون بين الطرفين يعتمد على تعاون ثنائي بين الصين وجميع الدول الأعضاء في الرابطة على حدة. وكما أشرنا سلفًا، تعود أسباب ذلك بشكل أساسي إلى اهتمام الهند بمصالحها الاستراتيجية في منطقة جنوب آسيا، وقلقها من أن تهدد الصين هذه المصالح. والجدير بالذكر أن هذا القلق الهندي لا يزال مستمرًّا حتى يومنا هذا، ففي فبراير 2014 عقدت رابطة جنوب آسيا مؤتمرًا على مستوى وزراء الخارجية في جزر المالديف، حيث أعربت الصين عن رغبتها في الانضمام إلى الرابطة، ولكن الهند أعربت عن رفضها القوي، وقال وزير الخارجية الهندي سلمان خورشيد: على الرابطة توضيح طبيعتها وعلاقاتها مع الأعضاء المراقبين[1]. وقد حمل هذا التصريح في طياته دعوة إلى التفريق بين الأعضاء المراقبين، وأن الصين سوف تظل دولة مقصاة خارج الرابطة. وبالتالي فإن وضع آليات تعاون واضحة يهيئ الظروف لتطوير العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة، فبدون هذه الآليات سيفتقر الطرفان إلى السبيل المناسب لبناء العلاقات الإقليمية.

التحدي الخامس: تنافس الدول الكبرى خارج المنطقة قد يؤثر على بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا. نظريًا، تمثل رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي أهميةً كبيرةً بالنسبة للعديد من الدول الكبرى خارج المنطقة. فعلى سبيل المثال بالنسبة للولايات المتحدة، تمثل المناطق التي تغطيها رابطة جنوب آسيا حلقةً مهمةً من سلسلة المناطق التي تفعّل فيها الولايات المتحدة استراتيجياتها الإقليمية والعالمية، وينعكس ذلك في محاولات الولايات المتحدة دمج آسيا الوسطى وجنوب آسيا في كيان متكامل، واستراتيجيتها لتأسيس "طريق الحرير الجديد"؛ لأن هذه المنطقة تمثل مكانة ودورًا مهمينًا أمام سيطرة الولايات المتحدة على الممرات الاستراتيجية المهمة على المحيط الهندي، وتضييق الحيز الاستراتيجي بين الصين وروسيا، وحماية الولايات المتحدة لمصالحها العالمية. أما بالنسبة لروسيا، فلطالما كانت منطقة جنوب آسيا مصدرًا للإزعاج، حيث يعتمد توجه روسيا إلى المحيط الهادئ وسعيها لتحقيق حلمها كدولة كبرى حقيقية عالميًا، على رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي، أو بعض الدول المهمة داخل الرابطة

1- "الهند ترفض الصين عضوًا في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، "جلوبال تايمز"، 2014-2-25.

مثـل أفغانسـتان والهنـد وباكسـتان. أمـا بالنسـبة لليابـان، فيمكـن أن تغـير المنطقـة مـن حالـة الاعتـماد اليابـاني الزائـد عـلى الصـين عـلى المسـتوى الاقتصـادي في الوقـت الراهـن، يمكـن أن تحـول اليابـان تجارتهـا واسـتثماراتها مـع الصـين إلى الهنـد كإحـدى الـدول في هـذه الرابطـة. وعـلى مسـتوى الاسـتراتيجيات الجغرافيـة، يمكـن لليابـان الاتحـاد مـع الهنـد لكبـح الصـين. وبالنسـبة لاتحـاد الآسـيان النشـط عـلى المسـتوى السـياسي في المنطقـة، يمكـن أن توفـر رابطـة جنـوب آسـيا سـاحة واسـعة أمـام اتحـاد الآسـيان لتوسـيع تعاونـه الخارجـي رغـم مشـكلات الرابطـة. وبالتـالي تقـوم الـدول الكـبرى والمنظـمات السـابقة بتعزيـز تأثيرهـا عـلى الـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا كل بطريقتـه الخاصة انطلاقًـا مـن المصالـح الاسـتراتيجية لـكل طـرف. فتسـتغل الولايـات المتحـدة الحـرب في أفغانسـتان فرصـةً لدمـج آسـيا الوسـطى وجنـوب آسـيا في كيـان واحـد، وتعطـي الضـوء الأخـضر للـدول الأعضـاء في الرابطـة فيـما يتعلـق بقضيـة التسـلح النـووي، كـما تتعهـد بمسـاعدة الهنـد لتصبـح دولـة كـبرى عالميًّـا، الأمـر الـذي جـذب اهتـمام العـالم إلى العلاقـات الهنديـة الأمريكيـة بصـورة خاصـة منـذ بدايـة القـرن الحـادي والعشريـن. كـما قامـت الولايـات المتحـدة بتعميـق تأثيرهـا الاسـتراتيجي عـلى باكسـتان وأفغانسـتان بمـبرر حـرب القضـاء عـلى الإرهـاب. في حـين لجـأت اليابـان إلى الوسـائل الاقتصاديـة، حيـث قامـت بتقديـم مسـاعدات ضخمـة للـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا، وخاصـةً المسـاعدات الإنمائيـة الرسـمية، لتصبـح دول الرابطـة أكـثر الـدول حصـولًا عـلى المسـاعدات الإنمائيـة الرسـمية مـن اليابـان. أمـا روسـيا، فسـعت إلى تعزيـز علاقـات الصداقـة التقليديـة مـع الهنـد، إلى جانـب اسـتغلال تجـارة الأسـلحة لتوطيـد وتطويـر علاقتهـا مـع الهنـد كأكـبر الـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا. وفي الحقيقـة، يعـود تطويـر العلاقـات بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا إلى بعـض المصالـح الصينيـة أيضًـا، وتشـمل هـذه المصالـح كـما ذكرنـا سـلفًا الآتي: السـيطرة عـلى جميـع الخلافـات والتناقضـات بـين الصـين والـدول الأعضـاء في الرابطـة، وتطويـر التعـاون الاقتصـادي معهـا، وحمايـة أمـن القنـوات البحريـة. ولكـن نظـرًا للتأثـر بالمفاهيـم الجيوسياسـية المهيمنـة خـلال فـترة الحـرب البـاردة، تنظـر الـدول الكـبرى خـارج نطـاق المنطقـة بيقظـة شـديدة إلى مسـألة دخـول الصـين إلى المحيـط الهنـدي وتدشـينها مشـاريع للتعـاون مـع الـدول المعنيـة (عـلى سـبيل المثـال بنـاء الموانـئ)، وإلى جانـب هـذه اليقظـة، هنـاك أيضًـا بعـض الـدول في الرابطـة (الهنـد) التـي تنظـر بحـذر شـديد إلى الصـين، الأمـر الـذي يعقـد مـن الأوضـاع بشـكل أكـبر. بعبـارة أخـرى، مـع الانفتـاح المسـتمر لرابطـة جنـوب آسـيا،

يصبـح تأسـيس علاقـات تعـاون بـين الـدول الكـبرى والمنظـمات خـارج نطـاق المنطقـة مـع دول الرابطـة أسـهل بعـض الـشيء، ولكـن هـذه الـدول الكـبرى والمنظـمات تسـتغل الحـذر المهيمـن عـلى الهنـد وغيرهـا مـن الـدول الأعضـاء حيـال الصـين في التحالـف مـع هـذه الـدول، وإقصـاء التعـاون بـين الصـين والرابطـة. والدليـل عـلى ذلـك أن وسـائل الإعـلام لم تعتـبر ذلـك التعـاون بـين الولايـات المتحـدة واليابـان مـع الـدول الأعضـاء في رابطـة جنـوب آسـيا تهديـدًا، بينـما روج الإعـلام للتعـاون بـين الصـين والـدول الأعضـاء بأنـه محـاولات لمحـاصرة وكبـح الهنـد وهـي أكـبر الـدول الأعضـاء في الرابطـة. وفي ظـل هـذا المنـاخ، يصبـح مـن الصعـب جـدًا أن يكـون لـدى رابطـة جنـوب آسـيا الاسـتعداد الكامـل لبنـاء العلاقـات الإقليميـة مـع الصـين، وبالإضافـة إلى ذلـك، فـإن تغلغـل الـدول الكـبرى والمنظـمات مـن خـارج نطـاق المنطقـة في شـكل مشروعـات للتعـاون مـع الرابطـة قـد خفـف مـن رغبـة وحاجـة الرابطـة إلى التعـاون مـع الصـين.

رابعًا: سبل بناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا:

من الناحية الموضوعية، تمثل رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي أهميةً كبيرةً بالنسبة للصين على المستوى السياسي والأمني والاقتصادي، وبالتالي فإن بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة يلعب دورًا مهمًا أمام تحقيق الصين لمصالحها في المنطقة. ولكن إذا نظرنا إلى الحقائق الموضوعية، فسنجد أن هناك صعوبات كبيرة أمام بناء العلاقات الإقليمية، وبالتالي أصبح البحث عن وسائل فعالة لبناء هذه العلاقات مشكلة تستدعي البحث عن حلول لها. وطبقًا للظروف الراهنة يمكن الاختيار بين السبل الخمسة التالية:

أولًا: العمل على بناء مفاهيم "عامة" بين الثقافات والأنظمة السياسية لدى الصين ودول رابطة جنوب آسيا. فعلى الرغم من أن هناك اختلافات كبيرة بين الثقافات والأنظمة السياسية لدى الصين ودول رابطة جنوب آسيا، والتي أصبحت مبررًا للباحثين من بعض دول الرابطة لرفض بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة، لكن إذا نظرنا إلى أرض الواقع، سنجد أن هذا المبرر غير كافٍ. فعلى المستوى الثقافي، على الرغم من أن الباحثين الأجانب يرون أن هناك روابط لا حصر لها بين الديانة الهندوسية والإسلامية في منطقة جنوب آسيا، لكن نرى اختلاف أنظمة الحكم بين الهند وباكستان انطلاقًا من خصائص الديانة الهندوسية والثقافة الإسلامية، الأمر الذي لم يعرقل من بناء رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي على الأقل شكليًا. وعلى مستوى الأنظمة السياسية، يعتقد الباحث في معهد دراسات وتحليلات الدفاع الهندي سموتري باتانايكر أن الديمقراطية ليست معيارًا للحصول على عضوية في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي؛ لأنه في بداية تأسيس الرابطة كانت كل من نيبال وبوتان دولة ذات نظام ملكي مطلق، كما كانت الأنظمة في باكستان وبنغلاديش أنظمة ديكتاتورية، وكانت السلطة في جزر المالديف سلطة مركزية، وبالتالي فإن حصول الصين على عضوية رابطة جنوب آسيا ليس له أي علاقة بكونها دولة ديمقراطية أو دولة ذات سلطة مركزية[1]. وانطلاقًا من هذا المنظور،

1- Abiderda Md.Abdujjaher "China as a SAARC Member: A Debate", http://www. academia.edu/1855572/china-as-a-SAARC-Member-A- Debate.

لا يعتمد انضمام الصين إلى الرابطة على ثقافتها أو نظامها السياسي، وإنما يتأثر بأفكار التنافس الجيوسياسي لبعض الدول الأعضاء في الرابطة. وعلى هذا الأساس، ينبغي على الصين أن تنتبه إلى اختلاف الثقافات والأنظمة السياسية بين الصين ودول الرابطة، وأن تسعى إلى بناء مفاهيم "عامة" وتهيئة البيئة المواتية، حتى تستطيع تخفيف العراقيل أمام بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة. وفي الحقيقة، قام بعض الباحثين بالفعل بمحاولات في هذا الجانب، حيث طرح الهندي جايرام رامش مفهوم "الكيان الصيني الهندي" (Chinidia)، وطرح الباحث الهندي ذو الأصول الصينية تان تشونغ مفهوم "الحضارة الجغرافية" الصينية الهندية، والتي تُعتبر من المفاهيم الإقليمية التي تم التوصل إليها وسط البحث عن خواص "عامة" تجمع بين الثقافتين الصينية والهندية. ورجوعًا إلى موضوعنا الأساسي، ما هي المفاهيم "العامة" في الثقافة الصينية وثقافات دول رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي؟ يمكننا أن نستلهم إجابات لهذا السؤال من رد سوامي فيفي كاناندا حول سؤال عن ماهية الديانات، حيث قال: الدين يعنى أن تكون إنسانًا صالحًا وتفعل الخير، أما العقائد والشعائر الدينية والكتب المقدسة ودور العبادة فهي أمور ثانوية[1]. واستخدم سوامي هنا أسلوبًا واضحًا وموجزًا للتعبير عن روح الدين، وهي أمور مشتركة بين الأديان المختلفة. ويمكننا تطبيق هذا المفهوم على الثقافات المختلفة، فعلى الرغم من أن هناك أوجه اختلاف عديدة بين الثقافات، فإن هناك روحًا مشتركة، خاصةً روح الإيجابية والتفاؤل، التي تنتمي إلى النطاق "العام" للثقافات المختلفة. ولعل الثقافة الصينية التي تنادي بأن "العالم للجميع" تتفق مع المفهوم الثقافي الهندي بأن "العالم أسرة واحدة"، فالوسائل مختلفة ولكن النتيجة واحدة. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الأنظمة السياسية التي تفرزها مختلف الثقافات ليست بالضرورة متناقضة، فسواء كان "النظام الديمقراطي السياسي" الهندي أو "نظام المؤتمر الوطني لنواب الشعب" الصيني، فكل هذه الأنظمة تهدف في النهاية إلى بناء نظم إدارية حكومية سليمة وتحقيق الرخاء للشعوب. ولذلك فإن التوقف على الاختلافات السطحية بين نوعين من الأنظمة السياسية يغفل المفاهيم "العامة" التي تجمع بين الاثنين، ويؤدي إلى مفاهيم متناقضة وسوء للفهم. وانطلاقًا من هذه الرؤية، يجب على الصين باعتبارها فاعلًا إيجابيًا في العلاقات الإقليمية، أن تبذل الجهود في بناء مفاهيم "عامة" مع الثقافات والأنظمة

1- انظر تشيو يونغ خوي: "لمحة عامة عن الديانة الهندوسية"، بكين، دار نشر العلوم الاجتماعية، 2012، ص215.

السياسة للرابطة، ولقد لاحظنا أن بعض الدول الأعضاء في الرابطة تتبنى نفس المفاهيم، وبالتالي فإن هذا السبيل لبناء العلاقات الإقليمية يتميز بضرورة تطبيقية وقاعدة تنفيذية.

ثانيًا: بناء هوية الصين كدولة عضو في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي. وفي حالة نجاح هذه الطريقة سوف تتحقق الظروف المثالية لبناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا، ومن أهم فوائدها الحصول على دعم باقي الدول الأعضاء في الرابطة. فقد لاحظت معظم هذه الدول إنجازات التنمية الاقتصادية الصينية وفرص استفادة الرابطة من هذه التنمية، ومع ذلك هناك أصوات معارضة مصدرها الهند. ويمكننا تلخيص مبررات المعارضة الهندية في النقاط التالية: أولًا: تفتقر الصين إلى التواصل الوثيق مع منطقة جنوب آسيا على المستوى الثقافي والتاريخي. وإن كانت تتشارك حدودها مع المنطقة فهذا لا يعني بالضرورة أنها دولة من دول منطقة جنوب آسيا، ولذلك فإنه في حالة منحها عضوية رابطة جنوب آسيا، فسوف يصبح من حق كل من ميانمار، وإيران، ودول آسيا الوسطى الحصول على العضوية أيضًا. ثانيًا: لا تتناسب الأنظمة السياسية والاقتصادية الصينية مع رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي؛ لأن الصين أكبر دول العالم ذات السلطة المركزية، كما أنها تقدم الدعم للأنظمة المركزية (في جنوب آسيا)، ومن ثم فإن انضمامها إلى الرابطة سوف يعوق العملية الديمقراطية في المنطقة. وعلى المستوى الاقتصادي، فإن الاقتصاد الصيني ليس اقتصاد سوق، وبالتالي يعجز اقتصاد جنوب آسيا الضعيف عن المنافسة معه. ثالثًا: هناك نزاعات حدودية بين الصين والهند وبوتان على المستوى الأمني، ما يشكل تحديات معقدة أمام أمن الهند والمنطقة؛ ولذلك فإن انضمام الصين لرابطة جنوب آسيا، سوف يكون هدف علاقاتها الثلاثية مع باكستان ونيبال هو معارضة الهند. رابعًا: نظرًا إلى المشكلات السياسية بين الهند وباكستان، فإن انضمام الصين سوف يعقد من الظروف بشكل أكبر، فبمجرد انضمامها سوف تستغل مبدأ الموافقة بالإجماع لمعارضة خطط تنمية الرابطة، مما يضر بعملية التنمية. وعلى المستوى السياسي، إذا أصبحت الصين دولة عضوًا في رابطة جنوب آسيا، فسوف تتحول الرابطة إلى ساحة سياسية لسلطة محتملة[1]. ولكن بصفة موضوعية، نجد أن المعارضة الهندية معارضة واهية متكلفة. لأنه إذا أخذنا "اتحاد الآسيان"، تلك المنظمة الإقليمية

1- Abiderda Md.Abdujjaher "China as a SAARC Member: A Debate", http://www. academia.edu/1855572/china-as-a-SAARC-Member-A- Debate.

الناجحة نموذجًا، فسوف نكتشف أن تنوع الأنظمة السياسية واختلاف القضايا الأمنية والأنظمة الاقتصادية لم يشكل عائقًا أمام التنمية الإقليمية في المنطقة. وبالتالي فإن الأسباب الحقيقية للمعارضة الهندية تعود إلى استراتيجياتها في المنطقة والعالم بأكمله: حيث تسعى إلى الهيمنة الإقليمية في جنوب آسيا، كما تعتبر الصين تهديدًا أمنيًّا وخصمًا في منطقة آسيا والمحيط الهادئ بل العالم بأكمله. ومنذ عام 2010، تم مناقشة قضية منح الصين عضوية رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي أكثر من مرة، ولكن فشلت هذه المحاولات بسبب معارضة الهند القوية. وبالتالي فإذا كانت الصين ترغب في تحقيق العلاقات الإقليمية مع الرابطة من خلال الحصول على عضوية الرابطة، فينبغي على الهند أولًا أن تتخلى عن إيمانها بأن منطقة جنوب آسيا هي دائرة نفوذها، وتتخلى أيضًا عن تعصبها ضد الصين، أو أن يتم إصلاح آليات الرابطة وتعديل مبدأ "الموافقة بالإجماع"، ولكن يبدو على المدى القصير أنه من المستحيل أن تقوم الهند بهذه التغييرات، أو أن تؤيد إصلاح آليات الرابطة. ولذلك إن اعتماد الصين على هذا السبيل لبناء العلاقات الإقليمية أمر غير واقعي على الأقل في المرحلة الحالية لأن درجة الصعوبة كبيرة.

ثالثا: بناء آلية الحوار "8+1" في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي. وقد تأثرت هذه الآلية بنموذج التعاون بين الصين واتحاد الآسيان، وطرحت الصين فكرة هذا النموذج في القمة السابعة عشرة للرابطة، ولكن قوبلت بالرفض من الهند. وبشكل موضوعي، يتميز هذا النموذج بأنه سوف يلقى الدعم من دول جنوب آسيا، وصحيح أنه يواجه المعارضة الهندية، ولكن هذه المعارضة هي أقل حدة من معارضة الهند القوية في مسألة حصول الصين على عضوية الرابطة. وهدف هذه الآلية هو حصول الصين على مكانة كشريك في الحوار مع رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي. وعلى الرغم من أن الهند قد تحدّ من توسيع الصين لتأثيرها داخل نظام الرابطة، ولكن في النهاية نجد أن صلاحيات شركاء الحوار مختلفة عن صلاحيات الأعضاء، فعلى سبيل المثال من المستحيل منح الدول الشركاء حق التصويت في صناعة قرارات الرابطة. ولكن إذا أصبحت الصين شريكًا في الرابطة، فسوف يحق لها المشاركة في جميع المناقشات والحوارات، وأيضًا يحق لها التعبير عن رأيها. وعلى المستوى العملي، يُعد هذا النموذج أكثر قابلية للتطبيق؛ وذلك لأن الهند ترغب في أن تكون دولة كبرى، ولذلك يمكن للصين أن تصل إلى تسويات مع الهند في بعض المنظمات الإقليمية، وأن تدعم بعض الطلبات الهندية (على سبيل المثال طلب

الهنـد لتصبـح شريـكًا للحـوار في منظمـة شـنغهاي للتعـاون) في مقابـل الحصـول عـلى الدعـم مـن الهنـد لتصبـح الصـين شريـكًا للحـوار في رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي.

رابعًـا: بنـاء منطقـة تجـارة حـرة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا. مقارنـة بمـا سـبق، يُعـد هـذا السـبيل أقـل السـبل تعرضًـا للعراقيـل؛ لابتعـاده عـن القضايـا السياسـية والأمنيـة الحساسـة. وعـلى الرغـم مـن أن الهنـد تبـذل كل مـا في وسـعها لتوخـي الحـذر تجـاه الصـين، لكـن عـلى مسـتوى التنميـة الاقتصاديـة، لا يمكـن أن تفـوّت الهنـد أي فرصـة للتعـاون مـع الصـين، ويظهـر ذلـك جليًّـا في رغبـة الهنـد في بنـاء منطقـة تجـارة حـرة مـع الصـين، وموافقتهـا عـلى المشـاركة مـع الصـين لبنـاء الممـر الاقتصـادي بـين بنغلاديـش والصـين والهنـد وميانمـار. ولكـن عـلى المسـتوى العمـلي، مـن المحتمـل أن تظـل الهنـد عـلى موقفهـا المعـارض، وإن كانـت المعارضـة هنـا أضعـف مـما ذكرنـاه سـلفًا؛ لأنـه إذا كانـت معارضـة الهنـد في هـذا الشـأن مبالغًـا فيهـا، فسـوف يثـير ذلـك معارضـة قويـة مـن باقـي دول جنـوب آسـيا، وبالتأكيـد لا يمكـن أن تتجاهـل الهنـد تأثـير مثـل هـذه المشـاعر المعارضـة عـلى مصالحهـا الذاتيـة، وبالتـالي فـإن الهنـد مـن الممكـن أن تكـون عـلى اسـتعداد لبنـاء منطقـة تجـارة حـرة بـين الصـين والرابطـة، مـا دام هـذا لا يتطـرق إلى القضايـا السياسـية والأمنيـة الحساسـة. أمـا عـلى المسـتوى النظـري، فـلا يقلـل التعـاون الاقتصـادي مـن خطـر نشـوب الصراعـات فحسـب، بـل مـن الممكـن أن يوفـر المنـاخ والظـروف المواتيـة لحـل القضايـا السياسـية والأمنيـة. وبالتـالي فـإن بنـاء منطقـة تجـارة حـرة بـين الصـين والرابطـة يوفـر إطـارًا لمناقشـة قضايـا الطرفـين، وأيضًـا فرصـة لتجـاوز النمـط الثنـائي الحـالي، وبالتـالي تكـون هنـاك آليـة مقيـدة للنـزاع بـين الأطـراف. وبالإضافـة إلى ذلـك، يمكـن عـن طريـق تنميـة منطقـة التجـارة الحـرة البحـث عـن سـبل ونمـاذج لحـل القضايـا السياسـية والأمنيـة، مـا يوفـر الظـروف المواتيـة للرفـع مـن الثقـة المتبادلـة بـين الصـين والرابطـة.

خامسًـا: البحـث عـن فرصـة لبنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين ورابطـة جنـوب آسـيا مـن خـلال أنظمـة التعـاون متعـددة الأطـراف المشـاركة فيهـا كل مـن الصـين والهنـد. عـلى الرغـم مـن أنـه لطالمـا كانـت الهنـد تنظـر إلى الصـين بيقظـة وحـذر شـديدين، إلا أننـا لاحظنـا خـلال السـنوات الأخـيرة إقبـال الهنـد المتزايـد لتعزيـز أنظمـة التعـاون متعـددة الأطـراف بـين الصـين والهنـد، عـلى سـبيل المثـال منظمـة دول البريكـس. وقـد شـهدت منظمـة دول البريكـس تطـورًا جوهريًّـا بعـد انعقـاد القمـة السادسـة في عـام 2014، وخاصـةً مـع تأسـيس بنـك دول البريكـس

وبنـاء احتياطـي الطـوارئ، مـا يوفـر الإمكانيـة لهـذه المنظمـة لإعـادة بنـاء الأنظمـة السياسـية والاقتصاديـة الدوليـة، بعـد أن كان هدفهـا هـو تنسـيق المواقـف المشـتركة. ولقـد أظهـرت الهنـد إيجابيـة غـير مسـبوقة داخـل آليـات التعـاون متعـددة الأطـراف في دول البريكـس، حيـث أعـرب رئيـس الـوزراء الهنـدي ناريـندا مـودي عـن ضرورة تعـاون دول البريكـس الوثيـق لمواجهـة التحديـات العالميـة، مثـل قضايـا الإرهـاب وأمـن الإنترنـت وتغـير المنـاخ. كـما قـد أعـرب أيضًـا عـن ضرورة توافـق جميـع دول البريكـس لبنـاء عـالم سـلمي ومتـوازن ومسـتقر[1]. وترجـع أسـباب اهتـمام رئيـس الـوزراء الهنـدي بمنظمـة البريكـس إلى أن الآليـات متعـددة الأطـراف داخـل المنظمـة تسـاعد الهنـد للتحـول إلى دولـة كـبرى عالميًّـا، كـما أنـه نظـرًا لمشـاركة العديـد مـن الـدول في هـذه الآليـات، فقـد خفـف ذلـك مـن قلـق وحـذر الهنـد تجـاه الصـين. ومـن آليـات التعـاون متعـددة الأطـراف التـي تلعـب دورًا مماثـلًا أيضًـا، الممـر الاقتصـادي بـين بنغلاديـش والصـين والهنـد وميانمـار، وقـد أعربـت الهنـد عـن اهتمامهـا الشـديد في السـنوات الأخـيرة حيـال بنـاء هـذا الممـر. وبـلا شـك توفـر الآليـات متعـددة الأطـراف هـذه سـبيلًا جديـدًا لبنـاء العلاقـات الإقليميـة بـين الصـين والرابطـة، أي تعزيـز بنـاء كيـان مشـترك للمصالـح الصينيـة الهنديـة مـن خـلال آليـات متعـددة الأطـراف تلعـب فيهـا البلـدان أدوارًا مشـتركة، كـما أن إيجابيـة الصـين داخـل الآليـات متعـددة الأطـراف، يجعـل الهنـد تسـتوعب أن دول جنـوب آسـيا بمـا فيهـا الصـين هـم شركاء لتنميـة "الصداقـة والمسـاواة والازدهـار" في المنطقـة، مـا يهيـئ البيئـة والظـروف المواتيـة لقبـول الهنـد للصـين ضمـن إطـار رابطـة جنـوب آسـيا للتعـاون الإقليمـي.

1- Narendra Modi, "Inclusive Growth: Sustainable Solutions, July 15, 2014", Prime Minister's statement at the Plenary Session of the 6th BRICS Summit,// www.mea.gov.in/.

الخاتمة

اهتمت هذه الدراسة بتحليل المغزى "العام" لبناء العلاقات الإقليمية بين الصين ورابطة جنوب آسيا من منظور النظرية البنائية، كما قامت بتحليل منظومي للجهود الصينية في هذه المسألة، وعالجت الصعوبات التي تحول دون بناء هذه العلاقات الإقليمية. وطبقًا للخبرات الإقليمية الصينية، نعتقد أن الصين تستطيع بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة من خلال اللجوء إلى السبل والخيارات المناسبة. ولكن لا تخلو هذه العملية من التحديات والصعوبات، خاصةً وأن الأفق غامض حيال مدى فاعلية الرابطة على المستوى التنفيذي، كما أن إمكانية تخلص الهند من تعصبها حيال الصين لا تزال مشكلة حقيقية. فمن ناحية، يعتقد الباحثون من دول جنوب آسيا أن الرابطة ليست كيانًا قويًّا ولا منظمةً إقليميةً فعالةً[1]. كما أنهم يأملون أن تستطيع الدول المراقبة لعب أدوار إيجابية من شأنها ترسيخ وتعزيز التعاون في الرابطة[2]. ولكن الاعتماد على الدول المراقبة فحسب للعب أدوار إيجابية سوف يعود بلا شك بنتائج مخيبة للآمال للباحثين أصحاب هذه الفكرة. لأن تاريخ التنمية في منطقة جنوب آسيا أثبت أنه لا يمكن لأي طرف تحريك التناقضات السياسية بين الدول الأعضاء في الرابطة إلا هذه الدول نفسها. أما على الجانب الآخر، فقد تغيرت نظرة الهند إلى الصين بعض الشيء، خاصةً فيما يتعلق بالسيطرة على النزاعات الحدودية، فقد انعكست نية البلدين الصادقة للتنمية السلمية في أحداث "مواجهات الخيام". ولكن هذه التغيرات لم تؤثر في أحكام الهند القديمة تجاه الصين: الصين منافس للهند ومصدر للتهديدات الاستراتيجية. وفي ظل هذه الظروف، سوف تبذل الهند كل ما في وسعها لمنع الصين من التوسع في منطقة جنوب آسيا، كما سوف تعوق محاولات الصين في توسيع تأثيرها خاصة من خلال آليات مثل رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي. ولذلك نقترح على الصين عند اختيار السبيل المناسب لبناء العلاقات

1- باندي، "تعزيز عملية التكامل في رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي وأدوار الأعضاء المراقبين - رؤية نيبالية"، نقلًا عن لي تاو، رونغ ينغ: "توجهات تطور التعاون الإقليمي في جنوب آسيا ودراسات حول التعاون بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، مكتبة باشو التابعة لمجموعة سيتشوان للنشر بمقاطعة تشنغدو، 2009، ص96.

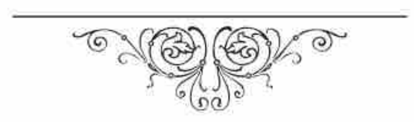
2- باندي، "دور الأعضاء المراقبين في تقوية رابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، نقلًا عن لي تاو، رونغ ينغ: "توجهات تطور التعاون الإقليمي في جنوب آسيا ودراسات حول التعاون بين الصين ورابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي"، مكتبة باشو التابعة لمجموعة سيتشوان للنشر بمقاطعة تشنغدو، 2009، ص79.

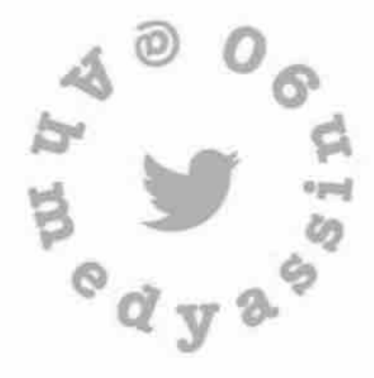
الإقليمية أن تبتعد عن القضايا السياسية والأمنية الثنائية الحساسة، وأن تتجه إلى بناء المفاهيم "العامة" بين الثقافات والأنظمة السياسية، وبناء منطقة تجارة حرة بين الصين والرابطة، واستغلال آليات التعاون متعددة الأطراف، لإعادة تخطيط التنمية الشاملة للعلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة. وبالتأكيد إذا أخذنا في الاعتبار أهداف التنمية القريبة وخصائص الاستراتيجيات الإقليمية الصينية، فإننا نقترح تفعيل استراتيجية تتبنى فكرة بناء مناطق التجارة الحرة، ما يدفع بإمكانية بناء منطقة تجارة حرة بين الصين ورابطة جنوب آسيا. أما فيما يتعلق ببناء المفاهيم العامة بين الثقافات والأنظمة السياسية وأيضًا بناء آليات التعاون متعددة الأطراف، فيمكن أن نعتبرها أهدافًا طويلة المدى، يمكنها تحقيق بناء العلاقات الإقليمية بين الصين والرابطة على المستوى السياسي والأمني وبشكل شامل.

تم نشر هذه الدراسة في العدد الرابع من "دورية دراسات جنوب آسيا" لعام 2014.

المصالح الصينية في الشرق الأوسط
(دراسة تحليلية)

نيو شين تشون




@Ahmedyassin90

ملخص الدراسة: تأتي المصالح الاقتصادية على رأس المصالح الصينية في الشرق الأوسط، في حين تتشابك وتتداخل المصالح السياسية والاستراتيجية والأمنية وأيضًا المصالح الخارجية بشكل معقد مع المصالح الاقتصادية، فمنها ما يكمل بعضه بعضًا ومنها ما يتناقض ويتعارض. كما أن الصين مقصّرة بعض الشيء في حماية مصالحها في الشرق الأوسط، وتفتقر بصفة خاصة إلى الموارد العسكرية الملائمة. ولكن هناك بوادر لنمو جميع الموارد في المستقبل، وخاصةً الموارد الاقتصادية فلها النصيب الأكبر من إمكانات النمو. ونظرًا إلى وجود فجوة بين المصالح وقوة تأثير الصين في المنطقة، إذن ينبغي على الصين أن تسلك طريقًا استراتيجيًا جديدًا في الشرق الأوسط يختلف عن ذلك الذي سلكته الدول الكبرى على مدار التاريخ.

الكلمات المفتاحية: الدبلوماسية الصينية؛ الشرق الأوسط؛ المصلحة الوطنية؛ مصادر الطاقة.

الباحث: نيو شين تشون، مدير مركز دراسات الشرق الأوسط التابع للمعهد الصيني للعلاقات الدولية المعاصرة، وباحث متخصص في مجالات الدبلوماسية الأمريكية، والعلاقات الصينية الأمريكية، وقضايا الشرق الأوسط، والعلاقات الأمريكية التايوانية، وقضايا تايوان.

منذ أن أصبحت الصين دولة مستوردة للنفط في عام 1993، ارتفعت أهمية منطقة الشرق الأوسط بالنسبة للصين، وبدأت تتسارع مشكلات المنطقة[1]. وحتى تستطيع الصين تخطيط أطر استراتيجية شاملة ومترابطة وواضحة ومتوازنة وطويلة المدى في منطقة الشرق الأوسط، عليها استيضاح مصالحها الأساسية وأهداف سياساتها في المنطقة، واختيار سياسات عملية واقعية طبقًا للتقاليد الدبلوماسية وقوة الدولة والأيديولوجية السياسية الصينية.

1- تشمل دول "الشرق الأوسط" في هذه الدراسة نحو اثنين وعشرين دولة من غرب آسيا وشمال إفريقيا، وهي: الجزائر، والبحرين، ومصر، وإيران، والعراق، وإسرائيل، والأردن، والكويت، ولبنان، وليبيا، والمغرب، وعمان، وفلسطين، وقطر، والسعودية، وسوريا، وتونس، وتركيا، والإمارات، واليمن، والسودان، وموريتانيا. ونظرًا لنقص الإحصاءات لدى الحكومة الصينية، فإن معظم الأرقام الإحصائية في هذه الدراسة تم الحصول عليها من وسائل الإعلام وبنوك الأفكار الغربية. مما أوجد شعورًا بشيء من عدم المصداقية.

أولًا: تحليل المصالح الصينية

شهدت أهداف الاستراتيجيات الصينية في الشرق الأوسط على مدار التاريخ تغيرات كبيرة، ففي مطلع تأسيس جمهورية الصين الشعبية كان التركيز على معارضة الإمبريالية الغربية، ودفع حركات تحرير الدول العربية، وفي أعقاب عام 1960، كانت مهمة الصين الأساسية هي مقاومة التأثير الأمريكي والسوفيتي، والحصول على الدعم من دول العالم الثالث، ثم بعد انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح، أولت الصين الاهتمام الأكبر للمجال الاقتصادي، وخلال المؤتمر الحادي عشر للسفراء الصينيين بالخارج عام 2009، أشار الرئيس هو جين تاو إلى أن السعي لتعزيز قوة تأثير الدولة الصينية على المستوى السياسي، والقوة التنافسية على المستوى الاقتصادي، وبناء واجهة من الألفة والتأثير والكاريزما على المستوى الأخلاقي، جميع هذه العوامل تساعد على تهيئة الظروف الخارجية والبيئة الدولية المواتية لبناء مجتمع رغيد، وإسراع وتيرة عجلة الاشتراكية والتحديث[1]. ويُعتبر هذا التصريح الرسمي انعكاسًا للأهداف الدبلوماسية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في الوقت الراهن، وبالتالي فإن المصالح والأهداف الاستراتيجية الصينية في العصر الحديث يجب أن تتوافق مع هذه الرؤية.

يُعتبر الحفاظ على معدلات نمو اقتصادية مستدامة ومستقرة وصحية قضيةً مهمةً بالنسبة للدولة الصينية. إلا أن الاعتماد الاقتصادي الصيني على الخارج عالٍ نسبيًّا، حيث يتجاوز حجم الواردات والصادرات الصينية 50% من إجمالي الناتج المحلي، وبالتالي فإن استقرار البيئة الاقتصادية الدولية، وخاصةً استقرار الشركاء التجاريين الرئيسيين، يمثل أهمية كبيرة بالنسبة للاقتصاد الصيني. وبالإضافة إلى ذلك، فإن حصة الشرق الأوسط من التجارة الخارجية الصينية في زيادة مستمرة، ومن المتوقع أن تنمو بشكل أكبر في المستقبل. ففي عام 1999، كان حجم الصادرات الصينية إلى الشرق الأوسط 6.47 مليار دولار أمريكي، وكان حجم الواردات 3.8 مليار دولار. أما في عام 2012، فقد وصل حجم الصادرات الصينية إلى الشرق الأوسط 121 مليار دولار، وكان حجم الواردات 160

1- تشيان رونغ: "الرئيس هو جين تاو وغيره من قادة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني يحضرون المؤتمر الحادي عشر للسفراء الصينيين في الخارج"، http: //news.xinhuanet.com/politics/2009- 07/20/content_11740850_ 1 .htm (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-13).

مليـارًا، أي وصـل إجـمالي حجـم التجـارة بـين الطرفـين إلى 281 مليـار دولار، وهـو مـا يمثـل نحـو 8% مـن إجـمالي حجـم التجـارة الخارجيـة الصينيـة المقـدرة بــ3 تريليـون و866.76 مليـار دولار. في حـين كانـت هـذه النسـبة 4.2% فقـط في عـام 2005[1]، وهـي نسـبة جديـرة بالاهتـمام. وعـلى الرغـم مـن أن ترتيـب منطقـة الـشرق الأوسـط يـأتي بعـد كل مـن أوروبـا (546 مليـار دولار)، والولايـات المتحـدة (484.6 مليـار دولار)، وجنـوب شرق آسـيا (400 مليـار دولار)، واليابـان (329.4 مليـار دولار) مـن حيث الترتيـب بـين شركاء التجـارة الخارجيـة الصينيـة، إلا أن نصيـب منطقـة الـشرق الأوسـط يـأتي متقدمًـا كثـيرًا عـن إفريقيـا، وأمريـكا اللاتينيـة، ومنطقـة آسـيا الوسـطى[2].

ومـع الزيـادة المسـتمرة لحاجـة الصـين إلى النفـط، والاتسـاع المتزايـد لحجـم أسـواق الـشرق الأوسـط، فـإن مـن المؤكـد أن يشـهد حجـم التجـارة بـين الصـين ودول الـشرق الأوسـط نمـوًّا سريعًـا. وبحسـب التقديـرات، مـن المتوقـع أن يصـل حجـم التجـارة بـين الصـين والـشرق الأوسـط في عـام 2014 إلى 300 مليـار دولار، ومـن المأمـول أن يصـل في عـام 2020 إلى 350-500 مليـار دولار[3]. وبالتأكيـد فإنـه إذا تناولنـا حجـم التجـارة فقـط، فسـنجد أن تأثـير الـشرق الأوسـط عـلى الاقتصـاد الصينـي ليـس بتأثـير حاسـم أو اسـتراتيجي، فـلا يـزال حجـم التجـارة الثنائيـة بـين الطرفـين يـأتي بعـد اليابـان، وبالتـالي فـإن عـدم اسـتقرار أسـواق الـشرق الأوسـط قـد لا يؤثـر بشـكل كبـير عـلى الاقتصـاد الصينـي.

وتُعـد حصـة منطقـة الـشرق الأوسـط مـن حجـم الاسـتثمارات وسـوق المقـاولات الصينيـة أكـبر مقارنـةً بحجـم التجـارة بـين الطرفـين، خاصـةً وأن سـوق المقـاولات تشـهد توسـعًا كبـيرًا. فمنـذ عـام 2003 حتـى الأول مـن يوليـو عـام 2013، وصـل حجـم الاسـتثمارات ومشروعـات المقـاولات الصينيـة في الـشرق الأوسـط إلى 72.92 مليـار دولار، أي 10.6% مـن إجـمالي حجـم الاسـتثمارات الخارجيـة ومشروعـات المقـاولات الصينيـة، حيـث كان حجـم الاسـتثمارات

1- Jon B. Alterman, "China 's Soft Power in the Middle East", in Chinese Soft Power and Its Implication for the United States, A Report for CSIS Smart Power Initiative, March 2009, p. 64.

2- مركز الدراسات السياسية والاقتصادية العالمية التابع للأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية: "تقرير عن تطور التجارة الخارجية الصينية لعام 2012"، http://www.twep.org.cn /upload/2013/0 d120130307160336894.pdf (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-9).

3- Lee Hudson Teslik, "China-Gulf Economic Relations", http://www.cfr.org/china/china-gulf-economic-relations/p16398 . (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-9)

الصينيـة في الـشرق الأوسـط 23.02 مليـار دولار، أي 5.35% مـن حجـم التجـارة الخارجيـة الصينيـة. وكان حجــم مشروعــات المقــاولات 49.9 مليــار دولار، أي 19.37% مــن إجــمالي حجــم مشروعــات المقـاولات الخارجيـة الصينيـة[1]. وبالتـالي، فعـلى الرغـم مـن أن حجـم الاسـتثمارات المبـاشرة جديـر بالاهتـمام مثلـه مثـل حجـم التجـارة، وخاصـة سـوق المقـاولات الضخمـة، إلا أن حجـم مشروعـات المقـاولات الصينيـة المقـدرة بــ49.9 مليـار دولار عـلى مـدار عـشر سـنوات غـير مؤهـل ليمثـل أهميـةً اسـتراتيجيةً بالنسـبة للاقتصـاد الصينـي.

يُمثـل نفـط الـشرق الأوسـط أهميـةً كبـيرةً بالنسـبة للصـين مقارنـة بحجـم التجـارة والاسـتثمارات مـع المنطقـة. ففـي عـام 2000، بلـغ نصيـب النفـط الخليجـي 75% مـن الـواردات الصينيـة مـن دول الخليـج؛ لذلـك يُعـد النفـط سـلعة رئيسـية في التجـارة بـين الصـين والـشرق الأوسـط، كـما أن نفـط الـشرق الأوسـط يحتـل مكانـةً متميـزةً ضمـن إجـمالي النفـط الـذي تسـتورده الصـين. فقـد وصـل حجـم النفـط الـذي تسـتورده الصـين مـن الـشرق الأوسـط في عـام 2000 وعـام 2001 إلى 53.6% و56.2% عـلى الترتيـب مـن إجـمالي واردات الصـين النفطيـة. ثـم انخفضـت هـذه النسـبة إلى 45.2% في عـام 2006، و44.6% في عـام 2007، ثـم ارتفعـت مـرةً أخـرى لتصـل إلى 51.5% في عـام 2011[2]. ولكـن بعـد أن تأثـرت صـادرات الـشرق الأوسـط مـن النفـط بانـدلاع حـرب العـراق في عـام 2003، أيقنـت الصـين بأهميـة الحصـول عـلى مـوارد متعـددة للنفـط، وبـدأت تبحـث عـن مـوارد أخـرى للطاقـة عـلى مسـتوى العـالم. ولكـن نظـرًا إلى النمـو السريـع لحجـم الـواردات الصينيـة، لم تنخفـض درجـة اعتـماد الصـين عـلى الـشرق الأوسـط لاسـتيراد النفـط، حتـى بعـد أن عـثرت عـلى مـوارد جديـدة للطاقـة في آسـيا الوسـطى وأمريـكا الجنوبيـة وإفريقيـا. وبحسـب التقديـرات، مـن المتوقـع أن يصـل حجـم الـواردات النفطيـة الصينيـة مـن الـشرق الأوسـط إلى 53% في عـام 2030[3]. وبالتـالي لـن ينخفـض اعتـماد الصـين عـلى النفـط مـن الـشرق الأوسـط في المسـتقبل، وسـتظل المنطقـة أهـم

1- تم تقدير هذه الأرقام طبقًا لجدول إحصاءات مؤسسة هيريتدج فاونديشن الأمريكية،
The Heritage Foundation, “China Global Investment Tracker Interactive Map”, http://www.heritage.org/research/projection/China-Global-Investment-Tracker-Interactive-Map (تاريخ الاطلاع والتحميل: 13-9-2013).

2- ما تشون خوي، "استعراض صادرات وواردات الصين من النفط الخام لعام 2011"، "النفط وصناعة البتروكيماويات المعاصرة"، 2012، عدد3، ص15-11.

3- “International Energy Outlook2006”, Washington DC: Energy Information Administration, June 2006, DOE/EIA-0484(2006), p.34.

مصادر الطاقة، فهنا تكمن أهمية الشرق الأوسط الاستراتيجية الحقيقة بالنسبة للصين.

يُعد الارتباط بين الشرق الأوسط والصين ضعيفًا على المستوى الأمني، وبالتالي لا تشكل المنطقة تهديدًا مباشرًا للدولة الصينية. فالجغرافيا تبعد منطقة الشرق الأوسط عن الصين، ولا تجمعها حدود مشتركة مع الصين، وبالتالي ليس هناك أية نزاعات على الأراضي أو خلافات بين الطرفين حول قضايا السيادة. وعلى مستوى الأمن السياسي، لا تمثل الدول الملكية والجمهورية العسكرية والديمقراطية الإسلامية في منطقة الشرق الأوسط أيديولوجية سائدة أو نظامًا سياسيًّا قويًّا على المستوى الدولي، إنما تقف دائمًا في موقف الدفاع أمام هجمات الأيديولوجيات الغربية، حيث لا تستطيع أي من هذه الدول توسيع أيديولوجياتها على المستوى العالمي. خاصةً وأنه ليست هناك دولة كبرى عالميًّا في منطقة الشرق الأوسط، أي لا توجد دولة قادرة على استغلال أيديولوجياتها للتدخل في السياسة الصينية أو تهديد أمنها السياسي.

ولكن لا ننسى أن هناك نحو 23 مليون مسلم داخل الصين، كما أن هناك اتصالات وثيقة وتقاليد تاريخية تجمع بين غرب الصين والشرق الأوسط على المستوى الجغرافي والتاريخي والثقافي والعرقي واللغوي والديني، وبالتالي لا مفر من تغلغل الأيديولوجية الدينية والسياسية والثقافية في الشرق الأوسط إلى بعض المجموعات والمناطق المحدودة في الصين. وعلى مدار العقود الماضية، لاحظنا ذلك التغلغل والتبادل على يد بعض الأفراد أو المنظمات المدنية غير الحكومية. وفي بداية القرن العشرين ظهر في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى تيارات فكرية تنادي بـ"الوحدتين"، ألا وهما "الوحدة التركية" و"الوحدة الإسلامية"، التي انتقلت بعد ذلك إلى إقليم شينجيانغ بالصين، وشكّلت "حركة الانفصال التركية" حاملةً راية "الإسلام". ثم بعد انتهاج سياسة الإصلاح والانفتاح في ثمانينيات القرن العشرين، بدأت أفكار النهضة الإسلامية تنتشر في شينجيانغ بشكل سريع، مما قد أرسى حجر أساس فكري لأعمال التطرف في المنطقة. ومع بداية الأعمال "الجهادية" الأفغانية على مستوى العالم بين عام 1979 و1989، أصبحت هناك أرض خصبة لتجنيد عناصر وتدريبهم على أعمال الإرهاب والعنف في شينجيانغ. وبالتالي يمكننا أن نقول إن جميع الاضطرابات السياسية في الشرق الأوسط تمتد إلى إقليم شينجيانغ. واليوم، تتمثل أهم المشكلات التي يواجهها أمن غرب الصين في التحديات من "القوى الثلاث"، أي

قـوى التطـرف الدينـي، وقـوى الانفصـال، وقـوى العنـف والإرهـاب. وتُعتـبر منطقـة الـشرق الأوسـط وكـرًا لهـذه "القـوى الثـلاث". فبعـد عـام 2001، تحولـت كل مـن أفغانسـتان والعـراق وسـوريا إلى أوكار دوليـة للإرهـاب تمـدّ جميـع أنحـاء العـالم بعنـاصر التطـرف، التـي تدخـل إلى الصـين عـادةً مـن خـلال آسـيا الوسـطى ومنطقـة جنـوب آسـيا. وفي الوقـت الراهـن، تعتمـد المنظـمات الإرهابيـة والانفصاليـة النشـطة في إقليـم شـينجيانغ في تمويلهـا وتجنيـد عناصرهـا وتنظيماتهـا عـلى التواصـل مـع القـوى المتطرفـة في الـشرق الأوسـط وآسـيا الوسـطى[1].

وعـلى المسـتوى الاسـتراتيجي، فـإن محـاولات أي دولـة مـن دول الـشرق الأوسـط للسـيطرة عـلى المنطقـة بشـكل حـصري، يتعـارض مـع المصالـح الصينيـة. كـما أن قـوة أي دولـة أو نظـام سـياسي، سـواء مـن الـترك أو الفـرس أو العـرب أو اليهـود أو الشـيعة أو السـنة، يهـدد المصالـح الصينيـة. ولا يخلـو التاريـخ مـن العديـد مـن الـدروس المسـتفادة في هـذا السـياق، فعندمـا اجتاحـت الديانـات التوحيديـة القويـة آسـيا الوسـطى في منتصـف القـرن السـابع، تغـيرت ملامـح غـرب الصـين تمامًـا، كـما فقـدت الصـين سـيطرتها عـلى هـذه المنطقـة بعدمـا هُزمـت جيـوش أسرة تانـغ الملكيـة أمـام الجيـوش العربيـة في معركـة نهـر طـلاس[2]. وبالتـالي كلـما ظهـرت كيانـات سياسـية ضخمـة في الـشرق الأوسـط، زاد خطـر تدخلهـا في غـرب الصـين. ولكـن في السـنوات الأخـيرة، نـادرًا مـا اتخـذت دول الـشرق الأوسـط مـن القضايـا الدينيـة أو العرقيـة أو قضايـا حقـوق الإنسـان مـبررًا للتدخـل في السياسـة الداخليـة الصينيـة، باسـتثناء حالـة واحـدة فقـط. ففـي عـام 2009، نـدد رئيـس الـوزراء الـتركي أردوغـان بطريقـة معالجـة الصـين للأحـداث في شـينجيانغ. وكانـت الحكومـة التركيـة في ذلـك الوقـت تدعـو إلى دبلوماسـية "صفـر مشـاكل"، ومـع ذلـك تسـعى إلى التوسـع جنوبًـا وشرقًـا، وتفعـل كل مـا في وسـعها في منطقـة الـشرق الأوسـط وتحاصرهـا مـن كل مـكان، الأمـر الـذي عكـس تأثـير بقايـا المملكـة العثمانيـة وأطماعهـا المتزايـدة في المنطقـة. ويمكننـا هنـا أن نفـترض أنـه إذا ظهـرت دولـة كـبرى في الـشرق الأوسـط شـبيهة بالدولـة العثمانيـة، فسـوف تتفـوق أطماعهـا بالتأكيـد عـلى أطـماع تركيـا في عـام 2009. وفـوق هـذا، عـادةً مـا ينتقـل تأثـير الـشرق الأوسـط إلى الصـين مـن خـلال آسـيا الوسـطى ومنطقـة جنـوب آسـيا، وبالتـالي فإنـه في حالـة تمكـن أي مـن دول الـشرق

1- ليو جيان، "مصدر القوى الإسلامية في 'تركستان الشرقية' وتأثيرها"، "وثائق ومعلومات دولية"، 2009، عدد11، ص19-12.

2- تشان شي مينغ، "قضية التوسع الغربي في الصين: دراسات وتأملات"، "غرب آسيا وإفريقيا"، 2013، عدد2، ص 14.

الأوسط من السيطرة على منطقة آسيا الوسطى بصفة حصرية فسوف يمثل ذلك تهديدًا بالنسبة للصين. وعلى الرغم من أن الولايات المتحدة والصين وروسيا وتركيا وإيران، تتمتع جميعًا بقوة تأثير واضحة على آسيا الوسطى في الوقت الراهن، لكن لا يُقصي تأثير أي من هذه الدول الأطراف الأخرى. وعلى الجانب الآخر، فإن دول آسيا الوسطى دول مستقلة، ولا تمثل تهديدًا استراتيجيًا بالنسبة للصين. أما على المستوى الدولي، فلطالما كانت منطقة الشرق الأوسط بقعةً ساخنةً، وتُعد كل من الولايات المتحدة وأوروبا وروسيا والصين من أبرز اللاعبين في ساحة الشرق الأوسط. ولكن محاولة أي من القوى الخارجية السيطرة على منطقة الشرق الأوسط بصفة حصرية يتعارض مع المصالح الصينية. ومنذ سنوات طويلة، تحافظ السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على منع أي من الدول الكبرى خارج المنطقة من السيطرة على منطقة الشرق الأوسط بشكل حصري. وبعد قيام الاتحاد السوفيتي بالاعتداء على أفغانستان في عام 1980، صرح الرئيس الأمريكي جيمي كارتر، "أن سيطرة أي قوة خارجية على الخليج يُعتبر اعتداءً على المصالح الأمريكية، وسوف ترد الولايات المتحدة بكل الوسائل بما في ذلك وسائل القوة"[1]. ويمثل هذا المبدأ حجر الزاوية للسياسات الأمريكية داخل منطقة الشرق الأوسط، ويلتقي مع المصالح الصينية في المنطقة أيضًا. ونظرًا للتعقيد والتناقض الشديد في القضايا التاريخية والسياسية والدينية والعرقية في منطقة الشرق الأوسط، يصبح من المستحيل أن تهيمن أي من دول أو ديانات هذه المنطقة، وبالتالي كان من المستحيل أن تسيطر الولايات المتحدة على المنطقة في الماضي، ومستحيل ذلك أيضًا في الحاضر أو حتى المستقبل. ولكن لا يزال من مصلحة الصين منع الدول الكبرى من التصرف كما يحلو لها في منطقة الشرق الأوسط.

ونظرًا إلى أن الصين تعد أكبر دولة نامية واشتراكية على مستوى العالم، فإن هناك فجوة كبيرة بين الصين والدول المتقدمة في الغرب على المستوى التاريخي والثقافي والاقتصادي والأنظمة السياسية والأيديولوجيات الفكرية؛ وبالتالي يُعد الحفاظ على المساواة والكرامة للأيديولوجية السياسية الصينية على المستوى الدولي وتجنب الإقصاء والهجوم من الأيديولوجية الغربية، من مصالح الصين السياسية. وفي منطقة الشرق الأوسط، هناك بعض الدول المتقدمة الديمقراطية مثل إسرائيل، والدول الديمقراطية الإسلامية مثل

1- Jimmey Carter, "State of the Union Address", http://www.president.uscb.edu/ws/?pid=33079 (تاريخ الاطلاع والتحميل:2013-9-8)

تركيا التي عادةً ما تقف موقف الدفاع على المستوى الأيديولوجي السياسي، وبالتالي لا تشكل أي تهديد للأيديولوجيات السياسية الصينية. ولكن إذا نظرنا إلى توجهات التنافس الأيديولوجي على المستوى العالمي، فسنجد أن الأيدلوجيات الغربية تنتشر سريعًا وبشكل شامل في منطقة الشرق الأوسط، مما قد يهدد الأيديولوجية الصينية بصفة غير مباشرة، الأمر الذي يتناقض مع المصالح السياسية الصينية.

بمعنى أدق، إن الأيديولوجيات السياسية الصينية وسياساتها الداخلية تعتمد على "المبادئ الأربعة الأساسية"، أما السياسة الدولية فهي مستقلة وتعتمد على المبادئ الخمسة للتعايش السلمي، وتحترم طريق الإصلاح والانفتاح التدريجي لتنمية الدولة. وتعكس مسيرة الإصلاح والانفتاح التي خاضتها الصين لأكثر من ثلاثين عامًا، أن الإصلاح التدريجي طريق إيجابي وفعال، يستطيع الحفاظ على الاستقرار العام من ناحية، وحل القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية الملحة بشكل تدريجي من الناحية الأخرى. أما الثورات العنيفة والجمود فغير مرغوب فيهما. وبالنسبة للصين، يُعد الحفاظ على الطريق الاشتراكي وقيادة الحزب الشيوعي الصيني، مبدأين من "المبادئ الأربعة الأساسية". ما يعني أن حماية حزب واحد لحكم البلاد ليس أمرًا مشروعًا فحسب، بل تم إدراجه في دستور البلاد. والمغزى العام من ذلك هو أن شرعية أي نظام سياسي وحكومة أي دولة أمر يقرره الشعب وليس القوى الخارجية. بالتالي فإن الحكم الطائش على عدم شرعية حكومات الدول الأخرى، أمر غير مشروع. لذلك فإنه في الوقت الذي تسرعت فيه دول الغرب خلال السنوات الثلاثة الماضية بالإعلان عن عدم شرعية حكم مبارك والقذافي والأسد، لم تقتدِ الصين بهذه الدول ولم تشاركهم فيما قالوا. وذلك لأن الصين تلتزم بالاستقلالية والمبادئ الخمسة للتعايش السلمي في مجال السياسة الدولية، كما تلتزم بصفة خاصة بمبدأ عدم الانحياز وعدم التدخل في الشئون الداخلية للدول الأخرى. وبما أن الشرق الأوسط يمر في الوقت الحالي بمرحلة تحول تاريخي، وقد تغلغلت فيه القوى الغربية بشكل عميق؛ بالتالي فقد أصبحت منطقة الشرق الأوسط ساحة للتنافس الأيديولوجي بين الشرق والغرب.

يشمل تأمين المصالح الخارجية الصينية حماية المصالح المشروعة للمؤسسات والمواطنين في الخارج. وفي الوقت الراهن هناك نحو عشرين ألف شركة صينية منتشرة في مائتي دولة ومنطقة على مستوى العالم، كما أن هناك نحو ثمانين مليون صيني

يسـافرون سـنويًّا إلى الخـارج[1]. وبلـغ عـدد المواطنـين الصينيـين في الخـارج خمسـة ملايـين مواطـن. وبالتـالي يصعـب إحصـاء عـدد الصينيـين في الـشرق الأوسـط إحصـاءً دقيقًـا، فلـم يكـن عـدد الصينيـين في ليبيـا معروفًـا حتـى تـم إجـلاء نحـو ثلاثـين ألـف مواطـن صينـي مـن ليبيـا عـام 2011، ويُقـال إن عـدد الصينيـين في دبي نحـو مائتـي ألـف مواطـن[2]. وطبقًـا لإحصـاءات اتحـاد الجاليـة الصينيـين في الخـارج لعـام 2010، يبلـغ عـدد الصينيـين والمغتربـين الصينيـين في الـشرق الأوسـط نحـو خمسـمائة وخمسـين ألـف صينـي3. كـما أن إحصـاءات وزارة التجـارة الصينيـة للاسـتثمارات ومشروعـات المقـاولات الخارجيـة إحصـاءات ضئيلـة. وطبقًـا لإحصـاءات مؤسسـة هيريتـدج فاونديشـن الأمريكيـة، وصـل حجـم مشروعـات المقـاولات الصينيـة في الـشرق الأوسـط خـلال السـنوات العـشر الأخـيرة إلى 48.8 مليـار دولار، و6.2 مليـار منهـا فقـط في ليبيـا[4]. ولكـن بعـد إجـلاء الصينيـين مـن ليبيـا في عـام 2011 وصـل حجـم مشروعـات المقـاولات الصينيـة في ليبيـا إلى 18.8 مليـار دولار. وحتـى تسـتطيع الصـين حمايـة مصالحهـا الخارجيـة، يمكنهـا الاعتـماد عـلى حكومـات الـدول الأجنبيـة في فـترات السـلم، ولكـن في حالـة فقـدان السـيطرة عـلى السـيادة في البـلاد، لا بـد أن يكـون الاعتـماد الكامـل عـلى القـوة الصينيـة. ولقـد شـهدت منطقـة الـشرق الأوسـط فـترات طويلـة مـن الاضطرابـات والتفـكك، مـا جعلهـا أكـثر المناطـق خطـرًا عـلى المصالـح الصينيـة في الخـارج، وبالتـالي يجـب عـلى الصـين التـزام الحـذر الشـديد والاسـتعداد الجيـد للمواجهـة.

1- وانغ يي، "بحث طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية"، "دراسات في الشئون الدولية"، 2013، عدد4، ص7.

2- Bryant Edwards, Testimony before the U.S.-China Economic and Security Review Commission, Hearing on "China and the Middle East", June 6, 2013, http://origin.www.uscc.gov/sites/default/files/transcripts/USCC%20Hearing%20Transcript%20-%20June%206%202013.pdf. (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15) .

3- تشوانغ قوه تو: "المغتربون الصينيون في الخارج وتوجهات التنمية"، "دراسات ومناقشات"، 2010، عدد4 /http://qwgzyj.gqb.gov.cn yjytt/155/1830.sht-ml (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-10-12).

4- The Heritage Foundation "China Global Investment Tracker Interactive Map", http://www.heritage.org/research/projection/China-Global-Investment-Tracker-Inleraclive-Map (تاريخ الاطلاع والتحميل:2013-9-13)

ثانيًا: أولوية المصالح الصينية

جدير بالذكر أن وجود نوعين أو أكثر من المصالح، يجعل حدوث صدام أو تداخل أو تكرار بينهما أمرًا حتميًا، وبالتالي يجب ترتيب أولويات هذه المصالح. وبحسب الكتاب الأبيض حول "التنمية السلمية في الصين"، تشمل المصالح الجوهرية الصينية الآتي: سيادة الدولة، والأمن القومي، ووحدة البلاد، وسلامة أراضيها، والتي تُعتبر بحسب الدستور الصيني الضمان الأساسي لاستقرار أنظمة الدولة وأوضاعها الاجتماعية والتنمية المستدامة على المستوى الاقتصادي والاجتماعي[1]. وطبقًا لهذا التعريف يمكن تقسيم المصالح الجوهرية الصينية إلى ثلاث فئات: سيادة الدولة، والأمن السياسي، والتنمية الاقتصادية. وطبقًا لتقرير استراتيجية الأمن القومي الأمريكية، تنقسم المصالح القومية الصينية إلى مصالح جوهرية، ومصالح مهمة، ومصالح عادية. وفي ضوء التعريفين السابقين، يمكن اعتبار مصالح الصين في الشرق الأوسط في مجال الطاقة، مصالح جوهرية. فاليوم تعتمد الصين في 60% من استهلاكها للطاقة على الاستيراد، ومن المتوقع أن تصل هذه النسبة إلى 75% بحلول عام 2030، منها 50% من الشرق الأوسط. وبالتالي تؤثر الطاقة من الشرق الأوسط على التنمية المستدامة للاقتصاد الصيني بشكل جوهري، وتمس المصالح الجوهرية الصينية. وعلى الجانب الآخر، لا تمثل مصالح الشرق الأوسط الاستراتيجية والأمنية والخارجية تهديدًا خطيرًا مباشرًا على الصين، ولكنها تؤثر بشكل غير مباشر؛ ولذلك تُعتبر من المصالح المهمة للصين في الشرق الأوسط. أما المصالح السياسية للصين في الشرق الأوسط فهي مصالح أيديولوجية بشكل أساسي، ولذلك تُعتبر من المصالح العادية.

يحتاج تحقيق الاستقرار لأسعار موارد الطاقة والإمدادات من الطاقة إلى بيئة سياسية مستقرة، وبالتالي فإن استقرار منطقة الشرق الأوسط يصب في المصالح الجوهرية الصينية؛ لأن واردات الصين من الطاقة تأتي بشكل أساسي من دول الخليج، وتُعتبر الدول الآتية هي المصدر الأساسي لواردات الصين النفطية في عام 2011: السعودية (22%)،

1- المكتب الإعلامي التابع لمجلس الدولة الصيني: "التنمية السلمية في الصين"، http://politics.people.com.cn/GB/1026/15598619.html (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2012-12-15).

وإيــران (12%)، وعــمان (8%)، والعــراق (6%)، والكويــت (4%)، والإمــارات (3%)[1]، وتشــكل هــذه الـدول كامـل حصـة صـادرات الـشرق الأوسـط مـن النفـط إلى الصـين. ومـا دامـت منطقـة الخليـج مسـتقرة، أو عـلى الأقـل لا تعـاني جميـع دول الخليـج مـن الاضطرابـات في آن واحـد، فـإن ذلـك يمكـن أن يضمـن الـواردات النفطيـة الصينيـة مـن الـشرق الأوسـط، وعـدم الإضرار بمصالحهـا الجوهريـة. أمـا الاضطرابـات في المناطـق غـير المنتجـة للنفـط في الـشرق الأوسـط، فسـوف تؤثـر بالتأكيـد عـلى أمـن إسرائيـل. كـما أن تقلبـات الإرهـاب ترتبـط بشـكل كبـير بالمصالـح الأمريكيـة، في حـين ترتبـط ارتباطًـا ضئيـلًا بالمصالـح الصينيـة.

وقـد لا تصـل خطـورة الاضطرابـات في منطقـة الـشرق الأوسـط إلى حـد الإضرار بالمصالـح الجوهريـة الصينيـة، لكنهـا مـن الممكـن أن تؤثـر عـلى مصالـح الصـين الأمنيـة والسياسـية والخارجيـة. فعـلى سـبيل المثـال، رغـم أن ليبيـا مـن الـدول النفطيـة، فإنهـا ليسـت مـن مصـادر النفـط الرئيسـية بالنسـبة للصـين. ففـي عـام 2011، اسـتوردت الصـين نحـو 6 مليـون و344 ألـف طـن مـن النفـط مـن ليبيـا، وتمثـل هـذه الكميـة 2-3% فقـط مـن إجـمالي الـواردات. وبالإضافـة إلى ذلـك، لا تُعتـبر ليبيـا مـن الـشركاء التجاريـين المهمـين بالنسـبة للصـين؛ حيـث يُقـدر حجـم التجـارة الثنائيـة بـين البلديـن بـ6.576 مليـار دولار فقـط. كـما أن ليبيـا لا تُعتـبر مـن الـدول المهمـة التـي يسـتهدفها الاسـتثمار الصينـي؛ حيـث يُقـدر حجـم الاسـتثمارات الصينيـة المبـاشرة في ليبيـا حتـى عـام 2009 بعشريـن أو ثلاثـين مليـون دولار فقـط. ومـع ذلـك، تسـبب تغـير السـلطة الليبيـة في خسـائر فادحـة لمصالـح الصـين الخارجيـة. فقـد لجـأت الصـين إلى جميـع الوسـائل لإجـلاء رعاياهـا عـلى وجـه السرعـة، مـما تكلـف حـوالي 300 مليـون يـوان. كـما تُقـدر خسـائر الممتلـكات الصينيـة في الحـرب الليبيـة بـ1.5 مليـار يـوان. وكانـت قيمـة عقـود مشروعـات المقـاولات الصينيـة في ليبيـا تُقـدر بـ18.8 مليـار دولار، ولكـن وصـل حجـم الخسـائر إلى 20 مليـار دولار[2]. وبالإضافـة إلى ذلـك، وصـل حجـم التجـارة المصريـة في الصـين إلى 8.8 مليـار دولار فقـط في عـام 2011، وبالتـالي تمثـل مـصر أهميـة اقتصاديـة

1- Dawn C.Murphy, Testimony before the U.S.-China Economic and Security Review Commission, Hearing on "China and the Middle East", http://origin.www.uscc.gov/sites/default/files/transcripts/USCC%20Hearing%20Transcript%20-%20June%206%202013.pdf (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15)

2- وانغ جين يان: "تأثير التقلبات في ليبيا على مصالح الصين الاقتصادية في الخارج"، "دراسات حول العالم العربي"، 2012، عدد2، ص 39-43.

ضئيلة بالنسبة للصين. ولكن تُعتبر مصر أكبر دولة من حيث عدد السكان في منطقة الشرق الأوسط، وبالتالي تؤثر توجهاتها السياسية بشكل كبير على المنطقة. فبعد أن قمع الجيش المصري أعمال عنف جماعة الإخوان المسلمين، بدأت حدة النزاعات السياسية تمتد إلى الخارج وأثارت موجات من الاضطرابات. ولا يختلف الأمر في سوريا، فقد وصل حجم التجارة السورية في الصين إلى 3 مليار دولار فقط في عام 2011، وبالتالي لا تمثل تأثيرًا استراتيجيًا أو اقتصاديًا ملحوظًا بالنسبة للصين. ولكن تدخل القوى الخارجية في السياسة الداخلية السورية ينتهك المصالح الأيديولوجية السياسية الصينية. ولذلك صوتت الصين بالرفض ثلاث مرات على مشروع قرار خاص بالقضية السورية في مجلس الأمن، الأمر الذي يُعد سابقة تاريخية. وفوق هذا، فإن حجم الاستثمارات ومشروعات المقاولات الصينية التي تتجاوز المليار في منطقة الشرق الأوسط في الفترة بين عام 2005 و2013 تشمل الدول الآتية: إيران (20.3 مليار)، السعودية (14.9 مليار)، العراق (8.5 مليار)، تركيا (5.4 مليار)، قطر (4.7 مليار)، الجزائر (4.5 مليار)، سوريا (3.7 مليار)، مصر (2.7 مليار)، الكويت (1.8 مليار)، الإمارات (1.6 مليار)، إسرائيل (1.6 مليار)[1]. ويتضح لنا مما سبق أن المصالح الخارجية الصينية في الشرق الأوسط تنتشر بشكل واسع؛ حيث تُعد دول الخليج النفطية وبلاد الشام ودول شمال إفريقيا غير النفطية كلها دولًا تستهدفها الاستثمارات الصينية. والجدير بالذكر أن المصالح الخارجية الصينية تمس أمن حياة المواطنين الصينيين في الخارج، فهي مسألة سياسية تتجاوز أهميتها الاعتبارات الاقتصادية. وبالتالي فإن الاضطرابات في أي دولة من دول الشرق الأوسط، سواء دولة خليجية نفطية أو دولة غير نفطية، يضر بمصالح الصين الخارجية. وعلى الرغم من أن بعض القضايا الساخنة التقليدية قد تبدو قضايا جزئية ومحدودة لا تهدد المصالح الصينية بشكل مباشر أو فوري، لكنها تُعتبر أرضًا خصبةً لزيادة حدة النزاعات السياسية وانتشار الإرهاب في منطقة الشرق الأوسط، مما يخلق بيئة غير مواتية للمصالح الصينية في المنطقة.

ويبدو أن اختلاف أماكن ودرجات وطبيعة الاضطرابات في منطقة الشرق الأوسط يشكل

1- The Heritage Foundation, "China Global Investment Tracker Interactive Map", http:// www.heritage.org/research/projection/China - Global - Investment - Tracker - Interactive – Map (تاريخ الاطلاع والتحميل: 13-9-2013)

تهديـدات متفاوتـة للمصالـح الصينيـة في المنطقـة، ولكـن بصفـة عامـة تؤثـر هـذه الاضطرابـات تأثـيراً سـلبيًّا عـلى مصالـح الصـين بمسـتوياتها المختلفـة. ومـع ذلـك، هنـاك توجـه يعتقـد أن الاضطرابـات في الـشرق الأوسـط يمكـن أن تؤثـر عـلى الولايـات المتحـدة، وتقيـد مـن الاسـتراتيجية الأمريكيـة للتحول إلى الـشرق، مـا يخفـف مـن الضغـوط الاسـتراتيجية عـلى الصـين في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ؛ فمـن الممكـن أن تخيـف هـذه الاضطرابـات الاسـتثمارات الغربيـة في الـشرق الأوسـط، مـا يوسـع المجـال أمـام الاسـتثمارات الخارجيـة الصينيـة. قـد يبـدو هـذا التوجـه منطقيًـا، ولكنه ليس بهـذه البسـاطة على أرض الواقـع. فالاضطرابـات في منطقـة الـشرق الأوسـط تـضر بالمصالـح الاقتصاديـة والسياسـية والاسـتراتيجية والأمنيـة والخارجيـة الصينيـة في المنطقـة، ومـن الجانـب الآخـر تقيـد الاسـتراتيجيات الأمريكيـة، مـا قـد يخفـف مـن الضغـوط الاسـتراتيجية عـلى الصـين في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. ولكـن حتـى نسـتطيع أن نحكـم عـلى مـدى اسـتفادة الصـين يجـب أن نـوازن بـين أضرار الصـين في الـشرق الأوسـط ومكاسـبها في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. ويمكننـا فعـل ذلـك بأخـذ الجوانـب التاليـة في الاعتبـار: أولًا: يجـب معرفـة مـدى تـورط الولايـات المتحـدة الأمريكيـة. وعـادةً مـا يفضـل المراقبـون الدوليـون الاستشـهاد ببعـض الأمثلـة، كالحـرب في العـراق وأفغانسـتان، التـي تُعـد كافيـة بالفعـل لتقييـد الولايات المتحـدة. فقـد شـارك نحـو مليـوني جنـدي أمريـكي في حـربي العـراق وأفغانسـتان، كـما تُـوفي أكـثر مـن سـتة آلاف أمريـكي وأُصيـب نحـو أربعـين ألفًـا، ووصلـت نفقـات الحـرب إلى تريليـون وخمسـمائة مليـار دولار أمريـكي[1]. ولـولا حجـم هاتـين الحربـين الهائـل وزمنهـما الطويـل لأُثـيرت التسـاؤلات حـول مـا إذا كانـت قـادرة عـلى تقييـد الاسـتراتيجيات الأمريكيـة. وعـلى هـذا الأسـاس، لا يعتقـد أحـدٌ مثـلاً أن الحـرب في ليبيـا قـادرة عـلى تقييـد الاسـتراتيجيات الأمريكيـة. ثانيًـا: يجـب التأكـد مـن مـدى قـدرة الاضطرابـات عـلى إخافـة الاسـتثمارات الغربيـة مـن جانـب، وحمايـة أمـن الاسـتثمارات الصينيـة مـن الجانـب الآخـر. فـلا ننكـر أن الصـين دائمًـا مـا تحصـل عـلى فـرص للاسـتثمارات الأوليـة وتتمتـع بتأثيرات اقتصاديـة كبـيرة في بعـض الـدول التـي تجمعهـا علاقـات متوتـرة أو غـير مسـتقرة مـع الولايـات المتحدة الأمريكيـة في منطقـة الـشرق الأوسـط، عـلى سـبيل المثـال: السـودان، والعـراق، وإيـران، والجزائـر. كـما تعتمـد اسـتثمارات الصـين في مجـال الطاقـة في منطقـة الـشرق الأوسـط عـلى المشروعات الأولية بشـكل

1- Richard N. Haass, "The Irony of American Strategy: Putting the Middles East in Proper Perspective", Foreign Affairs, May/June 2013, p.59.

أساسي، وتُعد شركة بتروتشاينا المحدودة أكبر شركات النفط الأجنبية في العراق، فقد وصل حجم استثماراتها في العراق عام 2008 إلى 3.3 مليار دولار، ووصل الإنتاج اليومي من النفط في ثلاثة مشروعات في عام 2012 إلى سبعمائة وأربعة آلاف برميل، ما يحتل ثلث إجمالي إنتاج شركة بتروتشاينا المحدودة في الخارج[1]. وبعد اضطراب الأوضاع السياسية في مصر عام 2011، بدأت الشركات الغربية تنسحب من السوق المصرية. ثم في سبتمبر عام2013، وقّعت شركة سينوبك (الصين للبتروكيماويات) اتفاقية مع شركة أباتشي الأمريكية للبترول، حيث أنفقت 3.1 مليار دولار لشراء 3/1 حصة الشركة الأمريكية من النفط والغاز في مصر. ومنذ عام 2005، استغلت الشركات الصينية فترة عقوبات الدول الغربية على إيران، وخططت لاستثمارات يصل حجمها خلال خمس سنوات إلى 120 مليار دولار. ولكن كانت هذه الاستثمارات خطيرة للغاية، وبات نجاحها من فشلها مجهولًا. وفي الحقيقة، فعّلت الصين استثمارات بقيمة 6 مليارات دولار فقط في إيران، وبعد تضييق الغرب من العقوبات عام 2012، توقفت تقريبًا جميع المشروعات الأولية التي اتفقت عليها الصين مع إيران. كما وصل حجم الاستثمارات الصينية الفاشلة في إيران إلى 22.7 مليار دولار منذ عام 2005[2]. وبعد التدهور الشديد للأوضاع في العراق عام 2013، واجهت الصين تحديات كبيرة أمام تأمين استثماراتها في البلاد.

وإذا جاز التعبير، لا ينبغي أن تشمت الصين في تورط الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط استراتيجيًّا، وإن كانت ستتعرض بالتأكيد إلى الضربات بسبب اضطرابات المنطقة. ولكن هناك علاقة سبب ونتيجة تجمع بين تورط الولايات المتحدة والاضطرابات في الشرق الأوسط، فإما أن تتسبب الاضطرابات في تورط الولايات المتحدة، على سبيل المثال حرب الخليج عام 1991، أو أن يثير التورط الأمريكي الاضطرابات، كما حدث في حرب العراق عام 2003. وبالتالي لا يجب أن تنظر الصين إلى وجه واحد من العملة دون الآخر. فعلى خلفية الاضطرابات في المنطقة، لقد تسببت الاضطرابات في دول الخليج النفطية في الإضرار بالمصالح الجوهرية الصينية، وأيضًا قد تسببت الاضطرابات في باقي الدول غير

1- "CNPC, Petrofac Make Joint for Rumaila Contracts", International Oil Daily, March 18, 2013: "Unrest Hits CNPC's 2012 Output", International Oil Daily, January 18, 2013.

2- Derek Scissors, "China's Steady Global Investment: American Choices", http://www.heritage.org/research/reports/2013/07/china-s-Steady-global/investment/american-choices (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-21)

النفطية في الإضرار بالمصالح الصينية المهمة والعادية. ولذلك فإن قدرة الاضطرابات على تقييد الولايات المتحدة أمر معقد ويصعب الحكم عليه من جانب واحد؛ لأنها تتطلب الأخذ في الاعتبار الإطار الزماني والمكاني والظروف المحيطة.

ومع ذلك، لا ينعم الوضع الراهن بالاستقرار. فالأوضاع الراهنة في الشرق الأوسط دائمًا غير مستقرة، كما أن توازنات السلطة ضعيفة، وبالتالي يتطلب السعي إلى الاستقرار تغيير الأوضاع الراهنة، والقضاء تدريجيًا على جذور الاضطرابات. وتُعد الخلافات بين الدول الإسلامية والغربية، وبين الدول العربية وإسرائيل، وبين دول السنة والشيعة، وبين الإسلام السياسي والقوى السياسية العلمانية، وبين الدول الحليفة للولايات المتحدة والدول غير الحليفة لها، وبين الحكومات الديكتاتورية والشعوب، هي العناصر الأساسية وراء الاضطرابات الطويلة، والضعف الشديد للظروف في منطقة الشرق الأوسط. كما أن تأصل وزيادة حدة هذه الاضطرابات لا يتفق مع المصالح الصينية. وفي الوقت الراهن، تعتمد توازنات السلطة الضعيفة في الشرق الأوسط على الولايات المتحدة. ولكن بصفة عامة، يُعد التدخل الغربي أحد الجذور المهمة للاضطرابات الطويلة في الشرق الأوسط؛ لأن سلبياته تتفوق كثيرًا على إيجابياته. وبالتالي فإن انسحاب الغرب من الشرق الأوسط وخاصةً الولايات المتحدة، يصب في استقرار المنطقة. ولكن بالطبع هذا لا يعني أن تهرب الولايات المتحدة بشكل غير مسئول، وإنما ينبغي أن تبتعد بشكل منظومي ومسئول، لتعود منطقة الشرق الأوسط لأهلها مرةً أخرى. فعلى الأقل، يجب أن تقلل الولايات المتحدة من تدخلها في الشئون الداخلية لدول الشرق الأوسط، مما يسمح لجميع قوى الشرق الأوسط بالبحث عن توازناتها الذاتية. فانسحاب القوى الخارجية من الشرق الأوسط بشكل مسئول يصب في مصلحة الصين، أما إذا وسّعت القوى الخارجية من درجة تدخلها، فسوف يتعارض ذلك مع المصلحة الصينية.

إن النزاعات بين دول الشرق الأوسط، والفساد السياسي، والتراجع الاقتصادي، قد فرض قيودًا على إمكانات هذه الدول الاقتصادية، وقد أثر أيضًا على حصة الصين في أسواق الشرق الأوسط. ففي عام 2012، احتل الاحتياطي المؤكد من النفط في الشرق الأوسط 48.4% من الاحتياطي العالمي، بينما احتل حجم الإنتاج 32.5% فقط، في حين احتل الاحتياطي المؤكد الأمريكي 2.1%، ووصل حجم الإنتاج إلى 9.6%. واحتل الاحتياطي

المؤكـد مـن الغـاز الطبيعـي في الـشرق الأوسـط 43%، بينـما احتـل حجـم الإنتـاج 16.3% فقـط. واحتـل الاحتياطـي المؤكـد الأمريـكي 4.5%، بينـما وصـل حجـم الإنتـاج 20.4%. كـما عجـزت إيـران والعـراق، اللتـان تعتـبران مـن الـدول النفطيـة الكـبرى، عـن اسـتغلال إمكانـات الإنتـاج بشـكل كامـل، حيـث احتـل الاحتياطـي المؤكـد مـن النفـط في إيـران 9.4% فقـط مـن الاحتياطـي العالمـي، واحتـل حجـم الإنتـاج 4.2% فقـط. وفي العـراق، احتـل الاحتياطـي المؤكـد 9%، ووصـل حجـم الإنتـاج 3.7% فقـط[1]. وعـلى الرغـم مـن أن منطقـة الـشرق الأوسـط تتمتـع بأعـداد سـكان هائلـة ودول عديـدة، لكـن انفصلـت هـذه الـدول في أسـواق منعزلـة ومسـتقلة، مـا جعـل سـعة كل سـوق مـن هـذه الأسـواق ضئيلـة. كـما أن اسـتعادة دول المنطقـة لتـوازن السـلطة فيـما بينهـا وتطبيـق إصلاحـات اقتصاديـة وسياسـية داخليـة، بالتأكيـد مرحلـة مليئـة بالاضطرابـات والاشـتباكات، ومـن الممكـن أن تشـكل تهديـدات للمصالـح الصينيـة عـلى المـدى القصـير، ولكنهـا مرحلـة لا مفـر منهـا، وكلـما كانـت أسرع كان أفضـل، وإلا فسـوف تـؤدي إلى ثـورات عنيفـة. وهنـا ينبغـي عـلى جميـع أطـراف الـصراع في المنطقـة والـدول الكـبرى في المجتمـع الـدولي أن يطلقـوا العنـان للإبـداع، لحـل القضايـا التاريخيـة المشـتركة، والرفـع مـن درجـة التكامـل الاقتصـادي في الـشرق الأوسـط.

إجـمالًا لمـا سـبق، فـإن انسـحاب القـوى الخارجيـة التدريجـي مـن الـشرق الأوسـط، وعـودة التوازن الداخـلي في المنطقـة، والقيـام بإصلاحـات شـاملة وتدريجيـة لتحقيـق الحداثـة السياسـية، وتحقيـق الازدهـار والاسـتقرار والتكامـل الاقتصـادي كلهـا أمـور تتوافـق مـع المصالـح الصينيـة.

1- “BP Statistical Review of World Energy”, June 2013, http://www.bp.com/content/dam/bp/pdf/statistical-review/statisitcal-re-view-of-world-energy-2013.pdf. (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-13)

ثالثًا، قوة التأثير الصينية

ينبغي على الصين بعد ترتيب أولويات مصالحها في منطقة الشرق الأوسط، أن تقوم بمراجعة ما تتمتع به من موارد استراتيجية. فدائمًا ما تكون هناك فجوة بين ما تتمتع به الدولة من موارد وما تتطلع إليه من أهداف، ولأن نقص الموارد يقيد ما تسعى إليه الدولة من أهداف؛ بالتالي ينبغي توزيع الموارد حسب أولوية الأهداف، أو تعديل أولوية الأهداف حسب حجم الموارد وخصائصها. ويجب على الصين عند السعي لمصالحها الخاصة عدم الابتعاد عن تقاليدها الدبلوماسية أو أيديولوجياتها الفكرية السائدة أو قوة الدولة.

تتمتع الصين بموارد اقتصادية ضخمة في الشرق الأوسط، ولكن لا تزال قوة تأثيرها كامنة وجزئية ولن تظهر إلا مستقبلًا. وتُعتبر الصين في الوقت الحالي أكبر شريك تجاري لمائة وثمانية وعشرين دولة على مستوى العالم، كما تُعتبر أسرع أسواق الصادرات نموًّا، وأكثر الدول الواعدة للاستثمارات، وتُعد أكبر الدول المستوردة لموارد الطاقة[1]. وتمثل الصين أهميةً كبيرةً أيضًا بالنسبة للشرق الأوسط، ففي عام 2012، أصبحت الصين أكبر شريك تجاري لدول الشرق الأوسط. وبالإضافة إلى ذلك، تُعتبر الصين من أكبر الدول المستوردة للنفط من الشرق الأوسط، وتُعد المنطقة أكبر مصادر النفط بالنسبة للصين. وطبقًا لتقديرات "صندوق النقد الدولي"، كلما انخفض إجمالي الناتج المحلي الصيني بنسبة 1%، انخفض سعر الطاقة والمعادن بنسبة 6%[2]، ما يؤثر بشكل كبير على منطقة الشرق الأوسط باعتبارها منتجًا مهمًّا لموارد الطاقة والمعادن. ولكن ذلك الاعتماد الاقتصادي المتبادل لا يمكن أن يشكّل في حد ذاته قوة تأثير كبيرة، فتحول هذا القدر من الاعتماد إلى قوة تأثير حقيقية يعتمد على حساسية وهشاشة هذا الاعتماد. ونقصد هنا بالحساسية، مدى سرعة وعمق تأثير تحول السياسات في دولة ما على دولة أخرى. أما الهشاشة فنقصد بها قدر الخسائر التي لا تعوض والتي يمكن أن يسببها تغير السياسات

1- وانغ يي، "بحث طريق دبلوماسية الدول الكبرى ذات الخصائص الصينية"، "دراسات في الشئون الدولية"، 2013، عدد4، ص1.

2- Kenneth Rapoza, "When China Sneeze, Everyone Gets Sick", Forbes, July24, 2013.

في دولـة مـا عـلى دولـة أخـرى[1]. وفي المجـال التجـاري، بلـغ حجـم الصـادرات الصينيـة إلى الـشرق الأوسـط 121 مليـار دولار في عـام 2012، وكانـت معظـم هـذه الصـادرات مـن منتجـات الصناعـات الخفيفـة، مثـل: الأجهـزة المنزليـة وأجهـزة الاتصـالات والمعـدات والآلات والمـواد الغذائيـة، ولكـن تُعتـبر هـذه السـلع مـن السـلع التـي يسـهل الحصـول عـلى مـورد بديـل لهـا. ومـن ثـم فـإن قـدر حساسـية وهشاشـة اعتـماد الـشرق الأوسـط عـلى الصـادرات الصينيـة ضئيـل، وبالتـالي لا يمكـن أن تسـتغل الصـين هـذا الاعتـماد للتأثـير عـلى الـشرق الأوسـط. وفي عـام 2012 أيضًـا، وصـل حجـم الـواردات الصينيـة مـن الـشرق الأوسـط إلى 160 مليـار دولار، وكانـت معظمهـا مـن المنتجـات النفطيـة. وفي الوقـت الراهـن، لا تـزال أسـواق النفـط تُعتـبر أسـواقًا للباعـة، فتتنافـس الـدول المسـتهلكة للنفـط عـلى مصـادر النفـط، مـا يضمـن اسـتقرار الطلـب عـلى النفـط واسـتقرار أسـعاره. ومـن الناحيـة الأخـرى، تحتـاج دول الخليـج إلى أسـواق نفطيـة ضخمـة ومسـتقرة، وبالتـالي إذا لبّـت الصـين هـذا الـشرط، فلـن يحـل محـل الأسـواق الصينيـة أي أسـواق أخـرى. ومـن ثـم، فكلـما كان قـدر حساسـية وهشاشـة اعتـماد كل طـرف عـلى الآخـر قويًـا، لـن يسـتطيع أي طـرف التخـلي عـن الآخـر.

عـلى الرغـم مـن أن اعتـماد الصـين عـلى النفـط مـن الـشرق الأوسـط يمثـل أحـد قيـود الدولـة في الوقـت الراهـن، ولكـن مـن الممكـن أن يتحـول هـذا الاعتـماد في المسـتقبل إلى مـورد اسـتراتيجي مهـم. ونظـرًا لمـا تشـهده سـوق النفـط مـن تحـولات كبـيرة، بالتـالي تختلـف تقديـرات كل طـرف حيـال المسـتقبل. فطبقًـا لتقديـرات الوكالـة الدوليـة للطاقـة وإدارة معلومـات الطاقـة الأمريكيـة، سـوف يسـتمر الطلـب العالمـي عـلى الطاقـة في الارتفـاع. وتتوقـع بريتيـش بتروليـوم الإنجليزيـة (BP) أن يرتفـع الطلـب العالمـي عـلى النفـط مـن 89 مليـون برميـل إلى 104 ملايـين برميـل يوميًـا. في حـين يتوقـع سـيتي بنـك أنـه بعـد أن يصـل الطلـب العالمـي عـلى النفـط إلى أعـلى رقـم وهـو 92 مليـون برميـل يوميًـا خـلال بضـع السـنوات المقبلـة فسـوف يتراجـع الطلـب، في حـين سـوف يسـتمر العـرض في الزيـادة[2]. وبالتـالي، سـوف تتبـدل حساسـية وهشاشـة الاعتـماد المتبـادل عـلى الطاقـة بـين الصـين والـشرق الأوسـط، وسـوف ينتقـل النفـط مـن سـوق البائـع إلى سـوق المشـتري، وبالتـالي ترتفـع قـوة تأثـير الصـين عـلى الـشرق الأوسـط. وعـلى المـدى البعيـد،

1- Robert O. Keohane and Joseph S.Nye, Power and Interdependence, Little Brown and Company, 1997, pp.11-19.

2- "The Future of Oil: Yesterday's Fuel", The Economist, August 3, 2013, p 11.

سوف يـؤدي ذلـك التوجـه إلى انخفـاض قـدرة سيطرة الـدول المنتجـة للنفـط عـلى إمـدادات النفـط وأسـعاره، وبالتـالي تصبـح أكـبر خـاسر في سـوق النفـط، في حـين سـوف يرتفـع طلـب الـدول الناشـئة مثـل الصـين عـلى النفـط، وتصبـح لهـا حريـة تعبـير أكـبر في سياسـات النفـط.

كـما أن حجـم الاسـتثمارات الصينيـة المبـاشرة والمشروعـات التكنولوجيـة في الـشرق الأوسـط لا يـزال ضئيـلاً، وبالتـالي فـإن مـن الصعـب أن تتحـول إلى قـوة تأثـير فعالـة. ففـي الفـترة بـين عـام 2003 حتـى عـام 2011، احتلـت الاسـتثمارات الأوروبيـة 24% مـن حجـم الاسـتثمارات الأجنبيـة في الـشرق الأوسـط، واحتلـت أمريـكا الشـمالية 18%، في حـين احتلـت الصـين 1.8% فقـط[1]. كـما أن الصـين عجـزت عـن الحصـول عـلى عقـود في مجـال التكنولوجيـا المتقدمـة، وحصلـت عـلى كـم ضئيـل جـدًا مـن المشروعات الأوليـة في مجـال الاسـتثمارات في الطاقـة، وهـي اسـتثمارات يمكـن اسـتبدالها، وتمثـل حساسـية وتأثـيراً ضئيـلاً بالنسـبة لـدول الـشرق الأوسـط؛ لأن الولايـات المتحـدة وأوروبـا واليابـان وكوريـا تسـيطر عـلى معظـم العقـود في مجـال التكنولوجيـا المتقدمـة. فعـلى سـبيل المثـال فـازت كوريـا الجنوبيـة في مناقصة لبنـاء أربـع محطـات لتوليـد الكهربـاء بالطاقـة النوويـة في الإمـارات عـام 2009، وتجـاوزت قيمـة العقد الإجماليـة 20 مليـار دولار، في حـين لم تحـظَ الـشركات الصينيـة عـلى أيـة فرصـة في السـوق الضخمـة لتوليـد الكهربـاء بالطاقـة النوويـة في الـشرق الأوسـط. ولكـن تتميـز الـشركات الصينيـة في مشروعـات البنيـة التحتيـة والمواصـلات ذات التكنولوجيـا المنخفضـة، فتحتـل الصـين 45% مـن حجـم مشروعـات البنيـة التحتيـة للـشركات الأجنبيـة في منطقـة الـشرق الأوسـط، بينـما تحتـل الولايـات المتحـدة 9% فقـط[2]. ولكـن لا تـزال هنـاك إمكانـات ضخمـة أمـام الاسـتثمارات الصينيـة المبـاشرة. فيصـل الاحتياطي مـن العملـة الأجنبيـة لـدى الحكومـة الصينيـة والبنـوك المملوكـة للدولـة إلى 4 تريليونـات دولار أمريكي، ويمكـن أن يسـتخدم جـزء كبـير منـه في الاسـتثمارات الأجنبيـة. كـما أن سرعـة نمـو اسـتثمارات الصـين في الخـارج لم تصـل إلى الأرقـام المتوقعـة، فقـد بلـغ حجـم الاسـتثمارات في عـام 2010 نحـو 69.2 مليـار دولار، و76.2 مليـار في عـام 2011، و79.1 مليـار في عـام 2012، ومـن المتوقـع أن يصـل إلى 80 مليـار عام

1- "Shifting perdpective", http://www.ey.com/publication/vwLUAssets/ shifting_perepective_middle_east_2012/$file/ shifting_per-spective_middle_east_2012_pdf (تاريخ الاطلاع والتحميل: 13-9-2013)

2- "Region's Project Market Booms", MEED, May12, 2013, Chart: Contractors by Project Value.

2013، ومـن المأمـول أن يصـل إلى حاجـز المائـة مليـار بحلـول عـام 2016[1]. ولحسـن الحـظ أنـه في الوقـت الـذي تبحـث فيـه الصـين عـن أسـواق للاسـتثمار، يكـون الـشرق الأوسـط في حاجـة إلى اسـتثمارات أجنبيـة ضخمـة. وطبقًـا لتقديـرات الوكالـة الدوليـة للطاقـة، يحتـاج بنـاء البنيـة التحتيـة مـن الطاقـة بحلـول عـام 2035 إلى اسـتثمارات بقيمـة 37 تريليـون دولار، منهـا 430 مليـار دولار إمـدادات مـن النفـط و184 مليـار دولار إمـدادات مـن الغـاز الطبيعـي كل عـام[2]. وبالتـالي سـيصبح جـذب الاسـتثمارات الكافيـة مـن أكـبر التحديـات التـي تواجههـا الـدول المنتجـة للطاقـة في الـشرق الأوسـط في المسـتقبل. وبالطبـع تتميـز الصـين بسـوقها الضخمـة، حيـث وصـل حجـم الـواردات في عـام 2012 إلى 1.81783 تريليـون دولار، لتصبـح ثـاني أكـبر سـوق عـلى مسـتوى العـالم. وعـلى الرغـم مـن أن حصـة اسـتيراد الـشرق الأوسـط للمنتجـات غـير النفطيـة مـن الصـين تُعتـبر ضئيلـة في الوقـت الحـالي، لكـن مـع التنـوع الاقتصـادي في المسـتقبل، لا يمكننـا أن نسـتهين بقـوة جـذب السـوق الصينيـة.

عـلى الرغـم مـن تزايـد حجـم المسـاعدات الخارجيـة الصينيـة، لكـن حصـة الـشرق الأوسـط مـن المسـاعدات الصينيـة لا تـزال صغـيرة وضعيفـة التأثـير. وفي الوقـت الراهـن، تُعتـبر المسـاعدات الصينيـة للـشرق الأوسـط ضئيلـةً مقارنـةً بالمسـاعدات للقـارة الإفريقيـة. فوفقًـا للكتـاب الأبيـض الـذي أصدرتـه وزارة التجـارة الصينيـة في عـام 2011 حـول "المسـاعدات الخارجيـة الصينيـة لعـام 2009"، احتلـت المسـاعدات لإفريقيا 45.7%، والمسـاعدات لآسـيا 32.8%، في حين لم تُدرج منطقة الشرق الأوسـط بشـكل مسـتقل[3]. ويتضـح مـن ذلـك أن منطقـة الـشرق الأوسـط لا تمثل أهميـةً كبـيرةً في الاسـتراتيجية الصينية الخاصـة بالمسـاعدات الخارجيـة. في حـين أنـه بعـد تـولى محمـد مـرسي السـلطة في مـصر عـام 2012، تعهـدت الولايـات المتحـدة بتقديـم مسـاعدات سـنوية بقيمـة 1.55 مليـار دولار، وجـرت المشـاورات حـول إعفـاء مـصر مـن مليـار دولار مـن الديـون، كـما عقد صنـدوق النقـد الـدولي محادثات حـول منح

1- Derek Scissors, "China's Steady Global Investment: American Choices", http://www.heritage.org/research/reports/2013/07/china-s—Steady global/invesimenl/american—choices (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-21)

2- Bernice Lee, Felix Preston, Jaakko Kooroshy, Rob Bailey and Glada Lahn, "Resources Futures", Chatham House Report, December 2012, p.53.

3- "وزارة التجارة الصينية: "توزيع المساعدات الخارجية الصينية لعام 2009"، http://www.gov.cn/gzdt/2011-04/21/content_1849717.htm (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15).

مـصر قرضًـا بقيمـة 4.8 مليـار دولار. وفي العـام نفسـه، أعلنـت الصـين خـلال زيـارة مـرسي لهـا في ديسـمبر عـن منـح مـصر قرضًـا بقيمـة 200 مليـون دولار. وبعـد عـزل مـرسي مـن السـلطة، قدمـت السـعودية والكويـت والإمـارات مسـاعدات بقيمـة 12 مليـار دولار كدعـم مـن دول الخليـج للجيـش المـصري. ومـن الواضـح أن حجـم المسـاعدات الصينيـة للـشرق الأوسـط ضئيـل وغـير كافٍ لإحـداث تأثـير كبـير مقارنـةً بمسـاعدات الولايـات المتحـدة ودول الخليـج. ولا يعكـس ذلـك الفـرق الكبـير بـين المسـاعدات الصينيـة والأمريكيـة للـشرق الأوسـط قـوة كل دولـة فحسـب، بـل يعـود بشـكل أكـبر إلى تفـاوت أهـداف اسـتراتيجيات كل دولـة. ووفقًـا لإحصـاءات المؤسسـات البحثيـة الأمريكيـة، فقـد وصلـت مسـاعدات جميـع دول "منظمـة التعـاون الاقتصـادي والتنميـة" لإفريقيـا في عـام 2007 إلى 27 مليـار دولار، في حـين وصـل حجـم مسـاعدات الصـين وحدهـا لإفريقيـا عـام 2011 إلى 9.8 مليـار دولار، ووصـل حجـم المسـاعدات إلى 75.4 مليـار دولار في الفـترة بـين عـام 2000 و2011[1]. مـا يعكـس تفـوق المسـاعدات الصينيـة في القـارة الإفريقيـة عـلى مسـاعدات الـدول المتقدمـة. وعـلى نفـس النهـج، إذا اتخـذت الحكومـة الصينيـة قـرارات اسـتراتيجية حـول منطقـة الـشرق الأوسـط، فبالتأكيـد سـوف تجـد المـوارد الكافيـة لتطبيـق اسـتراتيجياتها.

مقارنـةً بالإمكانـات في المجـال الاقتصـادي، تُعتـبر المـوارد السياسـة الصينيـة في منطقـة الـشرق الأوسـط ظاهـرة أكـثر للعيـان وأكـثر واقعيـة؛ حيـث تتشـارك الصـين مـع منطقـة الـشرق الأوسـط في تاريـخ مـن الاسـتعمار، ويتلقّـى الطرفـان التنديـدات مـن الغـرب عـلى المسـتوى السـياسي، ولا يـزالان في مراحـل التنميـة عـلى المسـتوى الاقتصـادي، كـما أن كلًّا منهـما ينبـذ التدخـل الأمريـكي عـلى المسـتوى الدبلومـاسي؛ ولذلـك فهنـاك اتفـاق قـوي بـين الطرفـين في مجـال الأيديولوجيـة السياسـية، ويُعتـبر ذلـك أكـبر المـوارد السياسـية الصينيـة في منطقـة الـشرق الأوسـط. وعـلى مسـتوى الأنظمـة السياسـية، يتهـم الغـرب الصـين ودول الـشرق الأوسـط دائمًـا بأنهـا دول غـير ديمقراطيـة وغـير ليبراليـة، وبالتـالي تتعـرض إلى القمـع السـياسي مـن الغـرب في المجتمـع الـدولي. وبحسـب ترتيـب مـؤشر منظمـة "فريـدام هاوس" الأمريكيـة للحريـات عـام 2013، تُعتـبر كل من الصـين (6.5)، والجزائر (5.5)، والبحريـن (6)، ومصر (5)،

1- Austin Strange, Bradley Parks, Michael J. Tierney, Andreas Fuchs, Axel Dreher, and Vijaya Ramachandran, “China's Development Finance to Africa: A Media-Based Approach Data Collection”, Center for Global Development, WorkingPaper323, April 2013, p.24

وإيـران (6)، والعـراق (6)، والأردن (5.5)، والكويـت (5)، ولبنـان (4.5)، وليبيـا (4.5)، والمغـرب (4.5)، وعـمان (5.5)، وقطـر (5.5)، والسـعودية (7)، وسـوريا (6)، وتونـس (3.5)، وتركيـا (3.5)، والإمـارات (6)، واليمـن (7)، كلهـا إمـا دولًا تفتقـر إلى الحريـات أو تتمتـع بحريـات جزئيـة[1]. ونظـرًا للظـروف السياسـية المشـتركة، عـادةً مـا تكـون مواقـف الصـين ودول الـشرق الأوسـط متقاربـةً في النزاعـات السياسـية الدوليـة، حيـث يرفـض الطرفـان سياسـة "التدخـل" الغربيـة، ويعارضـان "مسـئولية الحمايـة" ومبـدأ "إعـلاء حقـوق الإنسـان عـلى سـيادة الدولـة". فالصـين والـدول العربيـة لا تهتـم أبـدًا بالتدخـل في السياسـات الداخليـة للـدول الأخـرى، بـل يثيرهـما القلـق حـول تدخـل الغـرب في سياسـاتهم الداخليـة[2]. وعـلى العكـس مـن ذلـك، تسـتغل الولايـات المتحـدة شـعار حقـوق الإنسـان والديمقراطيـة أثنـاء معالجتهـا لقضايـا الـشرق الأوسـط، دون التفريـق بـين الـدول الحليفـة أو الأعـداء، مـا يجعـل دول الـشرق الأوسـط في حالـة حـذر دائـم.

عـلى مسـتوى الأنظمـة الاقتصاديـة، فقـد أُقصيـت الاقتصـادات المملوكـة للدولـة في كل مـن الصـين ودول الـشرق الأوسـط إلى زوايـا بعيـدة داخـل المجتمـع الـدولي بسـبب موجـات الرأسـمالية الحـرة الغربيـة. فتلعـب الحكومـة في الصـين ودول الـشرق الأوسـط الـدور الريـادي في الاقتصـاد. وتطبق الصين اقتصـاد السـوق الاشـتراكي الـذي يحتـل فيـه الاقتصـاد المملـوك للدولـة مكانـةً رياديـةً، وتطبـق دول الخليـج نمـوذج الاقتصـاد النفطـي المملـوك للدولـة بشـكل أسـاسي. ويعتـبر الباحثـون الغربيـون الصـين نموذجًـا للرأسـمالية القوميـة للقـرن الحادي والعشريـن[3]، وإن كانـت حكومات العديد مـن دول الشرق الأوسـط تلعـب دورًا ملحوظًـا أكـثر في الاقتصـاد مقارنـةً بالصـين. وتمتلـك الحكومـة الصينيـة 76% مـن ممتلـكات الدولـة، بينـما يمتلـك الشـعب 4/1 الممتلكات فقـط[4]، كما تحتـل الشركات الصينيـة المدعومة

-1 طبقًا للإحصاءات في تقرير منظمة "فريدام هاس" الأمريكية لعام 2013، يُعد الر قم 1 هو المؤشر الأعلى، وبالتالي كلما ارتفع المؤشر انخفضت درجة الحريات،http ://www. freedomhouse. org/report - types/freedom (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-21).

2- Eamon Gearom, “Red Star in the Morning, Business War- ming”, The Middle East, July 2006, p.28.

3- Ian Bremmer, The End of The Free Market, Portifolio, 2010.

-4 تشن تسي وو: "ما هو حجم الحكومة الصينية؟"،

http//:news.163.com 5 4/ 8 0/ 5 2 2 8/0 0 /H L HU68000121EP.html.(تاريخ الإطلاع والتحميل: 2013-9-21) .

بالحكومـة 80% مـن سـوق البورصـة الصينيـة[1]. وتحتـل شركات القطـاع العـام الصينيـة (شركات غـير ماليـة) 29.7% مـن إجـمالي الناتـج المحـلي. كـما أن كلًّا مـن شركـة بتروتشـاينا المحـدودة وشركـة سـينوبك "الصـين للبتروكيماويـات" والشركـة الصينيـة للطاقـة الكهربائيـة صُنفـت ضمـن أول عـشر مؤسسـات في تصنيـف أفضـل 500 مؤسسـة عـلى مسـتوى العـالم عـام 2011[2]. وفي السـعودية، تحتـل شركات القطـاع العـام 65% مـن إجـمالي الناتـج المحـلي. وفي إيـران، يسـيطر حـرس الثـورة الإسـلامية وحـده عـلى 60% عـلى الأقـل مـن اقتصـاد الدولـة[3]. كـما تحتـل شركـة أرامكـو السـعودية 85% مـن الميزانيـة الماليـة للحكومـة السـعودية. ومـن بـين أكـبر عـشرة صناديـق سـيادية عـلى مسـتوى العـالم لعـام 2013، يعـود سـتة منهـا إلى الصـين ودول الـشرق الأوسـط[4]. ولذلـك يعتقـد الباحثـون العـرب أن طريـق التنميـة الصينيـة جديـر بالدراسـة بالنسـبة للمجتمـع العـربي[5].

اتخـذت كل مـن الصـين ودول الـشرق الأوسـط مواقـف متشـابهة أمـام المواجهـات الشرقيـة الغربيـة؛ نظـرًا للتشـابه في الأيديولوجيـة السياسـية لـدى الطرفـين. ومنـذ أن دخلـت الولايـات المتحـدة الـشرق الأوسـط وهـي تطبـق سياسـة الهيمنـة وتحـابي إسرائيـل، مـا قـد شـكَّل أكـبر العُقـد في العلاقـات بـين الـدول العربيـة والولايـات المتحـدة. وعـلى العكـس مـن ذلـك، ظلـت الصـين تتمسـك بمبـادئ دبلوماسـية سـلمية مسـتقلة في الـشرق الأوسـط لفـترات طويلـة، مـا تحـول إلى ثـروة سياسـية ثمينـة بالنسـبة للصـين. فتقـوم الصـين بتطبيـق مبـدأ الاسـتقلالية، أي "عـدم الانحيـاز، وعـدم العزلـة، وعـدم المقاومـة، وعـدم مواجهـة طـرف ثالـث، والقيـام

1- Ian Bremmer, “State Capitalism Comes of Age”, Foreign Affairs, May/ June 2009, “The Rise of State Capitalism”, The Economist, January 21-27, 2012, p.11.

2 ( ) Aldo Musacchio, Sergio G. Lazzarini, “Leviathan in Business: Varieties of State Capitalism and their Implications for Economic Performance”, Harvard Business Schools, Working Paper 12 – 108, June 4, 2012, p. 7.

3- Abba Milani, “Taking Tehran's Temperature: One Year on” Panel at the Carnegie Endowment for International Peace, http: / /carne - gieendowment.org /files/0609carnegie -tehran.pdf.(تاريخ الاطلاع والتحميل: 6-9-2013)

4- SWF Institute Source by March 2013, http: / / www.swfinsti- tute. Org/fund- rankings (تاريخ الاطلاع والتحميل: 4-9- 2013)

5- “China for Us”, Al - Ahram Weekly Online, No.571 , January 31 - February 6, 2002; “Shared Past, Different Future”, Al-Ahram Weekly Online, No.756, August 18 - 24 , 2005.

بالأنشطة الدبلوماسية في جميع التوجهات"، ويُعد عدم الانحياز جوهر المبدأ الصيني[1]. ولا يعني عدم الانحياز الافتقار إلى مبادئ أو مواقف سياسية، بل على العكس، لطالما دعمت الصين استقلال الشعوب العربية، وقدمت الدعم السياسي للعالم العربي في النزاع العربي الإسرائيلي. كما أن الحكومة الصينية دائمًا ما تعلن عن "دعم الصين للقضية العادلة للشعب الفلسطيني" كما صرح المبعوث الصيني الخاص للشرق الأوسط سون بي جان، بدعم الدول العربية بصفة عامة لموقف الصين من قضية تايوان والتبت وقضايا حقوق الإنسان، كما تدعم الصين أيضًا من جانبها سيادة الدول العربية وسلامة أراضيها وحقوق شعوبها المشروعة[2]. كما يُعد عدم التدخل في السياسة الداخلية للدول من أهم المبادئ الخمسة الصينية، ألا وهي: "الاحترام المتبادل لسيادة الدولة وسلامة أراضيها، وعدم الاعتداء، وعدم التدخل في السياسات الداخلية، والمساواة في تبادل المصالح، والتعايش السلمي". ويُعد مجلس الأمن ساحة مهمة تُظهر فيها الصين قوة تأثيرها السياسي، وقد أعربت الصين في ذلك المجلس عن تأييدها السياسي التام للشرق الأوسط. فقد اختلف تصويت الصين عن الولايات المتحدة نحو خمسين مرة في التسعينيات، وكان 22% من الأصوات تتعلق بالشرق الأوسط. وصوتت الصين في أعقاب عام 2000 نحو 33 مرة عكس الولايات المتحدة، وكان 55% من الأصوات لها علاقة أيضًا بالشرق الأوسط. ثم بين عام 2011-2012، كانت 72% من أصوات الصين المعارضة متعلقة بالشرق الأوسط[3]. والجدير بالذكر أن الصين قليلاً ما كانت تستخدم حق الفيتو قبل عام 2011، ففي الفترة بين عام 1971 حتى 2009 استخدمت حق الفيتو خمس مرات فقط[4]، ولكن في الفترة بين عام 2011 و2012 استخدمت حق الفيتو ثلاث مرات فيما يتعلق بالقضية السورية. وقد لجأت الصين إلى الامتناع عن التصويت أو التصويت بالرفض في معظم الأوقات فيما

1- انظر: جو تشنغ، جونغ شين خاي، "المتغيرات والثوابت في مبدأ الاستقلالية الصيني"
http//:www.politicalchina.org/printnews.asp?newsid=36493.(تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15)

2- “China Hopes To Further Expand Cooperation With Arab Countries”, http// english.cri.cn/2946/2008/03/27/1221@ 338774. Htm (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-21)

3- Yitzhak Shichor, Testimony before the U. S. - China Economic and Security Review Commission, Hearing on “China and the Middle East”, http:/ /origin .www.uscc.gov/site s/default/files/transcripts/US-CC%20Hearing%20 Transcript%2020June%206%202013. Pdf. (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15)

4- Yitzhak Shichor, “China's Voting Behavior in the UN Security Council”, China Brief, No. 18, 2006, pp. 4 - 6

يتعلـق بتدخـل الغـرب في قضايـا السـيادة في دول الـشرق الأوسـط، وفيـما يتعلـق بمواقـف الصـين وأيديولوجياتهـا السياسـية. وعـلى صعيـد القضيـة الفلسـطينية الإسرائيليـة، صوتـت الصـين بالموافقـة دعـماً للشـعب الفلسـطيني، بينـما صوتـت الولايـات المتحـدة بالرفـض انحيـازاً لإسرائيـل. ونظـراً إلى دعـم الصـين للـدول العربيـة سياسـياً، وعـدم التدخـل في سياسـاتها الداخليـة، فقـد حظيـت الصـين بدعـم سـياسي واسـع مـن الشـعوب العربيـة. وقـد أوضحـت جميـع اسـتطلاعات الـرأي أن الصـين مـن الـدول المرحـب بهـا في الـشرق الأوسـط. فبحسـب اسـتطلاع للـرأي قـام بـه مركـز اسـتطلاعات الـرأي التابـع لإذاعـة بي بي سي الإنجليزيـة في عـام 2011، يعتقـد 43% مـن المشـاركين أن الصـين لهـا تأثـير إيجـابي في المنطقـة، بينـما يعتقـد 29% فقـط أن الولايـات المتحـدة لهـا تأثـير إيجـابي[1]. وبحسـب اسـتطلاع للـرأي قـام بـه مركـز اسـتطلاعات الـرأي العـربي التابـع لمؤسسـة بروكينغـز في عـام 2010 حـول "أكـثر الـدول الكـبرى المرحـب بهـا"، جـاءت الصـين في المرتبـة الثانيـة، بينـما جـاءت الولايـات المتحـدة في المرتبـة قبـل الأخـيرة[2]. ولقـد تحولـت كراهيـة المسـلمين للولايـات المتحـدة إلى نقطـة ضعـف في العلاقـات بـين حكومـات الـدول العربيـة وحلفـاء الولايـات المتحـدة، مـما قـد دفـع الـدول العربيـة إلى الابتعـاد عـن الولايـات المتحـدة، واللجـوء إلى الصـين لموازنـة التأثـير الأمريـكي.

تُعتـبر المـوارد العسـكرية الصينيـة هـي الأضعـف مقارنـةً بالمـوارد الاقتصاديـة والسياسـية، وبالتـالي تُعـد نقطـة الضعـف في اسـتراتيجيات الصـين بالـشرق الأوسـط. وتضـم الوسـائل التـي تتخذهـا الـدول للتأثـير عسـكرياً في الخـارج الآتي: التواجـد العسـكري، والحصـول عـلى حلفـاء عسـكريين، والتسـليح، والمنـاورات العسـكرية، والتبـادلات العسـكرية. ولكـن تفتقـر الصـين إلى التميـز في أي مـن هـذه الجوانـب. ومـع ذلـك تظهـر جميـع المـؤشرات أن جيـش التحريـر الصينـي سـوف يبـذل كل الجهـود ليصبـح جيشـاً إقليميـاً حديثـاً قبـل حلـول عـام 2020؛ لأنـه قـد حقـق تقدمـاً ضئيـلاً في القيـام بعمليـات عسـكرية أو تسـليح قـوى عالميـة، كـما أن البحريـة الصينيـة لم تقـم بعمليـات خـارج مياههـا الإقليميـة[3]. وبالإضافـة إلى ذلـك، فـإن الصـين ليـس

1- "Global Views of United States Improve While Other Countries Decline", BBC News, April 18, 2010.

2- Shibley Telhami, "2010 Arab Public Opinion Poll: Results of Arab Opinion Survey Conducled June29-July20, 2010", The Brookings Institution, August 5, 2010.

3- Office of the Secretary of Defens, "Military and Security Developments Involving the People's Republic of China 2011", http://www.defense.gov/pubs/pdfs/2011 _CMPR.final. Pdf (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15)

لديهـا حلفـاء عسـكريون وليـس لهـا تواجـد عسـكري في المنطقـة. ومنـذ أربـع سـنوات، أرسـلت البحريـة الصينيـة 14 تشـكيلًا مـن السـفن وعـشرة آلاف شـخص، لحمايـة خمسـة آلاف سـفينة تجاريـة صينيـة وأجنبيـة[1]. وإن قلنـا إن الصـين لديهـا تواجـد عسـكري في الـشرق الأوسـط، فـإن التواجـد الوحيـد هـو قافلـة السـفن الموجـودة في خليـج عـدن. وفي سـبتمبر عـام 2010، قامـت القـوات الجويـة الصينيـة بمنـاورات عسـكرية مشـتركة مـع تركيـا لمقاومـة الإرهـاب، وتُعـد هـذه أول عمليـات عسـكرية تقـوم بهـا الصـين في أراضي إحـدى الـدول الحليفـة في حلـف الناتـو، وتُعـد أيضًـا المنـاورة الوحيـدة التـي قامـت بهـا الصـين في الـشرق الأوسـط حتـى يومنـا هـذا. كـما أن هنـاك تبـادلات عسـكرية بـين الصـين والقليـل مـن الـدول في الـشرق الأوسـط، وتشـمل التبـادلات العسـكرية رفيعـة المسـتوى بـين الطرفـين في الفـترة بـين عامـي 2001 و2010 الآتي: 29 تبـادلًا عسـكريا مـع مـصر، و20 مـع تركيـا، و10 مـع سـوريا، و9 مـع الأردن، و8 مـع تونـس، ولكـن مـرات تكرارهـا ونطاقهـا ضئيـل جـدًّا مقارنـةً بالتبـادلات العسـكرية مـع إفريقيـا وأمريـكا اللاتينيـة[2]. وعـلى العكـس مـن ذلـك، نجـد تبـادلات عسـكرية واسـعة وعميقـة بـين الولايـات المتحـدة وروسـيا وجيـوش دول الـشرق الأوسـط. ففـي الفـترة بـين عامـي 1992-2012، قامـت الولايـات المتحـدة بتسـليح دول الـشرق الأوسـط بقيمـة 70.658 مليـار دولار، وروسـيا بقيمـة 38.59 مليـار، بينـما سـلحت الصـين المنطقـة بقيمـة 3.3 مليـار دولار فقـط. فـوق هـذا، فقـد انخفضـت عمليـات التسـليح الصينيـة للـشرق الأوسـط انخفاضًـا حـادًّا[3]، فقـد انخفـض حجـم تسـليح الصـين للـشرق الأوسـط مـن 19% مـن النسـبة الإجماليـة للتسـليح في عـام 2000 إلى 2.5% في عـام 2012[4]. وبالتـالي فـإن التأثـير العسـكري للصـين عـلى الـشرق الأوسـط لا يُذكـر تقريبًـا مـن جميـع النواحـي.

1- Andrew S. Erickson, Testimony before the U. S. - China Economic and Security Review Commission, http:/ / origin.www.uscc.gov/sites/default/files/transcripts/USCC%20Hearing%20Transcript%20-%20june%206%202013. pdf (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-21)

2- Yitzhak Shichor, Testimony before the U. S. - China Economic and Security Review Commission, Hearing on "China and the Middle East", http://origin.www.uscc. Gov/sites/default/files/transcripts/US-CC%20Hearing%20 Transcript%2020June%206% 202013. Pdf. (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15)

3- "Arm Export to the Middle East" , SIPRI Arms Transfers Database.

4- Yitzhak Shichor, Testimony before the U. S. - China Economic and Security Review Commission, Hearing on "China and the Middle East" , http:/ /origin .www.uscc.gov/sites/ defaul/files/transcripts/US-CC%20Hearing%20 Transcript%2020June%206% 202013. Pdf. (تاريخ الاطلاع والتحميل: 2013-9-15)

الخاتمة

لقد أوضحنا من خلال تحليل المصالح الصينية الأهداف المثالية للسياسات الدبلوماسية، وعلى هذا الأساس أوضح الجزء الخاص بتحليل قوة التأثير الصينية الأهداف الواقعية للسياسات الدبلوماسية. ويتطلب الاستغلال الفعال لقوة التأثير الصينية لتحقيق الأهداف الدبلوماسية وحماية المصالح الوطنية، تحليلاً أعمق للمبادئ والسياسات الدبلوماسية. وعلى الرغم من أن مصالح الصين في الشرق الأوسط معقدة، وتتطلب الدراسات المضنية، لكن المصالح وقوة التأثير الصينية كلها أمور موضوعية، يمكن التوصل إلى تفاهمات مشتركة حيالها. أما المبادئ والوسائل الدبلوماسية فهي ذاتية، وبالتالي من السهل أن ينشب حيالها الاختلافات والتناقضات؛ لذلك تتطلب دراسات دقيقة ومنفتحة وقدر كبير من الحكمة. وبالإضافة إلى ذلك، يمس الشرق الأوسط المصالح الصينية الجوهرية، وهي مصالح ملموسة حقيقية، ولكن الموارد والوسائل التي تلجأ إليها الصين لحماية مصالحها والسعي إليها تعتمد على "القوة الناعمة" بصفة أساسية، ما يتطلب القدرة على قهر القسوة باللين والتأثير الفكري.

في ظل المبادئ الدبلوماسية السلمية المستقلة، تطبق الصين حتى يومنا هذا سياسة الحفاظ على مسافات متساوية، وسياسة صفر مشاكل، وتلجأ إلى الدبلوماسية متعددة التوجهات في الشرق الأوسط، ما جعل الصين دولة مرحبًا بها في المنطقة، ولا تلعب أدوارًا حرجة في الأوقات والقضايا الحرجة. وبما أن الصين دولة ضد الانحياز، بالتالي فليس من مهامها أو مسئولياتها حماية حلفائها، وبالتالي لا تعتبرها دول الشرق الأوسط دولة كبرى لا غنى عنها. حتى إن دول الخليج ترى أن الصين لا تهتم إلا بمصالحها، ولا تعنى بالحلفاء أو الأصدقاء، الأمر الذي يمثل عائقًا كبيرًا أمام العلاقات بين الصين ودول الخليج[1]، ولكن عدم تدخل الصين في الشئون الداخلية يطمئن بلاد المنطقة، وإن كان الافتقار إلى وسائل تدخل فعالة في توجهات التنمية لبعض الدول المهمة يصعّب على الصين ضمان مصالحها. صحيح أن الصين لم تشكك مطلقًا في شرعية أي من حكومات دول الشرق الأوسط، ولكن عندما تحتد الخلافات بين شعوب الشرق الأوسط والحكومات

1- Khalid R. Al- Rodhan, China's Strategic Posture in the Gulf, 1980 – 2010, p. 226.

يصبح موقف الحكومة الصينية في محل اختبار قاسٍ. وبالتالي يمكننا أن نعتبر التقاليد الدبلوماسية والأيديولوجية السياسية الصينية سلاحًا ذا حدين، له مميزات وأيضًا عيوب.

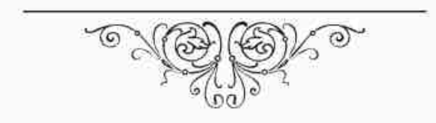
على الرغم من أن المصالح الصينية في الشرق الأوسط تتسع بشكل كبير، إلا أن الموارد المتاحة لحماية هذه المصالح محدودة، ما يشكل تحديًا كبيرًا أمام الاستراتيجيات الصينية في منطقة الشرق الأوسط. ولكن مع توسع التواجد السياسي والاقتصادي والعسكري للصين في المنطقة، من الحتمي أن تنمو قوة تأثير الصين، وتتزايد خياراتها الاستراتيجية. ولكن الشرق الأوسط اليوم مختلف عن الغد، والصين اليوم أيضًا مختلفة عما كانت عليه كدولة كبرى ناهضة على مدار التاريخ، وبالتالي لا يمكنها أن تسلك طريق التنمية القديم الذي سلكته إنجلترا والولايات المتحدة. وبصفة عامة، ينبغي على الصين أن تفعّل استراتيجية "الأثر الخفيف" في الشرق الأوسط، أي أن تولي الأولوية لاستغلال القوة الناعمة أكثر من القوة الصلبة، وأن تلجأ إلى الإجراءات الدفاعية أكثر من الهجومية. وطبقًا لتشبيه أحد المختصين الأوربيين في القضايا الدولية، إذا شبهنا الولايات المتحدة بالأسد، فستكون الصين كالفيل. فالأسد حيوان آكل لحوم، في حين يعتمد الفيل في غذائه على النباتات. وعلى الرغم من أن الفيل لا يبادر بالهجوم، ومع ذلك فإنه يتمتع بقوة جبارة.

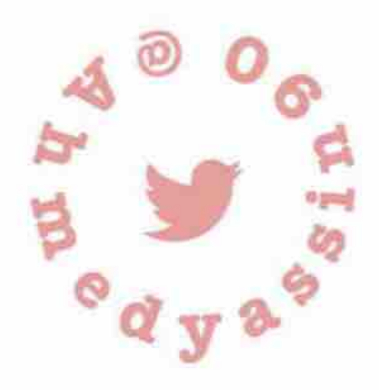
تم نشر هذه الدراسة في العدد العاشر من "مجلة العلاقات الدولية الحديثة" لعام 2013.

مبادرة "الحزام والطريق"

التحديات الأمنية والخيارات الصينية

ليو خاي تشوان




@Ahmedyassin90

ملخـص الدراسـة: إن الطـرح الاسـتراتيجي لبنـاء "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" و"طريـق الحريـر البحـري للقـرن الحـادي والعشريـن" (المعروفـين باسـم الحـزام والطريـق) يمثـل أهميـةً كبـيرةً لرفـع مسـتوى الاقتصـاد الصينـي المنفتـح. وسـوف تعالـج هـذه الدراسـة البحـث التحديـات الأمنيـة المزدوجـة التـي يواجهـا هـذا الطـرح الاسـتراتيجي، وهـي: أولًا: تحديـات أمنيـة تقليديـة عـلى رأسـها الـصراع السـياسي بـين الـدول الكـبرى، والنـزاع عـلى سـيادة الأراضي والجـزر، والاضطرابـات السياسـية في الـدول داخـل المنطقـة. ثانيًـا: تهديـدات أمنيـة غـير تقليديـة عـلى رأسـها الإرهـاب، والقرصنـة، والجريمـة المنظمـة العابـرة للحـدود الوطنيـة. وسـوف تحلـل هـذه الدراسـة أيضًـا وضـع التعـاون الأمنـي في منطقـة "الحـزام والطريـق"، وتطـرح ضرورة الانتبـاه إلى ثلاثـة جوانـب مهمـة أخـرى إلى جانـب تطويـر الصين قواهـا الذاتيـة لمواجهـة المخاطـر الأمنيـة، وتشـمل هـذه الجوانـب الآتي: ضرورة الانتبـاه إلى تقديـم إسـهامات أمنيـة، والاهتـمام بالمصالـح الأمريكيـة والروسـية، والأخـذ في الاعتبـار دور باكسـتان "المحـوري".

الكلمات المفتاحية: مبادرة "الحزام والطريق"؛ التعاون الأمني؛ الخيارات الصينية

الباحـث: ليـو خـاي تشـوان (1980-)، مـدرس بقسـم العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة بجامعـة شـنغهاي للاقتصـاد والتجـارة الخارجيـة.

طـرح الرئيـس الصينـي شي جـين بينـغ خـلال زيارتـه إلى إندونيسـيا وأربـع دول مـن دول آسـيا الوسـطى في شـهري سـبتمبر وأكتوبـر مـن عـام 2013، اسـتراتيجية بنـاء "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" (المعـروف اختصـارًا بـ"الحـزام")، و"طريـق الحريـر البحـري للقـرن الحـادي والعشريـن" (المعـروف اختصـارًا بـ"الطريـق"). وفي "تقريـر عمـل الحكومـة الصينيـة" عـام 2014، أدرج رئيـس مجلـس الدولـة الصينـي لي كـه تشـيانغ هـذه الاسـتراتيجية ضمـن أهـم أعـمال الحكومـة لذلـك العـام، نظـرًا لمـا تمثلـه اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق" مـن أهميـة اسـتراتيجية كبـيرة للرفـع مـن مسـتوى الاقتصـاد الصينـي المنفتـح. وتمثـل المعالجـة المتعمقـة لوضـع التعـاون الأمنـي في المنطقـة والتحديـات التـي تواجههـا هـذه الاسـتراتيجية أهميـةً حقيقيـةً لضـمان تحقيـق مكاسـب اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق" الصينيـة عـلى أرض الواقـع.

أولًا: أوضاع التعاون الأمني في مناطق "الحزام والطريق"

طرحت الصين ضرورة "رفع مستوى الاقتصاد الصيني المنفتح" منذ انعقاد المؤتمر الوطني الثامن عشر للحزب الشيوعي الصيني في عام 2012؛ حيث دعت إلى ضرورة توسيع التعاون، وتعزيز التواصل مع دول الجوار، والتخطيط الشامل للتعاون الثنائي ومتعدد الأطراف والتعاون على المستويين الإقليمي ودون الإقليمي. ثم طرحت الصين أيضًا ضرورة "الإسراع في بناء وسائل للتواصل مع البنية التحتية للدول والمناطق المجاورة، ودفع بناء الحزام الاقتصادي لطريق الحرير وطريق الحرير البحري، بالإضافة إلى خلق أوضاع جديدة تساعد على الانفتاح الشامل"، وذلك حسبما جاء في "قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بشأن القضايا الرئيسية الخاصة بتعميق الإصلاح بشكل شامل" لعام 2013. كما طرح مؤتمر العمل الاقتصادي للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني لعام 2014 ضرورة "صياغة خطة استراتيجية"، وتطبيق استراتيجية "الحزام والطريق". ويغطي نطاق استراتيجية "الحزام والطريق" كلًّا من القارة الآسيوية والأوروبية والإفريقية. وينقسم "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير" الذي يعبر القارتين الآسيوية والأوروبية إلى ثلاثة مستويات من حيث النطاق المكاني، ألا وهي: مناطق محورية، ومناطق توسعية، ومناطق تشعبية[1]. كما أن "طريق الحرير البحري" الذي يعبر منطقة جنوب شرق آسيا، ومنطقة جنوب آسيا، والخليج العربي، وخليج البحر الأحمر، والضفة الغربية من المحيط الهندي، ينقسم إلى ثلاثة أجزاء: خط جنوبي شرق آسيا، وخط جنوبي آسيا والخليج العربي، وخط خليج البحر الأحمر والضفة الغربية

1- تضم المناطق المحورية كلًّا من الصين وروسيا ودول آسيا الوسطى الخمسة. وتشمل المناطق التوسعية الدول الأعضاء والمراقبة في منظمة شنغهاي للتعاون والاتحاد الاقتصادي الأوروآسيوي، وهي الدول التسع الآتية: الهند وباكستان وإيران وأفغانستان ومنغوليا وروسيا البيضاء وأرمينيا وأوكرانيا ومولدافيا. أما المناطق التشعبية فتشمل دول غرب آسيا ودول الاتحاد الأوروبي، وتمتد أيضًا إلى اليابان وكوريا الجنوبية وغيرها من دول شرق آسيا. انظر: باي يونغ شيو، وانغ سونغ جي، "الخلفية العميقة وراء طريق الحرير والاستراتيجيات الجغرافية"، "الإصلاح"، 2014، عدد3، ص68.

مـن المحيـط الهنـدي[1]. أمـا عـلى النطـاق العالمـي، فهنـاك مسـتويات عديـدة للتعـاون الأمنـي في منطقـة "الحـزام والطريـق"، وهـي: التعـاون الثنـائي، والتعـاون متعـدد الأطـراف، والتعـاون عـبر الإقليمـي. وسـوف تقتـصر الدراسـة في هـذا البحـث عـلى مناقشـة جميـع الآليـات (المنظـمات) الأمنيـة في نطـاق التعـاون الثنـائي وعـبر الإقليمـي فقـط.

1.1 نتائج التعاون الأمني في مناطق الحزام الاقتصادي لطريق الحرير:

1. المناطق المحورية (آسيا الوسطى):

تـم تأسـيس منظمـة شـنغهاي للتعـاون (SCO) في عـام 2001 لحـل النزاعـات الحدوديـة في المنطقـة، وتعزيـز مسـتوى الثقـة العسـكرية عـلى المناطـق الحدوديـة. وبعـد أكـثر مـن عـشر سـنوات مـن التطـور، شـكلت هـذه المنظمـة تدريجيًـا نظامًـا متنوعًـا ومتكامـلاً للتعـاون الأمنـي جوهـره الأسـاسي مكافحـة الإرهـاب، بالإضافـة إلى القضـاء عـلى تهريـب المخـدرات والأسـلحة، ومحاربـة الجريمـة المنظمـة العابـرة للحـدود الوطنيـة. ولقـد توسـع التعـاون في هـذه المنظمـة خـلال السـنوات الأخـيرة ليشـمل المجـالات الاقتصاديـة والتجاريـة والإنسـانية والثقافيـة وغيرهـا مـن مجـالات التعـاون الأمنـي غـير التقليديـة، وخاصـة المجـال الاقتصـادي، كـما أنهـا عـززت مـن القـوة التنافسـية الشـاملة للمنطقـة مـن خـلال دفـع التعـاون الإقليمـي في المنطقـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، وقعـت روسـيا ودول آسـيا الوسـطى[2] "معاهـدة الأمـن الجماعـي" في عـام 1992، التـي تُعتـبر آليـة للتعـاون الأمنـي في شـكل تحالفـات عسـكرية في منطقـة آسـيا الوسـطى. ولكـن مـع امتـداد التأثـير الأمريـكي إلى منطقـة آسـيا الوسـطى في القـرن الحـادي والعشريـن، تحولـت هـذه الآليـة إلى وسـيلة للتعـاون الأمنـي توجههـا المصالـح بصفـة أساسـية.

1- يشمل خط جنوب شرق آسيا: الصين وجميع دول اتحاد جنوب شرق آسيا (اتحاد الآسيان)، ويشمل خط جنوب آسيا والخليج العربي 12 دولة، وهي: بنغلاديش وسيريلانكا والهند، وباكستان، وإيران، والعراق، والكويت، والسعودية، وقطر، والبحرين، والإمارات العربية المتحدة، وعمان. ويشمل خط خليج البحر الأحمر والضفة الغربية للمحيط الهندي 9 دول، وهي: اليمن، ومصر، والسودان، وإريتريا، وجيبوتي، والصومال، وكينيا، وتنزانيا، والموزمبيق. انظر: تشن وان لينغ، خه تشوان تيان، "صراع الأطراف على طريق الحرير البحري والمكانة الاقتصادية والتجارية"، "الإصلاح"، 2014، عدد3، ص-76 77.

2- تشمل دول آسيا الوسطى: كازاخستان وطاجيكستان وقرغيزستان وأوزبكستان.

2. المناطق التوسعية:

تضم المناطق التوسعية منطقتي جنوب آسيا وأوروبا الشرقية[1] دون الإقليميتين. والجدير بالذكر أن جميع دول جنوب آسيا قد تخلت عن الأنماط الأمنية المستقلة[2] وسلكت طريق التعاون والأمن الإقليمي، كما بدأت تخلق بيئة أمنية إقليمية تقوم على السلم والثقة المتبادلة، عن طريق تبادلاتها الودية مع جميع دول المنطقة. وفي عام 2008، ركز مؤتمر القمة الخامس عشر لرابطة جنوب آسيا للتعاون الإقليمي (SAARC) على مناقشة بعض القضايا وتقديم الحلول لها، من بينها: الأمن الغذائي، وأزمة الطاقة، والإرهاب؛ الأمر الذي ساعد على دفع التعاون الأمني في المنطقة.

ويعتمد التعاون الأمني في منطقة أوروبا الشرقية على الأنظمة الأمنية الخاصة باتحاد الدول المستقلة والتي تتمحور حول العلاقات مع روسيا، وبالتالي لم تظهر أية أنماط معقدة للتفاعل؛ حيث اعتمد أمن كل من روسيا البيضاء وأرمينيا على روسيا بشكل قوي، وتأسست تحالفات عسكرية وأمنية حصرية مع روسيا عن طريق منظمة معاهدة الأمن الجماعي. في حين نجد اختلافات كبيرة في الاستراتيجيات الأمنية الإقليمية بين أوكرانيا ومولدافيا وروسيا، حيث إنها لم تنضم إلى المنظومة الأمنية الجماعية، بل أسست "منظمة غوام للتطوير الديمقراطي والاقتصادي"[3].

3. (أوروبا):

نظرًا للتفاعل التاريخي الطويل بين الفاعلين في العملية الأمنية سواء فيما يخص التهديدات الأمنية أو البيئة الأمنية الأوروبية، تم تأسيس ثلاث منظمات إقليمية كبرى للتعاون الأمني في أوروبا، ألا وهي: أولًا: حلف الناتو (NATO)، الذي تم تأسيسه لمواجهة

1- المقصود هنا بمنطقة أوروبا الشرقية ،جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابقة، التي تضم: روسيا البيضاء، وأرمينيا، وأوكرانيا، ومولدافيا.

2- تضم هذه الأنماط الآتي: نمط عدم الانحياز وعلى رأسه الهند. نمط الانحياز وعلى رأسه باكستان. نمط "الدولة المحمية" وعلى رأسه نيبال. انظر: يانغ تشي تشن، "الأوضاع الأمنية في منطقة جنوب آسيا ما بعد الحرب الباردة وتأثير الصين على أمن المنطقة"، "المجلة العلمية لجامعة خوبي" (الفلسفة وعلم الاجتماع)، 2013، عدد1، 67-66.

3- تأسست "منظمة غوام للتطوير الديمقراطي والاقتصادي" كتحالف إقليمي غير رسمي في عام 1997 على يد أربع دول، وهي: جورجيا، وأوكرانيا، وأذربيجان، ومولدافيا، وفي عام 1998 انضمت أوزبكستان، ثم انسحبت في عام 2005. وخلال عقد قمة غوام في كييف في مايو عام 2006، تم تغيير اسم هذه المنظمة إلى منظمة المجتمع الوطني.

تغير البيئة الأمنية في أوروبا، وقد لعب دورًا مهمًا للمشاركة والتدخل في عملية المعالجة الأمنية في أوروبا؛ نظرًا لما طرحه من مفاهيم استراتيجية جديدة في عام 1991 و1999 و2010. ثانيًا: الاتحاد الأوروبي (EU)، الذي قام ببناء قدرات المنطقة الأمنية والدفاعية بشكل مبدئي بعد جهود مثابرة استمرت أكثر من نصف قرن، ولعب دورًا ملحوظًا في حل الصراعات الإقليمية. ثالثًا: منظمة الأمن والتعاون في أوروبا (OSCE)، وهي تهدف إلى منع وحل النزاعات، وإصلاح ما تسببه الحروب من دمار.

1.2 نتائج التعاون الأمني في مناطق "طريق الحرير البحري":

1. خط جنوب شرق آسيا:

في ظل التغير الحاد للظروف الأمنية في منطقة جنوب شرق آسيا، والضعف التدريجي في تأثير الأيديولوجية الفكرية، ومع ظهور مشكلات أمنية ملموسة في المناطق المجاورة عقب الحرب الباردة، قاد اتحاد دول جنوب شرق آسيا (الآسيان) المنطقة لبناء آليات أمنية متعددة المستويات والأشكال في مجالات الأمن التقليدية وغير التقليدية، محاولًا تعويض ضعف قوى دول المنطقة، ومن هذه الآليات: منتدى اتحاد دول جنوب شرق آسيا (ARF)، ومجلس التعاون الأمني لآسيا والباسيفيك (CSCAP)، وذلك للرفع من مكانة وقوة اتحاد الآسيان في الشئون الأمنية الإقليمية. ومنذ بداية القرن الحادي والعشرين، قام اتحاد الآسيان بتوطيد وتوسيع التعاون الأمني، وبناء كيان مشترك يسوده الأمن، وتعزيز التعاون في مجال مكافحة الإرهاب والقضاء على المخدرات وغيرها من الجرائم العابرة للحدود الوطنية، كما سعى في الوقت نفسه إلى بناء آليات تنظم اجتماعات بين وزراء دفاع المنطقة، عملًا على تعويض تقصير منتدى اتحاد دول جنوب شرق آسيا في بناء أنظمة أمنية إقليمية. وبالإضافة إلى ذلك، كان من أهم خصائص التعاون الأمني في المنطقة سعي آليات التعاون الأمني بقيادة الدول الكبرى الغربية خارج المنطقة لريادة مسيرة التعاون الأمني.

2. خط جنوب آسيا والخليج العربي:

تناولنا فيما سبق التعاون الأمني في منطقة جنوب آسيا ، فلا داعي الآن للدخول في

تفاصيلـه هنـا مـرة أخـرى. أمـا فيـما يتعلـق بالتعـاون الأمنـي في منطقـة الـشرق الأوسـط والخليـج العـربي، فإنـه يتمحـور حـول أمـن دول الخليـج العـربي السـت[1]. ولقـد بـدأت هـذه الـدول الخليجيـة تعطـي الأولويـة للإجـراءات العسـكرية والتعـاون في مجـال الدفـاع منـذ تأسـيس مجلـس التعـاون لـدول الخليـج العـربي (GCC). وفي نهايـات القـرن العشريـن، سـعت هـذه الـدول إلى حمايـة نفسـها مـن الانحيـاز الغـربي خـلال فـترة الأزمـة والحـرب الخليجيـة مـن ناحيـة، ومـن الناحيـة الأخـرى، اسـتمرت في تعزيـز التعـاون الأمنـي وتعويـض مواضـع قصورهـا بعـد انتهـاء الحـرب. وفي القـرن الحـادي والعشريـن، اعترفـت الـدول السـت بأهميـة الأمـن بشـكل أكـبر؛ ولذلـك قامـت - إلى جانـب تعزيـز التعـاون الأمنـي- بدفـع التواصـل والدعـم لمواجهـة ضغـوط الأوضـاع المعقـدة في المنطقـة، عـلى سـبيل المثـال: مواجهـة الوضـع في العـراق والقضيـة النوويـة الإيرانيـة، مـا جعلهـا تلعـب دورًا ملموسًـا في الحفـاظ عـلى الاسـتقرار بالمنطقـة.

3. خط الضفة الغربية من المحيط الهندي:

يركـز التعـاون الأمنـي في هـذه المنطقـة عـلى قضيـة القرصنـة في السـواحل الشرقيـة مـن القـارة الإفريقيـة. وتمتـد المناطـق التـي تهددهـا القرصنـة مـن البحـر الأحمـر وخليـج عـدن إلى كينيـا وتنزانيـا وسيشـيل ومدغشـقر وموزمبيـق جنوبًـا، وخاصـةً خليـج عـدن الـذي يُعـد مـن أكـثر المجـالات البحريـة ازدحامًـا عـلى مسـتوى العـالم، ففيـه تنتقـل نحـو عشريـن ألـف سـفينة عـلى الأقـل كل يـوم محملـةً بــ12% مـن النفـط العالمـي[2]. ولمواجهـة أخطـار القرصنـة، قامـت الـدول عـلى الضفـة الغربيـة مـن المحيـط الهنـدي والمجتمـع الـدولي بالتعـاون بشـكل إيجـابي لبنـاء منظومـة متعـددة المسـتويات لمحاربـة القرصنـة. كـما مـرر مجلـس الأمـن القـرارات رقـم 1816 و1838 و1846 و1851 و1897 لاتخـاذ إجـراءات للقضـاء عـلى القرصنـة. وقامـت القـوات البحريـة للعديـد مـن الـدول، مـن بينهـا الصـين، بعمليـات حراسـة بتكليـف مـن مجلـس الأمـن. وغلظـت جميـع الـدول مـن المحاكـمات القضائيـة ضـد القرصنـة. وفي ظـل جهـود جميـع الأطـراف، اسـتطاعت أعـمال مكافحـة القرصنـة تحقيـق إنجـازات ملموسـة في هـذا الشـأن.

1- دول الخليج العربي الست هي: الإمارات، وعمان، والبحرين، وقطر، والكويت، والسعودية.

2- Peter Chalk, "Piracy off the Horn of Africa: Scope Dimensions, Causes and Responses", Brown Journal of World Affairs, Vol. 16, No.2, Spring/Summer 2010, p.96.

ثانيًا: التحديات الأمنية المزدوجة أمام تطبيق استراتيجية "الحزام والطريق"

على الرغم من الدور الذي تلعبه استراتيجية "الحزام والطريق" لتعميق التعاون الاقتصادي في هذه الأراضي الشاسعة، إلا أنها تواجه مخاطر أمنية هائلة، نقوم بتقسيمها في هذه الدراسة إلى: تحديات أمنية تقليدية، وأخرى غير تقليدية.

1.1 التحديات الأمنية التقليدية:

1. الصراع الجيوسياسي بين الدول الكبرى:

في السنوات الأخيرة، طرحت الدول الكبرى الأساسية استراتيجيات جغرافية خاصة بها على طول منطقة "الحزام والطريق"، سعيًا لتعزيز قوة تأثيرها في المنطقة.

واستنادًا إلى ما جاء في كتاب سيفين فريدريك ستار الصادر عام 2007 بعنوان "طريق الحرير الجديد: المواصلات والتجارة في آسيا الوسطى الكبرى"، فقد طرحت وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون مفهوم "آسيا الوسطى الكبرى" ومفهوم "طريق الحرير الجديد" في تشيناي الهندية في يوليو عام 2011، داعية لبناء شبكة للمواصلات والتنمية الاقتصادية تربط بين جنوب آسيا وآسيا الوسطى وغرب آسيا[1]. وخلال الجمعية العامة للأمم المتحدة المنعقدة في سبتمبر، شرحت هيلاري كلينتون مخطط "طريق الحرير الجديد" أمام المجتمع الدولي، ووصفته بأنه مخطط يتخذ من أفغانستان مركزًا له، أملاً في أن تساهم الدول المجاورة لأفغانستان في حماية مكانة الولايات المتحدة الريادية في عملية تطوير أورآسيا[2]، ويعمل أيضًا على إضعاف قوة تأثير الصين في المنطقة، ويؤثر على التعاون الاقتصادي بين دول آسيا الوسطى والصين، ويقلل

1- "Remarks on India and the Unite States: A Vision for the 21st Century", http://www.state.gov/secretary/20092013clinton/rm/2011/07/168840.htm.

2- "Remarks at the New Silk lload Ministerial Meeting", http://www.state.gov/secretary/20092013clinton/rm/2011/09/173807.htm.

مـن وحـدة منظمـة شـنغهاي للتعـاون. كـما تسـتمر الولايـات المتحـدة في دفـع اسـتراتيجية "إعـادة التوازن تجـاه منطقة آسـيا والمحيط الهـادئ"، وتسـعى إيجابيًّـا لبنـاء مفهـوم " كيـان الهنـد- الباسـيفيك"[1] (Pacific-Indo)، ومـد حـدود منطقـة آسـيا والباسـيفيك إلى شـبه القـارة الهنديـة. وبالإضافـة إلى ذلـك، تعـزز الولايـات المتحـدة مـن قواهـا العسـكرية في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ، وتسـتغل النزاعـات البحريـة والبريـة في المناطـق المجـاورة للصـين لدعـم حلفائهـا والـدول المعنيـة في النزاعـات، وتطبيـق اسـتراتيجية "اسـتغلال الجـوار لكبـح الصـين".

وفي عـام 2009، طـرح الاتحـاد الأوروبي "خطـة بنـاء طريـق الحريـر الجديـد"، ووافـق عـلى بنـاء "خـط أنابيـب غـاز نابوكـو"، مـا عـزز مـن الاتصـال بآسـيا الوسـطى والـدول المجـاورة في مجـال الطاقـة والتجـارة والمعلومـات والتبـادلات الإنسـانية، ودفـع بالاسـتثمارات بشـكل إيجـابي، بالإضافـة إلى أنـه سـاهم في ضـمان الاكتفـاء الـذاتي بالطاقـة، ورفـع مـن قـوة تأثـير الاتحـاد الأوروبي في منطقـة آسـيا الوسـطى. ولكـن كان الاتحـاد الأوروبي يقلـق مـن تأثـير تدهـور النزاعـات في المنطقـة عـلى مصالحـه الذاتيـة؛ لـذا دعـا جميـع أطـراف النـزاع إلى حـل النزاعـات عـن طريـق الحـوار في ظـل آليـات تعـاون متعـددة الأطـراف. وعـلى الرغـم مـن أن تدخـل الاتحـاد الأوروبي قـد سـاعد عـلى تحقيـق التـوازن بـين قـوة تأثـير الولايـات المتحـدة وروسـيا في منطقـة آسـيا الوسـطى، لكنـه عـلى الجانـب الآخـر قـد عقّـد مـن الأوضـاع في المنطقـة، مـا لا يصـب في مصلحـة التعـاون الإقليمـي لدفـع بنـاء "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" الصينـي.

وفي عـام 2002، اقترحـت روسـيا والهنـد وإيـران "خطة الممر الشـمالي الجنوبي"، حيث طـرح الأطراف بنـاء قنـاة نقـل دوليـة تمتـد من الهنـد إلى القـارة الأوروبية مـرورًا بإيـران والقوقـاز وروسـيا، حفاظًا على قـوة تأثـير روسـيا التقليديـة في المنطقة. وفي السـنوات الأخيرة، اقترحت روسـيا فكـرة الاندماج مع منطقة آسيا الوسـطى، وهـو تصور لبنـاء "تحالـف أوروآسـيوي"، مـما يعجّـل مـن التكامـل الاقتصـادي لاتحـاد الـدول المسـتقلة. وفي أعقـاب الحـرب الباردة، ظلت روسـيا تعتبر منطقة آسـيا الوسـطى دائـرة نفوذ لها. وعـلى الرغـم مـن أن فلاديمـير بوتـين قـد أعلـن عـن تأييـده لخطـة "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحرير"

1- لقد طُرح مفهوم "كيان الهند- الباسيفيك" (Pacific-Indo) لأول مرة في كلمة وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في هاواي عام 2010 تحت عنوان "دخول الولايات المتحدة إلى منطقة آسيا والمحيط الهادئ". انظر: Clinton Hillary, "America's Engagement in the Asia-Pacific", http://www.state.gov/secretary/20092013clinton/rm/2010/10/150141.htm.

خلال اللقاء الذي عُقد بين الرئيسين الصيني والروسي على هامش المؤتمر المعنيّ بالتفاعل وتدابير بناء الثقة في آسيا عام 2014، إلا أنه ظل هناك تخوف وحذر من الصين، مما أثر في تحقيق التعاون الشامل بين الصين ودول آسيا الوسطى.

وفي عام 1997 خلال فترة حكومة ريوتارو هاشيموتو، طرحت اليابان "الاستراتيجية الدبلوماسية الأوروآسيوية". وفي عام 2004، طرحت بناء آلية الحوار "آسيا الوسطى + اليابان"، ثم في عام 2006 طرحت إقامة "قوس الحرية والازدهار"، كما قامت بالرفع من سرعة التنمية الاقتصادية والمكانة الدولية لجميع دول آسيا الوسطي، وتعزيز قوة تأثيرها السياسي والاقتصادي في المنطقة من خلال تعزيز التعاون الاقتصادي بين اليابان وهذه الدول، كما استغلت موارد النفط والغاز الوفيرة في المنطقة لتأمين اكتفاء اليابان الذاتي من الطاقة. وفي أكتوبر عام 2013، رفع شينزو آبي من اهتمامه بمنطقة أوراسيا، حيث قال: "سوف ننطلق من طوكيو مرورًا باسطنبول ووصولًا إلى لندن، ويجب أن تكون اليابان هي نقطة انطلاق لطريق الحرير الأوراسيوي الجديد، ودعامةً جيوسياسيةً في المنطقة"[1]. وبالإضافة إلى ما سبق، تطور اليابان من الأعمال الدبلوماسية مع الدول الواقعة على المحيط الهادئ وتعزز من تواجدها العسكري. ويُعد كل ما سبق إجراءات تهدف بها اليابان إلى بناء "خط دفاعي" لكبح الصين، ولكن على نطاق أوسع.

وتدفع كل من الهند وإيران وأفغانستان من أعمال بناء "طريق الحرير الجنوبي" في جنوب آسيا، في محاولة لشق "طريق الحرير البحري" و"طريق الحرير البري"[2]. وتسعى الهند للهيمنة على المحيط الهندي استنادًا لتميزها الجغرافي، وبالتالي تنظر بحذر شديد للقوى الخارجية الموجودة في المحيط الهندي، وتعتبر "استراتيجية عقد اللؤلؤ"[3] الصينية تقييدًا استراتيجيًّا لها. ويشكك راجا موهان (RajaMohan .C) في مدى سماح الهند للصين بتفعيل طريق الحرير البحري من خلال المحيط الهندي؛ وذلك نظرًا لقوة

1- بانغ تشونغ بنغ، "استحالة اليابان في طريق الحرير الأوراسيوي الجديد"،

http//:opinion.huanqiu.com/opinion_world.2013-11/4545624/html.

2- لي تشانغ جيو، "إعادة بناء الحزام الاقتصادي لطريق الحرير"، "جريدة المراجع الاقتصادية"، 2013-10-17، الطبعة الخامسة.

3- كان أول ظهور لمفهوم "عقد اللؤلؤ الصيني" في:

Juli MacDonald, Amy Donahue and Bethany Danyluk,"Energy Future in Asia", Booz Allen Hamilton Report Sponsored by the Direclor of Nel Assessments, November 2004

تأثير العنصرين الجيوساسي والأمني[1]. الأمر الذي سوف يؤثر سلبًا على التعاون بين الصين ودول جنوب آسيا. والجدير بالذكر هنا أن الاستراتيجيات البحرية الهندية تؤثر حتمًا على أمن قنوات الطاقة الصينية. وبالإضافة إلى ذلك، فإن دفع الهند لاستراتيجية "التوجه إلى الغرب" والتدخل في قضية بحر الصين الجنوبي، والتنافس مع الصين على المستوى الاقتصادي والسياسي والعسكري يعزز من تأثيرها في شئون منطقة آسيا والمحيط الهادئ، ما يزيد من ضغوط الصين الاستراتيجية في جنوب شرق آسيا.

2. النزاع على سيادة الأراضي والجزر:

نظرًا لبعض الأسباب التاريخية، نجد في مناطق استراتيجية "الحزام والطريق"، نزاعات عديدة على سيادة الأراضي والجزر، وبالتأكيد تؤثر نتائج معالجة هذه النزاعات بشكل مباشر على أمان تطبيق هذه الاستراتيجية. وتشمل النزاعات الأساسية القائمة في وقتنا الحالي الآتي:

أولًا: نزاعات بحرية: على سبيل المثال "النزاعات على بحر الصين الجنوبي" بين الصين وبعض دول جنوب شرق آسيا، وهي تشير إلى النزاعات بين الصين وفيتنام على "سيادة جزر باراسيل" التي أثارتها المنصة النفطية لـ"المؤسسة الوطنية الصينية للنفط البحري 981". والنزاعات المتزايدة أيضًا على "سيادة جزر سبراتلي" بين الصين والفلبين وفيتنام. وبالإضافة إلى ذلك هناك نزاعات بين الصين واليابان على جزر دياويو، ونزاعات أيضًا على المناطق الاقتصادية الخالصة في بحر الصين الشرقي. ويعود جوهر هذه النزاعات البحرية إلى التناقضات بين قائدي وتابعي الأنظمة الإقليمية والنهضة الصينية. ومن الصعب أن تُحل هذه النزاعات على المدى القصير، ما يؤثر سلبًا على تعميق التعاون الشامل بين الصين واتحاد دول جنوب شرق آسيا (الآسيان)، ومن ثم يؤثر أيضًا على حرية رأي الصين في صياغة قواعد التجارة الجديدة.

ثانيًا: النزاعات البرية: ومنها النزاعات القائمة بين الهند وباكستان على منطقة كشمير

1- C. Raja Mohan, "India Joins China's Maritime Silk Road", http://indianexpress. com/article/opinion/columns/will-india-join-chinas-maritime-silk-road/2/.

منـذ نهايـة "الحـرب العالميـة الثانيـة"، والنزاعـات الحدوديـة بـين الصـين والهنـد، والنزاعـات عـلى سـيادة الأراضي بـين فلسـطين وإسرائيـل. ومـع تفـكك الاتحـاد السـوفيتي بعـد انتهـاء الحـرب البـاردة، ظهـرت مجموعـة مـن الـدول ذات السـيادة في مناطـق "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر"، ولكـن لم تتـم أعـمال ترسـيم الحـدود بـين هـذه الـدول بشـكل كامـل. فـلا يـزال الجيـب "فـوروخ" التابـع لطاجيكسـتان داخـل حـدود أراضي قرغيزسـتان، ورغـم امتـداد حـدود البلدين لـ911 كم، إلا أنـه لم يتم ترسـيم سـوى 567 كـم فقـط، وتنشـب النزاعـات عـلى أكـثر مـن 70 منطقـة بـين البلديـن. كـما شـهدت المناطـق الحدوديـة بـين قيرغيزسـتان وطاجيكسـتان اشـتباكات مسـلحة في 11 ينايـر عـام 2014. كـما أنـه لم يتـم تعيـين نحـو 20% مـن الحـدود بـين طاجيكسـتان وأوزبكسـتان. ولم تُعـين أيضًـا الحـدود بشـكل واضـح بـين قرغيزسـتان وأوزبكسـتان في "وادي فرغانـة"، فـلا يـزال جيـب "قريـة بـاراك" التابعـة لأوزبكسـتان داخـل حـدود أراضي قرغيزسـتان، ولا يـزال أيضًـا جيبـا "سـوخ" و"شـاه مـردان" التابعـان لقرغيزسـتان داخـل حـدود أراضي أوزبكسـتان. وعـادةً مـا تندلـع الاشـتباكات بـين أهـل هـذه الجيـوب والسـكان المحليـين. كـما أن النزاعـات تشـتد بـين الـدول الثـلاث حـول مـوارد الميـاه دون اسـتعداد مـن الأطـراف للتسـوية. ولقـد أصبحـت النزاعـات عـلى سـيادة الأراضي أو الجيـوب والصراعـات عـلى مـوارد الميـاه، مـن العنـاصر المهمـة والواضحـة وراء تدهـور الأوضـاع في المنطقـة. فتؤثـر النزاعـات في مناطـق آسـيا الوسـطى بشـكل مبـاشر عـلى الثقـة السياسـية المتبادلـة والتعـاون الأمنـي والاقتصـادي في نطـاق منظمـة شـنغهاي للتعـاون، مـا يؤثـر سـلبًا عـلى اسـتقرار مناطـق غـرب الصـين.

3. اضطراب الأوضاع السياسية في دول المنطقة:

إن معظـم الـدول عـلى "الحـزام والطريـق" دول ناميـة؛ ولذلـك تتأثـر بـصراع الطبقـات الاجتماعيـة والقضايـا القوميـة والدينيـة وغيرهـا مـن العنـاصر المعقـدة. وعـادةً مـا تطبـق هـذه الـدول السياسـات الحزبيـة، ولكـن نظـرًا للنزاعـات بـين الحكومـات والشـعوب في بعـض الـدول، أصبحـت الأوضـاع السياسـية ضعيفـة ومتقلبـة، وفُقـدت مشـاعر الانتـماء، مـا أثـر عـلى اسـتمرارية السياسـات الداخليـة والسياسـات الدبلوماسـية المهمـة في المنطقـة. فعـلى سـبيل المثـال، تواجـه عمليـة تطويـر السياسـات الداخليـة في قرغيزسـتان وطاجيكسـتان العديـد مـن

الصعوبـات، ولا تـزال الصراعـات بـين جنـوب وشـمال قرغيزسـتان شـديدة الحـدة، وعـادة مـا تتفجـر الوقفـات الاحتجاجيـة[1]. وعـلى الرغـم مـن أن قرغيزسـتان قـد أعلنـت مشـاركتها الإيجابيـة في بنـاء "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر"، لكنهـا أعلنـت عـلى الجانـب الآخـر انسـحابها مـن تأسـيس خـط السـكة الحديـد بـين الصـين وقيرغيزسـتان وأوزبكسـتان، مـا قـد زاد مـن صعوبـة التنسـيق في هـذا المشروع. وبالإضافـة إلى ذلـك، فقـد أصبحـت كل مـن الصومـال واليمـن الواقعتـين عـلى ضفـاف المحيـط الهنـدي دولتـين تمثـلان خطـرًا كامنًـا. ومـع دفـع اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق"، أصبـح مـن الحتمـي عـلى الصـين أن توسـع مـن اسـتثماراتها في المنطقـة، وتوسـع مـن حجـم صادراتهـا ووارداتهـا، وتدفـع بالتبـادلات الإنسـانية، ولكـن الاضطرابـات في هـذه الـدول مـن الممكـن أن ترفـع مـن تكاليـف الاسـتثمارات الاقتصاديـة، وتقلـل مـن كفـاءة التعـاون، مـا يؤثـر عـلى مصالـح الصـين الخارجيـة.

1.2 التحديات الأمنية غير التقليدية:

1. خطر الإرهاب:

إن الأعـمال التخريبيـة التـي تسـببها قـوى التطـرف الدينـي والانفصـال، وخاصـةً الإرهـاب، تُعتـبر مـن أهـم العوامـل التـي تهـدد تطبيـق اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق"، وتمثـل أكـبر التهديـدات الأمنيـة غـير التقليديـة في المنطقـة. وعـلى الرغـم مـن اختلاف الأهـداف السياسـية والعنـاصر البشرية والأشـكال التنظيميـة في مختلـف التنظيـمات المتطرفـة، فإن جميعها تتفـق في معارضة السـلطة العلمانية، والدعوة إلى بنـاء دولـة إسـلامية تجمـع بـين الديـن والسياسـة. ونظـرًا لتغير أوضـاع الأمـن ومكافحـة الإرهـاب الـدولي في المنطقـة؛ تشـابكت العناصر البشريـة في التنظيمات المتطرفـة، واندمجت أفكارهـا ومفاهيمها، وانتـشرت أنشـطتها، وتفككـت تنظيماتهـا، وتعـززت اتصالاتهـا بالتنظيـمات الإرهابيـة الدوليـة، خاصـةً بعـد انسـحاب القـوات الأمريكيـة مـن أفغانسـتان في عـام 2014، الأمـر الـذي قـد صعّـد الاشـتباكات داخـل حـدود البـلاد، وأدى إلى "تفـشي" التطـرف والإرهـاب، مـا يؤثـر عـلى الاسـتقرار في المنطقـة عـلى

1- في 18 من يناير عام 2013، كشف المتحدث الرسمي باسم وزارة الشئون الداخلية في قرغيزستان أن قيرغيزستان قد شهدت 726 تظاهرًا في عام 2012، 316 منها كانت حول قضايا سياسية، و410 كانت حول قضايا اجتماعية واقتصادية وبيئية. نقلًا عن خان جوان، "بناء "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير" من المنظور الجيوسياسي في آسيا الوسطى: مشكلات وتأملات"، "المجلة العلمية لجامعة شينجيانغ" (الفلسفة والعلوم الإنسانية)، 2013، عدد6، ص12.

نحـو كبـير. وبالإضافـة ذلـك، تواطـأت قـوى العنـف والإرهـاب مـن "تركسـتان الشرقيـة" داخـل الحدود الصينيـة في السـنوات الأخـيرة، وشـنت هجـمات تسـتهدف الصـين مـن وقـت إلى آخـر، مـا يهـدد أمـن حيـاة وممتلـكات الصينيـين عـلى نحـو خطـير.

2. المخاطر الأمنية على القنوات البحرية:

يُعـد الحفـاظ عـلى أمـن القنـوات البحريـة مـن الاعتبـارات المهمـة لتطبيـق اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق"، والتـي تأخـذ في الاعتبـار "شـق" أو "قطـع" بعـض القنـوات. فينتقـل 90% مـن حجـم التجـارة العالميـة و65% مـن إجـمالي حجـم النفـط مـن خـلال البحـر، كـما أن 50% مـن حاويـات العـالم تنتقـل عـبر المحيـط الهنـدي، و70% مـن المنتجـات النفطيـة تنتقـل مـن الـشرق الأوسـط إلى منطقـة المحيـط الهـادئ مـن خـلال المحيـط الهنـدي أيضًـا. وعـلى المحيـط الهنـدي، تنتـشر ممـرات اسـتراتيجية تؤثـر بشـكل كبـير عـلى التجـارة العالميـة، منهـا مضيـق بـاب المنـدب، ومضيـق هرمـز، ومضيـق ملقـة، وينتقـل 40% مـن حجـم التجـارة العالميـة عـبر مضيـق ملقـة، وينتقـل أيضًـا 40% مـن النفـط الخـام عـبر مضيـق هرمـز[1]. ويرتكـز شريـان حيـاة المحيطـات الصينيـة عـلى الخـط البحـري الممتـد مـن مضيـق ملقـة والمحيـط الهنـدي إلى الـشرق الأوسـط وشـمال إفريقيـا، وإذا قلنـا إن النفـط هـو الـدم المغـذي لهـذا الشريـان، إذن فالقنـوات البحريـة التـي تربـط الـشرق الأوسـط بالمحيـط الهنـدي وتمـر بمضيـق ملقـة تُعـد هـي شريـان التنميـة الاقتصاديـة الصينيـة[2]. وبالتـالي فإنهـا لـضرورة قصـوى أن يتـم الحفـاظ عـلى أمـن مضيق ملقـة ومضيق هرمـز ومضيق بـاب المندب على طـول "طريق الحريـر البحـري" للقـرن الحـادي والعشريـن. ولكـن عـلى نحـو أدق، تمثـل السـيطرة الأمريكيـة أهـم التحديـات أمـام تأمـين مضيـق ملقـة، بينما يُعد تدهـور الأوضاع الأمنيـة في المنطقة عـلى رأس التحديات

-1 Robert D. Kaplan, "Center Stage for the 21st Century: Power Plays in the Indian Ocean", Foreign Affairs, Vol.88, No. 2, 2009, pp.19-20.

-2 طبقًا لإحصاءات وزارة الدفاع الأمريكية، لقد مر 85% من حجم الواردات الصينية من النفط في عام 2011 عبر مضيق ملقة، ومر 43% عبر مضيق هرمز، بينما مر 6% عبر خليج عدن. كما تحتل أنابيب النفط بين الصين وروسيا 6% من إجمالي حجم الواردات الصينية من النفط، وتحتل أنابيب النفط بين الصين وآسيا الوسطى 4%. انظر: Office of the Secretary of Defense, "Annual Report to Congress: Military and Security Developments Involving the People's Republic of China 2013", The Department of Defense, May 6, 2013 , p. 80, http://www.defense.gov/pubs/2013_china_report_final.pdf.

التـي يواجهها مضيـق هرمـز، في حـين تنبـع أبـرز التحديـات أمـام مضيـق بـاب المنـدب مـن تهديـدات القرصنـة. فطبقًـا للتقريـر الـذي نـشره المكتـب البحـري الـدولي (IMB) حـول أعـمال القرصنـة العالميـة لعـام 2013، عـلى الرغـم مـن أنـه قـد انخفضـت أعـمال القرصنـة في السـواحل الصوماليـة بشـكل ملحـوظ مـن 237 هجومًـا في عـام 2011 إلى 15 هجومًـا فقـط في عـام 2013[1]، لكـن لا يـزال خطـر القرصنـة قائمًـا خاصـةً في السـواحل الصوماليـة وخليـج عـدن.

3. الضغوط على التكامل الاقتصادي الإقليمي:

تهـدف الصـين مـن خـلال اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق" إلى بنـاء اتصـالات اقتصاديـة وتجاريـة وثيقـة بـين الصـين وجنـوب شرق آسـيا وآسـيا الوسـطى والـشرق الأوسـط وأوروبـا، والبحـث عـن تعاون أعمـق وفضـاء أرحـب للتنميـة، ودفـع التنميـة والازدهـار لـدول المنطقـة مـن خـلال نقـل رءوس الأمـوال والتكنولوجيـا، مـا يدفـع بتطـور وتـوازن الاقتصـاد الصينـي. ولكـن الولايـات المتحـدة طرحـت "اتفـاق الشراكـة الاقتصاديـة الإسـتراتيجية عـبر المحيـط الهـادئ" (TTP) لعرقلـة عمليـة التكامـل الاقتصـادي في منطقـة شرق آسـيا، وإثـارة الانقسـامات في "علاقـات الشراكـة الاقتصاديـة الإقليميـة الشـاملة" (RCEP) التـي نشـأت تدريجيًـا بقيـادة اتحـاد الآسـيان في منطقـة آسـيا والمحيـط الهـادئ. وبالإضافـة إلى ذلـك طرحـت الولايـات المتحـدة وأوروبـا اتفـاق الشراكـة التجاريـة والاسـتثمارية عـبر المحيـط الهـادئ (TTIP)، ودعـت إلى تطبيـق قواعـد دوليـة أكـثر حريـة في مجـال الاقتصـاد والتجـارة، لتعرقـل القـارة الأوروبيـة مجـرى التعـاون الاقتصـادي والتجـاري بـين آسـيا وأوروبـا. وبالتـالي فقـد سـاهمت الاتفاقـات TTP وTTIP في بنـاء شـبكة المصالـح الغربيـة، ولكـن عـلى الجانـب الآخـر عرقلـت تحقيـق أهـداف اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق" الصينيـة.

4. الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية:

إن دفـع اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق" الصينيـة يوطـد العلاقـات الاقتصاديـة والتجاريـة

1- " Somali Pirate Clampdown Caused Drop in Global Piracy, IMB Reveals", http://www.icc-ccs.org/news/904-somali-pirate—clampdown-caused-drop-in-glolbal-piracy-imb—reveals.

بين دول المنطقة، ولكن يتأثر من الجانب الآخر بالجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية. ولقد أدرجت الأمم المتحدة الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية ضمن "أكبر الجرائم والكوارث العالمية"، وقد تفشت بشكل متزايد في الفترة الأخيرة، ما أثّر بشكل خطير على التنمية الاقتصادية والاستقرار في جميع دول المنطقة. وتشمل أنواع الجريمة المنظمة العابرة للحدود الوطنية الآتي: 1. تهريب المخدرات، حيث امتدت أضرار الأفيون الذي تنتجه أفغانستان إلى العالم بأكمله، خاصةً وأن "اقتصاد المخدرات" قد امتزج بقوى التطرف الديني، ما وجه ضربات عنيفة لأمن غرب الصين. 2. عبور الحدود بطرق غير قانونية. فمع انتقال العمالة الصينية إلى الخارج تزايدت جرائم العمالة الخارجية. 3. الجرائم الاقتصادية العابرة للحدود: على سبيل المثال غسيل الأموال وجرائم الاحتيال عبر الاتصالات.

ثالثًا: الخيارات الصينية المتاحة أمام القضايا الأمنية التي تواجهها استراتيجية "الحزام والطريق"

تستطيع الصين من خلال تطبيق استراتيجية "الحزام والطريق" تشكيل أوضاع منفتحة شاملة جديدة على المستوى الساحلي والبري والحدودي، ما يرفع من مستوى انفتاح الصين، ويزيد من حجمها الاقتصادي وحصصها الاقتصادية في أراضي غرب الصين، ويضمن أمن النقل البحري، ويعزز من الثقة المتبادلة على المستوى السياسي. وحتى تحقق الصين "التواصل السياسي، وسلاسة التجارة، وتداول العملات، وترابط الشعوب"[1] عليها، إلى جانب مواجهة المخاطر الأمنية بسبب تطبيق استراتيجية "الحزام والطريق"، تعزيز قواها الذاتية، والانتباه إلى ثلاثة جوانب مهمة، سنلخصها فيما يلي:

3.1 الاهتمام بتقديم الإسهامات الأمنية:

تتشابك المخاطر الأمنية التقليدية وغير التقليدية في مناطق استراتيجية "الحزام والطريق"، وتمتد إلى العديد من الدول ذات السيادة، ولكن لا تستطيع أي من هذه الدول مواجهة هذه المخاطر ومعالجتها بشكل مستقل. وبالتالي لن تستطيع الصين تحفيز جميع الأطراف في المنطقة للمشاركة بإيجابية في تطبيق الاستراتيجية وتحقيق المصلحة المتبادلة والفوز المشترك إلا بوضع مفاهيم أكثر انفتاحًا للتعاون. وفي الحقيقة، لطالما تمسكت الصين بالتعاون في المجال الأمني في المنطقة. فحتى أغسطس من عام 2014، أرسلت الصين نحو 17 تشكيلًا للقيام بعمليات حراسة، ما وفر الأمن لأكثر من 5670 سفينة صينية وأجنبية، وقام بعمليات إنقاذ لأكثر من 60 سفينة أيضًا[2]. ويرى عمدة مدينة كابل السابق (AbudulSahibi) أن الصين تهتم اهتمامًا بالغًا بتطوير طريق الحرير لأهميته الأمنية وتقديرًا لمصالحها في مجال الطاقة؛ ولذلك أطلقت الصين مبادرة

1- شي جين بينغ: "لنعزز الصداقة بين الشعوب ولنبنِ مستقبلًا أفضل- كلمة الرئيس في جامعة نزار باييف"، "صحيفة الشعب اليومية"، 2013-9-8، الطبعة الأولى.

2- "التشكيل الثامن عشر من سفن الحماية في البحرية الصينية تبحر، والقائد العام وو شنغ لي يقيم احتفالًا"، شبكة الإنترنت، http://mil.huanqiu.com/china/2014-08/5093962.html.

بنـاء طريـق الحريـر منـذ عـام 2000، كـما أعـادت طـرح مبـادرات للتعـاون متعـدد الأطـراف في منطقـة آسـيا الوسـطى[1].

إن اكتفـاء الصـين بطـرح مفاهيـم أمنيـة لـن يصبـح كافيًـا في المسـتقبل، فيجـب تطبيـق هـذه المفاهيـم عـلى أرض الواقـع. كـما يجـب عـلى الصـين أن تتعـرف عـلى مطالـب الـدول في المنطقـة، وأن تقـدم إسـهامات لمعالجـة الأمـن الإقليمـي. وبالإضافـة إلى ذلـك، تُعـد القـوى الصينيـة في مجـالات الأمـن التقليديـة محـدودة، فالقـوى البحريـة الصينيـة في الوقـت الراهـن مـا هـي إلا قـوى "معاديـة للتدخـل" لا تـزال في طـور البنـاء مقارنـةً بالولايـات المتحـدة[2]. ومـع ذلـك، يُعتـبر تميـز الصـين واضحًا في المجـالات الأمنيـة غـير التقليديـة. وفـوق هـذا، تسـتطيع الصـين مـع زيـادة القـوة الاقتصاديـة أن تدعـو إلى بنـاء صناديـق مختلفـة لحمايـة الأمـن الإقليمـي طبقًـا لمبـدأ "التنـازل الجـزئي عـن بعـض المصالـح الاقتصاديـة"، وتقديـم الضمانـات الاقتصاديـة للتعـاون الأمنـي في البـلاد، وتحقيـق بنـاء "المجتمـع ذي المصـير المشـترك". وبالتأكيـد عندمـا نتحـدث عـن الإسـهامات الأمنيـة يجـب أن تكـون الإجـراءات والتدابـير سريعـة، وأن يكـون هنـاك قـدر مـن الاهتـمام والدقـة[3]. فمنـذ عـام 2011، طرحـت الصـين أكـثر مـن مـرة أنهـا سـوف تؤسـس "صندوقًـا للتعـاون البحـري بـين الصـين واتحـاد الآسـيان" بقيمـة 3 مليـارات يـوان، لتعزيـز الأنظمـة الأمنيـة البحريـة وإجـراءات حمايـة البيئـة في بحـر الصـين الجنـوبي، ولكـن لا يـزال التقديـم هـذا الصنـدوق واسـتغلاله أمـرًا غـير واضـح بالنسـبة لاتحـاد الآسـيان.

3.2 مراعاة مصالح جميع الدول في المنطقة وخاصةً الدول الكبرى:

فالقضايـا الأمنيـة التـي تواجههـا اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق" الصينيـة تنبـع بشـكل أسـاسي مـن الـدول ذات الصلـة داخـل المنطقـة، في حـين ترجـع النزاعـات عـلى سـيادة الأراضي والجـزر إلى أسـباب تاريخيـة، وتعـود الاضطرابـات السياسـية إلى مشـكلات حقيقيـة عـلى أرض الواقـع. وبالتـالي ينبغـي عـلى الصـين أن تنتبـه إلى مصالـح الـدول ذات الصلـة داخـل المنطقـة.

1- (مصدر أفغاني) "عملية تطوير طريق الحرير"، "رؤية الجسر القاري"، 2009، عدد7، ص22-21.

2- Ronald O'Rourko, "China Naval Modernization: Implications for U. S. Navy Capabilities Background and Issues for Congress",CRS Report for Congress, March 23, 2012.

3- تساي تياو خونغ، "إقامة منبر لبناء طريق الحرير البحري: الأفق والتحديات"، "العالم المعاصر"، 2014، عدد4، ص36.

بمعنى أدق، بما أن الصين أحد أطراف النزاع على سيادة الأراضي والجزر؛ فينبغي عليها أن تتمسك بمبدأ "استعادة سيادة الدولة، ووضع النزاعات جانبًا، والسعي إلى التنمية المشتركة"، بالإضافة إلى الأخذ في الاعتبار المصالح الاقتصادية لأطراف النزاع الآخرين، وحل هذه النزاعات من خلال المشاورات الثنائية. وفي مواجهة الاضطرابات السياسية في الدول ذات الصلة داخل المنطقة، ينبغي على الصين أن تتمسك بمبدأ "عدم التدخل في السياسة الداخلية"، وأن تلعب دورًا بناءً، وتدفع جميع الأطراف ذات الصلة لحل النزاعات عبر الوسائل السلمية والحفاظ على استقرار المنطقة.

وبالإضافة إلى ذلك، لا تخلو قضايا الأمن في المنطقة من عنصر الدول الكبرى؛ وذلك لأنه من الطبيعي أن يكون هناك تنافس بين الدول الكبرى في مناطق "الحزام والطريق"، خاصةً وأن هناك ارتباطًا عكسيًّا بين قوى الدول الكبرى والدول الصاعدة. ولذلك ينبغي على الصين عند مواجهة المخاطر الأمنية في المنطقة أن تعتبر الدول الكبرى "أطرافًا مصيرية لمصالحها"، وبالتالي تعزز من التعاون معها، وتقوم بتسوية وتنسيق علاقاتها. وتُعد الولايات المتحدة وروسيا أهم الدول الكبرى في المنطقة؛ فالولايات المتحدة دولة مهيمنة وبالتالي تتمتع بمصالح واسعة داخل المنطقة، وروسيا دولة عظمى تقليدية تمثل تأثيرًا واضحًا في جميع القضايا الأمنية في المنطقة.

وفي الوقت الراهن، يمكن أن تستغل كل من الصين والولايات المتحدة وروسيا آليات التعاون الثنائية ومتعددة الأطراف المتاحة، وتتخذ أشكالًا مختلفة ومرنة من التعاون، لتدفع بالتعاون على المستويات المختلفة، وتعزز من الثقة المتبادلة على المستوى السياسي، وتبحث عن نقاط اتفاق للمصالح المشتركة. ومقارنةً بالعلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا، تُعتبر الصين وروسيا أكثر اقترابًا، فكلا الطرفين يواجهان مهمة تحقيق النهضة للأمة؛ لذلك ينبغي على الصين الالتحام بدرجة كبيرة مع "التحالف الأوروآسيوي"، والسعي معًا للحفاظ على أمن "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير". وبالإضافة إلى ذلك، هناك "أزمات أمنية" هيكلية بين الصين والولايات المتحدة في مجالات الأمن التقليدية. وبالنسبة للولايات المتحدة تُعد التنمية الصينية "صفرية"، وبالتالي من السهل أن يُعتبر التنسيق الصيني الروسي "بهدف إقصاء الولايات المتحدة"، ولكن العنصر الأمريكي قوي جدًّا وراء النزاعات على سيادة الأراضي والجزر والاضطرابات السياسة للدول في المنطقة.

ولذلـك ينبغـي أن يبـدأ التعـاون الأمنـي بـين الصـين والولايـات المتحـدة بمكافحـة الإرهـاب ومكافحـة القرصنـة والقضـاء عـلى الجريمـة المنظمـة العابـرة للحـدود الوطنيـة وغيرهـا مـن المجـالات الأمنيـة غـير التقليديـة، كـما يجـب اسـتغلال جميـع آليـات الحـوار والتبـادل المتاحـة بـين الصـين والولايـات المتحـدة لبنـاء الثقـة بشـكل تدريجـي ومواجهـة التحديـات.

3.3 الانتباه إلى دور باكستان "المحوري":

يعتمـد ضـمان أمـن اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق" في الاتجاهـين الجنـوبي والشـمالي عـلى التفاعـل الفعـال بـين "الحـزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" و"طريـق الحريـر البحـري". وعـلى الرغـم مـن أنـه يمكـن دمـج المفاهيـم الاسـتراتيجية المطروحـة سـابقًا في "الممـر الاقتصـادي بـين الصـين والهنـد وبنغلاديـش وميانمـار" و"الممـر الاقتصـادي بـين الصـين وباكسـتان" في كيـان واحـد، إلا أن الربـط بـين "الممريـن" يجعـل الأمـر أكـبر مـن الـلازم، وليـس لـه دور واضـح في مواجهـة التحديـات الأمنيـة التـي تقـف أمـام اسـتراتيجية "الحـزام والطريـق"، فالتفاعـل الحقيقـي يكمـن في دور الـدول "المحوريـة". وتعـد كل مـن الهنـد وباكسـتان وغيرهـا مـن دول جنـوب آسـيا أهـم الـدول الواقعـة في مناطـق "الحزام الاقتصـادي لطريـق الحريـر" و"طريـق الحريـر البحـري"، ونظـرًا لوجـود نزاعـات طويلـة بـين البلديـن حـول سـيادة الأراضي؛ بالتـالي يجـب أن تنتبـه الصـين إلى دور باكسـتان "المحـوري"، الـذي يمكـن أن تضمنـه علاقـات الصـين وباكسـتان التـي تتميـز بكونهـا علاقـات جميـع الأجـواء.

وفي نطاق "الحزام الاقتصادي لطريق الحرير"، يمكن أن تسـتغل الصين تأثير باكسـتان على أفغانسـتان وظروفهـا الجغرافيـة، للقضـاء عـلى جميـع التنظيـمات الإرهابيـة في منطقـة آسـيا الوسـطى بمـا في ذلـك قـوى "انفصـال إقليـم شـينجيانغ"، مـما يضمـن أمـن غـرب الصـين. ويمكـن أيضًـا اسـتغلال العلاقـات الأمريكيـة الباكسـتانية "جسـرًا" لتعزيـز التعـاون الأمنـي بـين الصـين والولايـات المتحـدة. ويمكـن أيضًـا اسـتغلال التناقضـات بـين الهند وباكسـتان لتقييد الهند وتخفيـف الضغوط الأمنيـة الصينية في الاتجاهين الشرقـي والغـربي. أمـا في نطـاق "طريـق الحريـر البحـري"، فـإن "الـدول الكـبرى تتنـازع عـلى الهيمنـة وكأنهـا لعبـة شـطرنج، تختلـف ألـواح الشـطرنج ولكـن القواعد واحـدة، وهـي تـدور حول هـدف واحد،

ألا وهـو السـيطرة عـلى المحيـط الهنـدي"[1]. وعـلى الرغـم مـن أن الصـين لا تقـع عـلى سـاحل المحيـط الهنـدي، كـما تتقيـد بالقـوى البحريـة العسـكرية، لكنهـا يمكـن أن تسـتغل باكسـتان وسـيطًا للمشـاركة في شـئون المحيـط الهنـدي وحمايـة أمـن القنـوات البحريـة. وعـلى الرغـم مـن أن الصـين قـد أكـدت عـدم رغبتهـا في بنـاء قواعـد عسـكرية في الخـارج، إلا أن هـذا لا يؤثـر عـلى اسـتغلالها المناسـب لمينـاء جـوادر الباكسـتاني؛ لمـا يمثـل موقعـه الجغـرافي مـن أهميـة كبـيرة للقضـاء عـلى القرصنـة في الضفـة الغربيـة مـن المحيـط الهنـدي، وحمايـة أمـن مـوارد الطاقـة في المناطـق الخليجيـة.

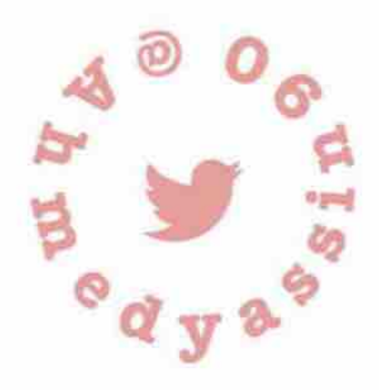
1- تشانغ ون مو، "مصالح الصين البحرية"، دار النشر البحرية، 2010، ص65.

رابعًا: الخاتمة

تتطلب استراتيجية "الحزام والطريق" من الصين بناء اقتصاد منفتح مستقبلًا، وأن تنتبه إلى العنصر البحري والبري معًا وتحقيق التنمية المتوازنة. أما خلال عملية التطبيق، فسنلاحظ الأولوية لـ"الحزام الاقتصادي لطريق الحرير"، واستغلال الحكومة دفع السكك الحديد وغيرها من الصناعات فرصة "للخروج"، ما يدفع بالاتصال البري بشكل إيجابي، ويؤكد على التميز الزمني واللوجيستي على المستوى البري. في حين أننا نرى أنه ينبغي إعطاء الأولوية في المستقبل لاستغلال الموارد البحرية؛ لأنه على الرغم من أنه تم شق شكك حديد دولية للنقل تشمل الطرق البرية الثلاثة التي تربط بين أوروبا والصين، لكن سيظل النقل البحري في مكانة رائدة لفترات طويلة. فقد يتعرض التميز الزمني للنقل البري إلى مخاطر أمنية، خاصةً وأن معظم المخاطر الأمنية التي تواجهها استراتيجية "الحزام والطريق" كما ذكرناها سلفًا هي تحديات أمنية برية، في حين انخفضت المخاطر الأمنية في القنوات البحرية خلال السنوات الأخيرة في ظل سعي المجتمع الدولي للقضاء على جرائم القرصنة، والسيطرة على النزاعات البحرية والنزاعات على سيادة الجزر.

ولذلك ينبغي على الصين أن تبذل الجهود بالتعاون مع جميع دول المنطقة لمواجهة جميع التحديات والأخطار الأمنية وتفعيل استراتيجية "الحزام والطريق" بشكل ناجح، بالإضافة إلى بناء "مجتمع يجمعه مصير مشترك" و"كيان للمصالح المشتركة" بين الصين وجميع دول المنطقة، مما سوف يساعد في حماية المصالح الصينية بما فيها العنصر الأمني، وبناء صورة الصين كدولة كبرى مسئولة، وتعزيز القوة الناعمة الصينية، مما يوفر البيئة الدولية المواتية لبناء الحداثة الصينية.

تم نشر هذه الدراسة في العدد الثاني من المجلد الثالث والعشرين من "مجلة المحيط الهادئ العلمية" في فبراير عام 2015.



@Ahmedyassin90

تصوير
احمد ياسين

سلسلة قراءات صينية

بعدما حققت الصين نموًا اقتصاديًا هائلا مهد لها الطريق لأن تصبح القوة الاقتصادية الثانية بعد الولايات المتحدة، بدأت تتطلع إلى تعظيم دورها في الساحة الدولية. وبالطبع، يتطلب هذا التحول سياسات واستراتيجيات دبلوماسية جديدة، تختلف عن السياسات والمفاهيم الحذرة والمحافظة التي اتبعتها سياسة بكين الخارجية لعقود.

ونظرًا للدور المتزايد الذي تلعبه الصين اليوم في الساحة الدولية، توجب تقديم هذا الكتاب للمكتبة العربية كمرجع مهم يسد النقص في احتياجات الباحثين والمهتمين بالشأن الصيني في وطننا العربي، والتعرف على الرؤى الصينية الجديدة في مجال السياسة الخارجية؛ مع إلقاء الضوء على مبادرة الرئيس الصيني شي جين بينغ "مبادرة الحزام والطريق" وما لها من أهمية كبيرة في دفع تطور العلاقات الصينية الخارجية.

ويشتمل هذا الكتاب على مجموعة من الدراسات، بأقلام عدد من المتخصصين الصينيين البارزين في الشأن الدبلوماسي والعلاقات الخارجية، والذين ينتمون لعدد من الجامعات والمراكز البحثية الصينية المرموقة.

جانغ يون لينغ

المولود في 1945/5، الباحث وعضو اللجنة العلمية ورئيس قسم الدراسات الدولية بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية. باحث متخصص في الدراسات الاقتصادية والعلاقات الدولية. حصل في عام 1992 على لقب خبير متميز من مجلس الدولة الصيني. رئيس جمعية دراسات الصين وآسيا والمحيط الهادي، مدير مركز الأمن الإقليمي بالأكاديمية الصينية للعلوم الاجتماعية. نائب رئيس جمعية الصداقة الصينية الكورية الجنوبية.

المراجع: د. حسانين فهمي حسين

أستاذ مساعد بقسم اللغة الصينية كلية الألسن- جامعة عين شمس. صدر له العديد من الترجمات من الصينية إلى العربية والعكس. وعدد من الكتب التعليمية والمعاجم الثنائية بين اللغتين العربية والصينية.

حاصل على : "لقب الطالب المثالي بجامعة اللغات ببكين عام 2008". "جائزة "الشباب للترجمة" -المركز القومي للترجمة- 2013". و"جائزة الإسهام المتميز في ترجمة الكتب الصينية- 2016" وهي أكبر جائزة تمنحها الصين للمترجمين الأجانب.





Cover design by: Alaa Elnewehy